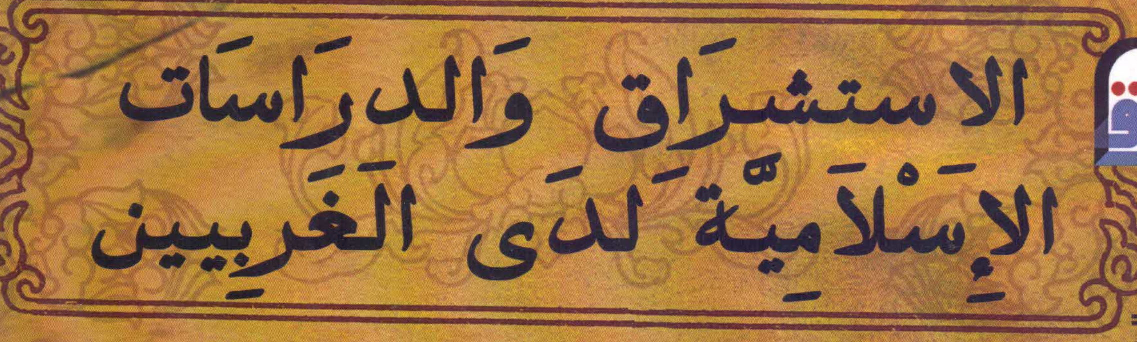




الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين

المشروع القومي للترجمة

المركز القومي للترجمة

تأليف: محمد حسن زمانى

ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم

1524



الكتاب بشكل عام عرض طيب لموضوع الاستشراق ، استعرض فيه المؤلف تعريف الاستشراق والمستشرق ووجهات نظر المفكرين المسلمين حول أهداف المستشرقين ونواياهم ، وما قدمه المستشرقون من خدمات للمسلمين وما قدموه أيضا من خيانات وأحقاد . ويرى المؤلف أن الاستشراق مر بعدة مراحل منذ القرن السادس الميلادى وحتى الآن، كما قسم الاستشراق إلى عدة مدارس أهمها مدرسة الاستشراق الدينى التبشيرى ، ومدرسة الاستشراق السياسى الاستعمارى ، ومدرسة الاستشراق العلمى ، ثم أعقب ذلك بحديث مفصل عن مراكز الاستشراق فى الدول الغربية ، وميادين أنشطة المستشرقين ، وأساليب عملهم وحيلهم المتنوعة . وخلص فى نهاية بحثه إلى أنه لا ينبغى النظر إلى المستشرقين كافة بمنظار واحد ، كما أنه لا ينبغى إلقاء تبعة ما اقترفته جماعة منهم على عاتق الآخرين.

الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين

نبذة تاريخية - الأهداف - المدارس - مدى فعاليات المستشرقين وأنشطتهم

المركز القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد :1524
- الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين
- محمد حسن زمانى
- محمد نور الدين عبد المنعم
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب :

شرق شناسى واسلام شناسى غربيان

تاريخچه ، اهداف ، مكاتب وكستره فعاليت مستشرقان

نويسنده : محمد حسن زمانى

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين

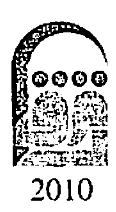
نبذة تاريخية - الأهداف - المدارس - مدى فعاليات المستشرقين وأنشطتهم

تأليف

محمد حسن زمانى

ترجمة

محمد نور الدين عبد المنعم



2010

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

زماني، محمد حسن

الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين: نبذة تاريخية- الأهداف - المدارس-مدى فعاليات المستشرقين وأنشطتهم.

تأليف : محمد حسن زماني، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم

ط ١، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠

٤٢٨ ص ؛ ٢٤ سم

١- الاستشراق والمستشرقون

(ا) عبد المنعم، محمد نور الدين (مترجم)

٢- العنوان ٨٠١,٩٥

رقم الإيداع ٢٠٠٩/١٤١٦٦

الترقيم الدولي I.S.B.N. 978- 977- 479- 476- 9

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

الفصل الرابـع

الفصل الخامس

الفصل السادس

مقدمة المترجم

يسعدنى أن أقدم اليوم للقارئ العربى كتابا مهما وسفرا قيما حول الاستشراق وتاريخه وأهدافه ومدارسه وأنشطته المختلفة ، ليحتل مكانه بين كثير من الكتب العربية التى تناولت هذا الموضوع بالبحث والدراسة ، ولكنه تميز عن غيره من الكتب بالتركيز على توجهات الاستشراق بالنسبة لإيران بشكل خاص بالإضافة إلى توجهاته العامة بالنسبة للعالم الإسلامى ككل . كما تميز هذا الكتاب أيضا بأن مؤلفه أستاذ جامعى إيرانى كانت له صولات وجولات فى نقد آراء المستشرقين حول القرآن الكريم فى رسالته التى حصل بها عل درجة الدكتوراه من إيران ، وهو الآن يعمل ملحقا ثقافيا فى مكتب رعاية مصالح الجمهورية الاسلامية الإيرانية بالقاهرة .

والكتاب بشكل عام عرض طيب لموضوع الاستشراق ، استعرض فيه المؤلف تعريف الاستشراق والمستشرق ووجهات نظر المفكرين المسلمين حول أهداف المستشرقين ونواياهم ، وما قدمه المستشرقون من خدمات للمسلمين وما قدموه أيضا من خيانات وأحقاد . ويرى المؤلف أن الاستشراق مر بعدة مراحل منذ القرن السادس الميلادى وحتى الآن ، كما قسم الاستشراق إلى عدة مدارس أهمها مدرسة الاستشراق الدينى التبشيرى ، ومدرسة الاستشراق السياسى الاستعمارى ، ومدرسة الاستشراق العلمى ، ثم أعقب ذلك بحديث مفصل عن مراكز الاستشراق فى الدول الغربية ، وميادين أنشطة المستشرقين ، وأساليب عملهم وحيلهم المتنوعة . وخلص فى نهاية بحثه إلى أنه لا ينبغى النظر إلى المستشرقين كافة بمنظار واحد ، كما أنه لا ينبغى إلقاء تبعة ما اقترفته جماعة منهم على عاتق الآخرين ، ومن ثم قسم المؤلف مدارس الاستشراق إلى ثلاثة أقسام كما أشرنا من قبل ، وجعل المدرسة

الثالثة هى التى قامت بدراسة الإسلام وعلومه بدافع البحث عن الحقيقة أو على الأقل التزود بالعلم وتطويره ، وقد توصل بعض باحثى هذه المدرسة إلى عدالة الإسلام وأفضلية العلوم الإسلامية ، ومنهم من اعتنق الإسلام أوعلى الأقل تناوله بالتقدير والاحترام فى بحوثه ومؤلفاته .

ولا شك أن خوض غمار موضوع كالاستشراق يكتنفه كثير من الصعوبات خاصة بالنسبة لإصدار حكم قاطع على نوايا المستشرقين وبحوثهم ، إلا أن المؤلف استطاع فى كتابه هذا بحنكته البحثية إصدار هذا الحكم السابق الذى يتسم بالواقعية والمنطق . وعلى الرغم من تكرار مثل هذه الأحكام على أعمال المستشرقين ، فإن تبنى هذا الرأى من قبل المؤلف يعتبر نوعا من التحيز للرأى المعتدل المنصف .

وأود أن أشير هنا إلى أننى حذفت بعض العبارات أو الفقرات من النص المترجم لهذا الكتاب بناء على رغبة المؤلف نفسه ، كما قمت بتعديل بعض العناوين أو الجمل نزولا على رغبته أيضا . ومثل هذه التعديلات لم تؤثر بأى حال من الأحوال فى موضوع الكتاب أو أبوابه وفصوله لقلتها .

ومن الصعوبات التى واجهتنى عند ترجمة هذا العمل أن مؤلفه نقل نصوصا كثيرة من كتب عربية مؤلفة أو مترجمة عن لغات أجنبية ، فكان لزاما علىّ أن أرجع إلى هذه الكتب كلما أمكن ذلك ، حتى تكون الترجمة مطابقة لمضمون هذه النصوص .

ولا يسعنى فى النهاية إلا أن أتوجه بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى المركز القومى للترجمة برئاسة الأستاذ الدكتور جابر عصفور على إتاحة هذه الفرصة لى كى أقوم بترجمة هذا الكتاب من الفارسية إلى العربية ، وعلى الجهود التى يقوم بها المركز فى سبيل نشر المعارف والثقافات الأجنبية مترجمة إلى اللغة العربية إسهاما منه فى التعريف بفكر الآخرين وإبداعاتهم .

وأرجو أن أكون قد وفقت فى نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية وأن أكون قد أسهمت فى إضافة سفر جديد إلى المكتبة العربية يخدم القارئ العربى ويعرفه على

الاستشراق وأهدافه وأنشطته ، ويفتح بابا جديدا لدراسة ما قدمه المستشرقون حول الإسلام وعلومه والمسلمين وثقافتهم ، والرد على أية آراء مغرضة من جانبهم . وفقنا الله لخدمة الإسلام والمسلمين ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد نور الدين عبد المنعم

مقدمة المؤلف

شهد التاريخ العام للعالم منذ ستة وعشرين قرنا وحتى الآن تنافسا شديدا ومستمرا بين الشرق والغرب . ومن المظاهر البارزة لهذا التنافس والتى استمرت ردحا طويلا من الزمان صراع القوى فى القرن السادس قبل الميلاد بين الإمبراطوريتين العظميين إيران واليونان ، وفتوحات الإسكندر المقدونى الملك اليونانى الشاب ، الذى وصل بجيوشه حتى أبواب الصين فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وانتقال السلطة من الهخامنشيين الشرقيين إلى السلوقيين الغربيين ثم إلى الأشكانيين والساسانيين فيما بعد ، ومن المؤكد أن الاستشراق عند الغربيين ودراسة الغرب عند الشرقيين كانا بمثابة مصباح يضىء الطريق لكلتا القوتين ، ولا شك أن هذا التنافس الذى استمر اثنى عشر قرنا وحتى ظهور الإسلام ، كان يعى ماهية علم السياسة الطبيعية (جيوبولوتيك) والسياسات الجغرافية والإقليمية .

غير أن المؤسسات السياسية الحاكمة فى الغرب والزعامة الدينية للكنيسة والبابا الذين اتحدوا وامتزجوا مع بعضهم بشكل أو بآخر ، أحسوا بالخطر بعد بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ، وبزوغ أكمل دين سماوى من أفق المشرق ، ودعوة محمد (ﷺ) للناس كافة ، والترحيب المنقطع النظير واللافت للنظر من قبل كثير من الغربيين – كما هو الحال بالنسبة للشرقيين – بهذا الدين الجامع والصحيح والفطرى ؛ فهبوا للدفاع والهجوم على الدين الإسلامى . وفى هذه المرحلة أفرزت المنافسات مفهوما جديدا "أيديولوجيا وعقائديا" . ومن ثم تولى فى هذه الحقبة "علماء الدين المسيحى ومبشروه" عملية "الاستشراق" ، وتولى علماء الإسلام ودعاته عملية "الاستغراب" (دراسة الغرب) .

ومنذ القرن السادس عشر الميلادى أحست أوروبا ثم أمريكا من بعدها بنوع من التفوق على الشرق نتيجة تقدمها فى الصناعة والعلوم التجريبية وتميزها فى الشئون السياسية ، وبدأت انتفاضة جديدة لاستعمار دول المشرق من الجزائر وحتى الهند وكل الدول التى تقع بينهما ، وتكفل الجواسيس السياسيون الإنجليز والفرنسيون والألمان والبرتغاليون والروس والأمريكيون بعملية الاستشراق .

وقد اتخذت هذه العملية أشكالا مختلفة ومتنوعة فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين ، وأخذت تتقدم فى كل قرن بهدوء ودقة ، إلى أن توقف إذلال الغرب للعالم وهيمنته عليه وانتشار النفوذ الأمريكى والأوروبى فى أواخر القرن العشرين الميلادى فجأة أمام الانفجار المدوى والنصر المهيب للثورة الإسلامية الإيرانية .

ولم تقم الثورة الإسلامية فى إيران بتوجيه ضربة لأوروبا وأمريكا بشكل قاطع عن طريق إعلان السفارة الإسرائيلية ، واحتلال السفارة الأمريكية ، وطرد خمسين ألف مستشار ومستشرق غربى ، والمناداة بالاستقلال الكامل لإيران فحسب ؛ بل إن زعيم هذه الثورة دعا إلى اتحاد الأمة الإسلامية ، وكذلك ثورة كل المستضعفين من أجل محاربة كافة المستكبرين والطغاة فى العالم .

والآن يجب على المؤسسات الحاكمة فى الغرب أن تقوم بعمل بحث جديد حول مبادئ "الثورة الإسلامية الإيرانية" وماهيتها ، إضافة إلى ما لديها من بحوث فى الاستشراق الجيوبوليتيكى والدراسات الإسلامية منذ ألف عام ؛ حتى يمكنها العثور على سبيل لإحباط هذه الحركة العاصفة ، أو على الأقل العثور على وسيلة للحفاظ على نفوذها وسطوتها ، لذلك فإن الاستشراق فى هذه العقود الثلاثة الأخيرة يصبغ نفسه بصبغة "علم الثورة" ، و"علم إيران" .

ومن ثم فإن هؤلاء المستشرقين هم جنود ثقافة الحكومات الغربية ومخططو الغزو العسكرى والسياسى والعقائدى والاقتصادى الذين تخندقوا فى الخطوط الأمامية لخوض هذه المعركة الكبرى بين الغرب والشرق .

وبالنظر إلى هذا التاريخ الطويل والمهم ؛ فمن البديهى أن واجبنا نحن شعوب الشرق لا يقتصر على الدفاع عن هوية شعوبنا واستقلال أراضينا فحسب ؛ بل إن واجبنا الإسلامى والإلهى والعقائدى يقتضى التعرف على مخططات عمليات طلائع جنود جيش "الاستعمار" و"الصليب" فى الغرب ، حتى ننقذ ديننا ومذهبنا وبلادنا وشعوبنا من مؤامراتهم الدنيئة ، وبالقضاء على هذه المؤامرات وإحباطها نعثر أيضا على السبل التى تمكننا من تقديم ثقافة الدين الإسلامى النقية الخالصة والإنسانية والإلهية ، والقيم السامية للثورة الإسلامية إلى كل شعوب الشرق والغرب .

وتدل كثافة حجم أنشطة الغربيين البحثية ونشرهم للكتب والمجلات ودوائر المعارف المناهضة للشعوب الشرقية والأمة الإسلامية والعلوم الإسلامية على الهجمات الشرسة ، بل الغارات العلمية والثقافية التى تعرض لها الإسلام .

يقول الدكتور إدوارد سعيد :

إن عدد الكتب التى ألفها المستشرقون عن الاستشراق منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين يصل إلى حوالى ستين ألف كتاب[١] .

وطبقا لما ذكره الباحثون : فإن ما يقرب من ثلاثمائة مجلة تصدر عن الاستشراق فى مختلف بلدان العالم ، بالإضافة إلى ما يقرب من خمسمائة إصدار آخر يتناول جزء منه الاستشراق كذلك[٢] .

وكما تدل الدراسات ؛ فإن عدد المقالات التى كتبها المستشرقون خلال القرن العشرين فى الفترة الزمنية الواقعة ما بين ١٩٠٦ و ١٩٩١ م كان أكثر من خمسة وسبعين ألف مقالة[٣] .

ضرورة دراسة الاستشراق

إن ضخامة حجم الهجمة الثقافية الغربية والمستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية من الغربيين ضد الإسلام والقرآن الكريم - كما أشرنا آنفا - وما اتصفت

به من اتساع وانتشار مخيف ، أدت إلى تعريض كل المعتقدات الإيمانية وسدى ولحمة العقائد الإسلامية والقيم الإنسانية ومبادئ استقلال الإنسان الشرقى للخطر ، وقد تسلح أعداؤنا فى هذا الهجوم الثقافى بكل الأدوات والإمكانيات الحديثة المتقدمة والمدهشة لوسائل الإعلام الموجودة فى حوزة الغرب ، بالإضافة إلى الكتب ودوائر المعارف والصحف والمجلات ومواقع الإنترنت والأقمار الصناعية والمعاهد التعليمية العالية الحقيقية والمجازية ، وكما قال المرشد الأعلى فقد أغاروا علينا "غارة ثقافية" .

وفى خضم هذه الحرب الثقافية العالمية المثيرة للدهشة والحيرة ، كان المسلمون وعلماء الإسلام ومراكزهم العلمية يجهلون أنواع الأدوات الثقافية ومحتواها ، وهذا هو أول واجب يتركونه ويتخلون عنه .

المستشرقون يتكفلون بتعليم المسلمين وتربيتهم الدينية

إن الخطر السابق والرسالة المذكورة يصبحان أكثر جدية عندما نعلم أن الاستشراق سعى فى القرون الأخيرة كذلك إلى تولى مسئولية التدريس والتربية الدينية للمسلمين والتصدى للقيام بهذا العمل إلى حد ما . وطبقا لهذا السيناريو فقد كُلف المستشرقون فى الغرب بتوفير احتياجات المسلمين فى العلوم الدينية .

ويصف أحد الكتاب المعاصرين هذا السيناريو بكل أسى وألم ؛ فيقول :

عندما رأى المستشرقون وعلماء الدراسات الإسلامية الغربيين المسيحيين والاستعماريين أن علماء الدين المسلمين فى كل فرع من فروع العلوم الدينية قد شُغلوا غالبا بالنظرة الجزئية ، فمثلا انشغل كل عالم فى علم الحديث بنقد سند الحديث ومدلوله حتى يثبت حكما أو ينفيه ، واكتفى فى الاستفادة من القرآن ببعض الآيات المشهورة فى الموضوع المراد بحثه ، ولم يعد فهرسا جامعا للآيات والأحاديث رغم حاجتهم إليه ، وكذلك ظل كثير من الكتب والمصادر الأصلية لعلماء المسلمين من السلف التى لم يبق غير اسمها وبعض النقول منها ، يرزح تحت غبار التاريخ فى

مكتبات المخطوطات ، وهم أيضا فى أشد الحاجة إليها ، عندئذ قام المستشرقون بتأليف "معجم الأحاديث" و"معجم الآيات" و"الفهرس الموضوعى للآيات" ، وإحياء وتحقيق ونشر الكتب المخطوطة القديمة حتى يضطر كل علماء الدين المسلمين إلى الجلوس على مائدة "المستشرقين" والاستفادة منها فى "دراساتهم الدينية الإسلامية" ، ويكونوا فى حاجة لها دائما . وقد استطاع المستشرقون عن طريق الاستفادة من معرفة الخواء الدينى عند علماء المسلمين ومنافذ الدخول تحقيق حلمهم القديم وهو "التكفل بالتعليم الدينى للمسلمين" إلى حد ما .

ولا شك الآن أن العلماء أنفسهم والمراكز الإسلامية يتولون هذين الأمرين ، ويقدم الغربيون مؤلفات وأعمال عن طريق دخولهم إلى منافذ أخرى مثل الدراسات الموضوعية للمعارف الإسلامية والتوثيق التاريخى لها ، مما يجعل علماء المسلمين يضطرون للاستفادة منها ... وسواء أردنا أم لم نرد فقد ترك الاستشراق أثره على الفكر الإسلامى للمسلمين سواء كان هذا التأثير إيجابيا أو سلبيا(٤) .

جنود الاستشراق وسط الأمة الإسلامية

فى عام ١٣٧٨ ش (١٩٩٩م) وفى إحدى الزيارات التى قمنا بها برفقة بعض الأصدقاء الأفاضل للدكتور محمد قطب الكاتب الإسلامى العظيم بمنزله بمكة المكرمة وتطرق الحديث إلى الاستشراق ، قال سيادته :

إن جهود مستشرقى الغرب العلمية المناهضة للإسلام ليست مقلقة جدا من وجهة نظرى ؛ ذلك لأن المسلمين عندما يطالعون كتبهم ، فإنما يطالعونها بحذر وحيطة ولا يقبلون التحليلات والتفسيرات المشبوهة إلى حد ما ، لأنهم يعلمون تماما أن السم مدسوس فى حلاوة عسل موضوعاتهم .

ولكن عندما يقرأ علماء المسلمين المتجدد والفكر نفس هذه التفسيرات الخاطئة وتحليلات المستشرقين المخربة ويقبلونها ويرددونها بألسنتهم وأقلامهم فى العالم

الإسلامى : فإن الشباب قليل الاطلاع فى المجتمعات الإسلامية يقرءون كتبهم بثقة ويستمعون إلى أحاديثهم وتحليلاتهم الجميلة ويقبلونها بدون قلق أو تمعن دينى لها ، وهم يعتقدون أن هذا النقد وهذه التحليلات لا تتنافى مطلقا مع إيمانهم وإسلامهم فحسب ، بل تعد جزءا من معارف الدين الإسلامى الخالصة والنقية .

يقول الدكتور محمد قطب فى مقدمة كتابه "المستشرقون والإسلام" :

وعلى الرغم من أن حدة المستشرقين فى الهجوم على الإسلام قد خفت مؤخرا ، إلا أن أفكارهم المسمومة ما زالت تُروَّج على أيدى مثقفين يحملون اسم "المسلم"(٥)

تأثر سلمان رشدى بالمستشرقين

تعتبر فتنة سلمان رشدى وكتابه آيات شيطانية واحدة من نفس هذه الثمار المرة للاستشراق ؛ ذلك لأنه كان فى بداية الأمر مسلما ، ولكنه عندما وقع تحت تأثير تحليلات المستشرقين العدائية المكتوبة حول حياة الرسول الأكرم "ﷺ" وزوجاته ؛ أقدم بحرص وولع شديد على نشر أفكاره التى تبدو فى الظاهر أفكارا راقية ، وعرضها فى قالب رواية فى كتابه "آيات شيطانية" .

وهو يعتمد فى كتابه هنا وهناك على كتب المستشرق الإنجليزى المعروف "مونتجمرى وات" وعناوينها : محمد فى مكة ، ومحمد فى المدينة ، ومحمد النبى الحاكم ، واقتبس حادثة "الغرانيق"(٦) الخرافية كلها من أحد فصول كتاب "محمد فى مكة" ، حيث نرى بدقة اسم كتاب سلمان رشدى وعبارة "THE SATANIC VERSES" فى كتاب مونتجمرى وات(٧) .

وقد تأثر طه حسين أيضا بآراء المستشرقين فى موضوع الدراسات الإسلامية ، وعرضها فى كتبه : السيرة ، والخلفاء الراشدين ، والوعد الحق .

كما تأثر أحمد أمين أيضا فى مواضع متعددة بالمستشرقين ، ويمكن العثور على هذه المواضع فى مؤلفاته : فجر الإسلام ، وضحى الإسلام ، وظهر الإسلام ، ويوم الإسلام(٨) .

ضرورة البحث العلمى للشبهات

إن مآخذ المستشرقين على الإسلام والقرآن باطلة وغير مقبولة بشكل عام ، غير أنه لا ينبغى التخلى عن البحث العلمي والتدقيق فيما يثيره الآخرون اعتمادا على سلامة القرآن وقوته وغناه وضعف أسس مآخذ الآخرين ، وترك أخطاء الأعداء الكثيرة وشكوكهم على حالها تحت شعار "الباطل يموت بترك ذكره" ، ونطمئن إلى أنها لن تؤثر فى أى شخص .

يقول ماكسيم رودنسون كمستشرق منصف :

إن شكوك الأوروبيين فى الدين الإسلامى وشبهاتهم غير عادلة فى بعض المواضع ، إلا أن الاعتراض عليها ورفضها بطريقة حاسمة وعلمية يحتاج بالتأكيد أيضا إلى دراسة تلك الشكوك والشبهات والأدلة والوثائق التى تستند إليها حتى نقدم إجابة مقنعة وجلية(٩) .

الاعتراف بالتقصير

اهتم بعض الباحثين الإسلاميين على مدى التاريخ ، وخاصة فى القرون الأخيرة ، بدراسة ونقد شبهات المستشرقين ، إلا أنه يجب الاعتراف بأن هذا القدر القليل يعتبر ضئيلا جدا بالنسبة لهذا الكم الضخم من المؤلفات والدعايات والمؤتمرات والأفلام وبرامج الاستشراق . وكم كان عملنا قليلا نحن المسلمين والشرقين حول الدراسات الغربية ودراسة سلوك الغرب ومنهجه تجاه الشرق بحيث إن مستشرقا مسيحيا معاصرا فى أيامنا هذه وأستاذا بجامعة كولومبيا بنيويورك وهو الدكتور "إدوارد سعيد" اعتبر أن قلة العمل فى هذا الجانب يعد نوعا من الرضوخ لرغبات الغرب ونزعاته ، ويعترف بلسان حالنا بقوله :

إن إحدى علامات الهيمنة الثقافية للغرب على الشرق هى : أنه يوجد فى أمريكا منظمات ومؤسسات متعددة فى ولايات مختلفة فى مجال "الدراسات الشرقية والعربية والإسلامية" ؛ غير أنه لا توجد مؤسسة واحدة للدراسات الأمريكية فى كل أنحاء الشرق ، وذلك على الرغم من أن أمريكا تتمتع بأكبر نفوذ سياسى واقتصادى فى كل هذه المنطقة . والأسوأ من هذا أيضا أنه لا توجد فى بلدان الشرق حتى "مؤسسة واحدة متوسطة للاستشراق" .

إلا أنه من وجهة نظرى فإن كل هذه الأمور بالمقارنة بالعامل الثانى الذى ساعد على "نجاح الاستشراق" تعد شيئا ضئيلا ، ألا وهو : أن واقع النزعة الاستهلاكية فى الشرق قد جذب العالم العربى والعالم الإسلامى إلى "نظام استهلاك ما هو موجود فى السوق الغربى"(١٠) .

الاستغراب من وجهة نظر رودى بارت

يقدم "رودى بارت" المستشرق الألمانى فى مطلع كتابه اقتراحا للباحثين الشرقيين يقول فيه :

لقد أوجد الدارسون والباحثون الشرقيون أيضا حركة الاستغراب ، وقاموا بدراسة الثقافة والحضارة الغربية والتعرف عليها بشكل كلاسيكى وبأسلوب علمى ، كما اقترح الدكتور "محمد رحبار" فى المؤتمر الدولى الإسلامى فى لاهور عام ١٩٥٧ نفس هذا الاقتراح ، إلا أنه لقى معارضة شديدة . ولا شك أن المناخ الحالى للمجتمعات الإسلامية تسوده روح الخلاف والرفض والخصومة ، إلا أنه توجد جماعة من المثقفين المسلمين فى الشرق ينظرون إلى العالم الغربى المسيحى نظرة تقدير واحترام . ونأمل أن يتحول هذا العمل فى المستقبل على هيئة مدرسة فكرية فى الشرق حتى يتوفر لدى الطرفين فى الشرق والغرب التفاهم والتعامل بشكل أفضل مع بعضهما البعض أكثر من ذى قبل(١١) .

ولا شك أن مبدأ اقتراح السيد رودى بارت مقبول من ناحيتنا ، بحيث إنه لا يكون توجها متسما بالعدائية أو متصفا بالاحترام والتقدير والتصديق والتقليد التام ؛ بل يقوم على استفادة الشرقيين من إنجازات الغرب ومكاسبه الإيجابية بنظرتهم الناقدة التى تميز الخبيث من الطيب ، وعدم قبول الخصال السلبية والمادية عند الغرب ، وإسهامهم فى إنقاذ الغربيين من الابتذال والوقوع فى تلك الخصال .

مشروع كتابة موسوعة نقد المستشرقين

لقد ازداد كم المؤلفات والمطبوعات والأنشطة الثقافية للمستشرقين المناهضة للإسلام فى منتصف القرن العشرين إلى حد أنه لم تستطع الكتابات الفردية النقدية لعلماء المسلمين القضاء على عملية التسميم التى تقوم بها سلسلة كتابات ودوائر معارف المستشرقين ، لذا عقد علماء مصر المسلمون فى عام ١٩٧٩م مؤتمرا لمدة ثلاثة أيام لبحث هذه الهجمة الثقافية للاستشراق وتدبير طرق الحل ، ودُعى إليه عدد من الشخصيات العلمية البارزة من عدة دول للمشاركة فيه . وكانت مسئولية تسجيل المشاريع المقدمة وإعداد البيان الختامى لهذا المؤتمر تقع على عاتق الدكتور محمود حمدى زقزوق .

وقد عرض الدكتور زقزوق فى كتابه تقريرا مفصلا عن القرارات التى اتخذت فى هذا المؤتمر ، فكتب يقول :

إن أهم قرار اتخذ فى هذا المؤتمر هو قيام مجموعة من علماء المسلمين الكبار بتأليف "موسوعة الرد على المستشرقين" التى تعتبر ردا على كل اتهاماتهم وأكاذيبهم وسوء فهمهم(١٢) .

غير أننى لم أشاهد حتى الآن أثرا لهذا المشروع المهم . ومن الممكن بالتأكيد أن تكون مراكز متصدية لدراسة الغرب ونقد الاستشراق قد تأسست الآن فى إيران والدول الإسلامية الأخرى بنسب متفاوتة .

تقرير عن مؤتمر نقد أعمال المستشرقين في الهند

فى عام ١٤٠٢ وفى شهر ربيع الثانى عقدت أكاديمية الكتّاب "دار المصنفين" فى مدينة اعظم گده بالهند مؤتمرا لمدة يومين تحت العنوان المذكور برئاسة الأستاذ صباح الدين عبد الرحمن وتحت إشراف العلامة أبى الحسن الندوى . وقد شاركت فى هذا المؤتمر شخصيات علمية من شتى دول العالم الإسلامى وممثلون عن الجامعات التالية :

١- جامعة أم القرى بمكة ٢- الجامعة الإسلامية بالمدينة ٣- جامعة البترول والمعادن بالظهران ٤- رابطة العالم الإسلامى بمكة ٥- رئاسة السلطة القضائية بأبى ظبى ٦- الجامعة الإسلامية فى إسلام آباد بباكستان ٧- مؤسسة همدرد بكراتشى بباكستان ٨- جمعية الإسلام فى بانكوك بتايلند ٩- جمعية الإسلام فى اليابان ١٠- جامعة دربن بجنوب افريقيا ، قسم الدراسات الإسلامية . بالإضافة إلى مراكز علمية وإسلامية بالهند .

وتولى رئاسة هذا المؤتمر الدكتور يوسف القرضاوى عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر . وفى هذا المؤتمر الذى قُدم فيه خمسة وثلاثون بحثا من قبل الشخصيات الإسلامية فى موضوع نقد الاستشراق ، اتخذت عدة قرارات كان من بينها "تأسيس مكتب متابعة لتنفيذ قرارات المؤتمر" فى نفس تلك الأكاديمية ، وقد أقره الدكتور سيد سلمان الندوى وسجله .

وربما كانت المحاضرة التى ألقاها العلامة سيد أبو الحسن على حسنى الندوى الكاتب الكبير ومفسر القرآن هى أشمل محاضرة فى ذلك المؤتمر وأكثرها فائدة ، وقد عرض فيها تقريرا مفصلا عن جهود المستشرقين العلمية وأعمالهم وكذلك تقريرا عن الكتّاب الإسلاميين الأواخر والمعاصرين فى بحث الاستشراق[١٣] .

عندما أخذ العلامة الندوى يعرِّف بكبار كتَّاب العالم الإسلامى فى مجال نقد الدراسات الإسلامية عند الغربيين فى النصف الثانى من محاضرته ، وذكر عددا من الكتاب ومؤلفاتهم من كل بلد ، أشار فقط إلى الشهيد محمد باقر الصدر مؤلف كتاب "فلسفتنا" وكتاب "اقتصادنا" وإلى سيد حسين نصر من أيران .

البلاد الإسلامية النشيطة في نقد الاستشراق

(أ) مصر .

(ب) إيران .

(جـ) السعودية .

(د) ليبيا

جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض

تعتبر جامعة محمد بن سعود من أكبر جامعات المملكة العربية السعودية ، وقد اهتمت هذه الجامعة اهتماما خاصا منذ أوائل القرن الخامس عشر الهجرى بقضية الاستشراق وأهمية نقد أراء المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية من الغربيين وأنشطتهم ، وطبقا لهذه الضرورة تأسس فى هذه الجامعة مركزان بحثيان وتعليميان يختصان بنقد الاستشراق :

(أ) وحدة دراسة الاستشراق فى مركز بحوث الجامعة "عمادة البحث العلمى" فى الرياض . وقد نشرت هذه الوحدة حتى الآن كتبا متعددة ، منها :

١- المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، دراسة نقدية ، للدكتور عبد اللطيف الطيباوى - طبعة إدارة الثقافة بالجامعة ، ١٤١١ هـ (١٩٩٠م) .

٢- أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر ، للدكتور محمد خليفة حسن ، ١٤٢١هـ (٢٠٠م) .

(ب) كلية الدعوة وأصول الدين والاستشراق أيضا الموجودة فى المدينة المنورة وهى تابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود . وفى الزيارات المتعددة التى قام بها المؤلف لهذه الكلية وتحدث فيها مع عميدها المحترم الدكتور عليوة وأساتذتها ، كان شاهدا على تأسيس قسم نقد الاستشراق الذى تأسس منذ عشرين عاما وبه حتى الآن عشرات الطلاب فى مرحلتى الماجستير والدكتوراه ، وقد نشر عشرات الرسائل العلمية والكتب فى هذا الموضوع .

وفيما يلى عدد من عناوين رسائل خريجى قسم "الاستشراق" فى العقد الأول وحتى عام ١٤١٢ هـ (١٩٩٢م) التى أعدت وتم إجازتها ، وهى على النحو التالى :

رسائل مرحلة الدكتوراه

١- الشبهات العقائدية الأساسية فى دائرة معارف ليدن الإسلامية ، دكتور حميد بن ناصر .

٢- موقف المستشرقين فى دائرة المعارف الإسلامية من الأحاديث النبوية ، دكتور طلال ملوش .

٣- نقد منهج برنارد لويس فى دراسة التاريخ الإسلامى - دكتور مازن بن صلاح المطبقانى .

٤- مصادر المستشرقين الثقافية فى دراسة السنة النبوية - دكتور مصطفى بن عمر الحلبى .

٥- تأصيل توجهات وأدوات الاستشراق المارونى بالنسبة للإسلام فى النصف الأول من القرن العشرين - دكتور عبد العزيز بن على صالح .

٦- تقويم دراسات المستشرقين حول الأحكام الشرعية ، خاصة اقتصاد الدولة الإسلامية - دكتور عدنان الأماسى .

٧- أساليب البروتستانت فى تنصير المسلمين فى النصف الثانى من القرن العشرين - دكتور على الحربى .

رسائل مرحلة الماجستير

١- نقد المناهج العلمية للدراسات الإسلامية لدى جولد زيهر .

٢- نقد رؤية المستشرقين إلى وحدة أسماء الله وصفاته فى القرآن الكريم .

٣- دراسة رؤية المستشرقين حول القضاء والقدر .

٤- كتابة الصحابة للأحاديث النبوية عند المسلمين والمستشرقين .

٥- تهمة اكتفاء المحدثين بالسند المحورى وتجاهل النص المحورى للأحاديث من قبل المستشرقين ونقد ذلك .

٦- شبهات المستشرقين حول صحة إسناد الأحاديث النبوية .

٧- التداعيات الثقافية لوجهة نظر المستشرقين حول شخصية الرسول الأكرم (ﷺ) .

٨- حوار الإسلام والمسيحية - أهدافه وميادينه .

٩- الاتصالات بين اليهود والنصارى فى النصف الأول من القرن العشرين .

١٠- أفكار وأساليب "الكنيسة القبطية" فى القرن العشرين .

١١- الصلة بين الاستشراق والتبشير فى النشأة والهدف .

١٢- دراسة لمجلة "الآباء الكاثوليك" منذ عام ١٨٩٨ وحتى الحرب العالمية الثانية .

١٣- دراسة وجهة نظر المستشرقين فى عقوبة الزنا فى الفقه الإسلامى .

١٤- تقويم دراسات أرثر جيفرى على مقدمة كتاب "المبانى لنظم المعانى" .

١٥- فكر الاستشراق فى نيجيريا .

١٦- فكر الاستشراق فى تنزانيا .

١٧- توطين المسيحية فى إندونيسيا .

١٨- نقد رؤية المستشرقين تجاه أراء محمد بن عبد الوهاب العقائدية والفكرية(١٤) .

(ب) إيران

١- مجله (غرب شناسى) (علم الغرب) ، صدرت هذه المجلة بعد نجاح الحكومه الإسلاميه فى ايران لعده سنوات من مركز بحوث فى طهران ، و كانت تهتم بالتعرف عن ماهيه النظام و الثقافه فى الدول الغربيه و كذلك بدراسه الأنشطه التى يقوم بها الاستشراق هناك .

٢- دائره المعارف الإسلاميه الكبرى (دائره المعارف بزرگ اسلامى) .

كتاب (دائره معارف الإسلاميه لليدن) Encyclopedia of Islamic

كانت محل اهتمام قبل الثوره الإسلاميه فى إيران ، و قد ترجمت المقالات الخاصه بإيران و طبعت كدائره معارف ، إلا أن آيه الله خامنه اى الذى أصبح رئيسا للجمهورية بعد نجاح الثورة الإسلاميه لم ير فى نشرها أمرا مصيبا خاصه و أنها كانت مطعمة بأهداف الغرب ، فأسس مؤسسة جديدة حتى تقوم بكتابة دائرة معارف جديدة ، و تصحيح الأخطاء التى وقع فيها الغربيون فى دائرة المعارف الإسلامية ، و قد قامت هذه المؤسسة بمساعدة مئات من الباحثين بنشر عدة مجلدات باسم (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى) .

٣- دروس نقد الاستشراق في الجامعات والمراكز العلميه

قرر رؤساء الجامعات و المراكز العلميه و خاصه التى تقوم بتخريج رجال الدين خلال العقود الأخيره التى ازدادت فيها مؤامرات الغرب ضد إيران و العالم الإسلامى أجمع ، بأن يكون تدريس مادة (نقد الاستشراق) ماده أساسيه فى كثير من أقسام الدراسات الاسلاميه والإنسانية فى مراحل الليسانس و الماجستير و الدكتوراه ، مثل مادة : المستشرقين و القرآن ، الاستشراق و السنة ، الاستشراق و التاريخ ، الاستشراق و التشيع ، الاستشراق و إيران .... و غير ذلك .

و قد أدى تعرف الطلاب الجامعيين و طلاب المراكز العلمية على هذا الموضوع إلى اتجاه كثير منهم إلى دراسة موضوع نقد الاستشراق و اختياره موضوعا لرسائلهم العلميه ، و قد قدمت بالفعل حتى الآن عشرات الرسائل الجامعية فى الماجستير و الدكتوراه فى النقد العلمى للدراسات الإسلامية و الاستشراق ، و طبع عدد منها و تم نشره .

٤- نقد دائرة معارف ليدن للقرآن (Encyclopedia of Quran)

تعتبر هذه الدائرة أهم عمل علمى قام به المستشرقون الغربيون حول القرآن الكريم ، و نظرا لأن معظم كتاب مقالاتها كانوا من المسيحيين أو اليهود ، فقد كان من الطبيعى أن نجد بها أخطاء فى فهم الآيات أو تحريفها متعمده أو تشويه القرآن ، و من ثم بدأ مركز بحوث الثقافة و الفكر الإسلامى فى إيران فى مشروع نقد هذا الكتاب ، و قام بنقد مقالات رئيسيه حتى الآن .

(ج) السعودية

(د) ليبيا

عقدت المراكز العلمية الليبية فى العقدين الأخيرين مؤتمرات علمية ، قامت بنشر عدة مؤلفات حول نقد الاستشراق .

٢ – موسوعة الدراسات الاستشراقية

هذه الموسوعة عبارة عن سلسلة مطبوعات وكتب تنشرها مكتبة التوبة فى المملكة العربية السعودية . ومن المحتمل أن يكون تأليف ونشر هذه الموسوعة بدعم وتشجيع من جامعة الإمام محمد بن سعود . وقد اطلع المؤلف حتى الآن على أربعة أعداد من هذه الموسوعة ، منها كتابا :

١- الاستشراق والدراسات الإسلامية ، مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم ، دكتور على بن إبراهيم النملة – مكتبة التوبة – ١٤١٨ هـ (١٩٩٧م) .

٢- المستشرقون والتنصير – دكتور النملة – مكتبة التوبة – ١٤١٨ هـ (١٩٩٧م).

٣ – دراسات منهجية للاستشراق

يقوم بإعداد هذه المجموعة ونشرها "نادى المدينة المنورة الأدبى الثقافى" . ويعد هذا النادى فرعا من سلسلة النوادى الأدبية والثقافية بالمملكة العربية السعودية ، التى تنتشر فى كل المدن المهمة هناك ، وعلى الرغم من أنها تُدعم ماليا تماما من قبل الحكومة ، فإنها مؤسسات شبه حكومية نسبيا . ولهذا النادى اجتماعات علمية متنوعة ومطبوعات كثيرة ، منها على سبيل المثال مجموعة "دراسات منهجية الاستشراق" . وقد طالع المؤلف حتى الآن المجلد الأول من هذه الموسوعة تحت العنوان التالى :

من آفاق الاستشراق الأمريكى المعاصر – مازن صلاح المطبقانى – مكتبة ابن القيم – المدينة المنورة – ١٤٠٩ هـ (١٩٨٨م) .

(أ) موسوعة الرد على المستشرقين

العنوان المذكور هو قرار المؤتمر الخاص بنقد الاستشراق الذى عقدته فى القاهرة "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" وهى إحدى المنظمات الدولية الإسلامية ، وكان الدكتور محمود حمدى زقزوق مقررا لهذا المؤتمر(١٥) .

٢ - درس (نقد الأشراف) فى جامعة الأزهر .

٣ - طبع الكتب المتحدة فى مجال (نقد الأشراف) .

ولم يشاهد المؤلف حتى الآن أى كتاب أو مطبوعات صدرت عن ذلك المركز فى ذلك الخصوص .

سابقة البحث والدراسة

مضافًا إلى عدد كبير من الكتب العربية فى مجال نقد الاستشراق ، فقد كتبت إلى الآن كتب باللغة الفارسية فى هذا المجال أهمها :

(أ) المعجم الكامل للمستشرقين (فرهنگ كامل خاورشناسان)

تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوى وترجمة شكر الله خاكرند .

ويعد هذا الكتاب الذى ألفه أحد الباحثين المعاصرين العظام مصدرا قيما للعمل العلمى ، إلا أن موضوعه للأسف يقتصر على التعريف بالمستشرقين وأفكارهم العامة ، ولم يقم بنقد ودراسة شبهاتهم .

(ب) (علم الشرق) شرق شناسى

هذا الكتاب من تأليف البروفسور إدوارد سعيد ، وهو أحد الكتب الجامعة والقوية التى كتبت حول موضوع الاستشراق ، ومؤلفه فلسطينى شجاع أطلق صيحة النضال ضد الاستشراق الاستعمارى من مركز الاستعمار فى العالم . وهو أستاذ

بجامعة كولومبيا بنيويورك لمدة ثلاثين عاما ، ومع أنه مسيحي ؛ فقد دافع في هذا الكتاب بشجاعة عن الدين الإسلامي وحضارة المسلمين في مواجهة اتهامات الغرب وهجماته .

(جـ) (التطور التاريخي وتقويم فكر الاستشراق) سير تاريخي وارزيابي انديشه شرق شناسي

تأليف محمد الدسوقي وترجمة افتخار زاده

يتناول القسم الأول من هذا الكتاب تاريخ الاستشراق ، ويتناول القسم الثاني منه تقويم بعض الشبهات . ومع هذا كله فإن حجمه صغير وبه بحث علمي قليل .

(د) (نقد أعمال المستشرقين) نقد آثار خاورشناسان

مؤلف هذا الكتاب هو مصطفى حسيني طباطبائي ، وقد ألفه عام ٧٣ (١٩٩٤م) وطبع في عام ٧٥ (١٩٩٦م) من قبل دار نشر چاپچش في ٢٢٠ صفحة . وموضوع الكتاب هو التعريف بعشرين من أشهر المستشرقين ونقد بعض أعمالهم وهم عبارة عن :

إدوارد براون الإنجليزي ، ونولدكه الألماني ، وبطروشفسكي الروسي ، وتوماس الإنجليزي ، وهنري كوربن الفرنسي ، وجولد تسيهر المجري ، ورجي بلاش الفرنسي ، وآرثر الإنجليزي ، ورينهارت دوزي الهولندي ، وجيب الإسكتلندي ، ويوجني برتلس الروسي ، ومونتجمري وات الإنجليزي ، وهنري لاووست الفرنسي ، وول سميث الإنجليزي ، ولامس البلجيكي ، وريتشارد بولت الأمريكي ، وشاخت الألماني . كما قام المؤلف بنقد عشر مقالات من دائرة المعارف الإسلامية طبعة ليدن .

(هـ) آراء علماء الإسلام الألمان المعاصرين وأفكارهم (آراء وافكار اسلام شناسان معاصر آلمان)

وهو من تأليف سيد حسين موسويان ، سفير إيران الأسبق في ألمانيا ، الذي عرّف فيه فقط بالمستشرقين الألمان المعاصرين .

(و) توجه المستشرقين للقرآن (روى كرد خاورشناسان به قرآن)

هذا الكتاب عبارة عن رسالة ماجستير خاصة بالسيد تقى صادقى درس فيها المؤلف "تاريخ الاستشراق" ومراحله ومدارسه ، وبعد أن تحدث عن مائة وأربعة عن المستشرقين الباحثين فى مجال القرآن ، قام بتعريف أحد عشر منهم ، ونقد فى النهاية شبهاتهم حول ثلاث قضايا .

(ز) المستشرقون والبحوث القرآنية (خاورشناسان وپژوهش هاى قرآنى)

هذا الكتاب من تأليف الدكتور محمد حسين على صغير وترجمة محمد صادق شريعت وطبعته مؤسسة مطلع الفجر عام ١٣٧٢ ش (١٩٩٣م) .

(ح) الميثاق فى القرآن (ميثاق در قرآن)

مؤلف هذا الكتاب هو الدكتور عبد الكريم بى آزار الشيرازى . وهو عبارة عن الرد على أهم مآخذ المستشرقين على القرآن والتى تقوم على عدم الترابط بين آيات كل سورة ، والجمع بالصدفة للآيات المتفرقة بواسطة الصحابة ، وعدم قابلية القرآن للاستفادة ، وقد ألفه مؤلفه المحترم باللغة الإنجليزية فى كندا أولا ثم نقله إلى الفارسية بعد ذلك فى إيران .

(ط) معجم علماء الإسلام الأجانب (فرهنگ اسلام شناسان خارجى)

وهو من تأليف حسين عبد اللهى خوروش ، وقد جمع فيه المؤلف أسماء ألفى مستشرق غربى فى مجلدين وتحدث عن خصائص بعضهم .

وبالإضافة إلى هذه الكتب الفارسية ، فقد أجريت أبحاث أخرى فى الدول العربية فى مجال نقد الاستشراق ، نرى من المناسب تناول بعضها .

جوانب الموضوع ومجال البحث

من الموضوعات التى ينبغى أن يهتم بها المجتمع الإسلامى التعرف على ظاهرة الاستشراق وتاريخه ودوافعه ورجالاته البارزين ، وأكثرهم تأثيرا وخطورة ، والتعرف على أهم أعمال المستشرقين وأكثرها رواجا ، وأهم الموضوعات التى تتناولها ، ومراكز الاستشراق والدراسات الإسلامية فى عالمنا المعاصر ، وأساليب وأشكال أنشطة المستشرقين فى مختلف دول العالم الإسلامى وطرق التعرف عليها . كما أنه من الضرورى أيضا تعرف الباحثين والمهتمين على كافة البحوث والنظريات الإيجابية والسلبية والشبهات وإشكاليات المستشرقين حول علوم القرآن والمعارف التى يتضمنها ودراستها ، والقيام بالرد العلمى على تلك الشبهات ، ومن ثم فإن مجال هذه الدراسة سيكون واسعا ، ولذلك فقد قمت بعمل البحث فى كتابين :

أحدهما هو "شرق شناسى واسلام شناسى غربيان" (الاستشراق والدراسات الإسلامية عند الغربيين) ، والآخر هو "مستشرقان وقرآن" (المستشرقون والقرآن) .

وبالإضافة إلى أن الغرض من إعداد هذا البحث كان القيام بعمل بحث جامعى تقليدى فى شكل رسالة دكتوراه ، فقد قُصد به أيضا تقديم عمل نافع للتدريس فى الحوزات والجامعات وأيضا إفادة عموم المجتمع الإسلامى فى إيران ، ومن ناحية أخرى ، فإن نقد آراء المستشرقين حول القرآن يرتبط كثيرا بمعرفة المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية الغربيين وأهدافهم ومدارسهم وأساليبهم ، وقد استدعى هذا تخصيص أحد الكتابين لـ "الاستشراق" ، وتخصيص الكتاب الثانى لدراسة خاصة حول آراء المستشرقين حول القرآن .

وأرجو أن تكون هذه النظرة الجامعة والشاملة لشبهات المستشرقين بالنسبة للقرآن فاتحة لكتابة عشرات الرسائل الأخرى حول كل شبهة من هذه الشبهات[١٦] .

صعوبات البحـــث

(أ) اتساع الموضوع

نظرا لأن موضوع هذا البحث عام وشامل ؛ فإننى أعتقد أن عشرات الموضوعات على الأقل يستحق كل واحد منها دراسة خاصة وتأليف رسالة دكتوراه مستقلة ، ويلزم لدراسة كل واحد منها على الأقل سنة أو عدة سنوات من التقصى والبحث والكتابة ، ويعتبر موضوع هذه الرسالة متسعا إلى درجة جعلت بعض أساتذة هذا التخصص غير مستعدين لنفس هذا السبب لقبول مسئولية القيام بكتابة هذه الرسالة ومناقشتها . وبطبيعة الحال فإن الحديث عن موضوعات ضرورية حول كل النقاط الدقيقة فى رسالة واحدة يستلزم اختصارا جديا وإغفالا لشرح تفاصيل هذه الموضوعات وبيانها . ومن ثم فإن هناك كثيرا من المستشرقين الكبار والأنشطة الاستشراقية ووجهات نظر الغربيين فى موضوعات إسلامية متعددة وقرآنية لم يرد ذكر لها فى هذه الرسالة . هذا بالإضافة إلى أن كثيرا من الموضوعات المطروحة تتطلب معلومات وبحثا أكثر ، إلا أن قلة المعلومات بالنسبة لحياة المستشرقين وأعمال بعضهم وأيضا الاختصار فى بعض الفصول ، كان ملحوظا واضطراريا .

(ب) عدم الحصول على المصادر الغربية

على الرغم من أن مصادر ومراجع كل نظريات الدين الإسلامى ونقد العلماء المسلمين تكون فى الغالب عربية وفارسية ، وهى التى استفاد المؤلف منها بشكل كبير ، و بسبب أن آراء المستشرقين وعلماء الدراسات القرآنية الغربيين قد كتبت بلغات غربية (كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية وغيرها) ، فقد استطاع المؤلف الإفادة فقط من قلة قليلة من الكتب الإنجليزية ، ولهذا كان يرجع بطبيعة الحال إلى مصادر وسيطة للاطلاع على آراء المستشرقين ، بعضها عبارة عن ترجمة عربية أو فارسية لنفس النصوص التى ألفها المستشرقون ، وكثير منها ترجمة لآراء الغربيين على يد

كتّاب مسلمين عرب ، وذلك فى ثنايا كتبهم التى ترجموها إلى العربية . ولهذا السبب ، واجه المؤلف أحيانا صعوبات فى تسجيل أسماء المستشرقين باللاتينية أو استكمال وجهات نظرهم . وعلى الرغم من ذلك فقد كان دائما يراعى فى الرجوع إلى هذه المصادر الوسيطة ونقل الأقوال الواردة بها الدقة والحذر حتى يتجنب الوقوع فى توثيق غير صحيح ، إلا أنه من المؤكد أن هذه الدراسة تستحق الاستكمال على يد باحثين من الضالعين فى اللغات الأخرى يمكنهم الرجوع مباشرة إلى كتب الغربيين الأصلية المؤلفة بلغات أوروبية أصلية .

أرجو أن يسد ما ذكرناه بعض الفراغ الموجود على ساحة معرفة الاستشراق والدراسات الإسلامية والقرآنية عند الغربيين وماهيتها ، وأن يلقى القبول عند المولى جل وعلا .

محمد حسن زمانى

قم ١٣٨٣ ش (٢٠٠٤م)

حواشى المقدمة

(١) الاستشراق ص ٣٦ - ٦٠ .

(٢) إبراهيم حمد النملة ، الاستشراق والدراسات الإسلامية ، ص ٧٤ والدكتور محمود زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية ، ص ٤٢ .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٥ .

(٤) دكتور محمود زقزوق ، الاستشراق والخلفية المعاصرة ، المقدمة .

(٥) مقدمة (المستشرقون والإسلام) ، ص ٦ .

(٦) هى حادثة ملفقة صاغها أعداء الإسلام ، تفيد أن الرسول (ﷺ) قد مدح أصنام المشركين ، وجرت على لسانه بعض العبارات التى تفيد ذلك . (المترجم)

(٧) إبراهيم الحمد النملة ، الاستشراق والدراسات الإسلامية ، مكتبة التوبة ، الرياض ١٤١٨ .

(٨) الدراسات الإسلامية .

(٩) دكتور محمود حمدى زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ص ١٢٥ نقلا عن :

M.RODINSON.MOHAMMED .FRANKFORT P.8

(١٠) إدوارد سعيد ، الاستشراق ، ص ٥٧٩ .

(١١) رودى بارت ، الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية ، ص ١٣ .

(١٢) الاستشراق والخلفية الفكرية ، ص ١٣١ .

(١٣) أبو الحسن الندوى ، الإسلاميات ، ص ٥ .

(١٤) دراسات استشراقية وحضارية ، كتاب دورى محكم ، مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية - كلية الدعوة وأصول الدين فى المدينة المنورة ، ١٤١٣ ، ص ٢١٩ - ٢٤٨ .

(١٥) دكتور محمود حمدى زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ص ١٠ .

(١٦) لقد حقق الله سبحانه وتعالى بلطفه وكرمه هذا الأمل ؛ فمنذ مناقشة هذه الرسالة وحتى الآن تم اختيار

عناوين فصول من هذه الرسالة لإعداد أكثر من عشر رسائل في مرحلة الماجستير والدكتوراه ، وتم البحث فيها وكتابتها ومناقشة عدد منها من قِبل المؤلف ، وقُدمت للناشرين لنشرها .

الفصل الأول

بحث كلمة الاستشراق

تعريف

الاستشراق هو ترجمة المصطلح الإنجليزى "ORIENTALISM" .

وعلى الرغم من أن كلا من كلمتى "ORIENT" و "EAST" تعنى "الشرق" ، فإن كلمة "EAST"تستخدم فى الغالب الأعم بمعنى الجهة الشرقية لكل شىء ، ومن الممكن أحيانا استعمالها بمعنى بلاد الشرق . أما كلمة "ORIENT" فغالبا ما تستعمل بمعنى البلدان الواقعة فى شرق البحر الأبيض المتوسط وأوروبا[١] ، وربما كان هذا هو السبب وراء اقتباس الاستشراق والمستشرق من الكلمة الثانية ورواج مصطلح "ORIENTALISM"و "ORIENTALIST" (المستشرق) .

وبطبيعة الحال فإن هناك نوعا من التسامح فى ترجمة "ORIENTALISM" إلى "شرق شناسى" (الاستشراق) ، ذلك لأن اللاحقة "AL" تدل على معرفة الأشياء التى ترتبط بالشرق وتتصل به ، وليس معرفة "بلاد المشرق" ، إلا إذا اعتبرنا مفهوم كلمة "شرق" أعم من البلدان وكل ما يتعلق بها .

بدء ظهور كلمة الاستشراق

استخدمت الكلمة الإنجليزية "ORIENTALIST" فى مطلع عام ١٧٦٦م فى موسوعة لاتينية لوصف الأب "بولينوس"[٢] ، أو طبقا لوجهة نظر بعض الكتاب فى عام

١٧٧٩ أو ١٧٨٠م لأول مرة فى إنجلترا[٣] ، ثم دخلت بعد ذلك اللغة الفرنسية عام ١٧٩٩م ، وفى عام ١٨٣٨م دخلت معجم الأكاديمية الفرنسية[٤] ، ثم دخلت فى عام ١٨١٢م معجم أكسفورد[٥] .

مشكلة التعريف

لقد أدى وجود مظاهر متنوعة للاستشراق فى مراحل تاريخية مختلفة ومناطق متعددة إلى أن يعرف كل كاتب الاستشراق بتعريف خاص يتطابق مع مشاهداته ومعلوماته ، ولهذا شاعت تعريفات كثيرة ومتفاوتة ، إلى حد أن بعض خبراء الاستشراق[٦] اعتبروا تدوين تعريف دقيق وجامع مانع للاستشراق من الأمور المستحيلة .

حدود الاستشراق الجغرافية

١- إن أضيق حدود للاستشراق وردت فى معجم أكسفورد ، إذ جعل هذا المعجم الحدود الجغرافية للشرق الأقصى - أى الصين واليابان - هى هدف الاستشراق ؛ ولذلك فإن من المعانى الشائعة لكلمة "ORIENTALIST" الإنسان اليابانى والصينى :PERSON FROM THE JAPAN OR CHINA (7) .

٢ -إن أوسع حدود عرفت كساحة للاستشراق عند الغربيين هى التى تشمل كل دول الشرق وآسيا والشرق الأوسط والشرق الأقصى والشرق الأدنى ، وهى التى تقع فى شرق أوروبا والبحر الأبيض المتوسط ، سواء كانت دولا إسلامية أو غير إسلامية ؛ وكما تعرفها دائرة معارف نيوجيرسى الأمريكية المفصلة بقولها : "THE COUNTRIES TO THE EAST AND SEA OF THE MEDITERRANEAN" (8) .

٣ - وأحدث حدود جغرافية للاستشراق هى حدود الاستشراق الجغرافى الدينى . فقد قام مستشرقون بعمل أبحاث استشرافية بدافع دينى تبشيرى للمسيحية

أو اليهودية ، وأحيانا بدافع استعمارى مناهض للإسلام ، ونَحُّوا الحدود الجغرافية لعلم الأرض جانبا ، وأحلوا محلها الحدود الجغرافية الدينية . وتطلعوا فقط إلى البلاد التى يقطنها المسلمون .

ويعرف مكسيموس رودنسون مستشرق القرن العشرين الكبير الاستشراق بقوله: "هو التوجه العلمى للبحث حول البلدان الإسلامية فى الشرق وحضارتها" .

٤- ومع أن وجود كلمة "الشرق" فى هذا التعريف يعبر عن حدود منطقة جغرافية، فإنه يمكن عن طريق التأكيد على القيد "إسلامية" إدراك أنه حيثما وجد هذا المعيار والهدف من الاستشراق ؛ فإن ذلك يقتضى وجود عمليات للاستشراق هناك . وعلى هذا الأساس فإنه يضع كل بلاد المسلمين فى العالم وحتى فى أفريقيا وأوروبا وأمريكا أيضا موضع دراسة المستشرقين المتأخرين وبحثهم . وبهذا الشكل سوف يتم رسم نوع رابع من الحدود الجغرافية للاستشراق .

حدود الاستشراق المعرفية

كان المستشرقون فى العصور المختلفة بانتماءاتهم المتنوعة لمدارس الاستشراق المختلفة ينظرون إلى الشرق من زوايا ووجهات نظر متعددة ، وكانت كل جماعة منهم تبحث وتدرس موضوعات خاصة عن الشرق .

١- المعلومات الجغرافية والتاريخية عن الشرق

إن أبسط نوع للاستشراق هو الذى يهتم بدراسة وبحث عدد القرى والمدن فى كل بلد شرقى ، وسلاسل الجبال المهمة ، والأنهار ، والبحار ، والبحيرات المعروفة ، ونوعية الزراعة ، والصناعة ، والمعادن ، والثروات ، وتاريخ تلك البلدان .

وأقدم تلك الأبحاث هى كُتب الرحالة والسائحين الغربيين الذين قاموا خلال القرون الماضية بجمع مشاهداتهم وتدوينها ونشرها . والتعريف السابق لمعجم نيوجيرسى يوضح أيضا نفس هذا التعريف .

٢- لغات الدول الشرقية وفنونها وخصائصها الأخرى

هذا القسم من الاستشراق بالإضافة إلى أنه يشكل كمًّا ملحوظا ومثيرا للاهتمام من أنشطة مراكز الاستشراق ، وتكفلت به أقسام وكليات الاستشراق وعلم اللغة ، إلا أنه يشكل مقدمة ضرورية لتنشئة المستشرق وقدرة المستشرقين على الدراسة والبحث المباشر فى الدول الشرقية .

ويعرف معجم "أكسفورد" المجال العلمى للاستشراق على أنه "لغات وفنون" الشرقيين ثم يعرفه بأنه الخصائص الأخرى لدول الشرق ، ويعرف المستشرق بقوله :

"THE PERSON WHO STUDIES THE LANGUAGES, ARTS, ETC OF ORIENTAL COUNTRIES"(٩)

وتحدد "دائرة معارف نيوجيرسى" الأمريكية أيضا فى أحد تعريفاتها مجال الاستشراق بأنه "لغات الشرقيين وآدابهم" ، حيث تقول :

ORIENTAL LANGUAGES , LITERATURE (١٠)

٣ - كل علوم الشرقيين وفنونهم وحضاراتهم

ويدل هذا التعريف على أكبر مساحة لعلم الاستشراق ، ويشمل : اللغات الشرقية ، وعلم الجغرافيا الخاص بتعداد سكان مدن الدول الشرقية وقراها ، والأجناس والأعراق ، والقبائل ، وأنواع اللهجات ، والعادات والتقاليد القومية ، وتاريخ تطور التحضر ، والخرافات ، والإنجازات العلمية ، والمعتقدات ، والأديان ، والمذاهب ، والمدارس الفكرية ، وأنواع الحكومات ، ومعنويات سكان البلدان الشرقية .

وهذا هو نفس المفهوم العام والواسع السائد اليوم فى المراكز العلمية والكليات والأقسام المتخصصة فى الاستشراق فى العالم .

يقول البستانى : الاستشراق = العلم باللغات والآداب والعلوم الشرقية(١١) .

ويعرف منير البعلبكى أيضا المستشرق بقوله : ORIENTALIST المستشرق والدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته[١٢] .

وتطرح دائرة معارف نيوجيرسى الأمريكية أيضا فى تعريف لها نفس هذا المفهوم العام (أحوال أهل المشرق وطريقة تفكيرهم وخصائصهم) فتقول :

١- "PECULIARITY OR IDIOSYNCRASY OF THE ORIENTAL PEOPLES" .

٢- "THE CHARACTER OF i"[١٣] .

أى الصفات الخاصة ومميزات فكر أهل الشرق وطريقته وكذلك سيرتهم وتركيبتهم .

وبالنظر إلى التعريفات المتفاوتة المذكورة ؛ فإنه يمكن تخمين أن حركة الاستشراق فى البداية كانت تركز على المعلومات الجغرافية والتاريخية ولغات الأمم الشرقية ، إلا أنها إستوعبت بالتدريج بعد ذلك كل الشئون الثقافية من أديان ، ومذاهب ، ومعتقدات ، وتقاليد ، وعادات ، وفنون ، وأداب ، وتوجهات ونزعات ، وقوميات ، وحضارات ، وحساسيات ومراسم عند شعوب الشرق . ولهذا السبب يطلقون على الشخص لقب "مستشرق" عندما تتوفر لديه مجموعة من هذه المعلومات أو جزء منها على الأقل .

وقد طرح "إدوارد سعيد" ثلاثة تعريفات للاستشراق ، هى فى الواقع من وجهات نظر ثلاث ، على النحو التالى :

(أ) نوع توضيحى أكاديمى يشتمل على : علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) ، وعلم الاجتماع ، وعلم التاريخ ، وعلم اللغة عند الشرقيين .

(ب) نوع يدور حول أسلوب التفكير القائم على تمايز المخلوقات والاختلاف الأساسى بين الشرق والغرب فى نوعية أساطيرهم وتقاليدهم وعاداتهم وقوانينهم .

(ج) نوع يقوم على تطبيق مبدأ الغرب وأسلوبه للسيطرة على الشرق[١٤] .

٤- علم الإسلام أو الدراسات الإسلامية

يعد علم الإسلام جزءا من علم مهم هو الاستشراق ، إلا أن مجموعة كبيرة من المستشرقين على مدى ألف عام من عمر الاستشراق ، بل منذ القرن السابع الميلادى وحتى العصر الحاضر ، ركزت بحوثها حول "علم الإسلام" ودراسة القرآن ومعرفته ، والسنة والأحاديث ، وتاريخ وسنة النبى الأكرم (ﷺ) ، والخلفاء ، والأئمة ، وأئمة المذاهب الإسلامية ، والعلماء البارزين فى تاريخ الإسلام ، والحركات الإسلامية ، والسكان المسلمين ومراكز استقرارهم وإقامتهم على مستوى العالم ، ونقاط القوة والضعف فى العلوم الإسلامية بالإضافة إلى العقيدة والفقه والأخلاق والفلسفة والتصوف ، وعناصر المعارف الإسلامية الخطرة والدافعة إلى قيام الحركات ، والنقاط التى تؤدى إلى الإضرار بالدين الإسلامى وبالأمة الإسلامية ، وقامت بدراستها ونقدها وتحليلها ، وركزت استنتاجاتها على هذه الأمور .

إن الشغل الشاغل اليوم لعلماء الدين وعلماء الإسلام المصلحين والمدافعين بحماس عن الثقافة الإسلامية هو المعرفة الدقيقة لمثل هذا النوع من الاستشراق الخاص ونقده ، أى "علم الإسلام عند الغربيين" ، ويقصدون بالاستشراق الذين يقومون بنقده فى الحوزات الدينية والجامعات الإسلامية ، هذا النوع من الاستشراق الخاص فقط ، أى منهج الدراسات الإسلامية عند الغربيين ؛ حيث إن هذه الكلمة صارت مصطلحا خاصا فى المجامع الإسلامية . وقد اختار بعض الكتّاب والمتخصصين فى الاستشراق نفس هذا التعريف[١٥] . وربما كان تعريف المستشرق الكبير "مكسيم رودنسون" يعنى نفس هذا النوع عندما قال : الاستشراق اتجاه علمى لدراسة الشرق الإسلامى وحضارته[١٦] .

جنسية المستشرق

على الرغم من أن كلمة مستشرق تطلق فقط على المتخصصين فى علوم الشرق الذين ينتمون إلى جنسية غربية أوروبية كانت أم أمريكية ، ونظرا لأن فريقا من علماء

الإسلام من غير مسلمى الدول الشرقية مثل الصين واليابان والهند قاموا بعمل أبحاث وتحقيقات إيجابية وسلبية حول الإسلام والقرآن والمسلمين وخصائص الدول الإسلامية وتزامن ذلك مع ما قام به المستشرقون الغربيون ، وكانت الجهود العلمية للفريقين ذات ماهية واحدة ، ومن ناحية أخرى كانت الأعمال العلمية للفريقين ذات معيار واحد فى أسلوب عملية نقد مفكرى المسلمين ، ولم يؤثر اختلاف الجنسيات أو الموطن الجغرافى أى تأثير فى وجهات نظرهم ؛ فإن صفة "الغربى" للمستشرق قد استبدلت بصفة "غير المسلم" . وعلى هذا الأساس ، فإن بعض الكتّاب المسلمين قد أطلقوا اسم المستشرق على كل "عالم فى الإسلام غير مسلم سواء كان شرقيا أو غربيا"[١٧] .

يقول الدكتور "عبد المنعم فؤاد" الأستاذ بجامعة الأزهر وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض :

إن الكتّاب الذين اعتبروا عنصر "الغربى" بالنسبة للكاتب أو للشئون والأبعاد غير الدينية فى الدول الشرقية وبحوثهم التى تدور حول موضوعات غير إسلامية فى تعريفهم للاستشراق شيئا دخيلا ، كان لهم أساسا اهتمام بتاريخ وسابقة ظاهرة الاستشراق ، إلا أن محل معركة نزاع الاستشراق المعاصر بيننا وبين المستشرقين الآن ، هو الأنشطة العلمية والتبشيرية لأعداء الإسلام من أجل التشكيك فى المعارف الإسلامية وإضعاف إيمان المسلمين . أليست الكتب التى ألفها علماء غير مسلمين فى اليابان والصين وكوريا والهند ودول جنوب شرق آسيا وأمثالها حول الإسلام والقرآن والمسلمين متماثلة ومتجانسة مع كتب علماء الإسلام فى الغرب ؟ وهل هى لا تسعى وراء تحقيق أهداف مشتركة ؟[١٨] .

وكما اختار الدكتور "أحمد عبد الحميد غراب" نفس هذا التعريف[١٩] . يقول أحد المفكرين المعاصرين الآخرين :

الاستشراق هو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية ، ولو لم يكونوا غربيين[٢٠] .

وبالنظر إلى التوضيحات التى ذكرت حتى الآن ، يمكن أن يكون للاستشراق تعريفان أحدهما عام والثانى خاص :

التعريف الجامع والعام

الاستشراق هو مجموعة جهود علمية للغربيين تهدف إلى التعرف على الدول والظروف الجغرافية ، والمصادر ، والمعادن ، والتاريخ ، والقوميات ، واللغات ، والآداب ، والفنون ، والتقاليد ، والعادات ، والثقافة ، والمعتقدات ، والأديان ، والحضارات ، والخصائص النفسية ، والحساسيات الروحية ، والأبعاد الخطيرة ، ونقاط الضعف عند أهل المشرق من الشرق الأقصى حتى الشرق الأدنى ، ومن شرق البحر الأبيض المتوسط حتى البلدان الإسلامية الأخرى الواقعة فى شمال أفريقيا ومناطق أخرى من العالم ، وذلك بهدف الكشف عن الثروات المادية والمعنوية لديهم من أجل تأمين مصالح الغربيين . وهذا التعريف المذكور يعتبر تعريفا مفصلا وجامعا .

التعريف الخاص

إن الاستشراق الذى يخضع لنقد علماء الإسلام ووجهات نظرهم ، الذى تقوم عليه الدراسة الحالية ، هو الذى يدور فقط فى نطاق خاص من الجهود الاستشراقية التى تنحصر فى : "علم الإسلام الذى يكتب فيه غير المسلمين" .

توجه الاستشراق

على الرغم من أن كلمة "استشراق" و "علم الشرق" تتسم فى الظاهر بسمة علمية ، ويقال إنها "تخصص علمى محض " بين غيره من العلوم الأخرى ، فإن الواقع يؤكد أن "الاستشراق" هو تيار اجتماعى وعقائدى وسياسى ومتلازم مع "تحيز خاص لمدرسة ما" .

ومن هنا لم تتم الاستفادة فى اصطلاحه اللاتينى من اللاحقة "logy" التى تعنى (علم) وهى لاحقة لكل نوع من أنواع العلوم ، بل إنه تمت الاستفادة من اللاحقة " ism"التى تدل على مدرسة أو مذهب أو نزعة أيديولوجية . وسوف نتناول فى الصفحات التالية نوعية التوجهات الخاصة بمدارس الاستشراق .

وإذا أردنا شرح أكثر التوجهات وضوحا ، فمن الجدير بنا أن ننقل نفس عبارة إدوارد سعيد ، وهو أستاذ بارز بجامعات نيويورك ومتخصص فى الاستشراق ؛ حيث أزاح الستار عن هذا السر ، وكتب يقول :

"لقد عُرف الاستشراق على أنه أساس ونوع من الأساليب الغربية التى تسعى إلى خلق نفوذ ، وتجديد بنية ، وامتلاك سلطة وهيمنة على الشرق"[٢١] .

الكلمات البديلة لكلمة الاستشراق

إن كلمة "استشراق" فى اللغة العربية معناها علم الشرق الذى هو مظهر من مظاهر الجهود والبحوث العلمية الأكاديمية ، وبطبيعة الحال فإن كل جهد أكاديمى له قدر ومنزلة اجتماعية ويستحق التقدير والاحترام .

ولقد أخفى الغرب فى القرنين الأخيرين أهدافه ونواياه من إرسال جواسيس إلى البلدان الشرقية وخاصة الإسلامية والعربية وراء كلمة "الاستشراق" الجميلة التى تحمل فى طياتها المعنى القيم لعلم الشرق ، وفى العقود الأخيرة نشعر أن هذه الكلمة أصبحت ذات مفهوم سلبى ممزوج بالخيانة والتآمر والجاسوسية عند الشرقيين وخاصة المسلمين العرب ، وصارت مكروهة لديهم ، إلى حد أنها أصبحت تعادل عندهم كلمة "استعمار" ، خاصة وأن كلتيهما لهما نفس الوزن والجرس .

فمثلا بعد أن يصف المستشرق الفرنسى الكبير "دانيال ريج"[٢٢] . كراهية المسلمين والعرب لهذه الكلمة ، يقترح أن تحل محلها كلمة أخرى بديلة مثل : "علم العرب"[٢٣] ، بالإضافة إلى إعادة النظر فى تركيبة الاستشراق وأساليبه أيضا[٢٤] .

وهذا الترادف نفسه بين كلمتي استشراق واستعمار سبب نوعا من الاضطراب عند مستشرق فرنسى آخر يدعى "آندريه ميشيل" وصرح مدافعا بقوله : إن الاستشراق ليس له صبغة استعمارية بأى حال من الأحوال(٢٥) .

ويقول الدكتور محمد خليفة حسن الأستاذ بجامعة الرياض بعد نقل الاعترافات السابقة :

إن نفس هذا السبب كان باعثا على طرح كلمات بديلة تحل محل "المستشرق" ، مثل الكلمات : ARABICIST و ISLAMICIST ، متخصص فى الشرق الأوسط ، متخصص فى الدراسات الإقليمية ؛ ومثل : JAPANICIST) متخصص فى الدراسات اليابانية) و AFRICANICIST) متخصص فى الدراسات الأفريقية) و INDIANIST (متخصص فى الدراسات الهندية)(٢٦) .

ويبدو للأسف أن حيلة الغربيين قد نجحت وأخذ بعض الكتاب الإيرانيين أيضا يستخدمون مصطلحات "الدراسات الإقليمية" و "علم الشرق" و "الدراسات الآسيوية" فى الكتب والمجلات أكثر من كلمة الاستشراق ، رغم أنه من الممكن أن يكون الدافع لهذا الإبدال هو نوع من النزعة التجديدية أو حماية للغة الفارسية والحفاظ عليها . يقول الدكتور على النملة الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية :

ما زالت كلمة "الاستشراق" رائجة ، ولم تتمكن الكلمات البديلة من إزاحتها عن الساحة ، ذلك لأنه ليس من المنتظر نسيان كل هذه الإنجازات التى تمت خلال عدة قرون تحت مسمى "الاستشراق" بمجرد تغيير الاسم أو الكلمة . وعلى فرض أنهم غيروا الكلمة ، فمن المؤكد أن المسمى والواقع لن يتغيرا(٢٧) .

حواشى المقدمة

(١) منير البعلبكى ، المورد ، فرهنگ حییم وفرهنگ دکتر آریانپور .

(٢) الظاهرة الاستشراقية ص ٢٩٢ .

(٣) إدوارد سعيد ، الإستشراق ، ص ١٦ .

(٤) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ص ٢٠ .

(٥) رويكرد خاورشناسان ، ص ١٠ .

(٦) ساسى سالم ، الظاهرة الاستشراقية وأثرها فى الدراسات الإسلامية ، ج ١٠ ، ص ٢٠ .

(٧) OXFORD . ADVANCED LEARNER'S DICTIONARY

(٨) WEBSTER'S ENCYCLOPEDIC UNABRIDGED DICTIONARY OF ENGLISH LANGUAGE .

(٩) OXFORD أى : الشخص الذى يدرس لغات الدول الشرقية وفنونها ، وغير ذلك .

(١٠) WEBSTER'S .

(١١) كرم البستانى ، المنجد فى اللغة والأعلام ، ص ٣٨٤ .

(١٢) منير البعلبكى ، المورد ، قاموس إنجليزى ، ص ٦٣٨ .

(١٣) WEBSTER'S .

(١٤) إدوارد سعيد ، شرق شناسى ، ص ١٥ - ١٦ .

(١٥) دكتور فؤاد عبد المنعم ، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية فى الإسلام ، ص ١٧ والدكتور أحمد غراب ، رؤية إسلامية للاستشراق ، ص ٩ .

(١٦) رويكرد خاورشناسان ، ص ١٥ .

(١٧) دكتور عبد المنعم فؤاد ، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية ، ص ١٧ ، دكتور أحمد عبد الحميد غراب ... ، دكتور إبراهيم نملة ، فصلنامه كتابهاى اسلامى ، سال دوم ، ش ٦ ، سال ٨٠ ، ص ٣٥ .

(١٨) دكتور عبد المنعم فؤاد ، ص ١٧.

(١٩) المرجع السابق نقلا عن الدكتور أحمد غراب ، رؤية إسلامية للاستشراق ص ٩ .

(٢٠) الاستشراق والدراسات الإسلامية ، ص ٢٤ .

(٢١) المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٢٢) DANIEL REIG .

(٢٣) ARABOLOGY .

(٢٤) دكتور محمد خليفة حسن ، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر ، ص ٢٨، نقلا عن مجلة الفيصل ، العدد ٢٠٤ ، ص ١٠٧ ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود ، عام ١٤٢١ هـ .

(٢٥) المرجع السابق ، نقلا عن مجلة شئون عربية ، العدد ١٢ ، ص ٢٨٣ .

(٢٦) أزمة الاستشراق ، ص ٢٥ – ٢٧ .

(٢٧) الدكتور على بن إبراهيم حمد النملة ، المستشرقون والتنصير ، ص ١٢ .

الفصل الثانـــــى

وجهات نظر المفكرين المسلمين حول أهداف المستشرقين

لقد أوجدت حركة الاستشراق والدراسات الإسلامية عند الغربيين وكتابة كتب ومقالات كثيرة حول شعوب الشرق والدين الإسلامى والمجتمعات الإسلامية ، والوجود الواسع والنشط لهم فى البلدان الإسلامية وما سببه من تأثيرات ونتائج إيجابية وسلبية ، مجالا للأحكام المتناقضة بشأنهم . وكان من نتائج مشاهدة طائفة من المسلمين والشرقيين للإنجازات العلمية والفنية ، ودخول مظاهر المدنية الصناعية ، والبضائع الفخمة ، والمصانع الإنتاجية ، والنظريات السياسية ، وشعارات الديمقراطية والمساواة ، وتمجيدهم الكثير للإسلام والقرآن والنبى الأكرم (ﷺ) وبعض الأئمة المعصومين ، أن أصبحوا مغرمين بالغربيين والمستشرقين الغربيين ، وقد دعاهم شغفهم الزائد عن الحد إلى تمجيدهم وتكريمهم بشكل مبالغ فيه وبدون قيد أو شرط ، وقلدوهم فى كل الميادين ووجهات النظر والسلوكيات وغضوا الطرف وسدوا الآذان ضمن نكران الذات ومحو الهوية .

وقد اختارت جماعة أيضا جانب التشدد فى مقابل تشدد الجماعة الأولى ، وأصبحوا ينظرون إليهم نظرة سيئة وينفرون من كل ما هو غربى ومستشرق ، وذلك بسبب ما شاهدوه من مؤامرات ومظاهر خداع ، وسلطات مستغلة ، وإساءات مهينة من الغربيين والمستشرقين ، ولم يعودوا يعتبرون الاستشراق سوى أداة للخيانة والخداع وتسلط الغرب على الشرق .

كما أن هناك جماعة أخرى سلكت طريق الاعتدال آخذة فى اعتبارها واقعية كلا النوعين من المناهج واختلاف الدوافع . وسوف نتناول فى الصفحات التالية تفاصيل وجهات النظر الثلاث هذه وأصحابها وأدلتهم .

أ- النظرة الحسنة للاستشراق

يرى عدد من الكتّاب المسلمين المعاصرين أن الاستشراق هو خدمة متواصلة من قبل الغرب للشرق ، بل إنه جهد تغلفه الشفقة والرأفة لتخليص الشرقيين من الجهل والتخلف ، وعامل مهم من أجل تقدم أهل المشرق بكل الأبعاد ، بل إن نمو المعرفة الدينية وارتقاءها لدى المسلمين وزيادة معرفتهم للمعارف الإسلامية وتراث أسلافهم الثقافية ، كل ذلك راجع إلى جهود المستشرقين فى إحياء مخطوطات علماء المسلمين وتصحيحها ومقابلتها وطبعها ونشرها . وترى هذه الجماعة أن الغربيين هم ملائكة الرحمة بالنسبة للمسلمين والشرقيين .

وأنصار هذه النظرية ليسوا قلة فى الدول الإسلامية . وقد رسم كل المتغربين وأغلب المهتمين بتوثيق العلاقات مع الغرب صورة لهذه الرؤية فى أذهانهم على نحو ما ، لذلك وعلى الرغم من أنه لا توجد حاجة إلى تسمية أشخاص بعينهم ، فإن إلقاء نظرة على عبارات بعض الشخصيات الإسلامية وعلماء الإسلام الذين تغطى أشعة أقلامهم وأعمالهم ومؤلفاتهم الإسلامية طائفة كبيرة من المسلمين يمكن أن يوضح عمق هذه الرؤية المتطرفة .

تقول الدكتورة عائشة بنت الشاطئ أستاذة علوم القرآن بجامعة عين شمس فى مقالة لها بعنوان "تراثنا الثقافى بين أيدى المستشرقين" :

إذا قارنا بين كيفية نشر الكتب المخطوطة الذى قمنا به نحن المسلمين بالمطبوعات الخطية الإسلامية التى طبعت من قبل الغربيين ، سوف نصاب بالدهشة والاستغراب ؛ فقد كانوا أمناء فى نقل العبارات ، أما نحن فقد اتخذنا من مخطوطات أسلافنا لعبة

، وحذفنا وأضفنا وغيرنا فيها . بينما راعوا هم الدقة اللازمة فى مقابلة كل نسخة بالنسخ الأخرى ، وبحثوا عن النسخ الأصلية واعتمدوا عليها . أما نحن فلم نذكر حتى النسخة الأصلية التى نقلنا عنها ، وطبعنا الكتب التى نُسبت إلى علماء قدماء بدون التحقيق فى صحة تلك النسبة إليهم[1] .

ويقول الدكتور "صلاح الدين المنجّد" فى كتابه "المنتقى من دراسات المستشرقين" :

لقد وطئ الغربيون بأقدامهم كل ميدان من ميادين ثقافتنا ، وحلوا عقدة صعوبة كل موضوع دينى مبهم وثقافى عندنا ، وعالجوا آلامنا ، وكانوا يتبعون فى أبحاثهم العلمية مناهج علمية منتظمة ، بدليل أنهم يحيطون أحيانا إحاطة أكبر بمصادرنا وكتبنا الأصلية ، ويدركون مواضع النقد فيها ببصيرة أكبر ، ولديهم جرأة وشجاعة أكبر فى الميادين الثقافية التى تخضع فيها نحن للتقاليد الدينية[2] .

ويقول الدكتور طه حسين :

كيف يمكن لأستاذ الأدب العربى أن يستغنى عن الفرنجة والمستشرقين وإنجازاتهم المختلفة ، فى حين أنهم درسوا تاريخ بلاد المشرق وآدابها ولغاتها المتنوعة ؟ والآن وقد اجتمع العلم لدى الغربيين ؛ فلا محالة من التماس العلم عندهم[3] .

وهناك أيضا فريق من المسلمين استمتعوا بتجديدات الغربيين فى التحليلات المادية للفكر الإسلامى ، وقبلوها دون تقويمها ومقارنتها بأصول الدين عندهم ، وطرحوها فى كتاباتهم ومحاضراتهم عن طريق التقليد .

وينقل الدكتور مصطفى السباعى ضمن حديثه عن أن بعض الموضوعات التى تطرق إليها أحمد أمين فى كتابيه "فجر الإسلام" و "ضحى الإسلام" ما هى إلا تكرار لكتابات المستشرقين ، فكرة عن أستاذه الدكتور "على حسن عبد القادر" فى مرحلة تلمذته فى جامعة الأزهر حيث يقول :

بعد أن فرغ من دراسته فى الغرب ، ونجح فى الحصول على درجة الدكتوراه ، اشتغل بالتدريس فى مصر ، وأخذ يستعرض بكل سرور وفخر نظريات جديدة حول درس تاريخ الفقه الإسلامى فى قاعة الدرس أمامنا ، ولكنى عندما شعرت بأن هذه النظريات لا تتفق مع أصول الدين ، قمت بمتابعة الأمر وعلمت أن كل الموضوعات الموجودة فى كتاب الأستاذ واسمه "نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى" هى بالضبط عبارة عن ترجمة لكتاب الدراسات الإسلامية والعقيدة والشريعة فى الإسلام تأليف جولد زيهر[٤] .

التقدير الكبير لكتّاب دائرة معارف ليدن الإسلامية

١- أُعدت دائرة معارف ليدن الإسلامية من قبل مجموعة كبيرة من المستشرقين المسيحيين واليهود وأحيانا بمساعدة بعض المسلمين منذ ما يقرب من قرن من الزمان ، وقد قرر العلماء من غير المسلمين بكتاباتهم لدائرة المعارف هذه تعليم معارف الدين الإسلامى للمجتمع الإنسانى والشعوب الغربية وأحيانا للمسلمين أنفسهم أيضا !!

ومن المؤكد أنها بالإضافة إلى النقاط الإيجابية فإنها تضم تحريفات وتهماً وتقارير غير واقعية وأحكامًا كثيرة غير منصفة ، مما دعا الباحثين المسلمين إلى كتابة عشرات الكتب والمقالات حتى الآن للرد عليها ونقدها .

ومع كل هذه الإشكاليات ، فإن جماعة من علماء المسلمين فى مصر أقدموا على ترجمة دائرة المعارف هذه إلى اللغة العربية فى عام ١٩٣٣م وبالغوا فى مدح كتّابها ، وكأنهم أصبحوا مبهورين برؤية هذه البحوث ، ونسوا حتى ماهية معديها ومن قاموا بتأمين نفقاتها ، وأطلقوا عليهم لقب الخدام المخلصين .

وقد ذكر الأستاذ محمد ثابت أفندى ، وإبراهيم زكى خورشيد ، وعبد الحميد يونس ، وهم من ضمن مترجميها ، فى مقدمة المجلد الأول ، مايلى :

نحن نتوجه بالشكر لهذه المجموعة من المستشرقين الذين قدموا خدمة جليلة بمقالاتهم القيمة إلى التراث الإسلامى ، وإذا لاحظ القارئ المحترم أحيانا خطأ أو انحرافا فى بعض هذه المقالات ، فينبغى عليه أن يعلم أنهم بشر مثلنا ، وطبيعة البشر هى أن الإنسان يكون فهمه صحيحا أحيانا وخطأ أحيانا أخرى[٥] .

مبالغة محمد فريد وجدي

٢- أما وجدى ، الكاتب العربى القدير ومؤلف دائرة المعارف الكبرى فقد انبهر أيضا بالجهود العلمية التى بذلها المستشرقون فى مجال العلوم الإسلامية والاجتماعية والمدنية فى بلاد المشرق ، وكتب ضمن اعترافه وتقديره فى مقدمته على كتاب "تفصيل آيات القرآن الكريم" لـ "جول لابوم" الفرنسى وترجمة فؤاد عبد الباقى ، يقول :

منذ أن ارتبط الأوروبيون بالعالم الشرقى وأقاموا علاقات معه ، ولكى يتوصلوا إلى الحقائق التاريخية والثقافية والدينية والأدبية فى بلدان المشرق ، فقد أسسوا كليات وأقساماً دراسية ومناهج بحث علمى خاصة لمعرفة كل هذه الأمور .

والواقع أننا سنبتلى بإنكار الواقع الجميل إذا ما تجاهلنا حق هؤلاء المستشرقين فى بيان تاريخ الشعوب الشرقية وآدابها ودياناتها ؛ فلقد كنا مثلا نجهل حضارات مصر القديمة ، واستطاع "شامبليون" المستشرق الفرنسى بحفرياته الكثيرة اكتشاف حجر عليه نقوش قيمة ، كتبت عليه موضوعات بالخط الهيروغليفى وبعد أن تم الكشف عن سر هذا الخط على يده ، وكذلك على يد المستشرق الإنجليزى "يانج" ، فُتحت نافذة على الآثار الهيروغليفية ومعرفة الحضارات المصرية القديمة ، وهى التى تعد الآن إحدى أكبر مفاخرنا .

كما أنهم اكتشفوا أيضا حضارة شعب اليمن ، وتم التعرف على حضارات الشعوب العربية ، وكم تحمل الأوروبيون من نفقات باهظة من أجلنا .

وإذا قَوَّمنا أعمال المستشرقين فى الهند كذلك ؛ فسوف نرى أن رائد الاستشراق الغربى فى الهند هو "الدكتور ماكس موللر" الألمانى الذى استطاع الكشف عن الخط السنسكريتى والتعرف على الحضارات الهندية القديمة وبلدان المشرق . وبالإضافة إلى أن "ماكس موللر" قد قدم خدمات إلى ديننا وقرآننا ، حيث أعلن فى تلك الاكتشافات أن أقوام الشرق القديمة كانوا يؤمنون بالوحدانية ، واتجهوا بعد ذلك إلى الشرك ، وهذا الكلام يؤكد نفس معارفنا القرآنية بالنسبة لفطرة التوحيد عند الإنسان حيث يقول المولى سبحانه وتعالى : «وما كَانَ النَّاسُ إلاَّ أُمَّةً واحدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ من رَبِّكَ لَقُضِيَ بينهم فيما فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » - (يونس :١٩) .

٢- يقول السيد "محمد كرد على" فى مقالة "المستعربون من علماء الشرقيات" :

بدأ ازدهار الأدب العربى فى الغرب وأنشئت مئات المراكز له هناك . ويعتبر الغربيون من أكبر أسباب نهضة العربية الأخيرة ، ذلك لأنهم أحيوا الكتب العربية القديمة ، وقدموا أفضل خدمات لها ؛ فمثلا قابلوا بين المخطوطات والنسخ المتعددة لها ، ووضعوا فهارس متنوعة لتلك الكتب حتى يمكن الاستفادة منها بسهولة ويسر . بل إننا تعلمنا منهم كيفية إعداد الفهارس أيضا . وقد كتبوا شروحا باللاتينية وغيرها من لغاتهم على كتبنا حتى يستفيدوا هم أنفسهم ، ويعلِّمونا أيضا معارفنا المجهولة . وأعظم ما فى ذلك أنهم عرفوا بحضارة العرب فى صدر الإسلام ، حيث طبعوا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين كتبا كثيرة لأسلافنا فى إيطاليا وهولندا ، وهى تعد حجر الأساس فى النهضة العربية الحديثة بعد سبات دام طويلا . وقد قام الغربيون بطباعة كتبنا من أجلنا قبل وصول صناعة الطباعة إلى القسطنطينية والقاهرة بمائتى عام . وكل من يطالع "دائرة المعارف الإسلامية" التى طبعها الغربيون فى أوائل القرن العشرين باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية فى مطبعة ليدن بهولندا ، سوف يتبين له تماما اهتمام الغربيين بنشر علوم الشرق والعرب ومدى اجتهادهم فى هذا الصدد ، وسوف يرى نُصب عينيه إنجازاتهم فى اللغات والعلوم على وجه الخصوص[٧] .

ويقول فى مقالة أخرى له :

لا شك أننا مدينون لكل علماء المستشرقين من هولنديين وألمان وفرنسيين وإنجليز وإيطاليين وأسبان وغيرهم من شعوب أوروبا وشمال أمريكا ، ذلك لأنهم تفضلوا علينا ونشروا كتبنا ؛ فليكافئهم الله بكل الخير على ما قدموه من إحسان لحضارتنا وآدابنا[٨] .

تعجب الغربيين من اهتمام الشرقيين بالاستشراق

يقول الدكتور إدوارد سعيد الأستاذ البارز بجامعة نيويورك :

إن أحد مظاهر "التغريب" (الميل إلى الغرب) لدى الشرقيين أنهم ينظرون إلى معرفة تاريخهم وثقافتهم أيضا من خلال تعليم الغربيين والمعلومات التى مرت عبر "فلتر" الاستشراق . وهذا الوضع هو تحقيق لرغبة الغربيين القديمة نفسها ؛ ذلك لأن الغربيين مصممون على حقن الشرق بثقافة عموم المجتمع الشرقى بالشكل الذى يريدونه .

ويرى "دنيس هاى"[٩] المؤلف الإنجليزى المعاصر أن الاستشراق هو "رأى أوروبا ووجهة نظرها بالنسبة للشرق" ، وهو الذى يمنح الهوية بهذه الكيفية لغير الأوروبيين .

وقد أكد الاستشراق لتحديد استراتيجيته دائما وبشكل ثابت على "أفضلية مكانة الغرب" فى كل العلاقات والعنصرية والموضوعات الشبيهة بذلك[١٠] .

ويرى المستشرقون أن الشرقيين لا يمكنهم معرفة أنفسهم بشكل صحيح ، وأن الغرب هو الذى ينبغى عليه تعريفهم بأنفسهم .

كتب ماركس فى الاحتفال بالذكرى الثامنة عشرة للويس بونابرت يقول :

هم لا يمكنهم تمثيل أنفسهم ، ولذلك ينبغى أن يمثلهم شخص آخر[١١] .

لم يتمكن بعض علماء الإسلام الذين لا يلاحظون هذا السيل الجارف من خيانات المستشرقين فى العصور الأخيرة من تاريخ الاستشراق إبداء شكوكهم حول ماهية الاستشراق المتأخر ، إلا أن فطرتهم المتفائلة جعلتهم حذرين بالنسبة لرواد الاستشراق وينظرون إليهم نظرة ترتكز على دوافعهم .

ويقول الدكتور ساسى سالم فى كتابه "نقد تفكير الاستشراق" :

كانت ظاهرة الاستشراق فى بداية أمرها "ظاهرة ثقافية" لم تلوثها الأغراض السياسية والاستعمارية ؛ إلا أنها بمرور الوقت - ككل علم من العلوم - دخلت فى إطار استخدامات سياسات الدول الغربية(١٢) .

التغريب في كيفية التفكير والاختيار على لسان جلال آل أحمد

بعد أن تحدث جلال آل أحمد عن المنافسة بين الشرق والغرب على مدى ألفين وخمسمائة سنة ، أخذ يسجل شكاواه الأليمة على صفحات كتابه على النحو التالى :

لقد نُسى الشعور بالمنافسة الآن بيننا وحل محله الشعور بالعجز والإحساس بالعبودية . لم نعد نعتبر أنفسنا جديرين ومستحقين لأى شىء وعلى الحق فحسب ؛ بل إنهم يأخذون النفط وكأنه حقهم ، إذ إننا لا نملك الكفاءة والقدرة . هم يديرون سياستنا لأننا نقف مكتوفى الأيدى . لقد سلبوا حرياتنا لأننا لسنا جديرين بها . وإذا حاولنا تبرير أمر من أمور معاشنا ومعادنا كذلك ؛ فإننا نقومه بمعاييرهم وبأمر من مستشاريهم . وهكذا نَدْرُس ، وبهذه الكيفية نُحْصى ، وبهذه الطريقة نبحث ونحقق ، فهم بدلا منا ، لماذا ؟ لأن العلم اكتسب أساليب علمية ، ولا يوجد على جبين الأساليب العلمية لون أى وطن من الأوطان . إلا أن اللافت للنظر أننا نتزوج كالغربيين أنفسهم ، ونطلق العنان للحرية مثلهم ، ونجعل الدنيا طيبة أو سيئة مثلهم ، ونرتدى الملابس ونكتب الأشياء ، وليلنا ونهارنا هو وقت الليل والنهار الذى يقررونه أصلا ، وكأن معاييرنا قد نُسخت . وحتى لو كنا زاندتهم الدودية فإننا نعتز بأنفسنا . نعم ، الآن

ترى فى النهاية هذين الخصمين القديمين أحدهما كنّاس الميدان وقد خرجا من الماء ، والثانى هو صاحب معركة ...[١٣] .

الغرب هو وسيط تعرف الدول الإسلامية على بعضها البعض

لقد وصلت الغربة للأسف بين المسئولين عن التعليم والدين بين بلدين إسلاميين مثل إيران ومصر إلى أن يكون أفضل كتاب أمكن الحصول عليه فى منتصف القرن الأخير من قبل "مركز النشر الجامعى بطهران" فيما يتصل بجامعة الأزهر ، هو كتاب "AL-AZHAR" تأليف : بايارد دودج BAYARD DODGE الذى نشره معهد بحوث الشرق الأوسط فى واشنطن بأمريكا :

THE MIDDLE EAST INSTITUTE 'WASHINGTON

عام ١٩٧٤م .

وقامت بترجمة هذا الكتاب السيدة "آذرميدخت مشايخ فريدنى" بتوصية من "مركز النشر الجامعى بطهران" ، وتم طبعه فى عام ١٣٦٧ ش (١٩٨٨م) من قبل هذا المركز[١٤] .

قصة حلوة ومرة لذروة التغريب عند المسلمين

يقول الدكتور مصطفى السباعى العالم المصرى الكبير :

لقد وُضعت ضوابط فى إحدى الجامعات العربية لصرف رواتب التدريس للأساتذة على النحو التالى :

١- أساتذة أهل تلك البلد ، مرتب عادى .

٢- الأساتذة العرب المدعوون من دول أخرى ، راتب مضاعف .

٣- الأساتذة الأوروبيون والأمريكيون المدعوون ، راتب مضاعف ثلاث مرات .

وقد شوهد أحد الأساتذة المدعوين من الجامعات الأمريكية ، الذى كان يقوم بالتدريس فى هذه الجامعة لفترة وبالطبع يتقاضى أعلى الأجور ، وهو يتحدث باللغة العربية العامية مع شخص آخر ذات يوم . وبعد أن علمت الجامعة بذلك استدعته وسألته عن جنسيته ؛ فأجاب بأنه على الرغم من أنه قد ولد فى بلد عربى ، فقد قضى حياته فى أمريكا ومعه الجنسية الأمريكية رسميا وهو الآن أمريكى .

واحتدم الجدل حول هذا الموضوع وتقرر أنه إذا ثبتت جريمته وهى كونه عربيا ؛ فإن راتبه سينخفض . ومن ثم اضطر الأستاذ إلى إحضار شهادة تفيد جنسيته الأمريكية وتثبت عدم عروبته حتى يرتفع راتبه ، ويحصل على النجاح والتوفيق أيضا(١٥) .

تنبؤ جرونباوم بعودة المسلمين من التغريب إلى الإسلام

يقول المستشرق "جرونباوم" فى كتابه الإسلام المعاصر WESTERN ISLAM :

وقع المسلمون لفترة من التاريخ فريسة للتغريب WESTERNIZATION ، حتى يمكنهم الوصول إلى الرقى والقوة الحديثة ، إلا أن هذه الفترة من التاريخ قد انتهت ، وأصبح المسلمون مشغولين بالبحث عن هويتهم المفقودة ، وهذه الهوية المستقلة لهم سوف يجدونها فى الإسلام فقط(١٦) .

ب- النظرة السيئة :

أسباب النظرة السيئة :

يرى كثير من المفكرين الإسلاميين وخاصة المصلحين ومجاهدى الدول الإسلامية الذين شاهدوا عن كثب طعنات الغرب ومؤامراته ضد الشرق والدور الرئيسى الذى

لعبته بحوث المستشرقين فى تمهيد السبيل أمام سيطرة دول الاستعمار الغربية على الدول الشرقية ، أنه لا يوجد أى هدف من وراء كل علاقات الغرب مع الشرق والمسلمين وأبحاثهم سوى سيطرة الغرب على الشرق وإضعاف الإسلام ونشر المسيحية ؛ ذلك لأن الغرب الذى يتكون من الدول الغربية ، وقوى الكنيسة المسيحية وخبراء هاتين القوتين فى البلدان الإسلامية والشرقية – ليس له هدف بالتأكيد سوى الهيمنة على الشرق وتحقيق المطامع الاستعمارية ، وتغلب أهداف الكنيسة ومعارفها على المعارف الإسلامية . ومن ثم فإن كل نوع من تعاملات الغرب والمستشرقين وعلماء الإسلام هناك مع بلدان المشرق والشعوب الإسلامية ، يجب أن يُخطط له بشكل يضمن تأمين مصالح الغرب وسيطرته على الشرق ، إلا أنه من الطبيعى أن يقوم الغرب بوضع مخططات ومشروعات ظاهرها حب الإنسانية والعلم والرقى والأخلاق والرحمة والمنفعة للشرقيين وذلك للحيلولة دون يقظتهم وانتباههم .

وهكذا طرحت الدول الغربية المغيرة فى بداية الأمر للدلالة على وجودها العدوانى والخادع فى دول الشرق كلمة جميلة وقيمة هى كلمة "الاستعمار" ؛ والتى تعنى العمران والتعمير للدول المتخلفة ، بدلا من كلمتى الغزو والخداع . وبناء على ذلك ، فإذا كانت مخططات المعسكر الغربى ومبادراته سواء من قبل الحكومات أو الكنائس أو المستشرقين وأبحاثهم ، تبدو بكل المقاييس غير مغرضة وشريفة وبريئة من النوايا السيئة والتداعيات الخاسرة ، بل تبدو زاخرة بالمصالح والمنافع للأمة الإسلامية ، فيجب أن نعلم أنها تخفى وراءها ضررا كبيرا[١٧] ؛ ذلك لأن العدو لا يقدم لخصومه العسل فى أى وقت من الأوقات إلا إذا كان قد دس فيه السم الزعاف .

إن تاريخ نجاح الخدع فى العلاقات بين المتنافسين والجماعات الأخرى والخناجر التى طعن بها من الظهر كثير ممن يحسنون الظن ، إنما هو دليل على سذاجة تفكير أشخاص وثقوا فى العدو فقضى عليهم ؛ فهل من الممكن أن يستخدم رجل الدين المسيحى قلمه من أجل نشر الدين الإسلامى ، أو أن تقوم وزارة خارجية دولة استعمارية غربية على تقوية واستقلال بلد تسيطر عليه وتتحكم فى مصيره ، أو أن

ينشر أحد الباحثين أو المستشرقين المبعوثين الذين يتقاضون رواتبهم من كلا المركزين ، كتابا يؤدى إلى سقوط مبعوثيه ؟

ألم يخاطب المولى عز وجل فى قرآنه الكريم نبيه الكريم (ﷺ) بقوله : (ولن ترضىٰ عنك اليهود ولا النصارىٰ حتىٰ تتبع ملتهم)[١٨] .

ألم يخاطب القرآن الكريم أيضا بعض السذج الذين لا يعترفون بأهداف الأعداء الخائنة الموجودة فى نفس بياناتهم وأقوالهم بوضوح وجلاء بقوله : (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر)[١٩] .

ألم يتحدث القرآن عن عدم الاعتماد بأى شكل من الأشكال على الأعداء فى قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم)[٢٠] .

الضرورة الشرعية لسوء الظن بالعدو

على الرغم من أن أحد الأخلاق الحميدة الإسلامية هو "حسن الظن" ، فإنه لا يجب أن ننسى أن هذا هو برنامج العمل بالنسبة للعلاقات الإنسانية مع المؤمنين الآخرين والمجتمع الاسلامى ، وكما قال الحق سبحانه وتعالى للمؤمنين : (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم)[٢١] .

وقال أمير المؤمنين علىّ (ؑ) :

ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك ، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها فى الخير محملا[٢٢] .

ولكن فى الزمن الذى تسيطر فيه الخيانة ويغلب فيه الفساد على جو المجتمع ، وتكثر احتمالات الخداع والغش ؛ فإن الشريعة الإسلامية لا تنتظر من المسلم المؤمن حسن الظن ، بل تعتبر "سوء الظن" واجبا ودليلا على فطنة المؤمن .

قال علىّ (رضى الله عنه) :

إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم ، وإذا استولى النساء على الزمان وأهله فأحسن رجل الظن برجل فقد غُرِّر[٢٣] .

والأصل أنه يجب حسن الظن فقط بالأشخاص الذين يحسنون الظن بك ويقدمون لك خدمة صادقة ومخلصة ؛ مثلما روى عن حادثة خطبة النبى الأكرم (صلى الله عليه وسلم) للسيدة خديجة (رضى الله عنها) حيث قالت له : وأحسن الظن فيمن أحسن الظن بك[٢٤] .

هذا اللطف والتمسك بالمبادئ الأخلاقية يكون فى نطاق المجتمعات الإسلامية ، إلا أن مبدأ سوء الظن وتوقع الخداع بذكاء وفطنة يكتسب جدية أكبر فى العلاقات بين المسلمين وأعدائهم ، ذلك لأنه حتى فى وقت السلم يكون سوء الظن والفطنة وتوقع الخدع المتنوعة من مبادئ الحزم والإدارة الإسلامية ، ويجب الحذر بشدة من حسن الظن والتفاؤل بطيبة ، وكما كتب على (رضى الله عنه) هذا المبدأ الإدارى الهام فى مرسوم ولاية مالك الأشتر ، حيث قال :

ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ، فإن العدو ربما قارب ليتغفل ، فخذ بالحزم واتّهم فى ذلك حسن الظن[٢٥] .

وربما تعتبر بعض الأقوال الحكيمة التى قالها زعيم الثورة الإسلامية الفقيد الإمام الخمينى (رحمه الله) مؤكدة لهذا الرأى ؛ فقد خاطب الذين يحسنون الظن ويعتبرون أن الارتباط بأمريكا هو مصدر الخيرات والبركات الإنسانية لإيران ، عام ١٣٥٨ش (١٩٧٩م) بمناسبة الهمهمات التى صدرت بسبب قطع العلاقات مع أمريكا وضرورة استقلال إيران ذلك البلد الإسلامى والشرقى وعدم حاجته لعلاقات يشوبها الذل والمهانة مع الغرب ، بقوله :

إذا كان المقصود من العلاقات تلك العلاقات التى كانت بين إيران وأمريكا حتى الآن ، والتى كانت على عهد الشاه السابق بين أمريكا وإيران ؛ فإن هذه لم تكن "علاقات" ، بل كانت نوعا من معاملة السيد لخادمه ، حيث ينفذ كل عمل يطلبه أو كل أمر يصدره . وإذا كنا نريد أن ننتصر للإسلام فلا ينبغى أن نكون خدما . وإذا لم نكن خدما فإنه سيقطع علاقته معنا . نحن ندعو الله أن يقطع العلاقة ؛ لأننا لن نقبل بالذل[٢٦] .

وهل يمكن للشاة أن تتوقع خيرا وصداقة نتيجة بعض المعاملات التى تتسم بالعطف والشفقة من قبل الذئب ؟ إنه يعتبر إرسال القوى العلمية والثقافية من قبل الغرب ما هو إلا مؤامرة وهجوم على إيران ، بل يعتبر أن خطر هؤلاء أعظم وأكبر من خطر إرسال القوات العسكرية ، يقول :

إن أمريكا لا ترسل قوات عسكرية إلينا ، إن أمريكا ترسل كاتبا إلينا ، إن أمريكا ترسل شاعرا إلينا ، إنها ترسل عملاءها الذين ربتهم ودربتهم عبر سنوات طويلة حتى تقلب أوضاعنا رأسا على عقب ... إن أمريكا ترسل إلينا ما هو أسوأ من الجندى ، إنهم أسوأ من العسكريين ، فالإنسان يعرف وضعه مع الجندى .. فالجندى الأمريكى يواجه ونحن أيضا نواجه ، أنا أيضا أواجه ، وأنتم جميعا تواجهون[٢٧] .

ويطرح الكاتب والشاعر الإسلامى المطالب بالاستقلال فى فترة الحكم الدستورى المرحوم سيد أشرف الدين الحسينى المعروف بـ "نسيم شمال" فى ديوانه الحماسى الساخر شعار السعى وراء السلام مع الدول الغربية التى تتظاهر بحب الإنسان ؛ يقول :

- تتجلى فى فرنسا قامة السلام الجميلة ،

وتتحول الدنيا القديمة بعد ذلك إلى دنيا السلام

- وتقرأ أمريكا وإنجلترا وروسيا وألمانيا يانسيم

كلمة "صالحت" عند توقيع اتفاقية السلام

وفى البيت التالى يعلن عن عدم ثقته فى كل الأجانب ؛ فيقول :

- إن الله شاهد على أنهم جميعا يكذبون

وبحق الحق إنهم يقولون كلاما بعيدا عن الحق(٢٨)

الحريات السياسية أو نظرية كنيدى

يتصور البعض أن إصرار الغرب والضغط على الحكومات التابعة والمستبدة والديكتاتورية فى البلدان الشرقية يهدف أساسا إلى تغيير النظم الملكية المطلقة إلى نظام جمهورى وتطبيق الديمقراطية ومنح حريات الصحافة ومثل تلك الخدمات التى تتم لصالح الشعوب المظلومة فى البلدان الشرقية ، ولا يهدف إلى منفعة الدول الغربية . ولتوضيح أغراض الغرب والاستشراق وبيانها بشفافية من متابعة هذا الموضوع يجدر بنا إلقاء نظرة على أقرب مصداق لذلك ؛ أى أمر رئاسة الجمهورية الأمريكية إلى الشاه الذى يقضى بمنح الحريات :

بعد أن وصل "جون إف كنيدى" رئيس جمهورية أمريكا إلى رئاسة الجمهورية فى عام ١٣٣٨ ش (١٩٥٨م) غير أسلوب أيزنهاور القائم على تقوية البنية العسكرية والأمنية لحكومة إيران فى مواجهة المعارضين والمطالبين بالحرية وأبلغ الحكومة الإيرانية بمشروع "الاتحاد من أجل التقدم" .

ويشتمل هذا المشروع على مبادئ مثل : الإصلاحات ، والديمقراطية ، والحرية ، وحقوق الإنسان وكرامة الإنسان !! وأصر الشاه على دعم عسكرى وزيادة المعونات الأمريكية التى لا ترد بمبلغ ٧٨ مليون دولار ، وقد تم إبلاغه من قبل أمريكا أن هذه الزيادة مشروطة بزيادة حرية الصحافة والمبادئ الأخرى السابقة . ومن هنا اضطر الشاه إلى القيام بـ "ثورة الشاه والشعب" والثورة البيضاء ، والتى قام على أساسها بتنفيذ مشروعات الإصلاح الزراعى وبيع المصانع الحكومية ، وتقسيم أرباح الأسهم ، وتشكيل كتائب العلم ، وإعطاء الحريات المدنية والصحفية فى أول بهمن عام ٤٢ (١٩٦٣م) .

أما السر الكامن وراء إصرار الحكومة الأمريكية على تنفيذ كل هذه المشروعات والبرامج الإنسانية فى إيران هو أن كنيدى كان يؤمن بأن القيود التى تفرضها الحكومات التابعة لأمريكا سوف تكون سببا فى ثورة الشعوب وإسقاط الحكومات التابعة لها وقيام حكومات شعبية مستقلة ؛ لذا فإنه يمكن عن طريق منح هذه الحريات وتحقيق الرفاهية المعيشية الحد من غضب الشعب وضغطه ، ويمكن عن طريق حل العقد وحرية النقد فتح صمام الأمان وإقصاء المعارضين . هذا بالإضافة إلى أنه يمكن التعرف على المعارضين الحقيقيين والمخالفين الخطرين والقضاء نهائيا عليهم فيزيائيا[٢٩] .

ويعتقد "جلال آل أحمد" أن يد الخيانة الغربية الخفية وراء كل حادثة مهمة سياسية كانت أم عسكرية أم اقتصادية أو حتى ثقافية تقع فى الدول الإسلامية والشرقية ، حيث يقول :

لم يعد زماننا أيضا زمن مواجهة المذاهب والأيديولوجيات ، بالإضافة إلى أنه ليس زمن مواجهة الطبقات الفقيرة والغنية داخل الحدود ، أو زمن الثورات الوطنية ؛ فتحت عباءة كل مصيبة أو انقلاب أو ثورة فى زنجبار أو سوريا أو أوروجواى تختفى مؤامرة لإحدى الشركات الاستعمارية والحكومة المساندة لها . كما أنه لم تعد الحروب المحلية فى عصرنا حروب المعتقدات المختلفة ... بل إن ما حدث حتى فى كوبا والكونغو وقناة السويس أو الجزائر إنما حدث بسبب الصراع على السكر والماس والنفط ، وما حدث من إراقة الدماء بقبرص وزنجبار وعدن وفيتنام إنما حدث للحصول على رأس جسر للمحافظة على طرق التجارة التى تحدد الجديد فى سياسة الحكومات ....

فمثلا المؤسسات الدولية مثل اليونسكو والفاو وهيئة الأمم وغيرها التى تبدو أنها عالمية وللكافة ، هى فى الواقع أجراس الخداع الغربية التى تذهب لاستعمار العالم الثانى فى زى جديد[٣٠] .

ج - الرؤية الواقعية

النظرة الواقعية ، النظرة الشاملة ، الإنصاف والعدل الإسلامى

يعتقد بعض المفكرين الإسلاميين بأنه على الرغم من أن المستشرقين والباحثين الغربيين الذين قاموا بالبحث فى ثقافة الشرق وحضارته والأديان الشرقية وخاصة بحث ومعرفة المعارف الإسلامية والقرآن وقاموا بنشر إنجازاتهم فى هذا الصدد ، كانوا فى الغالب مكلفين من قبل الحكومات الاستعمارية الغربية أو أجهزة التبشير الكنسية ، وبطبيعة الحال فإنهم وضعوا الموضوعات التى تهمهم مع نفس توجهاتهم المقبولة عندهم ضمن برنامج عملهم ، وحاولوا أن تكون نتائج تلك الأبحاث فى خدمة أعمال السيطرة السياسية والدينية الغربية على البلدان الإسلامية والشرقية .

إلا أنه ينبغى استبعاد عدم وجود تلازم بين صفة الغربية وصفة الخيانة ؛ مثلما لا يمكن الادعاء بوجود تلازم بين صفة الشرقية وحتى كون الإنسان مسلما عاديا والتقوى والصداقة وتقديم الخدمات ؛ فكم من مواطنى البلدان الغربية يتألمون من تسلط حكامهم وظلمهم ، ويقومون بمظاهرات شعبية معترضة أثناء غزو حكومتهم لبلد شرقى مثل غزو إنجلترا وأمريكا لأفغانستان والعراق ، وأحيانا يعرضون راحتهم وأمنهم وأحيانا حريتهم وسلامتهم للخطر فى سبيل هذا الهدف والدفاع عن مظلوم شرقى . كما أن عددا غير قليل من المسيحيين بل أحيانا من رجال الدين المسيحى قد بذل جهدا فى دراسة الإسلام وغيره من الأديان والبحث فيها بدافع البحث عن الحقيقة ، وأعلنوا نتائج بحوثهم واعترفوا وسجلوا فى مؤلفاتهم آلاف المصادر المتميزة والقيمة فى الثقافة الإسلامية والحضارة الشرقية ، مثل كتاب "حضارة الإسلام والعرب" تأليف المستشرق الفرنسى "جوستاف لوبون" ، وغيره .

ومن ثم ، فإنه على الرغم من أنه لا يجب النظر إلى الأعداء فى أى وقت بحسن الظن طبقا للآيات القرآنية المذكورة آنفا ، فهذا يصدق بالقطع على الأعداء فى الدول الغربية والكنائس ، غير أن المستشرقين والباحثين فى ثقافة الدول الشرقية والعلماء الغربيين الذين اشتغلوا بدراسة علوم الإسلام والقرآن ليسوا جميعا سواء وليسوا

جميعا أعداء ، بل إن طائفة منهم سعوا للبحث ودراسة الإسلام دون أن يكلفوا من قبل القوتين السياسية والكنسية ، وكان دافعهم فى هذا دافعا شخصيا للتنقيب والبحث عن الحقيقة ، حتى أن بعضهم قبل مهمة الإيفاد كمستشرق لتأمين سبل الحياة ، ومن الممكن أنهم حصلوا فى مسيرة بحثهم على حقائق لافتة جعلتهم ينسون المهمة ، وعرضوا الموضوعات من منطلق بيان الحقيقة[٣١] .

ولا ينبغى أيضا أن تزعجنا مشاهدة موجات الخيانة المتلاحقة من المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية الغربيين على مدى التاريخ ، وتجعلنا نخرج عن حدود الاعتدال ونسوق الصالحين والطالحين بعصا واحدة ؛ فقد علمنا القرآن الكريم فى الأخلاق الإسلامية التمسك بالعدل والإنصاف على النحو التالى ؛ حيث يقول الحق جل وعلا فى كتابه الكريم :

(وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ)[٣٢] .

وقال تعالى أيضا : (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)[٣٣] .

وقد أشار "السيد الدكتور محمد حسين على صغير" وهو أحد ناقدى الاستشراق الجادين فى كتابه إلى هذه الطائفة الكبيرة من المستشرقين السيئين وإلى الأقلية الاستثنائية والمستشرقين الباحثين عن الحقيقة ؛ حيث قال :

ومع هذا ؛ فإننا نصادف مجموعة أخرى من المستشرقين تتعامل مع القرآن بمستوى أفضل وأسمى من تعاملهم مع التوراة والإنجيل ، ومع أنهم يهود أو مسيحيون ، إلا أنهم يؤمنون كالمسلمين بأن القرآن هو أحد أعظم المقدسات الإلهية[٣٤] .

وقد اختار الدكتور ساسى سالم الحاج فى كتابه "نقد الخطاب الاستشراقى" والمرحوم سيد غلا مرضا سعيدى[٣٥] ضمن حديثهما عن نظريتى الإفراط والتفريط طريقا وسطا ، وهما يعتقدان بوجود باحثين مغرضين وآخرين منصفين بين المستشرقين[٣٦] .

وجهة نظر الإمام الخمينى (رحمه الله) حول إظهار الاعتدال والفطنة في مواجهة العدو

إن موضوع البحث والمناقشة والاتصال بالدول الغربية وخاصة أمريكا هو مصداق لنفس هذه النظرة إلى ماهية الغرب ودوافع الغربيين ، ذلك لأنه إذا تعاملت معنا الدول الاستعمارية من منطلق العداء والسلطة ، فإنه يجب علينا قطع العلاقة ، وإذا تخلوا عن العلاقات الظالمة فإن باب التباحث والاتصال يمكن أن يظل مفتوحا .

والإمام الخمينى (رحمه الله) على الرغم من أنه اعتبر أمريكا الشيطان الأعظم وأكثر الدول الغربية ظلما ، وأكد على استمرار قطع العلاقات معها ؛ و من أجل بيان أن قطع العلاقات هذا ليس مبدأ قابلا للتغيير ، بل هو مرهون بتغير سلوكيات أمريكا ومعاملتها وتطبيق المبدأ الثابت للعدل والاعتدال والنظرة الواقعية ، فإنه طرح فى رسالته رؤيته المعتدلة وقال :

لو أرسلت أمريكا الشاه المخلوع إلى إيران وهو العدو رقم واحد لأمتنا العزيزة ، وتخلت عن التجسس ضد ثورتنا ، لأصبح طريق التفاوض فى موضوع بعض العلاقات المفيدة للأمة مفتوحا[٣٧] .

وعلى الرغم من أنه كانت لديه نظرة معتدلة ؛ فإنه يعتبر وجود أصحاب النوايا الحسنة بالنسبة للغرب وجهودهم أشد خطرا ، ويؤمن بضرورة القضاء على ثقافة التغريب بإلحاح . كما أنه لا يثق فى أى عمل يقومون به نظرا لخيانات الغربيين الكثيرة ، وينظر إليهم نظرة الشك وسوء الظن .

وقد أصدر الإمام الخمينى (رحمه الله) الأمر للمسئولين عن التعليم فى البلاد بالقضاء على ثقافة التغريب عند جيل الشباب على النحو التالى :

غيروا هؤلاء الشباب الذين اهتموا بكل ما يأتى من الخارج إلينا . بكل ما يأتى من الخارج ليفسدنا . إنهم لا يقدمون إلينا فى أى وقت من الأوقات شيئا تكون فيه

فائدة لنا ، لا يقدمونه لنا على الإطلاق ، إن كل عمل يعملونه ينتهى فى نهاية الأمر فى غير صالحنا ولا يكون مفيدا لنا بل مضرا . يجب أن تهتموا بهذا فى الثقافة وتسعوا للعثور على ذاتكم . فقد ضيعنا ذاتنا .

لقد نحينا كل أمجادنا الشرقية ، وأخذنا نجدّ ونلهث ، وراء أمجاد الغرب ، ليس كل ما يملكونه بل ما يسمحون به لنا ، وإذا كان ما يملكونه طيبا جدا فإنهم يحتفظون به ، ولكن ما يسلمونه لنا هو ذلك المستشار الذى يأتى إلى هنا ويريد غرضا تقديم ثقافة لنا ، إن هذا لا يريد تقديم ثقافة من أجلنا ، إنه يريد تهيئة ثقافة غربية يقدمها لنا لتكون فى خدمة الغرب ، وكذلك المستشار الذى يأتى لإعداد جيشنا ، إنه أيضا لا يعد جيشا يكون فى خدمة الإسلام وفى خدمة المسلمين وفى خدمة الأمة . إنه يريد شيئا بحيث إنهم إذا أخذوا كل ما نملك ، فإنه إما أن نكون مؤيدين لهم أو منشغلين عنهم ولا شأن لنا بهم . إن كل ما يفد إلينا من الغرب ، أو يأتى من الشرق يحضرونه على أنه هدية لنا ، هؤلاء هم الذين ضيعونا وما زالوا يعملون على ضياعنا[٣٨] .

وفى عام ١٣٦٢ش (١٩٨٣م) تحدث الإمام الخمينى عن المدافعين عن الاستعماريين من الغرب والشرق والموجودين وسط الأمة الإسلامية ، وقال :

هؤلاء الموجودون فى نفس هذه البلد والحثالة الباقية ، بعضهم يضرب الصدور[٣٩] . من أجل الشرق والبعض الآخر يضرب الصدور من أجل الغرب ، ويدعون فى نفس الوقت أنهم من هذه الأمة ... إنهم فى واقع الأمر أجانب على شكل وطنيين وفى صورة إيرانيين[٤٠] .

خدمات الاستشراق وخياناته

الواقع أن جهود المستشرقين على مدى التاريخ كانت متنوعة وكانت نتائجها وثمارها متفاوتة ، ويمكن تقسيمها إلى مجموعتين :

خدمات المستشرقين

ليس المقصود بالخدمات هنا أنه كان للغربيين بالضرورة نوايا حسنة وخدمات مخلصة للشرقيين فى تلك الأعمال ، بل المقصود بها أنها كانت نافعة ومفيدة لشعوب بلدان الشرق ، مثل :

١- إحياء التراث الثقافى الإسلامى والقومى وتصحيح مخطوطات السلف وطبعها ونشرها .

٢- ترجمة المؤلفات الإسلامية من اللغات العربية والفارسية والأوردية وغيرها من اللغات الشرقية إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية وغيرهما من اللغات الغربية ، وطبعها ونشرها وإتاحة الفرصة لتعرف العالم على الإسلام .

٣- نشر تعليم اللغتين العربية والفارسية وغيرهما من لغات المسلمين فى الغرب ، وتمهيد السبيل لدراسة المؤلفات الإسلامية .

٤- تقديم أنماط وأساليب جديدة للبحث العلمى .

٥- وضع معاجم للقرآن والحديث لتسهيل الدراسات الإسلامية حتى من أجل الباحثين المسلمين .

٦- اعتراف المستشرقين غير المسلمين فى مواضع كثيرة ببعض مميزات وخصائص ثقافة الإسلام والمسلمين .

٧- اعتناق عدد كبير من علماء الإسلام أو الباحثين الغربيين فى الإسلام .

٨- عرض المنتجات الصناعية والحضارية الجديدة .

ومع أن كثيرا من هذه الخدمات أيضا لم تتم بدافع دينى وبنية تقديم الخدمة ، فإنه يمكن القول باطمئنان بأن عددا غير قليل من المستشرقين قاموا بالبحث والتحقيق والكتابة والنشر بدافع التنقيب والبحث عن الحقيقة وطلب العلم ونشر العلوم الإنسانية .

• خيانات المستشرقين

١- تشويه مفاهيم الإسلام .

٢- تقديم فرق المسلمين المنحرفة وتعريف نقاط ضعفها وتعميمها على أصول الدين وكافة المسلمين .

٣- إبراز نقاط ضعف أتباع الدين الإسلامى والتعريف بها باسم الدين .

٤- الكشف عن رموز ومظاهر نجاح الإسلام والمسلمين على مدى معارك التاريخ بهدف إحباطها وتقويضها .

٥- التشكيك فى معتقدات المسلمين الإيمانية بالوحى ونبوة سيدنا محمد خاتم المرسلين (ﷺ) وأصالة القرآن .

٦- إثارة النعرات القومية والدينية لدى الأقليات الموجودة فى الدول الإسلامية وبث الفرقة بينهم .

٧- التعرف على الشخصيات الإسلامية المؤثرة بهدف توجيهها وتضليلها أو شرائها أو اغتيالها .

٨- توجيه أعداء الدول الإسلامية فى الحروب وإرشادهم .

٩- التعرف على الدول الإسلامية وما بها من معادن بهدف غزوها أو عقد اتفاقيات استعمارية معها .

١٠- الأنشطة التبشيرية ونشر الدعوة المسيحية فى الدول الإسلامية تبعا لحالة وظروف تلك الدول .

حواشى الفصل الثانى

(١) دكتور على بن إبراهيم حمد النملة ، المستشرقون والتنصير ، ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) السباعى ، الاستشراق والمستشرقون ، ما لهم وما عليهم ، ص ٨ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ، المقدمة ، ص ٦ .

(٦) سورة يونس (١٠) آية ١٩ . جول لابوم ، تفصيل آيات القرآن الكريم ، المقدمة .

(٧) حازم صاغيه ، ثقافات الخمينية ، ص ٥٠ .

(٨) المرجع السابق .

(٩) DENYS HAY .

(١٠) إدوارد سعيد ، الاستشراق ، ص ٢٢ - ٢٤ .

(١١) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(١٢) نقد الخطاب الاستشراقى ، ص ٢٦ .

(١٣) غرب زدگى ، ص ٥٢ .

- يعتبر جلال آل أحمد من العلامات البارزة فى تاريخ الأدب الفارسى المعاصر ، وله مكانة خاصة فى مجال القصة . ولد آل أحمد فى طهران عام ١٩٢٣م وتوفى عام ١٩٦٩م . وقد بدأ حياته الأدبية فى عام ١٩٤٥م بنشر أولى قصصه بعنوان "زيارت" على صفحات مجلة "سخن" الأدبية الشهيرة ، ومن أهم رواياته رواية "نون والقلم" ، التى كتبها عام ١٩٦١م ونشرت بعد ذلك فى منتصف السبعينيات ، وله بالإضافة إلى ذلك العديد من الروايات والمجموعات القصصية مثل "مدير مدرسة" ومجموعة قصص "ديد و بازديد" (التزاور) ، وغير ذلك (المترجم) .

(١٤) بايارد داج ، دانشگاه الأزهر ، تاريخ هزار سالة تعليمات عالى إسلامى ، ترجمة آذر ميدخت ، نشر دانشكاهى تهران ، ١٣٦٧ .

(١٥) الدكتور مصطفى السباعى ، الاستشراق والمستشرقون ، ما لهم وعليهم ، ص ٩٤ .

(١٦) الإسلام والمستشرقون ، ص ١٣١ .

(١٧) ذكر المؤلف هنا مثلا فارسيا هو "زير كاسه نيم كاسه بودن" : ويعنى سر خفى فى أمر حدث ، أو وجود المكر والخداع تحت الصورة الطيبة الظاهرة ؛ كقولهم : هذه القضية ليست بهذه السهولة وتحت هذه الكأس يوجد نصف كأس . (انظر فرهنگ عوام ياتفسير أمثال واصطلاحات زبان پارس . أمير قلى امينى - چاپ دانشگاه أصفهان جلد دوم ص ٤٧٥) (المترجم) .

(١٨) البقرة (٢) آية ١٢٠ .

(١٩) آل عمران (٣) آية ١١٨ .

(٢٠) نفس الآية .

(٢١) الحجرات (٤٩) آية ١٢ .

(٢٢) بحار الأنوار ، ج ٧٢ ، ص ١٩٦ .

(٢٣) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢٤) المرجع السابق ، ج ٥٦ .

(٢٥) المرجع السابق ، ج ٣٣ ، ص ٦١٠ ، ونهج البلاغة - صبحى صالح ، ص ٦١٢ .

(٢٦) صحيفة امام ج ١١ ، ص ٣٠٢ .

(٢٧) محاضرة الإمام لطلاب جامعة أصفهان (صحيفة نور ، چاپ وزارت ارشاد ، سال ٧١ ، ج ٦ ، ص ٢٣٣) .

(٢٨) ديوان نسيم شمال ، سيد أشرف الدين حسينى ، عنوان عاقبت إيران ؛ إقرار وإنكار ، بدون صفحة .

(٢٩) إيران وأمريكا ، ص ٦٦ .

(٣٠) غرب زدگى ، ص ٢٥ - ٢٧ .

(٣١) خير الله مردانى ، اعترافات دانشمندان بزرگ جهان . قدم هذا الكتاب مئات المستشرقين المنصفين واعترافاتهم حول الإسلام والقرآن .

(٣٢) المائدة (٥) آية ٨ .

(٣٣) الأنعام (٦) آية ١٦٤ والإسراء (١٧) آية ١٥ وفاطر (٢٥) آية ١٨ ، والزمر (٢٩) آية ٧ .

(٣٤) محمد علي صغير ، خاورشناسان وپژوهش هاى قرآنى ، ص ١١٣ .

(٣٥) پرفسور خورشيد أحمد ، خورشيد اسلام ، ترجمة غلا مرضا سعيدى ، مقدمة .

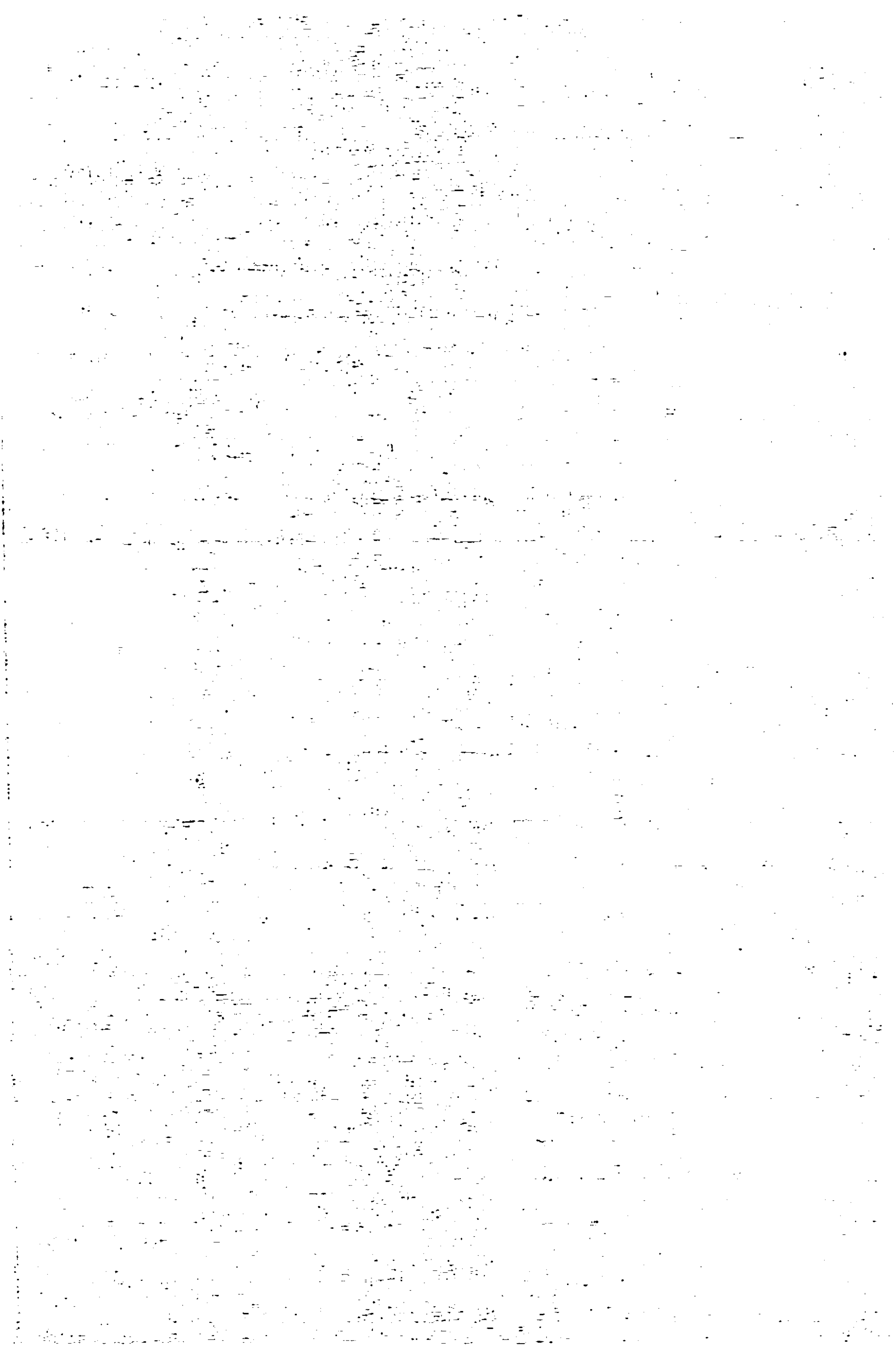
(٣٦) نقد الخطاب الاستشراقى ، ج ١ ، ص ٢٤ .

(٣٧) صحيفة نور ، ج ٦ ، ص ٢٣٧ .

(٣٨) صحيفه إمام خمينى (رحمه الله) ، ج ١٠ ، ص ٤٢ .

(٣٩) سينه زدن : اللطم أو ضرب الصدور من مراسم تعازى الشيعة فى عاشوراء (المترجم) .

(٤٠) المرجع السابق ، ج ١٧ ، ص ٤١٣ .



الفصل الثالث

نبذة تاريخية ومراحل الاستشراق

آراء المفكرين

يستعرض الكتّاب الذين يتناولون نشأة الاستشراق آراء متعددة :

ترى طائفة منهم أن الاستشراق بدأ رسميا منذ القرن الثامن عشر الميلادى ؛ ذلك لأن كلمة ORIENTALISM قد دخلت معاجم الدول الغربية فى منتصف القرن الثامن عشر . ويرى البعض أن عملية الاستشراق قد بدأت فى أوروبا منذ القرن السادس عشر ، وذلك نتيجة تأسيس مراكز للاستشراق والدراسات الإسلامية فى الدول الأوروبية والأمريكية على مدى القرون الأربعة الأخيرة .

ويقول عدد منهم إن الغرب فكر منذ القرن الرابع عشر الميلادى وبعد الحروب الصليبية فى التعرف على ثقافة بلدان الشرق بدلا من الحروب العسكرية ، حتى تتوفر لديه سبل أكثر واقعية فى التعامل مع الشرق من منطلق النتائج البحثية للاستشراق[1] .

وترى مجموعة من أمثال "رودى بارت"[2] و"جوستاف دوجا" أن الغرب عندما شاهد ازدهار الحضارة الإسلامية فى الأندلس فى القرن الثانى عشر وانتقال علوم اليونان والروم إلى الأمة الإسلامية ، أقبل على ترجمة الكتب العربية والإسلامية وبدأ الاستشراق حتى يستفيد من تلك العلوم العظيمة ، ولهذا السبب جعل "جوستاف

دوجا" اسم كتابه الذى نشره فى عام ١٩٦٠ "تاريخ المستشرقين فى أوروبا من القرن الثانى عشر وحتى القرن التاسع عشر"[٣] .

ويرى الدكتور "عبد الحميد صالح حمدان" وهو متخصص ليبى فى موضوع الاستشراق ، أن بداية الاستشراق الفردى كان فى القرن الحادى عشر الميلادى ، وقد بدأ بنشاط "بطرس المحترم" (١٠٩٢ - ١١٥٢) ، واشتغل بهذا العمل شخص أو شخصان فى كل قرن ، ويذكر أسماءهم فى مقدمة كتابه . أما بداية الاستشراق الجماعى للغربيين فهى فى القرن السادس عشر الميلادى حيث أقبل عدد كبير من الباحثين والعلماء الغربيين فى كل بلد على الاستشراق والدراسات الإسلامية . ومن هذا المنطلق يبدأ كتابه "طبقات المستشرقين" بالتعريف بمستشرقى القرن السادس عشر الميلادى ، ويشرح سيرة أكثر من مائتى مستشرق[٤] . وفى رأى الدكتور محمد دسوقى رئيس قسم الفقه والأصول بكلية الشريعة بجامعة قطر والدكتور نجيب عفيفى ، إن فتح الأندلس والفتوحات الإسلامية فى أوروبا منذ القرن الثامن وحتى العاشر والتى أقلقت الغرب والمسيحية وأخافتهم ، جعلتهم يفكرون فى الاستشراق والدراسات الإسلامية ، ولذلك يعتقد عفيفى أن عمر تاريخ الاستشراق هو ألف عام[٥] .

ويعتقد عدد من الباحثين من أمثال الدكتور محمود حمدى زقزوق فى كتابه "الاستشراق والخلفية الفكرية" أنه بمجرد ظهور الدين الإسلامى ودعوة النبى الخاتم (ﷺ) الذى نسخ الأديان الأخرى دفع مسيحيى الغرب ويهوده إلى التعرف على الإسلام ونقده كما هو الحال بالنسبة لـ "يوحنا الدمشقى"[٦] .

ويقول الدكتور ساسى سالم الحاج مؤلف كتاب "نقد الخطاب الاستشراقى" أيضا : لقد بدأ استشراق الغربيين منذ القرن السادس قبل الميلاد على عهد الكنعانيين حيث بدأ اليونانيون والإيرانيون صلاتهم التجارية ثم الثقافية[٧] .

يبدو من غير الضرورى فى هذا الموضوع الخلافى تأييد إحدى النظريات وتخطئة بقية النظريات ، ذلك لأن كل واحد من المفكرين بحث فى إحدى ظواهر الاستشراق واعتبر أن بداية هذه الظاهرة هو بداية تاريخ الاستشراق ؛ وبتعبير آخر فإن كل واحد منهم قدم تعريفا خاصا للاستشراق وحدد تاريخه .

ويمكن أن تكون كل ظاهرة من هذه الظواهر تعبيرا عن مرحلة من مراحل الاستشراق ؛ ومن ثم يكون من الأفضل تحديد مراحل الاستشراق وبدايته الأصلية مثلما فعل بعض الكتّاب (٨) حيث جعلوا مراحل له ، وحدد كل منهم عدة مراحل ذكرها .

١- الاستشراق العام من القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادى

بدء العلاقات السياسية بين الشرق والغرب وتنافس الحضارتين

نشأ أول اتصال فى التاريخ بين الشرق والغرب نتيجة الصلات التجارية على عهد الكنعانيين ، وكان صراع القوى فى القرن السادس قبل الميلاد بين حكومتى إيران واليونان . وقد أقدم اليونانيون على "علوم الشرق" منذ ذلك العهد حتى يتعرفوا على خصمهم ويعثروا على سبل المواجهة معه والدفاع والهجوم .

وكان أول مستشرق فى تلك المرحلة هو المؤرخ اليونانى الكبير والشهير "هيردوتس" أو "هيرودوت" ، الذى أُطلق عليه فى الغرب اسم "أبو التاريخ" ، وقد دون فى كتابه الخالد مجموعة مشاهداته فى بلاد الرى والرافدين والعراق ومصر والشام والجزيرة العربية ، كما سجل أيضا علم الإنسان فيها وعاداتها وتجارتها وبضائعها ، علما بأن كتاباته تتضمن أيضا كثيرا من الخرافات والأساطير والموضوعات والشروح لأحداث خارقة للعادة بلا أى أساس تاريخى .

توضيح خاص بتاريخ هيرودوت (٤٩٠ - ٤٢٥ ق.م)

كتاب (التواريخ) تأليف هيرودوت اليوناني ، أبو التاريخ ، ترجمة وحيد مازندراني . هذا الكتاب هو أول كتاب تاريخي أُلِّف باللغة اليونانية في العالم . وقد ترجم في القرن الخامس عشر الميلادي من اليونانية إلى اللاتينية ، كما ترجم إلى الإنجليزية وغيرها في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، واطلع على مضمونه القاجاريون[٩] عن طريق المبعوثين الإنجليز . وقد تُرجم لأول مرة إلى اللغة الفارسية منذ مائة وعشرين سنة في العهد الناصري وعلى يد محمد حسن خان اعتماد السلطنة . كما تُرجم ترجمة أفضل بعد ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية بواسطة وحيد مازندراني في ستة أجزاء في البداية وهو الآن موجود في مجلد واحد كامل .

ويتناول هذا الكتاب حياة أربعة ملوك إيرانيين عظام (هم كوروش ، وكمبوجيه ، وداريوش الأول ، وخشايارشاه) والصلات بين إيران واليونان .

وكان هيرودوت من مواليد غربي تركيا التي كانت تابعة لإيران ، ولجأ إلى أثينا وحكومة اليونان وتجنس بجنسيتها[١٠] . وقد طالع النص اليوناني الذي كتبه ، صديقي الفاضل علي فلق الهولندي .

وجاء الاتصال الثاني في القرن الرابع قبل الميلاد عندما هاجم "الإسكندر المقدوني" الملك اليوناني والفاتح الغربي الشاب بلاد إيران وكل بلدان المشرق . واحتل كل آسيا بنظرية "أحادية القطب في الكرة الأرضية" إلى أن وصل إلى أبواب الصين ، وعندما حان أجله في سن الثالثة والثلاثين توقفت هجمات الغرب على الشرق . وكان الإسكندر قد كلف مجموعة بقيادة " أرخياس ARCHIAS " بالسفر من مدينة بابل إلى البحرين وجمع المعلومات الضرورية له للقيام بهجوم ناجح ، وذلك لغزو جزيرة العرب بعد أن فتح مصر والهلال الخصيب . وقد جمع معلومات غزيرة عن تلك البلاد شكلت قسما من وثائق الاستشراق لدى الغربيين[١١] .

يقول جواهر لعل نهرو :

استولى "الإسكندر الكبير" الملك الشاب ذو العشرين عاما فى البداية على اليونان بعد وفاة أبيه "فيليب" ملك مقدونيا ، ودمر مدينة "تبس" اليونانية المهيبة التى لم تستسلم ، وقتل كثيرا من أهلها وباع البقية كعبيد .

ثم هجم على مصر وانتزعها من قبضة داريوش الثالث وبنى مدينة الإسكندرية . واستولى بعد ذلك على إيران وأشعل النيران فى قصر داريوش العظيم حتى ينتقم من حرق مدينة أثينا على يد خشايارشاه ، ثم هاجم بعد ذلك الهند واستولى على راولبندى .

إلا أن التعب والإعياء قد أصاب الجيش اليونانى ؛ فاضطر الإسكندر إلى العودة . وفى أثناء عودته توفى فى مدينة بابل ببلاد ما بين النهرين عام ٣٢٣ ق.م .

وبعد وفاة الإسكندر قتل أفراد أسرته بعضهم بعضا ، وتم تقسيم إمبراطوريته المترامية الأطراف قطعة قطعة بين قواده ، فكانت مصر من نصيب بطليموس الذى أقام حضارة عظيمة فى الإسكندرية ، وصارت إيران وآسيا الصغرى من نصيب "سلوكوس"[١٢] .

بداية الصراع والمنافسة بين إيران وروما

كانت بلاد إيران على عهد سلطنة داريوش الثالث ، وهو من أسرة الملوك الهخامنشيين ، تمتد من الصين وحتى البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط (كل تركيا) . وقد احتل الإسكندر المقدونى إيران بعد هزيمة "داريوش" وأحرق "تخت جمشيد" عاصمة إيران ، وقتل الكثيرين من الشعب الإيرانى . وبعد وفاة الإسكندر حدث خلاف بين قواده على خلافته . وفى نهاية الأمر تولى أحد قواده ويدعى "سلوكوس" ملك إيران ، وأسس الدولة السلوكية .

وقد نشر السلوكيون اللغة والخط اليونانى الذى دخل إيران على زمن الإسكندر فى إيران . وسعوا إلى أن يعيش أهل إيران كما يعيش أهل اليونان ويقلدوهم . إلا أن أهل إيران لم يكونوا مستعدين لقبول عادات الأجانب الحاكمين وتقاليدهم ولغتهم . وفى نهاية الأمر ثار "البارتيون" وهم قسم من الإيرانيين الذين يقطنون شمال شرقى خراسان وجرجان بقيادة "اشك" ضد السلوكيين ، وألحقوا بهم الهزيمة ، وأسسوا دولة "الأشكانيين" .

وأقام "مهرداد الثانى" الأشكانى علاقات صداقة مع الروم ، إلا أنه بعد فترة هاجم "كراسوس" ، وهو واحد من قادة الروم ، إيران حتى يستولى عليها جميعها كما فعل الإسكندر ؛ فألحق به القائد الإيرانى "سورنا" الهزيمة ، وانسحب الروم ، لكنهم ظلوا لفترات يحاربون إيران بسبب أرمينيا .

وقد تسببت كثرة الحروب فى إضعاف الأشكانيين ، وخلفهم "الساسانيون" . وتصالح "أنوشيروان" الملك الساسانى ومؤسس جامعة "جندى شابور"(١٣) مع الروم ، إلا أنهما تحاربا بعد فترة بسبب المدن الحدودية .

وفى هذه الفترة استطاع الغربيون حل طلاسم الثقافة والحضارة الشرقية المعقدة وتعرفوا عن كثب على تلك الحضارات والعلوم ، كما تعرفوا على علم الفلك والجغرافيا وعلم الوقت والتقويم الشرقى عن طريق الألواح والوثائق والكتابات العلمية التى نقلوها من بابل وغيرها من المدن إلى اليونان وترجموها . وقد دعا "الإسكندر" كثيرا من علماء الشرق لزيارة اليونان حتى يستفيد منهم اليونانيون ، ويتعرفوا هم على ثقافة اليونان أيضا وأتاح اختلاط الثقافتين وحضارتى الشرق والغرب وامتزاجهما مجالا لتشكيل مراكز علمية مثل "الإسكندرية" و "جندى شابور" و "حرّان" .

ومع تأسيس "أنوشيروان" لجامعة جندى شابور فى القرن السادس الميلادى دعا فلاسفة اليونان الذين تم نفيهم على يد "أجوستين" ، كما جمع بين الأطباء اليونانيين والهنود الذين كانت لديهم خبرات وإنجازات طبية فى الطب . وقد كان "الحارث بن

كلدة" الطبيب العربى المعروف الذى ذكره "أبو على بن سينا" فى قانونه الخامس من خريجى نفس هذه الجامعة . وفى هذه المرحلة من اتصال الشرق بالغرب ، قدم الغرب فلسفته للشرقيين ، وأهدى الشرق ثقافة دياناته للغربيين ، لذلك قبلوا كثيرا من أديان فينيقيا وبابل وسوريا . ومع أن خلافا وفرقة قد نشبت بين ورثة الإسكندر بعد موته ، إلا أن الروم استطاعوا خلق وحدة بين القوى الغربية إلى حد ما ظلت قائمة لعدة قرون(١٤) .

٢- معرفة الغربيين المبدئية بالإسلام في عصر ظهور الإسلام

عندما دعا نبى الإسلام الأكرم (ﷺ) الناس وأتباع كل الاتجاهات والمدارس إلى الدين الإسلامى السمح ، قدم إلى المدينة علماء مسيحيون ويهود وجماعات من الناس وأتباع ديانات أخرى من الغرب والشرق بشكل فردى أو جماعى أو تنظيمى للتعرف على هذا الدين الجديد ونبيه ، وأخذوا يدرسون الإسلام ويبحثون فيه . ودخلت جماعة منهم فى الإسلام ، ونقل البعض الأخر معلومات جديدة إلى أهليهم ومسئولى أوطانهم ، وفى بعض الأحيان قام بعضهم أيضا بمحاربة الإسلام والصدام معه من منطلق تعصبهم الدينى الأعمى أو المصالح المادية والجاه والمكانة الاجتماعية أو سوء الفهم .

وقد أوجدت الرسائل التى أرسلها النبى الأكرم (ﷺ) إلى ملوك ورؤساء الدول الغربية والشرقية الدافع عندهم للدراسات الإسلامية ، ورحب البعض بذلك وتعلموا معارف عن الإسلام برؤية حسنة الظن وبصدق ، وقام البعض الآخر بالبحث حول الإسلام من منطلق العداء وخلقوا نوعا من الصدام(١٥) .

٣- الدراسات الإسلامية المغرضة والنقد الفردى المناهض للإسلام

يوحنا الدمشقى ، أول مستشرق فى الدراسات الإسلامية :

يعتبر العالم المسيحى "يوحنا الدمشقى" (٧٤٩ - ٦٧٦م) فى القرن الثامن الميلادى (القرن الثانى الهجرى) الذى كان يعيش فى كنف خلافة الأمويين ويعمل فى بلاطهم أيضا ، أول مسيحى يقوم رسميا بنقد علوم الإسلام ، ويؤلف كتبا فى رفضه والرد عليه مثل : محاورة مع مسلم ، وإرشادات النصارى فى جدل المسلمين[١٦] .

وعلى الرغم من أن يوحنا نفسه كان شرقيا ويعيش فى الدولة الأموية وفى بلدان الشرق ، فلا يمكن اعتباره طليعة لاستشراق الغربيين ، ولكن لما كان قد بدأ نقد العلوم الإسلامية كمسيحى غير مسلم ، فمن الممكن اعتباره طليعة للتيار المناهض للإسلام من قبل الاستشراق التبشيرى .

ثيوفانيس البيزنطى :

أما المستشرق التبشيرى الثانى فهو ثيوفانيس الكاتب البيزنطى ، المتوفى عام ٢٠٢ هـ = ٨١٧م ، وهو مؤلف كتاب "حياة محمد" .

وقد كتب فى كتابه يقول :

إن نبى الإسلام لم يكن نبيا من عند الله ، بل إنه تعلم تعاليم الإسلام من علماء الشام المسيحيين واليهود . وقد اعتبره أتباعه أيضا "المسيح المنتظر"[١٧] .

ومن المؤكد أن هذه الأبحاث التى تناولت علوم الإسلام فى القرون الأولى للإسلام كانت منفصلة عن بعضها وغير متصلة أو منظمة .

٤- قيام الكنيسة بترجمة معانى القرآن والعلوم الإسلامية

بطرس أول رجل دين مسيحي يترجم معاني القرآن

ولد الأب "بطرس المبجل المحترم"[١٨] (١٩٠٢م - ١١٥٧) فى فرنسا ، ووجهته أسرته منذ طفولته إلى تعلم العلوم الدينية . وفى سن السابعة عشرة من عمره دخل

فى سلك علاء الدين على يد القديس "هوكس" . وأصبح فيما بعد وهو فى سن الثلاثين رئيسا لكنيسة "كلونى"[١٩] الواقعة فى شرق فرنسا[٢٠] ، بعد سنوات من النشاط الدينى .

قام بطرس بعمل أول ترجمة لمعانى القرآن إلى اللغة اللاتينية فى عام ١١٤٣م . •
وبعد أن سافر إلى الأندلس الإسلامية مرتين وشاهد تأثر المسيحيين بثقافة المسلمين وعلومهم أدرك أنه لا يمكن الاستفادة من الأسلحة غير الفعالة لمحاربة تقدم دين محمد (ﷺ) بل يجب الاستفادة بشكل علمى من الحكمة والعلم والاستدلال القوى وعنصر المحبة فى المسيحية ، وأن شن هذه الحرب العلمية مرهون بمعرفة جيدة ومتعمقة لأفكار العدو .

ولذلك استعان براهبين كانا قد تعلما اللغة العربية فى أحد بلدان شبه جزيرة "أيبريا" من أجل ترجمة معانى القرآن وبنفقات باهظة ، وهما :

١- راهب إنجليزى يدعى "روبرتوس كتى نيسيس" أو "روبرت كتون"[٢١] ، وهو المكلف بترجمة معانى القرآن كله .

٢- الراهب "هيرمان دالماتى - دلماشى" المسئول عن تدوين ترجمة مختارة لمعانى القرآن .

ومن المؤكد أنه تمت الاستعانة كثيرا فى هذه الترجمة بأحد العرب المسلمين أيضا ، ولكن لا توجد أية معلومات عنه ، سوى أن اسمه "محمد" .

ويعتقد الدكتور عبد الرحمن بدوى أن ذلك العربى المسلم كان هو المسئول عن ترجمة النص القرآنى إلى اللغة الإسبانية العامية ، وكان هناك شخصان آخران مسئولين عن ترجمته إلى اللاتينية ، وقد جعل "بطرس بويتيه" كاتبه وسكرتيره مسئولا عن ضبط اللغة اللاتينية[٢٢] .

هذه الترجمة على الرغم من أنها تتضمن أخطاء كثيرة - مثل الآية (يحسب أن ماله أخلده)[٢٣] التى ترجمها بمعنى : إن ثروته سوف تخلده ؛ فذكر معنى مختلفا لأنه أغفل كلمة "يحسب" ؛ إلا أنها استقبلت استقبالا طيبا بسبب تعطش سكان أوروبا إلى

معرفة مفاهيم كتاب المسلمين السماوى ، وإحجام المسلمين عن ترجمة معانى القرآن وتوزيعه في بلاد الكفر .

هذا بالإضافة إلى أن هذه الترجمة نفسها أصبحت متنا تمت عن طريقه ترجمات للقرآن باللغات الأخرى ، مثل :

١- ترجمة القرآن من اللاتينية إلى اللغة الإيطالية عام ١٥٤٧م على يد الناشر "أريفا بينى" .

٢- ترجمة القرآن من الإيطالية إلى الألمانية عام ١٦١٦م على يد "سالمون شفايجر" .

٣- ترجمة القرآن من الألمانية إلى اللغة الهولندية عام ١٦٤١م .

ومن ثم فإن هذه الترجمة اللاتينية لعبت دورا رائدا وطليعيا فى العالم الغربى ، حتى أن "ماراتشى" أقدم على ترجمة معانى القرآن إلى اللغة الإيطالية فى عام ١٦٩٨م ، وكانت ترجمته على درجة كبيرة من الدقة مما جعلها أكثر تميزا من الترجمة الأولى[٢٤] .

وقد بين "بطرس" دافعه الأساسى من ترجمة معانى القرآن الكريم حيث قال :

إن الدين الإسلامى وكتاب القرآن "بدعة" فى الدين المسيحى ، بل هى أشد وأخطر أنواع البدع التى يجب القضاء عليها . وإذا سئلت عن ترجمة القرآن هذه وأنه ليس لها أية ضرورة ، حيث إنها لن تضر المسلمين بأى حال من الأحوال ؛ فإننى سوف أجيب قائلا : إذا كنا لا نستطيع تحويل المسلمين إلى الدين المسيحى ؛ فإن علماء المسيحية يستطيعون على الأقل عن طريق كشف نقاط الضعف الموجودة فى القرآن وبيانها ، تحصين إيمان معتنقى المسيحية فى مواجهة الدعوة الإسلامية حتى لا تغير جاذبية القرآن الضئيلة عقيدتهم[٢٥] .

كانت ترجمة معانى القرآن الكريم التى قام بها بطرس هى أول ترجمة لمعانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية وهى الوحيدة التى تمت فى الغرب فى ذلك الوقت .

ولا شك أن هذه الترجمة تضم نقصا وأخطاء فى الترجمة ، وكانت فى بعض الأحيان تلخيصا ، ولا يمكن اعتبارها ترجمة كاملة للقرآن ، وبالإضافة إلى هذا فقد ألحق بها نقده ومآخذه على القرآن .

وفى نفس الوقت ؛ فإنه لما كان هدف بطرس من هذه الترجمة هو تعريف رجال الدين المسيحى بمعارفه وتعاليمه والبحث بهدف بيان المآخذ عليه ؛ فقد ظل لمدة خمسة قرون قاصرا على الكنيسة وبين أيدى القساوسة ، ولم يتم نسخه أو طبعه وتوزيعه .

كتب بطرس فى عام ١١٤٣م وبعد عودته من إسبانيا كتابا ضد الإسلام . وعلى الرغم من أنه هو نفسه قد تولى مسئولية ترجمة القرآن ؛ لكنه لم يرغب فى تحمل مشقة مطالعته ودراسته ، وكلف كاتبه وسكرتيره "بطرس بويتيه" الذى كان قد قرأ الترجمة اللاتينية للقرآن باقتراح المحاور الأساسية للرد وتقديمها إليه . وبناء على اقتراحاته فقد ألف كتابا للرد على الاسلام فى أربعة فصول ، هى :

١- عدم تحريف كتب اليهود والمسيحيين .

٢- الطعن فى نبى الإسلام (ﷺ) والتشكيك فيه .

٣- إثبات عدم وجود معجزات لنبى الإسلام (ﷺ) .

٤- بدع الإسلام .

وقد وصل إلى أيدينا حتى الآن الفصلان الأولان اللذان طبعهما "مينى" فى "مجموعة الآباء اللاتين"[٢٦] المجلد ١٨٩ العمود ٦٦٣ - ٧١٩[٢٧] .

وترجم بطرس ثلاثة كتب أخرى عن طريق هذين المترجمين إلى اللاتينية وهى :

١- مسائل عبد الله بن سلام ، ويشتمل على إجابات النبى (ﷺ) على أسئلة أحد أحبار اليهود التى جعلته يدخل فى الإسلام .

٢- حياة طفولة رسول الإسلام وولادته برواية كعب الأحبار .

٣- تاريخ الإسلام حتى حادثة وفاة الإمام الحسين (رضى الله عنه) .

وقد طلب من "بطرس التوليتانى" أيضا أن يترجم كتاب "علم الكلام" المخطوط إلى اللاتينية . وأتم بطرس ترجمة القرآن فى عام ١١٤٣ ، وفى عام ١١٥٣م أرسل كل هذه الترجمات إلى كبير القساوسة الأب "برنهارد شبيرفو - سان برنارداف" وأرفق معها رسالة تتضمن تقريرا عن جهود رجال الكنائس ونشاطهم ضد الإلحاد .

وقد طبعت هذه الترجمة بعد أربعمائة سنة فى عام ١٥٥٠م لأول مرة فى ثلاثة مجلدات فى مدينة "بال" بسويسرا . أما ترجمة القرآن هذه فقد طبعت قبل ذلك بشكل أكمل على يد الناشر "بيبليانه رنصين" مع الملاحق التالية أيضا :

١- رسالة بطرس المبجل إلى رئيس كنيسة كلونى .

٢- مجموعة وثائق ضد الإسلام الملحد .

٣- مقدمة "روبرت كتون" ، خطاب إلى رئيس كنيسة كلونى .

٤- كتاب "تعاليم محمد" .

٥- كتاب "أمة محمد وظهورها" .

٦- كتاب "تاريخ المسلمين" .

٥- مرحلة رد الفعل العسكرى للكنيسة والغرب وبدء الحروب الصليبية

قوبلت دعوة الناس إلى الإسلام فى القرون الخمسة الأولى بترحاب من شعوب الدول المختلفة فى شرق الجزيرة العربية وغربها .... ومن العوامل الرئيسية التى أدت إلى قبول هذا الدين عن طيب خاطر وبحرية تامة من قبل المجتمعات الشرقية والغربية : العقلانية ، والاستدلال على العقائد الإسلامية ، وشمولية قوانين الحياة ، والإنسانية ، والتوجه المعنوى للدين الاسلامى ، وأيضا إخلاص النبى (ﷺ) وصحابته . إلا أن دخول الإسلام إلى أوروبا والأندلس والحدود الفرنسية على غير المتوقع أدى إلى انزعاج وقلق المؤسسة البابوية والكنيسة اللذين كانا يسيطران سيطرة مطلقة على

أوروبا حتى ذلك الوقت ، ولهذا السبب دخل بابوات وقساوسة كبار منذ القرن العاشر الميلادى من أمثال : الراهب الفرنسى جربرت فى القرن العاشر ، وبطرس المبجل فى القرن الثانى عشر وغيرهما إلى ساحة الدراسات الإسلامية والاستشراق بأنفسهم ، وأخذوا يتعلمون اللغة العربية ويترجمون القرآن ويكتبون نقدا له ويبرزون إشكالياته[٢٨] .

وقد أدى فشل المؤسسة البابوية فى هذا الصراع بسبب الضعف العلمى الشديد إلى اتخاذ قرار من قبل رجال الكنيسة بالصدام الفيزيائى العسكرى والعنيف وأعدوا العدة للحروب الصليبية التى استمرت مائتى سنة ، حتى يسدوا الطريق أمام تقدم الثقافة الإسلامية وانتشارها فى الغرب عن طريق إسقاط صرح الحضارة الإسلامية الأندلسية .

وعندما رأت الكنيسة أن وجود الدين المسيحى أصبح معرضا للخطر مع ظهور دين جديد أكمل وأتم على ساحة الثقافة العالمية ، سعت جاهدة إلى التعرف الكامل على علوم ومعارف هذا الدين والأمة الإسلامية والدول الإسلامية الشرقية حتى تحصل أولا على وسائل دفاع تواجه بها التقدم المستمر للثقافة الإسلامية ، وتتعلم ثانيا وسائل التبشير والدعوة للمسيحية وطرق تحويل المسلمين الجدد إلى الديانة النصرانية وتنصير مسلمى المشرق الآخرين .

يقول المستشرق المسيحى يوهان فوك :

عندما يقوم الغرب بدراسة الشرق (الاستشراق) بدافع استعادة المستعمرات ونشر المسيحية من جديد ، فإنه من الطبيعى ألا تكون توجهات بحوثه واقعية ومحايدة ، بل ستكون من أجل التوصل إلى نقاط تحمل الأذى والضرر للشرقيين ، وبالتالى تكون معرفة غير علمية وغير واقعية . وفى مثل هذه الظروف من الصراع لن يكون تعرف كل جانب على الآخر دقيقا وحقيقيا .

لقد كان الفكر التبشيرى والتنصيرى للمجتمعات الشرقية هو الدافع الأساسى للمستشرقين لترجمة القرآن والكتب العربية ، ورغم استمرار الحروب العسكرية ضد

المسلمين ، فإنها لم تؤت ثمارها فى تغيير دين المسلمين وإضعاف إيمانهم ، بل كانت شاهدا على تأثر المقاتلين الصليبيين بالحضارة والفكر الإسلامى وخضوعهم لها[٢٩] .

ومع هذا كله ، فإن بعض الباحثين من المؤرخين يرى أن هذه الحروب الصليبية لم تتوقف فى القرن الثالث عشر ، بل حولت مسارها إلى بلدان أفريقيا الإسلامية ، وواصلت الجيوش الصليبية حربها فى بلدان شمال أفريقيا أى السودان والمغرب[٣٠] . وليبيا منذ عام ٦٦٨ وحتى عام ٧٩٢ هـ ؛ أى بين عامى ١٢٧٠ وحتى ١٣٩٠م ولقد كانت هذه الحروب على درجة كبيرة من الأهمية بحيث أُلفت حولها كتب مستقلة ، مثل كتاب : الحروب الصليبية فى شمال أفريقيا ، تأليف الدكتور ممدوح حسين .

الاستشراق مكمل للحروب الصليبية

ينقل الدكتور محمد قطب عن "ليوبولد فايس" قوله : إن أنشطة المستشرقين مكملة ومحققة للأهداف النهائية للهجمات والحروب الصليبية والصهيونية ، ذلك لأن الحروب يمكنها فقط أن تؤدى إلى إحلال قوى الكفر مكان الحكومة الإسلامية ، أما مشاريع المستشرقين الثقافية فهى التى تُخرج الفكر الإسلامى من عقول المسلمين وتحل محله الثقافة الغربية وقيمها[٣١] .

٦- انتقال العلوم والحضارة الإسلامية إلى الغرب منذ القرن الثالث عشر الميلادى

إن الغرب الذى قضى قرونا طويلة فى صمته وظلامه ، استيقظ الآن فى القرن الثالث عشر وشاهد أوجه التقدم العلمى والثقافى المثيرة للدهشة عند المسلمين ؛ لذلك قرر البابوات وأجهزة الكنيسة والحكومات الغربية ومستشرقوها اتخاذ خطوات فى سبيل استيعاب علوم المسلمين وحضارتهم وتطورهم العلمى وإرساء قواعد وأسس علمية لنهضة ثقافية وحضارية جديدة :

(أ) انتقال العلوم والحضارة الإسلامية إلى الغرب منذ القرن الثالث عشر الميلادى .

البابا رايموند لولوس(٣٢) يؤلف سورة يعارض بها القرآن

هو من مواليد جزيرة مالاما فى أسبانيا عام ١٢٣٢م . ولد فى معمعات الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين ، وعاش فى نفس هذه الأجواء ، ولذلك امتلأ قلبه بالحقد على الإسلام بشدة ، وشارك أبوه فى حروب ضد مسلمى الغرب .

وبمشاهدته لفشل عملية التبشير بالمسيحية فى أثناء هذه الحروب توصل إلى نتيجة مفادها ضرورة القيام بعمل ثقافى مؤثر من أجل الدعوة للمسيحية ضد الكفر والإلحاد (الإسلام !!) . ولذلك عندما أصبح قسيسا ، رأى أنه لا سبيل لمحاربة الإسلام سوى عودة المبشرين المباشرة للمعارف ونص القرآن وعدم الاكتفاء بنقل أقوال الآخرين . ومن ثم اشتغل لمدة تسع سنوات بتعلم اللغات الإسلامية والشرقية متخليا عن العافية وطلب الراحة المادية . وفى النهاية ألف كتاب ARS MAJOR فى بيان قواعد المناظرة مع سبل الاستدلال المنطقى للأمثلة المناسبة .

وكان يعتقد بأنه ينبغى من أجل هذا العمل إنشاء معهد تعليمى عربى وتقوية ثقافة المبشرين ضد الإسلام كقسم متخصص . وبعد أن حصل على موافقة "يعقوب الأول" و "الملك جيمس الثانى" أسس هذا المعهد باجتذاب ثلاثة عشر مبشرا . ولنشر تنفيذ اقتراحه هذا لجأ إلى "البابا نيكولا الثالث" ومن بعده "هونوريوس الرابع" ومن بعده "نيكولاس الرابع" وطالبهم بإلحاح بتأييده ، إلا أنهم لم يوافقوا على مشروعه بأى حال من الأحوال ؛ ذلك لأنهم اعتبروا أن التأثير الثقافى على المسلمين بهذه البساطة يعتبر تفكيرا ساذجا . وقد قام بنشر مجموعة أمانيه التبشيرية وتجاربه على هيئة كتاب BLANGUERNA عام ١٢٨٥ .

وما إن وصل "القس لولوس" إلى رتبة "الأسقف" ومن بعد ذلك إلى منصب "البابا" ، إلا وبدأ من منطلق نفوذه فى تنفيذ هذا المشروع المبتكر بشكل واسع ،

وأوفد جماعات من المبشرين إلى أنحاء مختلفة من العالم ، حتى يروجوا للفكر الكاثوليكى ويتعلموا أيضا اللغات المختلفة ، وكلف بعض الأشخاص الذين اعتنقوا الديانة المسيحية من الأديان الأخرى بأن يعلموا المبشرين لغاتهم الأم .

ميثاق مؤتمر فيينا ومشروع تعليم اللغات الشرقية في خمس جامعات غربية كبرى

صدق البابا لولوس فى أواخر عمره على قانون فى مؤتمر فيينا ينص على قيام خمس جامعات غربية "باريس وأكسفورد وبولونيا وسليمنكا وجامعة الإدارة المركزية للبابا بتعيين أساتذة للغات الشرقية من أجل تعليم الطلاب لغات كالعربية والعبرية واليونانية والكلدانية ....[٣٣] .

وقد عقد مؤتمر فيينا – مجلس الجمعية العمومية لقساوسة العالم فى كنيسة مدينة فيينا – فى عام ١٣١٢م (٧١٢هـ) جلسة باقتراح "روجر بيكن" وتوصيات البابا بولوس الأكيدة ، ووافق على تدريس اللغات الشرقية (العربية واليونانية والعبرية والسريانية) فى جامعات باريس وأكسفورد وبلوينا[٣٤] ، وأفينيون[٣٥] وسالامانكا[٣٦] وجامعات مدينة البابوات (KURIE)[٣٧] .

القس رايموندوس مارتيني الدومينيكاني(٣٨) يؤلف سورة يعارض بها القرآن (١٢٣٠ – ١٢٨٠م)

كان يعيش فى إسبانيا كراهب قبل "رايموندوس لولوس" ، وقد اختاره رؤساؤه لدراسة اللغات الشرقية حتى يتمكن من التبشير والوقوف فى مواجهة المسلمين ؛ فنجح نجاحا كبيرا فى تعلم اللغتين العربية والعبرية ، حتى تمكن من كتابة ونشر سورة يعارض بها القرآن كنوع من التحدى ، وهى التى ترجمها إلى الإيطالية وطبعها بعد ذلك "إسكيا ياربى" . كما ألف كتابا عنوانه "خلاصة ضد القرآن" لم يصل إلى أيدينا[٣٩] غير أنه ركز معظم اهتمامه فى محاربة اليهود والطائفة المنافسة له ؛ أى طائفة الفرنسيسكان .

ومما يلفت النظر بقوة فى حياته وحروبه العلمية والدينية أنه كان يستفيد بشكل كبير فى ردوده على اليهود من الآيات القرآنية وأيضا من مؤلفات الإمام محمد الغزالى مثل كتاب : "المنقذ من الضلال" و"تهافت الفلاسفة" و "مشكاة الأنوار" و"ميزان العمل" ، ومؤلفات ابن سينا مثل "الإشارات" و "أرجوزة ابن سينا" ، ومؤلفات ابن رشد والفخر الرازى مثل "المباحث المشرقية"[٤٠] .

روجر بيكون الإنجليزى ، مخطط إنشاء كرسي اللغة العربية في خمس جامعات أوروبية كبيرة

يعتبر بيكون (١٢١٤ - ١٢٩٤) الذى حصل على درجة الدكتوراه فى اللاهوت المسيحى حامل راية حركة الاستشراق الجديدة فى القرن الثالث عشر الميلادى وهو الذى أدخل مشروع تدريب المبشرين المناهضين للإسلام إلى حيز التنفيذ بمساعدة زميله "رايموند لول (1316 - 1232) "RAYMOND LULL وقد آمن بضرورة القيام بثلاثة أعمال من أجل تقوية البنية الدينية للمسيحيين وتحصينهم ضد إقبال عامة الناس على الدخول فى الإسلام ، وكذلك تنصير المسلمين ، وهى :

١- تعليم اللغة العربية وغيرها من اللغات الإسلامية .

٢- تعليم عقائد المسلمين المليئة بالكفر وغيرها من الأديان .

٣- تعليم إشكاليات الإسلام وأساليب المناظرة .

وكما لاحظنا فإن مشروع تعليم اللغات الأجنبية فى الجامعات الغربية كان مشروعا من ابتكاره ، وقد تم الترحيب به من قبل مؤتمر رجال الكنيسة فى "جمعية ڤيينا" عام ١٣١٢[٤١] .

البابوات الآخرون ورجال الكنيسة

البابا "جريجورى التاسع" :

وهو من معاصرى فريدريك الثانى إمبراطور ألمانيا وقد ترجم فى عام ١٢٢٠ وبدعم منه كتبا كثيرة عن المسلمين وقدمها للجامعات الغربية للتدريس[٤٢] .

البابا "هونوريوس الرابع" :

أسس فى عام ١٢٨٥ مركزا تعليميا لتعليم اللغات الشرقية[٤٣] .

البابا "كليمانس الخامس" :

هو الذى أصدر أمرا فى الجمعية العمومية للقساوسة عام ١٣١١ بإنشاء كرسى الدراسات العربية والعبرية والكلدانية فى باريس وروما وأكسفورد وبولونيا ، وبدأ القسم التعليمى لنفس هذه اللغات الشرقية والعلوم الإسلامية فى "السوربون" بناء على هذا المشروع[٤٤] .

"بادويل" مؤسس دراسة اللغة العربية فى أكسفورد :

هو أستاذ اللغة العربية ومؤسس دراساتها فى جامعة أكسفورد ، وقد قام بهذا العمل بنفس هذه الدوافع الدينية[٤٥] .

جوليام بوستل الفرنسى[٤٦] صاحب مشروع الطباعة بالحروف العربية فى الغرب :

ولد لأسرة فقيرة ، إلا أنه تعلم اللغة العربية فى باريس وبذل فى ذلك جهدا كبيرا ، ثم تعلم بعد ذلك اللغات اليونانية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية . ونتيجة لهذا الاستعداد والإمكانيات الفذة عُرف فى البلاط الملكى ، وأوفده ملك فرنسا "فرانسوا الأول" إلى مصر وإسطنبول للحصول على نسخ خطية من بلدان المشرق ، فبقى فى إسطنبول لمدة تقارب العامين ، وهناك استكمل تعلم اللغة وتجهيز الكتب المخطوطة . وفى عام ١٥٣٧م وفى طريق عودته إلى أوروبا التقى فى إيطاليا (فينسيا).بالناشر المشهور "دانييل بومبورج" وأقنعه بصناعة الحروف العربية وإنشاء مطبعة للغات الشرقية . وألف فى فرنسا كتاب "حروف أبجدية اثنتى عشرة لغة مختلفة" وطبعه ، ثم ألف بعد ذلك فى عام ١٥٣٩ كتاب "قواعد اللغة العربية" (ARABICA GRAMMATICA) ونشره .

وقد بذل بوستل جهودا كبيرة فى سبيل تعليم اللغة العربية للأوروبيين ، وكانت له أسبابه للقيام بهذا العمل ، ومن ذلك : "أن كل من يتعلم اللغة العربية ، يمكنه بلا شك تمزيق قلب أعداء الدين المسيحى بسيف الكتب المقدسة ، والرد على عقيدتهم بواسطة عقيدتهم" .

وعندما كان بوستل مشغولا بالعمل فى البلاط الملكى الفرنسى ، كان يحلم بأحلام عجيبة وتدور فى رأسه أفكار غريبة عن إصلاح أوضاع العالم ونشر الدين المسيحى والقضاء على كل الأفكار وأهل البدع على يد الغرب وبزعامة الدولة الفرنسية ، وقد قام فى هذا الصدد بعمل أنشطة كثيرة انتهت بالفشل[٤٧] .

إبراهام هنكلمان الراهب الفرنسى ومترجم القرآن وبادئ الطباعة الأولية للقرآن

كان "البابا الكساندر" قد منع فى الأعوام ١٦٥٥ – ١٦٦٧ نشر وترجمة معانى القرآن غير أنه فى نهاية نفس ذلك القرن قرر هذا الراهب الألمانى المسيحى الكبير أن يرسى قواعد الاستشراق والدراسات الإسلامية عند الغربيين عن طريق طباعة القرآن الكريم حتى يقوم رجال الكنيسة المستشرقون بالتآمر على الإسلام والمسلمين بشكل أكثر واقعية وأشد قوة .

وفى عام ١٦٩٤ طبع راهب هامبورج "أبراهام هنكلمان" (١٦٥٢ – ١٦٩٥) نص القرآن فقط مع ترجمة وبدون أى توضيحات أو تفسيرات ، وكتب فى مقدمته كدفاع فى مواجهة اعتراض القساوسة يقول :

"إن نشر هذا الكتاب ليس حركة دينية ، بل هو فى إطار دراسات اللغة العربية ، وعلى أية حال فإنه يمكن بهذه الطريقة أيضا عرض نقاط الضعف فى القرآن"[٤٨] .

لودفيجو ماراتشى المفسر المسيحى للقرآن

فى عام ١٦٩٨ طبع ونشر "لودفيجو ماراتشى" المفسر المسيحى القرآن الكريم مصحوبا بترجمة لاتينية ومقدمة مغرضة وحواش دفاعية عن المسيحية . وفى النهاية حاول تقديم تفسير للآيات من وجهة نظر المسلمين حتى يعرض المفاهيم الصحيحة والواقعية واللغوية لآيات القرآن الكريم . وكتب يدافع عن نفسه أيضا بقوله :

إن جوهر نشر هذا القرآن أنه حركة دفاعية من الكاثوليك ضد الإسلام .

واعتمادا على نفس هذا المنطق اجتهد الهولنديون لمعرفة نقاط الضعف فى القرآن الكريم وما به من أخطاء معتمدين على طبعته للقرآن(٤٩) . يقول الدكتور عادل الألوسى فى شأنهم :

قام جورج سيل فى حوالى السنوات (١٦٩٦ - ١٧٣٦م) بعمل أول ترجمة دقيقة للقرآن الكريم . وهو بالإضافة إلى دقته فى الترجمة ، فقد كتب مقدمة جيدة ومنصفة له ، تناول فيها تعريف الإسلام والإيمان الراسخ والأخلاق السامية لنبى الإسلام (ﷺ)(٥٠) .

(ب) سرقة كتب المكتبات والنسخ المخطوطة

بعد أن احتلت جيوش الغرب المسيحى فى الحروب الصليبية الأندلس الإسلامية واستولت على قاعدة حضارة العلوم الإسلامية وثقافتها ، دخلت مكتبة الأندلس العظيمة التى ذكر بعض المؤرخين أنها كانت تضم أنذاك ما يقرب من أربعة ملايين كتاب . وقد أرسل الحكام الصليبيون العلماء والباحثين الغربيين إلى هذه المكتبة حتى يستولوا على كل كتاب يرونه مفيدا ، ويبدأون حضارة جديدة ونهضة علمية غربية تقوم على أساس الإفادة من العلم الواسع والمتنوع الموجود فيها ، وإحراق كل ما لم يفهموه . وبعد انتهاء الحروب الصليبية وطرد الصليبيين من "عكا" فى عام ١٢٩١م تمكن المسيحيون من نقل آلاف الكتب العربية المخطوطة إلى بلادهم ووضعوها فى مكتباتها ، وما زالت موجودة حتى الآن(٥١) .

وبعد إحراق بعض مكتبات مدن المسلمين فى الحروب الصليبية ، انتبه بعض المفكرين الغربيين إلى ضياع تلك الثروة وفكروا فى الإفادة من الكتب الباقية المتناثرة فى المدن المختلفة .

وأمر "الفونس" ملك "قشتاله" أحد علماء اللغة العربية الكبار ويدعى "ميشيل سكوت" بأن يتولى مسئولية التعرف على الكتب العلمية القيمة الموجودة فى هذه

المكتبات وترجمتها والإفادة منها ؛ فجمع مجموعة من الرهبان والعلماء المسيحيين وقاموا بترجمة الكتب العربية الموجودة فى هذه المكتبات إلى اللغات الغربية ، وأرسلوا نسخة من تلك الترجمات إلى "صقلية" حيث كان الملك هناك مشغولا باستنساخ الكتب والإفادة منها ، كما أرسلوا نسخة من كل هذه الترجمات أيضا إلى "جامعة باريس" حتى يستفيد منها هناك قسم تعليم اللغتين العربية والعبرية(٥٢) .

إحراق علوم المسلمين وحضارتهم

ليت الكنيسة والصليبيين والغربيين الغزاة لم ينهبوا كل هذه الكتب والمؤلفات القيمة التى كانت موجودة فى مكتبات الحضارة الإسلامية أثناء الحروب الصليبية ، هذه الثروات كلها وكنوز عشرات ومئات التخصصات العلمية التى لم تكن تخص الجنس العربى والأمة الاسلامية فحسب ، بل كانت ثروة علمية وحضارة تاريخ الإنسانية ، ولم يحرقوها بنيران جهل الغربيين الصليبيين وحقدهم .

ومع شديد الأسف فإن الذى أصدر الأمر بإشعال هذا الحريق الكبير هو أحد زعماء الدين المسيحى وهو "الكاردينال خمينس دى سينروس" ؛ فقد أمر بعد اختيار وفصل الكتب العلمية فى تخصص الطب والعلوم الأخرى التى كانت مفهومة لدى العلماء الأوروبيين ويمكنهم الاستفادة منها ، وربما كانت للأسف حوالى ثلاثمائة مجلد فقط وهى التى فهموها ونحوها جانبا ، بجمع بقية الكتب وتراث المسلمين الثقافى فى ميدان عام وإشعال النيران فيها !!(٥٣) .

أساس مكتبة ليدن

أصبح مارس يعقوب جوليوس (١٥٩٦ - ١٦٦٨م) أستاذا للغة العربية فى جامعة مدينة ليدن بعد أن درس الفلسفة واللاهوت المسيحى خلفا لـ "أربينوس" .

وقد وضع مجلس الجامعة أموالا طائلة تحت تصرفه حتى يشترى كتبا مخطوطة من البلدان الإسلامية للجامعة عن طريق سفره إلى الدول الشرقية ؛ فسافر إلى حلب وأنطاكية وغيرها من مدن سوريا وأقام هناك لمدة ثلاث سنوات . وشارك الجنود الأتراك فى حربهم مع إيران ، واشترى مائتين وخمسين كتابا مخطوطا من الدول الإسلامية وهى التى أصبحت أساسا لمكتبة الاستشراق فى ليدن .

ثم تمكن تلميذه "ليفينيوس فارتر" بعد ذلك من شراء ما يقرب من ألف مجلد آخر من الكتب المخطوطة من القسطنطينية وغيرها من البلدان الإسلامية مما أثرى مكتبة ليدن . ومن الكتب التى نشرتها مكتبة ليدن عام ١٦٢٩م "حديث للإمام على" (رضى الله عنه) بالإضافة إلى كتاب "خطبة ابن سينا غير المنقوطة"[٥٤] .

وفى آخر فهارس الكتب المخطوطة فى مكتبة ليدن والذى أعدته مستشرقة تدعى "ألوارد ALLWARD" ، وردت عناوين عشرة آلاف مخطوط فى فهرس مطبوع فى عشرة مجلدات[٥٥] .

والسؤال المهم هنا هو : كيف انتقلت كل هذه الكتب الإسلامية المخطوطة من الدول الإسلامية المختلفة إلى بلد غربى مسيحى ؟

نقل مكتبة الشاه عباس الكبير من أردبيل إلى روسيا

يعتبر "باسيلى فلاديمير بارتولد" (١٨٦٩ - ١٩٣٠م) أعظم مستشرق روسى فى عصره ويعد نقله لمكتبة الشاه عباس الكبير من أردبيل إلى روسيا هو حجر أساس الاستشراق هناك . يقول فى كتابه "الاستشراق فى روسيا وأوروبا" :

إن العلم عند الروس يرجع إلى النجاح الذى لا يمكن إغفال قيمته ، ألا وهو تلك المجموعة من كتب مكتبة أردبيل الفارسية المخطوطة الموجودة حاليا فى "مكتبة لينينجراد العامة" . ويرجع الفضل فى تأسيس مكتبة أردبيل إلى الشاه عباس الكبير فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى ؛ فبعد الاستيلاء على مدينة أردبيل على يد

الجنود الروس فى أوائل عام ١٨٢٨م وقعت المكتبة فى أيدى الروس . وقد اهتم بقيمة المكتبة "سنكوفسكى" وتم نقلها إلى بطرسبورج بناء على توجيهاته[٥٦] .

ويصرح في موضع آخر من الكتاب بقوله :

إن تعداد نسخ المخطوطات الشرقية فى "ليننجراد" على قدر كبير من الأهمية ، ذلك لأنها فى هذا المجال تعد الأولى من نوعها حتى إذا لم تكن فى المرتبة الأولى بين مدن أوروبا .

وبالإضافة إلى "المكتبة العامة" و"المتحف الآسيوى لأكاديمية العلوم والجامعة" يجب القول بأن قسم اللغات الشرقية الذى أنشئ فى عام ١٨٢٣ فى وزارة الخارجية يملك أغنى مجموعة من نسخ المخطوطات الشرقية[٥٧] .

وقد خمن مؤلف هذا الكتاب بعد الاطلاع على هذه الحادثة التاريخية الغريبة أنه من الممكن أن عددا من المصادر والمراجع التى استفاد منها المرحوم العلامة المجلسى وغيره ممن دونوا جوامع أحاديث الشيعة ، وهى ليست الآن بين أيدينا ، هى نفسها الموجودة فى مكتبة ليننجراد . ولهذا السبب يجب على المسئولين عن المكتبات الكبيرة أو المسئولين فى الحوزة السفر إلى هناك لبحث هذا الأمر[٥٨].

سرقة الكتب والوثائق

سافر "يوسف هاليفى"[٥٩] المستشرق الفرنسى فى القرن التاسع عشر الميلادى على أنه يهودى فلسطينى محقق وباحث عن الحقيقة إلى اليمن حتى لا يكون محل شك ، ويكون موضع احترام المسلمين لأنه من أهل الذمة . وأخذ يتجول فى مدن نجران ومأرب وصرواح للعثور على الوثائق التاريخية وجمعها ، وعند عودته حمل معه ٦٨٦ وثيقة تاريخية ونشر نتائج دراساته فى عام ١٨٧٤ فى "مجلة آسيا" التى كانت مجلة المستشرقين[٦٠] .

حرق النسخ المخطوطة

١- تم حرق ما يقرب من مليون كتاب فى يوم واحد فى حريق مدينة غرناطة بالأندلس .

٢- ضاع ما يقرب من ثلاثة ملايين مجلد فى الحروب الصليبية فى مدينة طرابلس عاصمة ليبيا[٦١] .

يقول الدكتور عبد العظيم الديب :

من عجائب الدهر أن أمتنا تشكر سارقى وثائقها وتراثها الثقافى[٦٢] .

ويقول الدكتور "محمد خليفة حسن" الأستاذ بجامعة القاهرة وأستاذ الاستشراق فى جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية فى كتابه ضمن تأكيده على وقوع هذه الجريمة من قبل المستشرقين وينقل عن أحد المراجع قائلا :

أرسل الاستعمار الفرنسى جامعيين تحت ستار الدبلوماسيين والقناصل والسائحين والتجار والمبشرين والمستشرقين إلى الدول الإسلامية حتى يجمعوا الكتب المخطوطة ويشتروها وأحيانا يقومون بسرقتها . وأهم من كُلفوا بهذه المهام وأحرزوا نجاحات كبيرة :

١- بوستل[٦٣] ٢- فانسلب[٦٤] ٣- بتى دى لاكروا[٦٥] ٤- جالان[٦٦] ٥- ثيفه نوت[٦٧] ٦- مابيه[٦٨][٦٩] .

واجتهد الحكام الغربيون أيضا بجمع نسخ الكتب المخطوطة من كتب المسلمين ، وكما يقول الدكتور محمود حمدى زقزوق : لقد فرضت الحكومات الغربية على كل سفينة تتجه إلى الشرق للتجارة أن تحضر معها فى عودتها عددا من الكتب المخطوطة .

وأرسل "فردريك ويلهام الرابع" ملك روسيا "ريتشارد ليبسيوس" فى عام ١٨٤٢م إلى مصر لشراء وإحضار نسخ مخطوطة ، كما أرسل "هنريش بترمان" فى عام

١٨٠٢م إلى البلدان الشرقية ، حتى ينقل أى كمية من النسخ المخطوطة الإسلامية والعربية الشرقية إلى الغرب بقدر استطاعته سواء بالطرق المشروعة أو غير المشروعة .

لذلك انتقل كثير من تراثنا الثقافى والعلمى والدينى والحضارى بهذه الطريقة إلى المكتبات ومراكز البحوث فى الغرب . ولمعرفة حجم هذه الكتب والنسخ الخطية المسروقة ننقل الإفادة التالية :

قدمت المستشرقة "كراتشكوفسكى" التى قامت بتحقيق نسخ خطية نادرة للقرآن الكريم فى مكتبات الغرب ، تقريرا عجيبا لها عندما سمعه "أمين الخولى" فى المؤتمر الدولى الخامس والعشرين للمستشرقين ، قال : إننى أشك فى أن يكون بعض أئمة المسلمين قد اطلعوا على عدد من نسخ القرآن هذه[٧٠] .

إحصاء كتب المسلمين المخطوطة فى مكتبات الغرب[٧١]

على الرغم من أنه لا يوجد بين أيدينا إحصاء كامل لكل التراث الثقافى القديم والكتب الإسلامية والشرقية والعربية والفارسية المخطوطة فى مكتبات دول أوروبا وأمريكا ، وليس معلوما مدى صحة الفهارس التى قام بنشرها حتى الآن بعض المستشرقين لهذه المكتبات ، فإنه يمكن ملاحظة جانب من إحصائياتهم فى التقرير التالى :

١- فرنسا

تضم "المكتبة الوطنية بباريس" التى تأسست عام ١٦٥٤م أكثر من سبعة آلاف كتاب عربى مخطوط . ويضم قسم من هذه المكتبة ٣٢٠ كتابا إسلاميا وعربيا مخطوطا حصل عليها نابليون أثناء غزوه للدول الإسلامية .

٢- ألمانيا

يمكن العثور على مئات المجلدات من الكتب الإسلامية المخطوطة النفيسة فى المكتبات التالية :

مكتبة هارتمان .

مكتبة فيشر .

مكتبة ميونيخ .

المكتبة الوطنية بهامبورج .

مكتبات جامعات : بون وميونيخ وهامبورج ولايبزيج ، وقد استعرض توبنجين (بروكلمان) فى كتابه عام ١٩٠٠م الكتب القيمة الموجودة فى هذه المكتبات . كما ألف "ويليام W.ABLWARDT" كتابا فى هذا الصدد عنوانه "فهرس الكتب العربية المخطوطة فى المكتبة الملكية ببرلين" وهو فى عشرة مجلدات واسمه :

VERZEICHNIC DER ARABISCHEN HANDSCH DER KONGLICHEN BILI-OTHCH ZU BERLIN RIFTEN 10 BANDE 1887 - 990

كما أعد مستشرق ألمانى آخر يدعى "أومير" فى عام ١٨٨٦م فهرسا للكتب العربية المخطوطة ونشره .

٣- إيطاليا

تضم مكتبة الفاتيكان ١٨٤٦ خريطة ووثيقة عربية . هذا بالإضافة إلى أنها تحتفظ بنسخ نادرة أو وحيدة من القرآن الكريم أيضا . ويمكن كذلك مشاهدة نسخ خطية جميلة هناك من كتب الغزالى ، والطب لابن سينا ، ودواوين أشعار البحترى والمتنبى وامرئ القيس . وقد وُضع أول فهرس للمخطوطات الشرقية فى هذه المكتبة ونشر عام ١٦٦٠م . ثم أعد "دى هامر" ومن بعده بصورة أفضل وأكمل "ليفى دلافيدا" فهرسا مفصلا وتم نشره مفصلا .

٤- إسبانيا

تعتبر مكتبة "الإسكوريال" من أهم مخازن حفظ كتب المسلمين المخطوطة فى الغرب ، ذلك لأن كثيرا من كتب الحضارة الأندلسية الإسلامية المخطوطة نقلت إليها . وطبقا لتقارير واضعى الفهارس فإنه يوجد بهذه المكتبة الآن ١٩٠٠ كتابا مخطوطا ، بقى معظمها تذكارا من مكتبات غرناطة الإسلامية . كما تضم مكتبة "مدريد" أيضا عددا آخر من الكتب المخطوطة الإسلامية .

٥- إنجلترا

تضم مكتبة "بودلى" التى تأسست عام ١٦٠٢م نظرا لقدمها التاريخى معظم المخطوطات الإسلامية والعربية فى إنجلترا .

وقد أعد "جون يوردى" (١٧٢٦ - ١٧٩٦م) فهرسا جامعا نسبيا لمخطوطات المكتبات الإنجليزية وقام بالتعريف بألف وأربعمائة كتاب نفيس عربى .

ونظرا لأن كتابه لم يضم كل أسماء النسخ ، فقد طبع "إدوارد بوفرى بوسى" (١٨٠٠ - ١٨٨٢م) المجلد الثانى من الفهرس وعَرَّف فيه بثلاثمائة كتاب عربى نفيس آخر كذلك .

١ - ٥. النسخة الكاملة الوحيدة من كشف الظنون لحاجى خليفة التى ألفها فى عام ١١٦٤ وتضم حواشى لتعريف الأسماء والتواريخ غير موجودة فى النسخة المطبوعة الحالية .

٢- ٥. نسخة نادرة جدا وقيمة من الكتاب اللغوى المعروف "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدى (١٧٥ هـ) .

٦- هولندا

تضم مكتبة ليدن التى أسسها "إربنيوس ERPENIUS" وتولى الإشراف عليها وإدارتها "بريل BRILL" عددا كبيرا من المخطوطات الإسلامية .

يقول نجيب عفيفى فى كتابه حول هذا الموضوع :

أقام المستشرق "ڤرنر" عشر سنوات فى مدينة الآستانة فيما بين سنتى ١٦٤٤ و ١٦٦٥م واشترى مخطوطات إسلامية كثيرة ونقلها إلى هولندا ، وأخذ يسجل أسماءها[٧٢] .

٧- السويد

تضم المكتبة القديمة بجامعة "أبساله" عددا من الكتب المخطوطة الإسلامية . وقد نشر "تورنبرج" فهرسا لها فى عام ١٨٤٩م ، ثم فهرسا آخر لها أكثر تفصيلا فيما بين سنتى ١٩٢٨ و ١٩٣٥م .

نسبة الموضوعات العلمية الإسلامية لعلماء الغرب

ينقل الدكتور محمد خليفة حسن عن الدكتور محمد ياسين عريبى قوله :

إن تاريخ ترجمة الكتب الإسلامية والعربية على يد الغربيين ملىء بمثل هذه الخيانة ، وقد بدأت هذه الخيانة من البابا سلفستر الذى نسب لنفسه موضوعات ترجمها له وكلاؤه ، ثم عرض الراهب قسطنطين الأفريقى والقديس "آنسلم" موضوعات هامة من كتب العرب المترجمة باسمهما فى ساحة العلم . وجاء بعد ذلك "فنتورا" الذى ترجم كتاب المعراج لابن عربى وكتب الغزالى وغيرها وسجل معظم موضوعاتها باسمه .

كما ترجم بعد ذلك "توماس الأكوينى" كتب الشيخ الرئيس ابن سينا وعرض موضوعاتها فى كتبه بدون ذكر اسم المصدر .

وترجم يوحنا الإسبانى قسم المنطق من كتاب "مقاصد الفلاسفة" للغزالى ، وطبع بعد ذلك باسمه . وقد أخذ دونس سكوت ، ووليام أوكام ، وروجر بيكون ، ويوحنا الإسبانى ، وحتى فلاسفة الغرب الكبار من أمثال "ديكارت" و "كانط" بعض أهم

أفكارهم الفلسفية من كتب فلاسفة المسلمين إلا أنهم عرضوها باسمهم ، ولم يوفوا مبدعى تلك الآراء حقهم[٧٣] .

ضرورة جمع النسخ المخطوطة

قامت المملكة العربية السعودية منذ مطلع التسعينيات وحتى الآن بجمع حوالى ستين ألف نسخة من مجموع ثمانين ألف مصدر عربى موجود على الأرجح[٧٤] .

(ج) البحوث العلمية فى كتب المسلمين

عندما استولى الغربيون على مكتبات الأندلس الإسلامية الكبيرة ، ونهبوها ونقلوا الكتب إلى مكتبات الغرب ، وبدأوا حركة ترجمة الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الغربية ، جمع مستشرقون من أمثال بوستل كتب المسلمين ومخطوطاتهم من المدن الإسلامية ونقلوها إلى الغرب ، وكما يقول المستشرق الألمانى يوهان فوك : إن علم الاستشراق عند الغرب هو ثمرة كتب الشرق نفسه[٧٥] .

دوافع الغربيين وراء البحث حول الإسلام

عندما شاهدت الكنائس والدول الأوروبية أن كل تلك الحروب الصليبية العنيفة لم تتمكن من منع تقدم الثقافة الإسلامية وانتشارها على الرغم من نجاحها فى إسقاط الأندلس ، اضطرت إلى اتخاذ قرار بالقيام بالبحث العلمى حول الكتب والمعارف الإسلامية حتى يتوصلوا إلى سبل الدعوة ضد الإسلام عن طريق الكشف عن نقاط الضعف فيه .

يقول "يوهان فوك" :

لقد لاحظت الكنيسة على الرغم من المخططات والجهود الثقافية والحروب فى هذا القرن انتشار الثقافة الإسلامية مجددا فى عدة مواقع جغرافية :

١- التتار الذين أعلنوا عن عدم قبولهم للمسيحية رغم الجهود التى بذلها البابا لولوس غى تنصيرهم ، وقد أعلن الخان قازان السابع فى عام ١٣٠٤ الدين الإسلامى دينا رسميا للمغول .

٢- أعلن الخان الثالث أحمد تيكودار فى فارس أثناء تتويجه اعتناقه للإسلام .

٣- أصبحت آسيا الوسطى وجنوب روسيا بلدانا إسلامية .

٤- مصر التى كانت فى القرن الثالث عشر ميدانا لظهور الآداب العربية المسيحية سقطت فى أيدى المماليك ، وطبق "الملك الناصر" قوانين ضد المسيحية مجددا ، وأعاد ممثلى المسيحيين ومندوبيهم إلى بلادهم وأغلق الكنائس .

٥- مع ظهور الإمبراطورية العثمانية وقوتها فى عام ١٣٥٢ أنزل إعصار الإسلام ضرباته بالدول الأوروبية المسيحية ، ودخل الإسلام إلى البلقان وشواطئ نهر الدانوب ثم مدينة القسطنطينية بعد ذلك ، وعم بعد ذلك وابل أمطار الدين الإسلامى دول ألبانيا والصرب والبوسنة . ولم يعد للكنيسة فى مثل هذه الظروف العالمية مكانا للدعوة للمسيحية سوى إسبانيا[٧٦] .

لذلك قررت الكنيسة القيام بحروب ثقافية بهدف تخريب الثقافة الإسلامية وهدمها ونشر الثقافة المسيحية بدلا من الحروب العسكرية الصليبية . ومن ثم فإنه يمكن تسمية فترة أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر بـ "فترة نهضة الاستشراق التبشيرى"[٧٧] .

٧- طبع ونشر الكتب الإسلامية والمناهضة للإسلام

أول مطبعة للكتب العربية لدى المستشرقين

اضطر المستشرقون حتى ما قبل القرن السادس عشر إلى شراء النسخ الخطية أو استنساخها على يد الشرقيين وذلك للحصول على الكتب الشرقية والإسلامية .

إلا أنه فى الثمانينيات من القرن السادس عشر قام شاب إيطالى يدعى "جيوفانى باتيستا رايموندى" فى روما بصناعة حروف عربية على شكل قطع يمكن صفها بجوار بعضها البعض لأول مرة ، وبناء على ذلك أسس أسقف و"دوق توسكانا" و "فرديناند فون ميديشى" بتشجيع من البابا الأكبر وتأييد من "جريجور الخامس" (١٥٧٢ - ١٥٨٥م) مطبعة لطباعة الكتب العربية ، فتحت أفقا جديدا ومجالا واسعا لاستفادة الغربيين من الكتب العربية . وبطبيعة الحال فقد صنعت حروف عربية بشكل أجمل فى عام ١٥٨٦ . وكان من الظواهر المهمة فى هذا القرن طباعة كتب المسلمين التى بدأت منذ عام ١٥٨٦م . وتولت المطابع التى كانت قد تأسست بأمر من "الكاردينال فرديناند دى مديسى FERDINAND DE MEDICI "طباعة هذه الكتب التى كانت من أهم مؤلفات ابن سينا فى الطب والفلسفة(٧٨) .

ودخلت بعد ذلك هولندا مجال طباعة الكتب العربية ، وقام "فرانشيسكو" (متوفى ١٥٩٧م) بتصنيع حروف عربية جميلة للمطبعة ، وهذا التاريخ يمكن أن يعد حجر الأساس فى صناعة طباعة الكتب العربية التى استمرت لمدة أربعمائة سنة فى ليدن .

كما بدأت صناعة طباعة الكتب العربية فى ألمانيا أيضا فى عام ١٥٧٥م وذلك بجهود الطبيب "بيتركيريستن" (٧٩) .

نبذة تاريخية عن إنشاء أول مطابع غربية لطباعة الكتب الإسلامية

١- إيطاليا

١- ٠١ مطبعة باجانانى (PAGANANI) فى مدينة البندقية (فينيسيا) التى كانت من أوائل المطابع الغربية التى تخدم العمل الاستشراقى ، والتى أقدمت فى عام ١٥١٨م على طباعة القرآن الكريم .

٢- ٠١ مطبعة المعهد اليونانى التى تأسست منذ عام ١٥٧٢ وحتى ١٥٨٧م بأمر من البابا جريجور الثالث عشر بنفس هذا الدافع .

٣- ١٠ مطبعة معهد روما(TIPOGRAPHIA DEL COLLEGIO ROMANO) التى تأسست عام ١٥٦٤م .

٤- ١٠ مطبعة ميدتشى التى تأسست فى روما عام ١٥٨٤م التى تولى إدارتها المستشرق المعروف ريموندى (RIMONDI).

٥ - ١ ٠ مطبعة ساڤارى (SAVARY DE BREVES) وقد تأسست فى روما عام ١٦١٣م .

٦- ١٠ مطبعة الكلية المارونية التى تأسست عام ١٦٢٠م .

٧- ١٠ مطبعة مجمع إيمال التى تأسست عام ١٦٢٦م .

٨- ١٠ مطبوعات ومطبعة أمبروزين(IMPRIMERIE AMBROSIENNE) تأسست عام ١٦٢٣م فى مدينة ميلان .

٩- ١٠ مطبعة سمينار (IMPRIMERIE DU SEMINIRE) فى مدينة پادوس (PADOUS) تأسست عام ١٦٨٧م .

٢- فرنسا

كانت مؤسسة "SAVARY DE BREE" من مؤسسات طباعة الكتب الاستشراقية فى فرنسا ، وقد تأسست عام ١٦١٦م . وتطورت طباعة الكتب العربية فى فرنسا على عهد لويس الثالث عشر .

٣- هولندا

١- ٣٠ تأسست مطبعة خاصة بكتب الاستشراق فى جامعة ليدن عام ١٥٧٥م ، وقد تم طبع عدد من الكتب الإسلامية والعربية المهمة فى هذه المطبعة .

٢- ٣٠ مطبعة "أرينيوس" التى تأسست أيضا لنفس هذا الغرض فى عام ١٦١٣م .

٣- ٠٣. مطبعة "إل زڤير EL ZEVIER" التى تأسست عام ١٦٥٨م وطبعت كثيرا من الكتب المخطوطة العربية القيمة .

٤- ألمانيا

تأسست فى ألمانيا أيضا مطابع عديدة فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، قام كثير منها بطباعة كتب عربية وإسلامية ، مثل مطابع مدن : فرانكفورت وتوبنجن وڤيتنبرج ، وبرام .

٥- إنجلترا

تعتبر مدينتا لندن وأكسفورد أقدم مدن قامت مطابعها بطبع ونشر الكتب الإسلامية والعربية ، والتى كانت أساسا فى تخصصات الأدب العربى والتاريخ والجغرافيا(٨٠) .

أول كتب للمسلمين طبعت فى الغرب

١- طبع القرآن لأول مرة عام ١٤٩٩م فى البندقية بإيطاليا . إلا أنه لم تتبق أى نسخة من هذه الطبعة الآن ، وذلك بسبب أنهم أحرقوا كل نسخه(٨١) .

٢- طبع القرآن الكريم فى البندقية عام ١٥١٨م .

٣- كتاب الجغرافيا "البستان فى عجائب الأرض والبلدان" تأليف الصالحى فى عام ١٥٨٥م .

٤- كتاب "قواعد اللغة العربية" تأليف عثمان بن عمر بن الحاجب فى عام ١٥٩٢م .

٥- كتاب الجغرافيا "نزهة المشتاق باختراق الآفاق" تأليف شريف الإدريسى عام ١٥٩٢م .

٦- كتاب "القانون فى الطب" تأليف ابن سينا فى عام ١٥٩٣م .

٧- كتاب "النجاة" الفلسفى تأليف ابن سينا فى عام ١٥٩٣م .

٨- كتاب "الألفباء العربية" فى ألمانيا عام ١٥٨٢م .

٩- كتاب "تحرير إقليدس" عام ١٥٩٤م .

١٠- كتاب "التصريف" للزنجانى فى عام ١٦١٠م .

١١- كتاب "صناعة النحو" فى باريس عام ١٦١٣م .

١٢- "القاموس المحيط" تأليف الفيروز أبادى فى عام ١٦١٢م .

١٣- كتاب "المختصر فى أخبار البشر" تأليف أبى الفدا فى لندن عام ١٦٥٠م

١٤- ترجمة دقيقة للقرآن مع مقدمة كتبها "جورج سيل" فيما بين سنتى ١٦٩٦م و ١٧٣٦م .

١٥- "تاريخ المسلمين العرب" تأليف سايمون أوكلى فى سنوات ما قبل ١٧٢٠م .

١٦- كتاب "الإفادة والاعتبار" تأليف البغدادى ، فى عام ١٨٠٠م .

١٧- كتاب "زهر الأفكار" تأليف التيقاشى ، فى عام ١٨١٨م .

أهداف طباعة الكتاب الإسلامى

قامت المطابع الغربية بطبع ونشر ثلاث مجموعات من الكتب الإسلامية والعربية لثلاثة أهداف :

١- القرآن وجوامع الحديث وكتب المعارف الإسلامية الخالصة بقصد تعريف رجال الكنيسة والمستشرقين التابعين للدول الاستعمارية بالإسلام الحقيقى وإيجاد سبل التصدى للإسلام بشكل واقعى .

٢- الكتب الإسلامية الضعيفة التى تشتمل على ضعف وأخطاء بهدف تشويه صورة الإسلام عند المسلمين والغربيين .

٣- الكتب الخاصة بفروع العلوم المتعددة كالطب والرياضيات والأدب العربى ، وغير ذلك ، بهدف استفادة الغرب من علوم المسلمين وحضارتهم .

الإغراض فى اختيار الكتب الإسلامية المعيبة للطبع

يقول المستشرق المعروف "ريلاند" بشأن ضرورة الاستشراق للغربيين :

يجب على الإنسان تعلم اللغة العربية حتى يستمع إلى نفس أحاديث محمد بلغتها . وعندئذ يتضح له أن المسلمين لم يكونوا مجانين كما كنا نتصور ، ذلك لأن الله قد وهب كل الناس عقولا . ويبدو أن الدين الإسلامى هذا الذى انتشر فى كل ربوع آسيا وأفريقيا المترامية الأطراف وكذلك أوروبا ، ليس دينا مضطربا أو ضعيفا كما يتصور كثير من المسيحيين . صحيح أن الدين الإسلامى دين سيئ جدا وكثير الضرر بالمسيحيين ، لكن أليس من حق الإنسان أن يقوم بدراسة أهميته وخطره لنفس هذا السبب ، ويكشف عن عمق حيله الشيطانية ؟ لذلك من الجدير أن يقوم الإنسان بمعرفة حقيقة الاسلام حتى يمكنه الإرشاد بقوة أكبر لتوفير الأمن للمجتمع المسيحى فى مواجهة تقدم الإسلام"[٨٢] .

ومن ضمن هذه الكتب المخطوطة العربية والإسلامية المفيدة التى طبعها الغرب والاستشراق لإطلاع الغرب عليها وأحيانا للاستفادة العامة منها ؛ تلك المجموعة من الكتب التى تضم نقاط ضعف ونقاطا سلبية ، فقد اختاروها وطبعوها ونشروها من بين المخطوطات .

ولم يكن طبع كثير من "كتب اختلاف قراءات القرآن المخطوطة" فى أول مرحلة من تنفيذ مشروع طباعة الكتب الإسلامية فى الغرب ونشرها بلا هدف ؛ فقد كان المقصود من ذلك تشكيك المسلمين فى القراءة الفعلية للقرآن المجيد وأصالتها ووحيه ، مما يؤدى فى النهاية إلى إضعاف إيمان المسلمين .

لقد كانت الحضارة الإسلامية العظيمة فى الأندلس التى أدهشت بازدهارها ورقيها العلمى الغرب فى تلك القرون ، مؤلمة دائما للغربيين كورقة رابحة فى يد المسلمين ، خاصة أن دخول الإسلام إلى بلاد الأندلس كان من أجمل المناهج وأكثرها هدوءا وإنسانية ، ذلك لأن المحبين للثقافة هناك قبلوا الدين الإسلامى فى القرن الثالث بدون حروب أو ضغط عسكرى .

واستطاع استشراق الغرب فى بحوثه ودراساته حول كتب المسلمين المخطوطة ، ولكى يشوه هذه الميزة والورقة الرابحة ، الحصول على كتاب فى "تاريخ دخول الإسلام إلى الأندلس" لم يتحدث مؤلفه فيه من أوله إلى أخره سوى عن "العنف" و "القتل" و "صراع الخلفاء العباسيين والأمويين" و "هجمات قوادهم الواحد على الآخر" و"خطة تسميم أحد القادة المسلمين فى الأندلس على يد القائد اللاحق له" وأمثال ذلك .

حتى أن هذا الكاتب يَعْتَبر الدافع الأصلى وراء حركة "طارق بن زياد" قائد الجيش وفاتح الأندلس هو عبارة عن تحريض من امرأة تدعى "سارا" ابنة "غيطشة" آخر ملوك القوط بالأندلس ، وهى التى قدمت شكواها إلى خليفة المسلمين "هشام بن عبد الملك" بسبب استيلاء عمها على أراضيها التى ورثتها . وقد زوجها هشام على الفور لـ "عيسى بن مزاحم" ، وعلى أثر ذلك هجم قائدان مسلمان مع جيشين منفصلين على الأندلس هما "طارق بن زياد" و"موسى بن نصير" ، وأعادا الأرض المغتصبة إلى هذه الفتاة ، واستمرت بعد ذلك حركة طارق (أى الفتح الإسلامى للأندلس) بهذا الشكل وبهذه الطريقة[٨٢] .

هذا الكتاب الذى يعد من وجهة نظرى المتواضعة هداما جدا ، ومشوها لصورة الفتح الإسلامى المقدسة للأندلس حيث كان دخول الإسلام هناك ثقافيا ، توجد منه أربع نسخ خطية محفوظة فى مكتبات العالم ، ثلاث منها فى مكتبات باريس وليدن بهولندا وميونيخ بألمانيا ، وتوجد النسخة الرابعة فى القاهرة !!

وقد قام المستشرقون الغربيون بقيادة المستشرق "ريفيرا"[٨٤] فى أول مراحل طبع الكتب الإسلامية عام ١٨٦٨م بطباعته ونشره فى مدريد فى عام ١٨٨٩م . كما طبع أيضا تحت رعاية المستشرق "هوداس" فى باريس !! وفى عام ١٩٢٦م ترجم إلى الإسبانية وطبع !! ثم قامت مطبعة "التوفيق" فى مصر بإعادة طبعه[٨٥] .

والآن نطرح هذا التساؤل : ما هو دافع المستشرقين الأوروبيين وهدفهم من وراء طبع هذا الكتاب وتحمل تلك النفقات والمشقة ؟ وهنا نترك الحكم للقارئ . لكننى لا أدرى لماذا قامت مؤسسة الأبحاث الإسلامية بالأعتاب الرضوية المقدسة[٨٦] بترجمة هذا الكتاب وطباعته ؟ .

نشر المستشرقين لكتب السيرة والتاريخ[٨٧]

من خطط العمل المهمة للإستشراق التبشيرى والاستعمارى دراسة سيرة النبى الأكرم (ﷺ) وتاريخ صدر الإسلام حتى يبرزوا نقاط الضعف أولا ، ويشككوا فى أمجاد التاريخ الإسلامى الثابتة والمؤكدة ثانيا . ولهذا الغرض قاموا بتحقيق ودراسة ونقد كتب كثيرة وطبعوها . منها على سبيل المثال :

١- ترجم فايل ووستنلفه كتاب سيرة ابن إسحاق فى عام ١٨٥٨ و ١٨٦٠ إلى اللغة الإنجليزية وطبعاه مع النص العربى .

٢- طبعت سيرة ابن هشام أيضا على يد المستشرقين .

٣- ألف اسپرنجر SPRENGER أيضا كتابا فى عام ١٨٦٥م بعنوان : حياة محمد وتعاليمه DAS LEBAN AND LEHRE MOHAMAD . ويعد هذا الكتاب أول كتاب منظم ومدون من قبل المستشرقين حول حياة سيدنا محمد وما زال حتى الآن موضع استفادة .

٤- طبع كتاب "حياة محمد" بالإنجليزية لمؤلفه جوليوم فى لاهور عام ١٩٥٥م .

٥- كتاب : "محمد فى التاريخ" MOHAMMAD IN HISTORY .

٦ - كتاب : محمد الإنسان وعقيدته MOHAMMAD THE MAN AND HIS FAITH لمؤلفه تورانديه "TORANDEA" الذى طبع فى لندن عام ١٩٥٦م .

٧- كتاب "نظرة الغرب إلى الإسلام فى العصور الوسطى" (WESTERN VIEWS OF ISLAM IN THE MIDDLE AGES) تأليف ساذرن R.W. SOUTHERN طبعة هارڤارد عام ١٩٦٢م .

ويقول الدكتور محمد قطب :

إن السر وراء اهتمام المستشرقين اهتماما خاصا بطرح قضية التصوف والفرق الصوفية والباطنية بين المسلمين ، وقد برع فى هذا الموضوع متخصصون من أمثال "نيكلسون" و"أوليرى" ، إنما هو التعريف بحركات المسلمين المتطرفة باسم الإسلام ، مثل الباطنية والخوارج والقاديانية والبابية والبهائية وتاريخهم وتراثهم العلمى والأدبى .

ولكن المستشرقين ليس لديهم دراسة وعرض واقعى بهذا الشكل بالنسبة للحركات الإسلامية الخالصة حتى يكتبوها ويعرضوها بشكل واقعى ، بل قاموا دائما بتحريفها وتشويهها[٨٨] .

دوافع المستشرقين وراء نشر كتب القراءات

يقول الدكتور "إسماعيل سالم عبد العال" :

إن دافع المستشرقين من وراء طباعة ونشر كتب اختلاف القراءات إنما هو إشعال نيران الفتنة التى أخمدها عثمان ، عندما اتفق المسلمون على نسخة واحدة .

وعلى هذا الأساس قام المستشرق الإنجليزى "آرثر جفرى" بإحياء وتحقيق ونشر كتاب "المصاحف" تأليف أبى بكر عبد الله بن أبى داود لأول مرة .

وكتب "جفرى" مقدمة تغص بالكذب والاتهامات أيضا على كتاب "المصاحف" . ولم يقف عند هذا الحد ، بل إنه ضم فى نهايته كتاب "القرآن ، نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره" تأليف "رجى بلاشر" . وكتاب "بلاشر" مملوء أيضا بالمكر والخداع والتفاهات والباطل(٨٩) .

دوافع المستشرقين وراء نشر كتب التصوف والفرق الإسلامية

يقول الدكتور محمد سيد الجليند الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة :

لا شك أن أحد العوامل التى دفعت المستشرقين إلى تحقيق كتب التصوف والفرق الإسلامية الصغيرة ، هو العثور على وجهات نظر شاذة واختلافات تاريخية قديمة ووجهات نظر مليئة بالغلو وغير معقولة للفرق الإسلامية ونشرها على مستوى المجتمعات الإسلامية حتى يشغلوا المسلمين بمواصلة نفس هذه الخلافات والنقد والبحث فيها[٩٠] .

وقد أعلن المستشرق الفرنسى "هانونو" رسميا :

إن لدى المسلمين فى شتى بقاع الدنيا من الشرق وحتى الغرب رابطة مشتركة وأخوة دينية ، بحيث يخفق قلب المسلم الشرقى من أجل المسلم فى فرنسا ويحن إليه . وقد ساعدت هذه الرابطة على خلق "أمة واحدة" . ومن ثم فمن الضرورى أن نقوم بقطع هذه الرابطة بكل وسيلة من الوسائل حتى يتمكن الغرب من تحقيق أهدافه فى بلدان المشرق[٩١] .

وأرى من وجهة نظرى أن هناك هدفا آخر كذلك ألا وهو أن المستشرقين باستعراضهم وتضخيمهم لوجهات النظر المتطرفة وغير المعقولة لبعض العلماء أو الفرق الإسلامية من الصوفية وغيرهم ، ونشرها بين المجتمعات غير المسلمة ؛ إنما يسعون إلى تقبيح وتشويه صورة العقيدة والمعارف الإسلامية ، حتى يُعَرِّفوا نقاط

الضعف تلك على أنها "خصائص عقيدة الدين الإسلامي" ، وبهذه الطريقة ينفرون الغربيين من الإسلام .

وفي عام ١٩٦٢م طبع في ألمانيا ووزع كتاب ضخم بعنوان "عقائد الإسلام" من تأليف المستشرق الألماني "هرمان استيجلر" ، وجاء في نهاية هذا الكتاب :

إن من واجبنا العثور على وجهات نظر جديدة بالنسبة لمعتقداتنا المسيحية حتى يتوفر لدينا فهم عميق بالنسبة لتعاليم الإسلام ، ونتمكن من التعرف على المسلم المتدين بطريقة صحيحة ؛ ولتحقيق هذا الهدف نتجنب نقاط الضعف التي ما زلنا نستخدمها كدليل ضد الإسلام ، حتى يمكننا بناء سد دفاعي جديد للدفاع عن العقيدة المسيحية ، دفاع يمكن أن يكون إجابة على الروح الإسلامية الفتية والراشدة والتطور الفكري للمسلمين[٩٢] .

وقد اعترف الغربيون بأن إشكالياتهم الكثيرة قبل ذلك كانت قائمة على أساس الخزعبلات والخرافات الشائعة بين المسلمين ، لا على الإسلام نفسه .

دوافع بحوث المستشرقين الإسلامية ونشر بحوث جديدة حول الإسلام

عندما رأى "ك . كراج K.CARAGG رئيس تحرير مجلة "العالم الإسلامي" بأن إيمان المسلمين بالمعارف الإسلامية هو الذي يحول دون سيطرة الغرب ، أعلن عن قاعدتين للغربيين من أجل تمهيد الطريق لسيطرة الغرب على الشرق وعلى المسلمين على النحو التالي :

"إن على الإسلام إما أن يعتمد تغييرا جذريا فيه أو أن يتخلى عن مسايرة الحياة"[٩٣] .

وللأسف فقد تم تنفيذ هذا المخطط بمرور الوقت ، ولم يكن ذلك على يد المستشرقين وعلماء الإسلام الغربيين والمسيحيين واليهود فحسب ، بل على يد بعض

المسلمين المستنيرين عديمى الهوية وأقلامهم وألسنتهم ، وهم الذين نفذوا مقاصد الاستشراق الشريرة باسم الإسلام .

وفى عام ١٩٨١م طُبع كتاب فى ألمانيا بواسطة مسلم عربى وأستاذ بالجامعات الألمانية باسم "أزمة الإسلام الحديث" أى عناصر الإسلام الجديد . والعنصر الممتاز للإسلام الجديد الذى عرفه هذا الكاتب المتظاهر بالإسلام هو ترك الأحكام التكليفية للإسلام وتقديم الإسلام على أنه مجرد "دين أخلاقى" !!

تحذير الإمام الخمينى (رحمه الله) من تحريف المستشرقين للإسلام

يكشف الإمام الخمينى (رحمه الله) ثلاثة جوانب من مؤامرات الاستعمار ومستشرقيه للسيطرة على الدول الإسلامية ؛ فيقول :

وبعد الدراسات النفسية التى قاموا بها، وهل بالإمكان الحصول على هذه الكنوز العظيمة الموجودة فى هذه البلدان ، وماذا يفعلون لكى يحصلوا عليها بسهولة ودون معارضة أو صدام ؛ قاموا بأبحاث كثيرة فى هذا الصدد ، وتوصلوا إلى هذه النتيجة ؛ فقد رأوا شيئين فى البلدان الإسلامية إذا بقيا فمن الممكن أن يكونا عائقا فى طريقهم وهما : أصل الإسلام ؛ فإذا كان الإسلام على هذا النحو وبهذه الصورة التى أسسه الله تبارك وتعالى عليها ، وطُبق الإسلام بتلك الصورة : فإن الفاتحة ستقرأ على المستعمرين . هذا ما فكروا فيه بالنسبة للإسلام .

أما الشىء الثانى فهو روحانية الإسلام ، فإذا توفرت لدى المسلمين هذه القوة ، والأمر يتطلب أن يكونوا أقوياء فى هذه البلاد ؛ فإن المستعمرين لا يمكنهم الاستفادة بالكيفية التى يرغبون فيها . إنهم يتعاملون مع الأمة كلها ، وإذا كان هناك من يمتلك القوة بين الأمة ، فإنهم يكونون هم الذين يمكن أن تكون لديهم القوة من بين كل الأمة . ومن ثم تصدوا لتحطيم هذين المانعين بأى شكل من الأشكال ، أى أنهم يقومون بأى عمل يجعل الشعوب نفسها ، أى شعوب كانت ، وحيثما كانت ، تحطم هذين المانعين بأيديها .

فبدأوا بالتبشير منذ زمن بعيد ، ومع تبشيرهم هذا فإن هذين المانعين سيشكلان خطورة إذا واجه الاستعمار والمصالح الاستعمارية أى خطر ، أما ما عدا ذلك فلا خطورة منه بهذه الكيفية . ولا شك أن هناك سببا آخر أقدمه ، ألا وهو التوجه الذى كان موجودا بسبب ثقافة المجتمعات ؛ لقد شاهدوا هذه المجتمعات وبحثوا فيما إذا كانت ثقافتها ثقافة مستقلة صحيحة ، فسوف تظهر من داخلها جماعات سياسية مستقلة وأمينة ، وسوف يكون هذا أيضا مضرا بالنسبة لهم .

وبناء على ذلك ، فقد رأوا فى الإسلام والروحانية شيئين يقفان عقبة أمامهما : أولهما أصل الاسلام والثانى روحانية الإسلام ، ومن ناحية أخرى فإنه إذا كان من المحتمل أن تكون هذه الثقافة ثقافة مستقلة ، فلابد من تنميتها بينهم ، فإذا تربى عليها شباب ورجال ، فلا شك أن مقدرات البلاد ستكون فى أيديهم ، وسوف يكون هذا مانعا فى سبيل تحقيق آمالهم لأن هذه الآمال تكون تحت الأرض . كما أنها تكون فوق الأرض ، ولكن أهمها هى التى يحتفظون بها تحت الأرض . ومن ثم تصدوا للقضاء على هذه الجوانب الثلاثة وتحطيم هذه الموانع الثلاثة .

أما عن الإسلام فقد بدأوا بالدعوة بأن الإسلام مدرسة تقول : إنه معتدل !! ولابد من أن يتقدموا بالتدريج ، فيقولوا إنه مدرسة تختص بالدعاء والذكر والصلة مع الخالق ، ولا شأن له بالسياسة . الإسلام لا شأن له بالحكومة ولا بالسياسة . وكم اهتموا بهذه الدعوة حتى أنهم نشروها بين رجال الدين أنفسهم وأوجدوا عندهم نفس هذا الرأى ، وهو : ما شأن رجل الدين بالسياسة . إن رجل الدين يذهب للمسجد ويصلى ، ويلقى الدروس ويناقش ويرشد الناس إلى التكاليف الشرعية .

لقد رأوا أن صلاة رجال الدين وصلاة الإسلام لن تضرهم فى شىء ، وليصلى كل من أراد الصلاة ، إنهم لا شأن لهم بالنفط ، فليصلوا كيفما شاءوا حتى يتعبوا . وليلقوا الدروس كما يحلو لهم ، وليتناقشوا كما يريدون ؛ وماداموا لا يهتمون بتنفيذ السياسة الاستعمارية هنا ، فليفعلوا ما يشاءون . وكم قرأوا هذا الكلام على الناس ، وكم دعوا إليه : حتى أن الناس تعودوا جميعا على هذا المعنى تقريبا ، وما زال هذا

الحديث سائدا حتى الآن ، وهو أن التدخل فى السياسة ليس من شأن الدين ، ليس من شأن رجال الدين أن يتحركوا ويروا كيف تكون الحكومة ، وماذا يفعل هؤلاء الظلمة مع الشعب . إن واجب رجال الدين هو أن يكونوا داخل المدارس ويصلون صلاة الجماعة فى أول الظهر وفى أول المغرب ! ولا يجب أن يتوقع الشعب أيضا منهم أكثر من هذا . كانوا يقولون إن أصل الإسلام لا شأن له بالسياسة .. السياسة منفصلة عن الدين . السياسة مِلْك لهم والدين مِلْك لنا !! إن مراكز القوى بيدها أن تفعل ما تريد ، أما المساجد والمسنين الموجودين بها هم مِلْك لنا أيضا !! هذا هو التقسيم الذى وضعوه من البداية . الدين أفيون الشعوب!![٩٤] .

أما الذين كانت جرأتهم أكثر إلى حد ما ، فقد قالوا : إنه "رجعية" !! إن مبدأ الدين الذى جاء للبشر هو من أجل خداع الناس ... لقد ظهر الدين منذ البداية على يد أصحاب النفوذ وأصحاب رؤوس الأموال ، وذلك لتهدئة الناس واستقرارهم ، وحتى ينهبوا أموالهم . وقد أصبح هذا الأمر عقيدة حتى عند المسلمين أنفسهم وعند بعض رجال الدين والمعممين أيضا ، وأن هذا الدين شىء لا يمكن تطبيقه الآن . إنه شىء يرجع إلى ألف وعدة مئات من السنين الماضية !! وبهذه الكيفية عرّفوا الإسلام داخل مجتمعات المسلمين وبدأوا برجال الدين والدعوة بأنهم أناس يجلسون هناك فقط ويريدون الاستيلاء على أموال الشعب حتى يعيشوا .

وهكذا ، عرّفوا الإسلام على أنه أولا ليس أكثر من صلاة تؤدى أو صيام يصام وأمثال ذلك ، وأنه لا شأن له بحياة الناس ، ولا شأن له بعالم الناس ، وعرفوا رجال الدين بأن القوى المسيطرة والحاكمة قد كلفتهم بالعمل لكى يكونوا أفيونا للمجتمع ؛ فهم يخدعون الناس ، ويضعفونهم ، وإذا أخذوا أموال الشعب فلن يستطيعوا الكلام[٩٥] .

وقد قال الإمام الخمينى (رحمه الله) فى رسالة له إلى المؤتمر السادس لاتحاد الجمعيات الإسلامية لطلبة أقسام اللغة الفارسية فى أوروبا فى عام ١٣٤٩ش (١٩٧٠م) :

لقد حجب خبراء الاستعمار بالتزوير والحيلة باسم الإسلام والصداقة والاستشراق وجه الإسلام المضيء بحجاب كثيف ، وقدموا الإسلام على أنه أبنية ورسوم ، وقصور منيفة ، وفنون جميلة ، وسلموا مجتمعاتنا لحكومات ظالمة مناهضة للإسلام أموية وعباسية وعثمانية تحت مسمى الخلافة الإسلامية ، وأخفوا حقيقة الإسلام الواقعى خلف هذه الحجب ، بحيث إنه أصبح من الصعب علينا توضيح معنى الحكومة الإسلامية والمؤسسات الأساسية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فيها للمجتمعات الإنسانية وحتى للمسلمين[٩٦] .

٨- استشراق الدول الغربية الاستعمارى للهيمنة على الشرق منذ القرن السابع عشر الميلادى

هو عصر استعانة الاستشراق التبشيرى بـ "محاكم تفتيش العقائد" والنفى لإنهاء وجود الإسلام فى إسبانيا ، فإن الكنيسة والقساوسة المستشرقين الذين لم يجدوا خلال القرن الرابع عشر أى مجال للدعوة المسيحية سوى إسبانيا ، وواجهوا مقاومة مسلمى إسبانيا أيضا من ناحية أخرى ، جعل الأسقف "كسيمانيس" والقس "تالافيرا" يتخذان قرارا آخر ، ويخيروا مسلمى إسبانيا بين طريقين :

١- إما التعميد وقبول الديانة المسيحية ٢- وإما الهجرة إلى دول أخرى .

وعلى أثر هذا القرار الحكومى ، هاجر عدد من مسلمى إسبانيا إلى دول أخرى ، وغالبا ما كانت هجرتهم إلى المغرب ، وقبل بقية المسلمين الدين المسيحى فى الظاهر إعمالا لمبدأ "التقية" ومبدأ "المعيار هو النية" وتجويز القرآن القائم على "جواز إظهار الكفر وإخفاء الإسلام فى الظروف الاضطرارية" ، وقاموا بالتعبد فى الكنائس وتزويج أبنائهم من بنات مسيحيات ، بل وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير كذلك .

وقد لاحظت الكنيسة على مدى قرن هذه الازدواجية وعدم الإيمان القلبى بالمسيحية عند الناس ، ولم تكتف بهذا التسليم الظاهرى ، فأسست محاكم تفتيش العقائد وقامت بمحاكمة الناس ، إلا أن هذا المشروع لم يفلح أيضا ، وقويت شوكة

المسلمين فى إسبانيا مرة ثانية فى القرن السادس عشر الميلادى مع ظهور الإمبراطورية العثمانية وسطوتها من جديد . لذلك اضطرت الكنيسة رسميا فى عام ١٦٠٩م إلى إصدار أمر بإخراج المسلمين كافة من إسبانيا . ونتيجة لهذا الأمر هاجر معظم مسلمى إسبانيا إلى شمال أفريقيا ، واستطاعوا بهذه الطريقة الإعلان عن نهاية وجود الإسلام فى شبه الجزيرة الإسبانية(٩٧) .

كان الغرب حتى القرن السادس عشر الميلادى بصدد الوقوف على قدميه لكى يتمكن من إنقاذ نفسه من الضياع فى مواجهة قوة إمبراطورية الخلافة الإسلامية (سواء فى العصر العباسى أو الخلافة العثمانية) . إلا أنه بموت السلطان محمد الفاتح عام ١٤٨١م والأفول التدريجى لخلافة السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانونى وعدم القدرة على إدارة كل هذه البلدان الإسلامية المترامية الأطراف التابعة للإمبراطورية العثمانية ، بدأت جهود الغرب من أجل تقويض أركان منافسه وتجزئة الدولة العثمانية الكبرى واستعمار كل دولة من دول الشرق والإسلام على يد دولة غربية .

ومنذ القرن السابع عشر كان معظم الباحثين الغربيين الذين قدموا إلى البلدان الشرقية والإسلامية جواسيس للاستعمار الإنجليزى والفرنسى والدول الأوروبية والأمريكية الأخرى ، من أمثال : لورانس الجاسوس الإنجليزى وصاحب مخطط تقسيم الإمبراطورية العثمانية فى الحرب العالمية الأولى ، وأرمينيوس ڤامبرى الجاسوس المرسل إلى إيران وآسيا الوسطى ، وأسنوك هر خروينه الجاسوس الهولندى المرسل إلى الحج ، وإنجلز الجاسوس الأمريكى وأول مستشرق أمريكى فى مصر ، والسائحون الإنجليز فى الهند لاستعمارها ، وكذلك كافة الخبراء المبعوثين من قبل الدول الغربية إلى سفاراتهم فى كل البلدان الشرقية[٩٨] .

القرن السابع عشر بداية دخول الاستعمار إلى الشرق مع دخول هولندا وبريطانيا إلي الهند

فى الحادى والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٠٠م ومع تأسيس الشركة الهولندية فى الهند خطا الاستعمار الغربى فى الشرق أولى خطواته . وفى عام ١٦٨٩م ومع دمج هذه الشركة مع شركة أخرى ، قويت شوكتها وتصدت لتصريف شئون الهند وتنحية حكومة المسلمين المغول والتيموريين عن الحكم . وبعد حرب عام ١٨٣٠م أى فى عام ١٨٥٧م نقلت حكومة بريطانيا نفوذ شركة الهند الشرقية رسميا إليها ، وأُعلن عن السلطة السياسية المطلقة للإنجليز على الهند .

وفى نفس ذلك العام ، احتلت فرنسا الجزائر والصحراء الكبرى أيضا ، واحتفظت بها لمدة سبعين عاما تحت سيطرتها وهيمنتها الاستعمارية ؛ كما احْتُلَّت السودان لمدة عشرين عاما . واحتلت إنجلترا وفرنسا أندونيسيا (جزر الهند الشرقية) . واستمرت عملية استعمار الدول الشرقية والإسلامية من قبل الدول الغربية حتى القرن العشرين ، بحيث سيطر الغرب فى أواخر القرن التاسع عشر على معظم البلدان الإسلامية وشرق آسيا وأفريقيا(٩٩) .

دخول البرتغال وفرنسا إلى مرحلة جديدة

كانت البرتغال هى البادئة لمرحلة جديدة للاستشراق الاستعمارى فى القرون الأخيرة ، فقد أرسلت إلى بلدان الشرق فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى باحثيها للاستشراق والعثور على مجالات استعمار الدول الشرقية .

ثم تلتها إنجلترا فى عملية الاستشراق الاستعمارى وأحرزت قصب السبق من البرتغال وتقدمت حتى وصلت إلى الهند . وفى هذه الأثناء كانت فرنسا قد دخلت أيضا مجال الاستشراق الاستعمارى وتطلعت أيضا بالصدفة إلى الهند . ومن هنا بدأ الصراع بين القوتين الاستعماريتين على الهند ، واشتعلت الحرب من جديد بين الاستعماريين فى الدولة المضيفة أى الهند بين عامى ١٧٤٤ و ١٧٤٨ وأيضا بين عامى ١٧٥٦ و ١٧٦٣م ، وانتهت بغلبة الإنجليز واستقرار شركة الهند الشرقية . ولكن

عندما كانت زمام الأمور فى يد فرنسا أيام نابليون المحارب الفرنسى المكتسح ، فقد أغلقت طريق الهند أمام الإنجليز باحتلالها لمصر(١٠٠) .

إقتراح ڤولنى لنابليون بهدم الأمة الإسلامية وتقويضها

تحدث "ڤولنى" المستشرق والرحالة والكاتب الغربى الكبير الذى كان يسعى خلال رحلاته إلى الدول الإسلامية للوصول إلى طرق واقعية لهيمنة الغرب على الشرق ، فى مؤلفاته عن موضوعات جعلها نابليون ميثاقا وبرنامجا لأعماله . وينقل نابليون فيما يلى وثيقة النضال والحرب التى تعلمها من "ڤولنى" للسيطرة على الشرق على النحو التالى :

إن مشروع فرنسا للاستيلاء على الشرق يواجهه ثلاث عقبات :

١- الإنجليز بوصفهم منافسين .

٢- الحكومة الإمبراطورية القوية والباب العالى العثمانى .

٣- الأمة الإسلامية ، وتعد محاربة هذه العقبة الثالثة أصعب هذه الحروب(١٠١) .

وقد اهتمت الدول الغربية الاستعمارية بمعرفة طرق وأساليب بث الفرقة بين المسلمين والشرقيين عن طريق خبرائها ومستشرقيها ، حيث رأوا أن "اتحاد المسلمين" يشكل خطرا كبيرا أمام وجودهم الاستعمارى ، واعتقدوا أنهم بمثابة إدارة للمجتمع البشرى وأنهم أصحاب الحق فى الحياة فى هذا العالم ، وكانوا يعبرون عن هذه النظرة غير الإنسانية فى أقوالهم ، حيث يعلن ذلك "هاملتون جيب" (١٨٩٥ - ١٩٧١) المستشرق الإنجليزى وعضو مجمع اللغة العربية فى مصر بقوله : "اتحاد المسلمين بمثابة اللعنة على العالم"(١٠٢) .

الصلة بين تنامى الاستشراق وتنامى الاستعمار

من أهم الأدلة على دور "الدافع السياسى" فى بحوث الاستشراق والصلة والعلاقة الوثيقة بينهما ، هو تزامن نموهما معا . يقول إدوارد سعيد :

إن فترة النمو السريع فى مؤسسات الاستشراق وأعمالها تتطابق وتتزامن مع فترة اتساع المساحة الجغرافية للنفوذ الأوروبى . ففى خلال السنوات من ١٨١٥ وحتى ١٩١٤م ازدادت رقعة ذلك الجزء من الكرة الأرضية الذى كان يخضع مباشرة للنفوذ الاستعمارى الأوروبى من ٣٥ ٪ إلى ٨٥ ٪ .

وقد تأثرت كل القارات بهذا التدخل الاستعمارى بشكل أو بآخر ، وخاصة قارتا أفريقيا وآسيا اللتان خضعتا لأعظم إمبراطوريتين استعماريتين فى ذلك الوقت وهما إنجلترا وفرنسا ...[(١٠٣)] .

القرن التاسع عشر وظهور الاستعمار المقتدر وتزامن ذلك مع تزايد جهود الاستشراق

شهد التاريخ فى القرن التاسع عشر تحولات سياسية كبيرة فى الصلات بين الشرق والغرب ، حيث دخلت دول شرقية متعددة رسميا تحت سيطرة واستعمار دول مستعمرة غربية وخضعت لوصايتها . وقد ازداد فى هذه الفترة على وجه الدقة إرسال الباحثين الغربيين إلى الدول الشرقية المستعمرة بهدف الاستشراق والدراسات الإسلامية ، وحصل خبراء قسم الاستشراق بوزارة الخارجية فى هذه الدول على مكان رسمى لهم ، وتزايدت مؤسسات الاستشراق ومراكزه فى الجامعات الغربية ، وتنامت العلاقة بين مستشرقى الجامعات وبين وزارة الخارجية ووزراء الحرب أكثر من ذى قبل فى هذه الدول .

وقد اعتبرت الدراسات الإسلامية والاستشراق الذى يهدف إلى الكشف عن معتقدات المسلمين والشرقيين وأفكارهم ويحقق أطماع الغربيين فى الشرق على درجة كبيرة من الأهمية ، مما دعا لويس التاسع للقول :

إن السيف لم ينفع مع هؤلاء المسلمين ، بل يجب أن نفتش عن السبب الذى يجعلهم دائما ينتصرون[١٠٤] .

الاستشراق علم السياسة الطبيعية (جيوبولوتيك)

إن الأشخاص الذين يبرئون الاستشراق بطريقة أو بأخرى ، ولا يعتبرونه مؤامرة استعمارية شريرة ، اعترفوا بالدافع السياسى الكامن وراء الاستشراق .

يقول إدوارد سعيد المسيحى والأستاذ بجامعة كولومبيا بنيويورك :

إن الاستشراق ليس موضوعا أو تخصصا سياسيا صرفا ... كما أنه لا يمكننا القول بأن الاستشراق يمثل نوعا من المؤامرة الاستعمارية الغربية الشريرة من أجل قمع وإهانة العالم الشرقى ، بل هو نوع من نشر وتوزيع المعرفة الجغرافية السياسية بين نصوص علم الجمال البحثى ، والنصوص الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية واللغوية .

إلا أنه يقول قبل ذلك بعدة سطور :

وأعتقد أن علاقة الأوروبيين ومن بعد ذلك الأمريكيين بالشرق لها "أدلة سياسية" . لكن هذه الثقافة هى التى أوجدت تلك العلاقة[١٠٥] .

ويقول :

إن "الإمبريالية السياسية" هى التى تحكم بشكل تام كل هذه الأقسام البحثية والتصورات الخاصة والمراكز البحثية الملحقة بها ، بحيث إنه لا يمكن تجنبها من الناحية الفكرية والتاريخية أساسا[١٠٦] .

ويقول عن لغة الغربيين والمستشرقين :

لم يكن يُسمح لبلدان المشرق أن تسير فى طريقها أو أن يخرج التحكم فيها من بين أيدينا[١٠٧] .

وقد اختلطت الأهداف الاستعمارية بالأنشطة العلمية والبحثية للاستشراق والمستشرقين فى الغرب إلى حد كبير مما جعل إدوارد سعيد يقول بعد ملاحظة ومشاهدة الأنشطة والفعاليات الاستشراقية فى الغرب :

يقوم استدلالى على أساس أن واقع الاستشراق كما أنه "ضد الإنسانية" فإنه أيضا "دائم وثابت"[١٠٨] .

كتب رحلات المستشرقين فى خدمة حملة نابليون العسكرية

اصطحب "نابليون" عشرات العلماء المستشرقين معه أثناء حملته على مصر واحتلالها على متن السفينة "THE ORIENT". ونادوا بشعار "حماية المماليك" و "دعاة المساواة فى الحقوق والأجور بينهم وبين العرب" حتى يضموهم إليهم فى حربهم مع المسلمين . ومن أكثر الأسباب التى أدت إلى نجاح هذا الغزو كذلك استفادة نابليون من الباحثين والعلماء فى ترتيب اتصالاته مع أهل البلاد .

واللافت للنظر أن "الجمعية المصرية للاستشراق" تأسست بأمر من نابليون فى تلك الظروف . وكان نابليون يحمل معه فى سفره هذا كتاب رحلات بعنوان "رحلة إلى مصر وسوريا" وكتاب "ملاحظات حول الحرب الواقعية للأتراك" وهما من تأليف "كونت دوڤولنى" الرحالة الفرنسى . وقد ذكر هذا الأمر نابليون نفسه فى رسالته عن "غزو مصر وسوريا" فى عامى ١٧٩٨ - ١٧٩٩ التى كتبها فى جزيرة سان هيلين إلى "الجنرال برتراند"[١٠٩] .

أما "معهد الاستشراق" الذى كان نابليون قد أسسه فى فرنسا ؛ وكان يحرص منذ اللحظة الأولى للاحتلال على أن يعقد جلساته بانتظام فقد ضم مجموعات من : الكيميائيين والمؤرخين وعلماء الأحياء وعلماء الآثار والجراحين وخبراء التحف . هذا المعهد كان يشكل "الجناح العلمى للجيش" .

وقد أخذت هذه المجموعات من المستشرقين تنقب عن كل المعلومات الخاصة بمصر والتى تخدم أهداف الجيش وسجلتها ، وجمعتها كلها فى ثلاثة وعشرين مجلدا ضخما باسم "وصف مصر"[١١٠] .

استغلال نابليون للدين وعلمائه

كان من المبادئ والإنجازات البحثية للمستشرقين توصية السياسيين الغربيين بضرورة الإدعاء بالميل للإسلام والرغبة فى إحياء الشريعة الإسلامية والاهتمام بعلماء الدين واستخدامهم للوساطة بينهم وبين مسلمى البلاد التى تعرضت للغزو .

ويمكن اعتبار دموع التماسيح التى ذرفها نابليون تعاطفا مع الإسلام ، واصطحابه لعلماء الدين المصريين فى حملته على مصر جزءا من عجائب تاريخ العلاقات بين الغرب والشرق !! .

يقول إدوارد سعيد :

منذ اللحظة الأولى التى ظهرت فيها طلائع جيش نابليون فوق أرض مصر ، بُذلت كل الجهود الممكنة لإقناع المسلمين "بأننا نحن الغزاة مسلمون فى الواقع .." .

وقد سعى نابليون فى كل مكان لإثبات أنه "يحارب من أجل الإسلام" . وأن كل ما كان يقوله كان يترجم "إلى لغة القرآن العربية" . مثلما كان يفعل تماما قادة جيش فرنسا عندما كانوا يشيعون دائما بين جنودهم الاحتراس من "الحساسية الإسلامية" عند الناس ... وعندما تأكد نابليون بأن قواته العسكرية قليلة جدا لتقوم بالسيطرة على كل المصريين ، سعى حينئذ للاستفادة من "الأئمة" و"القضاة" و"أهل الفتوى" و "العلماء المحليين" فى تفسير القرآن لصالح جيش فرنسا العظيم . ولتحقيق هذا الغرض استدعى ستين عالما من الأساتذة الذين كانوا يقومون بالتدريس فى الأزهر إلى مقره ، وقام بأداء كل أنواع التحية العسكرية لهم ، ثم استمعوا بعد ذلك إلى حديث نابليون الذى يشيد بالإسلام وسيدنا محمد (ﷺ) ، وكذلك احترامه وتعظيمه للقرآن الكريم !! بحيث ظهر نابليون وكأنه على علم وإلمام تام بموضوعات القرآن !!

وقد أثر هذا التكتيك ؛ فسرعان ما تخلى أهل القاهرة عن عدم ثقتهم بالقوات المحتلة . وعندما ترك نابليون مصر أمر خليفته "كليبر" بإلحاح ، بأن يدير مصر دائما طبقا لوجهة نظر ورأى ومشورة المستشرقين ورجال الدين الإسلامى حتى يمكنه أن ينال تأييدهم ، ذلك لأن أى نوع آخر من السياسة والتكتيك سيكون "مكلفا" و"أحمق"[١١١] .

٩- القرن العشرون هو بداية الاستشراق العلمى

فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين توصل عدد من العلماء والباحثين فى هولندا وفرنسا وألمانيا وعدد أقل فى دول أخرى إلى النتيجة التالية وهى :

إن التوجه العام للاستشراق والدراسات الإسلامية فى الغرب كان مغرضا وغير منصف على مدى التاريخ ، وغالبا ما كان يتم ذلك بهدف تحقيق أهداف تبشيرية واستعمارية . وقد أحس بعضهم بالخجل من هذا الماضى القبيح وغير الإنسانى ، وأطلق أحدهم وهو "ساذرن" على المراحل الأولى لاستشراق الغربيين اسم "عصر جاهلية الغربيين" بصراحة تامة . وكتب يقول فى كتابه "نظرة الغرب إلى الإسلام" :

لا يجب علينا أن ننتظر من تلك الفترة أن يتم فيها نقد الإسلام بروح حرة غير مقيدة وعلمية وأكاديمية وبمبادئ وتقاليد إنسانية[١١٢] .

وتحاول جماعة من المستشرقين المعاصرين والدراسات الإسلامية تبرئة أنفسهم من التعصب والتحريف وسوء الفهم الذى اتسم به المستشرقون فى القرون الماضية ، ويطلقون على العصر الحاضر للاستشراق "مرحلة النظرة الواقعية" .

يقول "جون إسپوزيتو" المستشرق الأمريكى المعاصر وأستاذ الأديان بجامعة "جورج تاون" بواشنطون والذى أتم دراساته الإسلامية على يد الأستاذ إسماعيل فارقى فى جامعة "فلادلفيا" :

يجب الفصل تماما بين الاستشراق الجديد والاستشراق الماضى لهذا السبب ؛ فكم يحمل اسم المستشرق من أمور تقلل من شأنه بحيث إننى لا أرضى بأن يطلق علىّ اسم "المستشرق ORIENTALIST" ، بل تنادونى باسم "العالم المتخصص فى الإسلام ISLAMIST"[١١٣] .

ولهذا السبب ؛ فإننا نواجه فى القرنين الأخيرين وجوها علمية منصفة فى الاستشراق مثل : يوهان ياكوب رايسكه ، ويوهان فوك مؤلف كتاب "تاريخ حركة الاستشراق" ، وإدوارد سعيد الأستاذ بجامعة كولومبيا بنيويورك ومؤلف كتاب "الاستشراق" ، و"ڤينسينج" مؤسس ومخطط "دائرة معارف ليدن الإسلامية" و "معجم الأحاديث النبوية"[١١٤] .

وقد ظهرت شخصيات بارزة من هذا القبيل فى القرون الأخيرة ، مثل : جان يعقوب رايسكه الألمانى ، وجوستاف فلوجل الألمانى ، وجول لابوم الفرنسى ، وإدوارد مونيته الفرنسى ، وڤينسينج الهولندى ، ويوهان فوك الألمانى ، ونيكلسون الإنجليزى العالم المتخصص فى التصوف ، وموريس بوكاى الفرنسى ، وجورج جرداق المسيحى ، وجان ديون بورت الإنجليزى ، وإيزو تسوى اليابانى ، وإدوارد سعيد ، والشهيد الدكتور إدواردو أنيللى الإيطالى[١١٥] .

ومع تقدير هذا النوع من الشخصيات فإن هذا لا يعنى تأييد كل وجهات نظرهم وفعالياتهم ؛ كما أن وجود هؤلاء الأشخاص المعدودين المنصفين لا ينفى وجود أغلبية مغرضة ، ومن ثم فإنه لا ينبغى الاستماع إلى ادعاءات المستشرقين الجدد ، من أمثال "جوته" فى كتابه "مدخل إلى دراسة الفلسفة الإسلامية" ، الذين سعوا عن طريق إعلان القرن التاسع عشر والقرن العشرين "كمعصر للاستشراق العلمى" إلى تبرئة كل تيار الاستشراق المغرض[١١٦] . وما أكثر ما قسم تيار الاستشراق والدراسات الإسلامية التاريخى العظيم إلى مرحلتين ظاهرتين هما : ١- الاستشراق القديم OLD ORIENTALISM والاستشراق الجديد NEW ORIENTALISM .

مكتبة الشيعة في كولونيا بألمانيا [١١٧] نموذج للتعامل الإيجابى للاستشراق مع التشيع

مع أن كثيرين من المستشرقين الغربيين كانت لهم صلة استعمارية مع كل العناصر الإسلامية والشرقية وخاصة بالتشيع ، وقليلا ما كان يُنظر إلى أعمالهم وخدماتهم العلمية الخالصة نظرة حسنة ، فإن النظرة الشاملة والاعتدال والإنصاف يوجب القول بأن أفق التعامل الإيجابى والخدمات العلمية لبعض المستشرقين تفتح باب البحث أيضا . ويعتبر تأسيس "مكتبة الشيعة فى كولونيا بألمانيا" نموذجا لتلك الخدمات التى نفذت بجهد فردى . وكان تأسيس هذه المكتبة المتخصصة فى الشيعة عام ١٩٦٥ إحدى الخطوات التاريخية فى ألمانيا . هذه المكتبة كانت نتيجة تعاطف وتعاون معهد الاستشراق التابع لجامعة كولونيا مع البروفيسور عبد الجواد فلاطورى .

يقول أولريش ماتس ULRICH MATZ رئيس جامعة كولونيا :

إن لفلاطورى دورا كبيرا فى اهتمام علماء الإسلام بمذهب التشيع والبحث فيه . وكان حجر الزاوية فى هذا العمل الجاد هو افتتاح مكتبة الشيعة خلال مؤتمر الاستشراق بجامعة كولونيا ، وهى التى تعتبر من حيث نوعيتها إحدى أهم المكتبات الشيعية الموجودة خارج إيران .

ومع رحيل فلاطورى المفاجئ عن الدنيا ، قل نشاط هذه المكتبة ، ومن الضرورى استكمالها وتطويرها حتى تقدم خدماتها العلمية والثقافية إلى المهتمين والباحثين فى كل أنحاء العالم أكثر من أى وقت مضى .

ويتحدث الدكتور مهدى محقق عن هذه المكتبة فيقول :

كنت قد ذهبت فى عام ١٣٥٦ ش (١٩٧٧م) إلى مدينة كولونيا بدعوة من المرحوم فلاطورى لحضور مؤتمر تاريخ العلوم والفلسفة فى القرون الوسطى الذى عقد فى مدينة بون بألمانيا . وقد شرح لى جهوده فى نشر الإسلام والتعريف بالشيعة وتحدث

كذلك عن مركز البحوث الشيعية الذى أسسه وعرض علىّ أمهات المصادر الفقهية والأصولية والفلسفية والكلامية الخاصة بالشيعة التى جمعها هناك ، ولولا همته وجهوده لما أمكن نقل هذه المصادر إلى تلك الديار بسهولة ويسر .

ضرورة تأسيس هذه المكتبة فى الماضي

يمكن تفسير وتحليل الضرورات والدوافع التى أدت إلى تأسيس مكتبة الشيعة المتخصصة فى ألمانيا فى المحاور التالية :

١- وجود مكتبات عامة ومتخصصة بكثرة فى ألمانيا تضم سبعة ملايين كتاب .

٢- إن ألمانيا تعد واحدة من مراكز الثقافة الكبيرة فى العالم وأقطابها . وترتفع المؤشرات الثقافية فى هذه الدولة إلى أعلى مستوى ؛ فمثلا يقام كل عام أضخم معرض للكتاب فى العالم فى مدينة فرانكفورت بألمانيا . وقد كان من الضرورى وجود مركز للاستعلامات وتقديم الخدمات الثقافية فى القسم المتألق الخاص بالتعليم والبحث حول الأديان والمذاهب ، وقد زال هذا النقص بتأسيس مكتبة الشيعة المتخصصة .

٣- توفر الرؤية العلمية فى الاستشراق الألمانى أكثر من الدول الغربية الأخرى .

٤- إن وجود عدة ملايين من المسلمين السنة فى ألمانيا مهد الطريق أمام المستشرقين الألمان للحصول على المصادر السنية بسهولة ويسر ، ولكن على الرغم من أهمية الشيعة كشعبة من شعب الإسلام المهمة ووجود مائتى ألف شيعى هناك ؛ فإن العثور على مصادر علمية عن التشيع كان أقل فى ألمانيا ، وقد أدى هذا إلى قلة اطلاع علماء هذه الدولة على التشيع أو عدم معرفتهم به .

١٠- محاربة الاستشراق لنظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية

بما أن الدين الإسلامي المبين يتضمن في حد ذاته باعتباره دينا إلهيا نقيا لم يحرف عناصر "العزة" و"الاستقلال" و"الصلابة" و"عدم قبول الظلم" ، لذلك كان المستعمرون الغربيون يواجهون دائما وفي مراحل دخولهم للهيمنة على البلدان الإسلامية بمقاومة "الدين والتدين" لدى كل الدول الإسلامية بمذاهبها المختلفة ، إلا أن الأمة الإيرانية بعد أن استشهد أحد عشر إماما من أئمة آل البيت ، واستطاعت اليوم إقامة أول حكومة جمهورية إسلامية تتمتع بروح المقاومة والنضال ضد هيمنة الغرب على الأراضي الإسلامية ، قد أصبحت محل غضب وقلق من الاستشراق أكثر من ذي قبل .

وتتضمن الصفحات التالية إشارات بسيطة عن حجم المعارك والصراعات التي تشنها أمريكا وإسرائيل والاستشراق الاستعماري ضد الشيعة والثورة الإسلامية في إيران .

الثورة الإسلامية هي مقدمة للقضاء على أماني الغرب من وجهة نظر ماكسيم رودنسون

خطط المسئولون والمنظّرون والحكّام في الدول الغربية في القرون الأخيرة مخططات مناهضة للإسلام ، وفكروا في أمانٍ مستقبلية بعيدة المدى . وكانوا قد ارتاحوا في القرنين الأخيرين إلى حد ما من حركة احتواء الثقافة الإسلامية الأولى للعالم ، ووجهوا أجهزتهم ومؤسساتهم وجهودهم العالمية إلى هذا الاتجاه بحيث يكون الدين الإسلامي كالمسيحية تماما عبارة عن فكر ومدرسة تعبدية وأخلاقية صرفة يسيطر عليه حكام الغرب ، وألا يكون له أي تدخل في التخطيط السياسي للدول الغربية . إلا أن صاعقة قد نزلت وقضت على كل تلك الأحلام .

ويصف ماكسيم رودنسون MAXIME RODENSON المنظّر والمستشرق والعالم المتخصص في الإسلام في القرن العشرين هذا الكابوس بقوله :

لقد سحر الدين الإسلامي العالم الغربي دائما ، وبدا غالبا وكأنه تهديد كبير ...

إلا أننا شاهدنا انحسار الدين الإسلامى وانزوائه بعيدا عن ساحة اتخاذ القرارات ووضع السياسات فى العالم خلال القرنين التاسع عشر والعشرين . لقد كان الدين الإسلامى يُهضم فى العالم الغربى تدريجيا ، ويُستوعب على أنه عقيدة ودين بسيط كغيره من العقائد والأديان التى تقدم فقط إلهامات روحية وأخلاقية ، ويقوم بخدمة أخلاقية فى ظل نظام الحضارة الصناعية الغربية .

غير أن الثورة الإسلامية فى إيران والحركات الأصولية حطمت كل هذه البرامج بدون اتفاق فيما بينها ، ومن بين هذه البرامج أنهم رفعوا أسعار البترول الذى وهبه الله لعباده المؤمنين بسخاء فى فترة من الفترات !! والآن يبدى العالم الإسلامى حرصا غيورا وتمسكا شديدا بثقافته الثورية التى لا تتوافق أصلا مع "التوجهات الروحية" ولا تنسجم معها . وهكذا يعرض هذا النوع من الإسلام نفسه من جديد كتهديد كما حدث فى الماضى(١١٨) .

دور احتلال وكر الجاسوسية(١١٩) فى نشر كتب العلوم الإسلامية فى أمريكا

ألّف ماكسيم رودنسون كتابا حول تحصيل وتشويه شخصية نبى الإسلام (ﷺ) ، ويظهر توجهه المغرض من تسمية الكتاب باسم "MAHOMET".
ويصف الكاتب نفسه فى مقدمة الطبعة الأخيرة من كتابه أهمية كتابه وتأثيره فى التعامل بين أمريكا وإيران بقوله :

مع أن الكتاب الحالى قد ترجم فى عام ١٩٧١م من الفرنسية إلى الإنجليزية ، ونشر فى كل من إنجلترا وأمريكا ، فإن ضغوط التحولات التى حدثت فى إيران عام ١٩٧٩ أدت إلى أن تأخذ دار نشر بنجوين PENGUIN BOOKS على عاتقها طبعه ونشره من جديد . وقد كان هذا القرار دليلا على أن المرء لا يمكنه تفسير وتحليل هذه الظواهر المهمة فى إيران والتى أساءت لوجدان أمريكا ومشاعرها ومجتمعها .

[يقصد رودنسون بالظواهر التى أساءت للوجدان الأمريكى بطبيعة الحال أمورا مثل تطبيق أول نموذج للجمهورية الإسلامية واستقراره ، وطرد خمسين ألف مستشار عسكرى أمريكى ، وإغلاق وكر الجاسوسية]عن طريق مطابقتها بنموذج سيرة نبى الإسلام فقط ، بل إنه من الممكن أن يقوم هذا الكتاب بما تضمنه من تحليل بالمساعدة فى تفسير واقعى لهذه التحولات . ومن ثم قامت أمريكا بإعادة طبعه من جديد فى نيويورك عام ١٩٨٠ م . هذا بالإضافة إلى طباعته بعد هذه الطبعة الجميلة جدا فى باريس[١٢٠] .

ذروة عالمية الثورة الإيرانية وأفولها من وجهة نظر رابين رايت

يقول "رابين رايت" :

بعد ثلاثة عشر قرنا من الزمان ومنذ أن تأسست أول حكومة دينية حديثة فى العالم بقيام الثورة الإيرانية ، يكون الإسلام قد طُرح من جديد بوصفه أسلوبا سياسيا مقتدرا وفعالا . والآن وجد الإسلام دورا مؤثرا له فى البرامج السياسية بشكل متزايد ليس فقط فى الشرق الأوسط ، بل فى شمال أفريقيا وغربها حتى جمهوريات آسيا الوسطى ، ومن الهند حتى غرب الصين . هذه الموجة الجديدة لتجديد حياة الإسلام عامة وشاملة إلى درجة أن الإسلام بعد انهيار الشيوعية اعتبر خطأ واحدا من الخصوم الأيديولوجيين للغرب فى المستقبل . وقد بدأت المرحلة الجديدة لتجديد الإسلام فى العقد الأخير من عام ١٩٨٠م ، وتميزت هذه المرحلة بشكل بارز عن تجربة المرحلة الأولى فى عام ١٩٧٩م فى إيران ، وبعد ذلك فى لبنان عام ١٩٨٢ ، ومنذ أواخر السبعينيات وحتى أواخر الثمانينيات بين بعض الجماعات الصغيرة فى مصر والمملكة العربية السعودية والكويت وسوريا وأمثال ذلك . والاختلافان البارزان فى هذه المرحلة هما عبارة عن : تشريع القوانين ونهج الإسلاميين الجدد[١٢١] .

وكما لاحظنا ؛ فإن "رابين رايت" يعرب فى البداية عن قلقه من شمولية ثورة

تجديد حياة الإسلام للعالم على يد إيران ، إلا أنه يعمل بعد ذلك على تشجيع الغربيين وإصابة المسلمين باليأس والإحباط .

وعندئذ يقوم "رايت" بتقديم النصيحة والتوجيه والإرشاد للمسلمين ؛ فيقول :

إن هذه الحركات الإسلامية القائمة هى من البدع الإسلامية ، وبطبيعة الحال فإنه ينبغى معرفة أن فترة تطرف المسلمين فى العقدين الأخيرين قد انتهت اليوم ، وقد أدرك المسلمون فى بوتقة حوادث الصدام والصراع مع الغرب أن أعمالا مثل زرع القنابل وأخذ الرهائن وخطف الطائرات ليست الطريق الأمثل لحل المشاكل ، وأن الغربيين مع اختلاف وجهات نظرهم يقفون صفا واحدا وعلى رأى واحد فى مواجهة كل ذلك ، وأن علاج أمر المسلمين يكون عن طريق الاعتراف رسميا بالنظام القائم والعمل فى إطار حدودهم الجغرافية ، وينبغى عليهم أن يكونوا أعضاء منضبطين وواعين فى المجتمع الدولى حتى لا يتعرضوا لغضب المسئولين عن حفظ النظام فى العالم والصدام معهم[١٢٢] .

علم الشيعة فى الجامعات الإسرائيلية

تعتبر جامعة "بارإيلان" إحدى أربع جامعات مهمة فى إسرائيل تقوم بأنشطة فى موضوع الإسلام والتشيع والثورة الإسلامية فى إيران . وتضطلع الكلية العربية فى هذه الجامعة بهذا الدور المهم وهو تعقب الأهداف الصهيونية فى هذه الموضوعات . ولهذه الكلية دراسات ومؤلفات ومجلات كثيرة حتى الآن فى هذا المجال ؛ منها :

١- الإرهاب الجديد وعملية السلام فى الشرق الأوسط - استيون سيمون .

٢- فهم اللغز الإيرانى - نيكى كدى .

٣- لغز الاستقرار السياسى فى الدول المطلة على الخليج الفارسى - دانيل بيمان وجيرالد جرين .

٤- التطرف الإسلامى فى الشرق الأوسط - بارى روبين .

٥- الانتخابات الإيرانية عام ٢٠٠٠ - ڤى سامى .

٦- الاتجاه الإسلامى فى لبنان - نزار حمزة .

٧- اتجاه النظام السياسى الإيرانى إلى نموذج جديد - بولنت أرس .

٨- السعى من أجل نشر الديمقراطية فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية - عليرضا أبو طالبى .

٩- تقويم القوات المسلحة بالجمهورية الإسلامية الإيرانية - مايكل إيزنشتات

١٠- ردود فعل إيران بالنسبة للعقوبات الاقتصادية الأمريكية - هومن استقلال .

١١- إيران وأسلحة الدمار الشامل - جروس .

١٢- وسائل الإعلام فى إيران المعاصرة - أ. ڤى . سامى

١٣- إيران والسياسة والقوات العسكرية وأمن السلام - داريوش بازركان .

١٤- صادرات الصين العسكرية إلى إيران - بيتس جل .

١٥- العلاقات الإيرانية الروسية فى التسعينيات - روبرت فريدمان .

١٦- لماذا لا يتولى الحكم المسلمون الراديكاليون - عمانويل سوان .

١٧- حزب الله اللبنانى فى مفترق الطرق - إيلاز يسير .

ويوجد فى جامعة "تل أبيب" أيضا كلية للآداب واللغة العربية" تلعب دورا رئيسيا فى مجال العلوم الإسلامية والشيعية ومتابعة أهداف الصهيونية . ومن ضمن فعاليات هذه الكلية عقد الندوات حول الموضوعات السابق ذكرها . وقد حملت بعض هذه الندوات التى أقيمت حتى الآن العناوين التالية :

١- إيديولوجية الحركة الثقافية في الشرق الأوسط الجديد - جرشوني .

٢- حماس ، الإسلام الراديكالي في نزاع قومي - آنات كورزو .

٣- الحركة المناهضة لليهود في إيران عام ٢٠٠٠م .

٤- الجهاد الإسلامي في فلسطين - مير ليتواك .

٥- الشيعة الاثني عشرية واختلافاتها مع أهل السنة - دوين استيوارت .

٦- الحادي عشر من سبتمبر ، صراع الحضارات ، الإسلام في مواجهة الغرب - مارك هلر .

٧- إيران في التاريخ - برنارد لويس .

٨- تهديد إيران ، دليل على القلق وليس دليلا على إعلان الخطر - أفريم كام .

٩- كانت أهم الندوات التي أقيمت عام ١٩٨٤ ندوة تحت عنوان "التشيع والمقاومة والثورة" وهي التي عقدت في خضم الحرب المفروضة[١٢٣] . أما المقالات التي قدمت في ذلك المؤتمر فقد كانت عبارة عن :

١- الشيعة في التاريخ الإسلامي - برنارد لويس .

٢- دراسات الغرب حول الإسلام الشيعي - اتان كهلبرج .

٣- التشيع في رواية الإمام الخميني ، نوع من أيديولوجية العنف الثوري - ماروين زونيس ، ودانييل برومبورج .

٤- محمود طالقاني والثورة الإيرانية - منجول بيات .

٥- الإسلام والعدالة الاجتماعية في إيران - شاؤول نجاش .

٦- حوادث مكررة من الثورة الإيرانية - مايكل فيشر .

٧- شيعة العراق ومصيرهم - ألي كدوري .

٨- سياسة الجمهورية الاسلامية فى الخليج الفارسى - شهرام چوبين .

٩- شيعة الحكومة اللبنانية - جوزيف أولمرت .

١٠- العلويون فى سوريا والتشيع - مارتن كرامر .

١١- الثورة الإيرانية والمقاومة فى أفغانستان - زلماى خليل زاده (السفير الحالى لأمريكا فى أفغانستان) .

١٢- شيعة باكستان - منير أحمد .

١٣- الهوية الشيعية وأهمية محرم فى لكهنو بالهند - كيث جورشوج[١٢٤] .

تقرير اليونسكو عن مشروع بيت الحكمة في باريس[١٢٥]

كان بيت الحكمة مؤسسة تعليمية وبحثية تأسست فى بغداد فى النصف الثانى الهجرى فى عصر خلافة هارون الرشيد العباسى . وقد عرفت كنموذج ورمز ومظهر للحضارة الإسلامية نظرا لأنشطتها الثقافية والعلمية فى ميادين مختلفة كالتأليف والترجمة والاستنساخ والبحث فى العلوم المختلفة طبية كانت أم إنسانية أم هندسية . وفى أواخر النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى أقامت اليونسكو أيضا قسما باسم بيت الحكمة فى مكتبها المركزى فى باريس حتى يتولى الشئون الخاصة بالثقافة والحضارة الإسلامية .

أنشطة ترويجية

نظرا لعلاقة اليونسكو بالمراكز العلمية والثقافية وصلتها بها ، فقد تمت مساندة ودعم عدة مشروعات من قِبَل بيت الحكمة بدافع تقديم المساعدة للمشروعات العلمية

والثقافية ومن منطلق مسئولية اليونسكو فى الترويج والدعوة والمساندة ، وهى على النحو التالى :

دائرة المعارف الإسلامية الكبرى

خلال فترة المهمة التى أتمتها اليونسكو فى طهران لتنفيذ مشروع بيت الحكمة أعرب "مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى" عن رغبته فى التعاون العلمى بجدية أكثر مع الأساتذة والمؤسسات على المستوى المحلى والدولى .

مراحل الاستشراق الأربع من وجهة نظر الدكتور محمد قطب

يصف الدكتور محمد قطب المراحل الأربع للاستشراق على النحو التالى :

١- تعلم الغربيين لعلوم المسلمين الإسلامية والتجريبية بعد القرون الوسطى وعصور الظلام .

٢- قيام الاستشراق الكنسى بتسميم وتخريب الثقافة للقضاء على الدين الإسلامى خوفا من أسلمة العالم .

٣- احتلال الدول الإسلامية واستعمارها من قبل الدول الغربية المهزومة فى الحروب الصليبية .

٤- تغيير المظهر الخارجى لعمليات "التبشير المسيحى" فى شكل جديد هو "الاستشراق" نتيجة فقدان المجالات المؤثرة للفعاليات المعلنة من قبل رجال الدين المسيحى والكنائس فى التغلغل بشكل أعمق فى المحافل العلمية والثقافية فى العالم الإسلامى[١٢٦] .

إلا أن رأيى فى هذه المسألة (وهى تحديد بداية الاستشراق) أنه ليس من الضرورى تأييد نظرية ما وتخطئة بقية النظريات ، ذلك لأن كل مفكر من المفكرين قد

وضع نصب عينيه نموذجا ومظهرا خاصا للاستشراق ، ومن ثم حدد فى واقع الأمر بداية هذا النوع من الاستشراق فى التاريخ .

والواقع أنه يمكن القول إن : الاستشراق قد بدأ على يد الغربيين منذ بداية اتصال الغرب بالشرق والتعامل معه ، إلا أنه تطور ليتناسب مع ظروف كل عصر على مر التاريخ ، وقد طوى مراحل مختلفة حتى الآن . هذه المراحل[١٢٧] عبارة عن :

١- الاستشراق التجارى والعسكرى منذ القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادى .

٢- بداية الدراسات الإسلامية عند الغربيين .

٣- الحروب الصليبية .

٤- انتقال العلوم والحضارة إلى الغرب .

٥- اشتداد الاستشراق الاستعمارى .

٦- الاستشراق العلمى[١٢٨] .

حواشى الفصل الثالث

(١) دكتور محمود حمدى زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية ، ص ١٩ .

(٢) RUDI PARET .

(٣)المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٤) دكتور عبد الحميد صالح حمدان ، طبقات المستشرقين ، ص ٣ .

(٥) دكتور محمد دسوقى ، الفكر الاستشراقى ، تاريخه وتقويمه ، ص ١٧ و ٢٠ وعفيفى ، المستشرقون ، ج ١ ، ص ١١٠ .

(٦) الاستشراق والخلفية الفكرية ، ص ٢٠ .

(٧) دكتور ساسى سالم ، نقد الخطاب الاستشراقى ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٨) المستشرقون والإسلام ، ص ١٤ .

(٩) نسبة إلى القبيلة القاجارية ، وكانت من أبرز القبائل التى مهدت للشاه إسماعيل الصفوى السبيل لتأسيس الأسرة الصفوية التى حكمت ما يقرب من مائتين وأربعين سنة ، ثم حكمت هذه القبيلة بعد ذلك واستولت على طهران

عام ١٧٧٩ بقيادة زعيمها أغا محمد خان مؤسس الدولة القاجارية . ومن أهم حكامها فتح على شاه (١٧٩٧ - ١٨٣٤م) وناصر الدين شاه (١٨٤٧ - ١٨٩٦م) (المترجم) .

(١٠) تواريخ - هيرودوت - ترجمه وحيد مازندرانى ، انتشارات افراسياب ، ١٣٨٠ ، ص ١ .

(١١) إدوارد سعيد ، شرق شناسى ، ص ١١٢ .

(١٢) نگاهى به تاريخ جهان ، ج ١ ، ص ١١٠ - ١١٥ .

(١٣) المقصود بهذه الجامعة ذلك الصرح العلمى العظيم الذى أقيم على عهد الساسانيين والذى كان يفد إليه الدارسون والعلماء الإيرانيون وغير الإيرانيين للدراسة فيها وخاصة فى مجال علم الطب ، وكانت هذه الجامعة معروفة للعرب ، ويقال إن الحارث بن كلدة التحق بها وتخرج منها فيلسوفا وطبيبا ، وكان كسرى يجله ويحترمه ويقول فى شأنه "سعدت أمة يكون الحارث بن كلدة من أبنائها" (المترجم) .

(١٤) نقد الخطاب الاستشراقى ، ص ٢٩ - ٣٠ نقلا عن : مجلة الفكر العربى ، رقم ٣١ ، الدكتور نقولا زيادة ، مقالة الغرب - شرق . دكتور جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثانى ، ص ٧ . الفكر العربى ومركزه فى التاريخ ، ص ٤١ ، دى لاسى أوليرى ، ترجمة إسماعيل البيطار . ويل ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى من المجلد الثامن ، ص ٥٣٢ .

(١٥) انظر : أحمدى ميانجى ، مكاتيب الرسول .

(١٦) الاستشراق والخلفية الفكرية ، ص ١٩ .

(١٧) دكتور فاروق عمر فوزى ، الاستشراق والتاريخ الإسلامى ، ص ٥٢ .

(١٨) PETER THE VENERABLE .

(١٩) CLUNY .

(٢٠) الدكتور عبد الرحمن بدوى .

(٢١) فرهنگ كامل خاورشناسان ، ص ٨٥ وعفيفى ، المستشرقون ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٢٢) المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(٢٣) الهُمَزة (١٠٤) آية ٣ .

(٢٤) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ١٥ - ١٨ .

(٢٥) نقد الخطاب الاستشراقى ، ص ٤٤ .

(٢٦) PATROLOGIC LATINA .

(٢٧) فرهنگ كامل خاورشناسان ، ص ٨٧ .

(٢٨) المرجع السابق ، ص ١٥ - ٢٠ ، فرهنگ كامل خاورشناسان ، ص ٨٥ ونقد الخطاب الاستشراقى ، ص ٤٤ .

(٢٩) المرجع السابق ، ص ١٤ - ١٥ .

(٣٠) الدكتور ممدوح حسين ، الحروب الصليبية فى شمال أفريقية ، ص ١٩ .

(٣١) المستشرقون والإسلام ، ص ١٢ .

(٣٢) RAYMON LULL .

(٣٣) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٣١ .

(٣٤) مدينة فى إيطاليا .

(٣٥) مدينة فى فرنسا .

(٣٦) مدينة فى غرب إسبانيا فتحها موسى بن نصير عام ٧١٢ م وأعيدت بعد ذلك عام ١٠٥٥ .

(٣٧) إدوارد سعيد ، شرق شناسى ، ص ٩٥ نقلا عن : ساترن ، نظرات مغرب زمين در باره اسلام در قرون وسطى ، ص ٧٢ .

(٣٨) RAYMONDO MARTINI .

(٣٩) فرهنگ كامل خاورشناسان ، ص ١٩٠ .

(٤٠) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٢٥ .

(٤١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣١ .

(٤٢) شبهات المستشرقين ، ص ٤٥ .

(٤٣) (٤٥) الظاهرة الاستشراقية ، ص ٤٣ .

(٤٦) GUILLAUME POSTEL.

(٤٧) فرهنگ كامل خاورشناسان ، ص ٩٤ .

(٤٨) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٩٨ .

(٤٩) المرجع السابق .

(٥٠) المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٥١) نقد الخطاب الاستشراقى ، ص ٤٩ .

(٥٢) المرجع السابق ، ص ٥١ نقلا عن : أضواء على الاستشراق ، د. محمد عبد الفتاح عليان ، ص ١٣٠ .

(٥٣) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٥٤) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٨٤ .

(٥٥) الاستشراق والخلفية ... ، ص ٦٢ .

(٥٦) بارتولد ، خاورشناسى در روسيه واروپا ، ترجمه حمزه سردادور ، ص ٢٤٣ .

(٥٧) المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(٥٨) لحسن الحظ فقد زرت فى الأيام الأخيرة من إعداد هذا الكتاب حجة الإسلام الدكتور سيد محمود المرعشى ، وعندما اقترحت عليه متابعة هذا الموضوع نقل خبرا طيبا إلى المؤلف عن المباحثات بين المسئولين المعنيين فى إيران وروسيا وكذلك الموافقة المبدئية على شراء ونقل الكتب الباقية فى تلك المكتبة إلى إيران .

(٥٩) JOSEPH HALEVEY .

(٦٠) نقد الخطاب الاستشراقى ، ص ٣٥ . نقلا عن : JOURNAL ASIATIQUE عام ١٨٧٤ .

(٦١) الدكتور على بن إبراهيم النملة. فصلنامه كتاب هاى اسلامى ، سال دوم ، ش ٦ ، مقاله ... ، ص ٤٢ .

(٦٢) المستشرقون والتراث ، ص ٤٤ .

(٦٣) POSTEL .

(٦٤) WANSLEB .

(٦٥) P.DE LACROIX .

(٦٦) GALLAND .

(٦٧) THEVENOT .

(٦٨) B.D. MAILLET .

(٦٩) دكتور محمد خليفة حسن ، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ص ٤٠٣ .

(٧٠) الاستشراق والخلفية ... ، ص ٦٢ .

(٧١) التراث العربى والمستشرقون ، ص ٢٨ - ٣٢ .

(٧٢) المستشرقون ، ج ٢ ، ص ٦٤٧ .

(٧٣) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر ، ص ٤٠٦ .

(٧٤) المرجع نفسه ، ص ٤٥ .

(٧٥) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٤٦ .

(٧٦) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٣٦ .

(٧٧) لمزيد من المعلومات انظر كتاب "الاستشراق ..." للمؤلف ، عنوان مدرسة الاستشراق السياسى تحت

عنوان : محاربة المسيحيين لتقليد الاعتراف وعبادة الأصنام تاثر بالإسلام ، حركة الترجمة وازدهار الحضارة الإسلامية ، انتشار علم الطب فى الدول الإسلامية ، أشهر أساتذة علم الطب فى الدول الإسلامية ، أشهر أساتذة علم الطب المسلمين فى صدر الإسلام ، وأيضا انظر فصلنامه كتابهاى اسلامى ، سال دوم ، شماره ٦ ، مقاله "گزارشى از بروز بيت الحكمة در يونسكو" إحسان نراقى ، ص ٧٨ - ٨٣ .

(٧٨) الاستشراق والخلفية ، ص ٣٠ .

(٧٩) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٦١ - ٦٤ .

(٨٠) التراث العربى والمستشرقون ، ص ٢٢ .

(٨١) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٨٢) الاستشراق والخلفية ، ص ٣٤ نقلا عن :

GUSTAV PFANNMUELLER : HANDBUCK DER ISLAMI LITERTUR .

(٨٣) ابن القوطية ، تاريخ فتح اندلس ، ترجمه حميد رضا شيخى ، ص ٣٠ - ٣٣ .

(٨٤) J - RIVERA .

(٨٥) المرجع السابق ، المقدمة ، ص ٢٧ .

(٨٦) إشارة إلى ضريح الإمام على الرضا فى مدينة مشهد ، وهى من كبريات المدن الإيرانية (المترجم) .

(٨٧) فاروق عمر فوزى ، الاستشراق والتاريخ الإسلامى ، ص ٥١ - ٦٩ .

(٨٨) المستشرقون والإسلام ، ص ١٢٩ .

(٨٩) الدكتور إسماعيل سالم عبد العال ، المستشرقون والقرآن ، ص ٧ .

(٩٠) دكتور محمد السيد الجليند ، الاستشراق والتبشير ، قراءة تاريخية موجزة ، ص ١٦ .

(٩١) المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٩٢) سير تاريخى وارزيابى انديشه شرق شناسى ، ص ١١٠ .

(٩٣) الاستشراق والخلفية ، ص ٩٧ نقلا عن الفكر الإسلامى الحديث ، ص ٥٥٦ و ٦٠٨ و ٦١٢ .

(٩٤) صحيفه امام خمينى ، ج ٤ ، ص ١٥ - ١٧ .

(٩٥) صحيفه امام خمينى ، ج ٤ ، ص ١٥ - ١٧ .

(٩٦) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٢ .

(٩٧) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٣٧ - ٣٨ .

(٩٨) التعريف المفصل والتقرير الخاص بأنشطة هؤلاء المستشرقين سوف يرد فى فصل "الاستشراق الاستعمارى" .

(٩٩) دكتر محمد بهى ، انديشه نوين اسلامى در رويارويى با استعمار غرب ، ص ٢٥ - ٢٧ .

(١٠٠) نقد الخطاب الاستشراقى ، ج ١ ، ص ٦١ .

(١٠١) المرجع السابق ج ١ ، ص ٦٥ ، نقلا عن L'HISTORIE NOPOLEON PARIS ص ٢١١ .

(١٠٢) الاستشراق فى الميزان ، ص ٢٨ .

(١٠٣) شرق شناسى ، ص ٧٩ ، نقلا عن دائرة المعارف بريتانيكا ، سال

١٩٧٤ ، ص ٨٩٣ مقالة "استعمار" نوشته HARRY MAGDOFF .

(١٠٤) لطفى عالم ، المستشرقون والقرآن ، ص ١١ .

(١٠٥) شرق شناسى ، ص ٣١ .

(١٠٦) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(١٠٧) المرجع السابق ، ص ٤٢٩ .

(١٠٨) المرجع نفسه ، ص ٨٤ .

(١٠٩) المرجع نفسه ، ص ١٥٠ .

(١١٠) المرجع نفسه ، ص ١٥٤ نقلا عن : توصيف مصر ، چاپ پاريس .

(١١١) نفس المرجع ص ١٥١ . نقلا عن : تيرى ، بناپارت در مصر ، ص ٢٢ وكريستين چرفيس ، بناپارت واسلام ، ص ٢٤٩ .

(١١٢) الاستشراق والخلفية الفكرية ص ٣٢ ، نقلا عن : ساذرن ، نظرة الغرب إلى الإسلام فى القرون الوسطى ، ترجمة الدكتور على فهمى ، ص ١٧ .

(١١٣) الاستشراق والدراسات الإسلامية ، ص ١٣٢ نقلا عن ISLAM THE STRAGHT - OATH P-I تأليف JOHN L ESPOSITO .

(١١٤) سوف يأتى التعريف المفصل بهؤلاء المستشرقين فى القسم الخاص بـ (الاستشراق العلمى الباحث عن الحقيقة) .

(١١٥) التعريف بهذه الشخصيات سوف يأتى فى القسم الخاص بالاستشراق العلمى .

(١١٦) الاستشراق والخلفية الفكرية ، ص ٣٨ .

(١١٧) فاطمة رحمتى ، فصلنامه كتاب هاى اسلامى ، سال دوم ، ش ٦ .

(١١٨) ماكسيم رودنسون ، الإسلام عقيدة وسياسة ، ص ٦٦ .

(١١٩) المقصود بوكر الجاسوسية السفارة الأمريكية فى طهران التى احتلها أنصار الثورة الإسلامية وقبضوا على أعضائها (المترجم) .

(١٢٠) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(١٢١) دكتر مجيد كاشانى ، غرب در جغرافياى انديشه ، ص ٣٥ ، نقلا عن : رابين رايت ، اسلام ودموكراسى غرب ، ترجمه على رضا طيب ، مجله سياست خارجى ، بهار ٧٢ ، ص ١٣ .

(١٢٢) المرجع نفسه ، ص ٣٦ .

(١٢٣) المقصود بالحرب المفروضة الحرب التى كانت بين العراق وايران واستمرت لمدة ثمانى سنوات من عام ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٨٨م (المترجم) .

(١٢٤) فصلنامه شيعه شناسى ، سال اول ، شماره ٢٠ ، تابستان ٨٢ ، ص ٩١

(١٢٥) فصلنامه كتابهاى اسلامى ، سال دوم ، شماره ٦ ، ١٣٨٠ ، أحمد مسجد جامعى ، مقاله احسان نراقى ، ترجمة لقمان سرمدى .

(١٢٦) المستشرقون والإسلام ، ص ١٤ .

(١٢٧) هذه المراحل الست قريبة إلى حد ما من المراحل الأربعة التى ذكرها الدكتور ساسى سالم الحاج فى كتاب "الظاهرة الاستشراقية" .

(١٢٨) جاء شرح لهذه المراحل فى نفس هذا الكتاب ص ٩٠ وما بعدها .

الفصل الرابع

أهداف الاستشراق ومدارسه

لقد كان لدى الاستشراق كتيار جارف يهتم بدراسة الشرق والإسلام على مدى التاريخ بكل ظواهره العلمية والبحثية والنشرية وأعماله السياسية والاجتماعية والتعامل مع شعوب الشرق والمسلمين ، نوايا ودوافع مختلفة ، ولا يمكن النظر إلى جميع المستشرقين من منظور واحد عند الحكم عليهم ، بل ينبغى التعمق فى معرفة الأهداف والعوامل والتوجهات والمقاصد النهائية لكل واحد منهم ، حتى يتم التعريف بالتيارات المتشابهة الفكر والمترابطة مع بعضها ، ومدارس وتوجهات كل مجموعة بشكل ملائم وصحيح .

ومن الممكن أن تكون نوعية إبداء وجهات النظر ، وماهية المؤلفات والإسهامات العلمية لكل مستشرق فى الأنشطة السياسية والدينية والثقافية ، ووظيفة كل واحد منهم والدوافع الأولية لبدء الاستشراق ودراسة الإسلام ، وفى النهاية المصادر المالية للأنشطة الاستشراقية لكل واحد من المستشرقين ، دليلا على هدفه وتوجيهه وانتمائه ومدرسته .

ويمكن تصنيف التوجهات والمدارس الموجودة فى تاريخ الاستشراق إلى مجموعات متفاوتة ، إلا أن كل هذه التيارات يمكن أن تصنف فى ثلاث مجموعات ومدارس عامة ، هى :

١- مدرسة الاستشراق الدينى - التبشيرى .

٢- مدرسة الاستشراق السياسى - الاستعمارى .

٣- مدرسة الاستشراق العلمى الباحث عن الحقيقة .

وسوف نستعرض فى الصفحات التالية كل مدرسة ونقوم بتحليل أنشطتها وفعالياتها على مدى التاريخ ، كما نعرف بأبرز مستشرقيها ودورها الخلاق والإبداعى .

١- مدرسة الاستشراق الدينى - التبشيرى

فلسفة بدء الاستشراق المسيحى[١]

لم تكن الكنيسة قبل ظهور الإسلام تشعر بأى خطر يتهددها كدين منافس يحل محل المسيحية ، وخاصة بعد السيطرة على الديانة اليهودية فى القرون الأولى الميلادية حيث ساد الهدوء والاستقرار فى الغرب بدون منغصات أو قلق حوالى ستة قرون .

وفى بداية ظهور الإسلام وعندما كانت الكنيسة لا تعرف شيئا عن معارف الإسلام المتألقة ، استمرت العلاقات التجارية بين الغرب والشرق وبين المسلمين والمسيحيين بشكل طبيعى ، دون أن يكون أحدهما على علم تام بمعتقدات الآخر وأفكاره .

وقد جذب التقدم السريع لثقافة العرب وحضارتهم التى قامت على تعاليم الدين الإسلامى ومشاهدة شمولية وسلامة وعقلانية معارف هذا الدين السماوى الجديد ، أنظار مسيحيى الغرب واهتمامهم إليه ، وبدأت موجة من الميل إلى الإسلام ، ورحبت البلدان الغربية بسفر وفود المسلمين الدعوية إليها وهم الذين ازدادت نجاحاتهم أيضا بدون مقاومة تذكر ؛ واستولت الدوائر الحكومية على الكنيسة ، وتحررت مستعمرات

الإمبراطورية البيزنطية فى آسيا وشمال أفريقيا واحدة تلو الأخرى ، إلى الحد الذى اضطر بيزنطه إلى التنازل عن آسيا الصغرى للسلاجقة .

وعندما تخلت الكنيسة والإمبراطورية البيزنطية عن رئاستها للبلدان المطلة على البحر الأبيض المتوسط ، وانضم القسم الأعظم من إسبانيا - ما عدا الجزء الشمالى الغربى منها - أيضا[٢] إلى المجتمع الإسلامى الكبير ، دقت أجراس الخطر ، وأصيب رجال الكنيسة بصدمة كبيرة إذ أحسوا بأن المسيحيين بمجرد تعرفهم على تعاليم الدين الإسلامى أخذوا يتمردون على الكنيسة والمسيحية المصطلح عليها والسائدة ، ويعصون القساوسة ورجال الدين . ولهذا وصف رجال الدين المسيحى والغربيون الذين تعرفوا على الإسلام وبدأوا بمحاربته الدين الإسلامى غالبا بأنه "دين التمرد" .

يقول المستشرق ومؤلف كتاب فهرست الاستشراق الكبير "دوهر بلوت" الهولندى:

إن عقيدة محمد التى تتصف بالتمرد هى التى وجهت كل تلك الضربات الشديدة إلى المسيحية . إنه هو محمد صاحب البدعة المعروف ، الذى ألف وأسس بنفسه عقيدة "الرفض" التى تسمى "دين محمد" . وبسبب هذا النبى "غير الحقيقى" فإن أتباع رجل الدين المسيحى "آريوس" فى القرن الرابع الميلادى و "سان بول" وغيرهما من الرافضين نسبوا للمسيح عيسى كل الفضائل ، إلا أنهم قالوا بعدم ألوهيته[٣] .

توأمة الاستشراق الديني و التبشير

إن أهم شاهد على توأمة ظاهرتى الاستشراق الدينى والتبشير هو أن أول وأغلب المستشرقين الغربيين الذين نادوا بدراسة الإسلام والشرق الإسلامى بعد ظهور الإسلام كانوا من القساوسة والبابوات ورجال الكنيسة الذين سنقوم بالتعريف بأبرزهم فى الصفحات التالية من هذا الكتاب . وهذا الموضوع واضح عند مستشرقى الغرب إلى درجة أنهم يعتبرون أحيانا أن قوة وضعف جهود الاستشراق فى المراحل التاريخية المختلفة يرجع إلى قوة وضعف مستوى الدوافع الدينية لرجال الكنيسة .

يقول المستشرق الأمريكى الشاب "فرانسوا دى بلوا" :

لقد كان للاستشراق فى مراحله الأولى صبغة تبشيرية مسيحية . أما الآن وبعد أن يئس المبشرون من تحويل المسلمين إلى مسيحيين ؛ فإنهم لا يبذلون أى جهد فى الاستشراق !! .

ويقول الدكتور سايس سالم الذى أطلق اسم الاستشراق الدينى على مرحلة من المراحل أثناء تقسيمه لمراحل الاستشراق ، وبعد أن نقل كلام هذا المستشرق الشاب :

إن الاستشراق فى بداية أمره ما هو إلا أداة من أدوات التبشير[٤] .

اعتراف رودى پارت بماهية الاستشراق التبشيرية والمعادية

يقول "رودى پارت" المستشرق الألمانى فى القرن العشرين فى كتابه "الدراسات الإسلامية والعربية فى جامعات ألمانيا" :

عندما يلقى المرء نظرة على تاريخ الاستشراق ، فإنه يمكنه القول بأن بداية الاستشراق ترجع إلى القرن الثالث عشر الميلادى لدوافع تبشيرية ، ذلك لأن هدف رواد الاستشراق من أمثال الأب "پيتروس ڤينيرا پيليس" رئيس كنيسة كلونى وأول مترجم للقرآن ، وأيضا "رايموند لولوس" مؤسس كرسى تدريس اللغة العربية فى أوروبا فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، كان إثبات بطلان الدين الإسلامى للمسلمين وجذبهم للدين المسيحى ، وكان موقف الغرب المسيحى فى ذلك الوقت هو موقف الصراع والمشاحنة . وكانت بحوث علماء الكنيسة العلمية حول الكتب والمتون الدينية الإسلامية تتم بحكم مسبق وهو أن : الدين الإسلامى المعادى للمسيحية لا يمكن أن يكون فيه خير وقول للحق . لذلك لم يكن أمام أهل الغرب من مصادر إلا نفس هذه الكتب والتحليلات التى تتفق مع هذا الرأى المتخذ من قبل لدراسة الإسلام والتعرف عليه . وكانوا يتلقفون بنهم كل الأخبار التى تلوح لهم وتكون مسيئة إلى النبى العربى وإلى الدين الإسلامى .

أما الآن فنحن معشر المستشرقين ، عندما نقوم اليوم بدراسات فى العلوم العربية والعلوم الإسلامية فإننا ننظر بعين النقد إلى آراء المستشرقين السابقين ، ونحكم من واقع نصوص الإسلام والمسلمين الدينية[٥] .

إجازة جيبير دى نوجنت الدينية باتهام الإسلام

قرر المستشرقون فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين التقدم خطوة دعوية وثقافية من أجل صرف المجتمعات المسيحية عن إستيعاب الإسلام وقبوله ؛ إلا أنه لم تكن لديهم أية معلومات موثقة أو العلم الضرورى حول المعارف الإسلامية : ومن ثم اتجهوا إلى كتابة الأساطير وإسناد الخرافات والأوهام الباطلة إلى المسلمين ، ونشروا كتبا يسودها الجهل : فمثلا نجد "رولاند ROLAND" الكاتب المسيحى الكبير فى ذلك القرن يقدم المسلمين على أنهم ثلاثيو العبادة أيضا ، مع فارق واحد هو أنهم كانوا يعبدون "محمد أبو لؤلؤ" .

وقد تم تسميم المستشرقين للإسلام بشكل يتسم بالجهل ، حيث كتب أكبر عالم وكاتب فى تلك القرون وهو جيبير دى نوجنت GUIBERT DE NOGENT المتوفى عام ١١٢٤م كتبرير لتصريحاته وكتاباته غير الموثقة يقول :

إذا أراد الكاتب الكتابة عن شخصية ودين يكون فى قمة الخبث والانحراف ، فليست هناك أية مشكلة فى أن يكتب كل ما يطرأ على ذهنه ويتخيله وينسبه إليهما .

لذلك اضطر بعض النقاد بعد هذه الفترة إلى تخطئة تلك الحركة الجاهلة والمغرضة . وقد أطلق "ساذرن" صراحة على هذه الفترة اسم "عصر جاهلية الغربيين" وكتب فى كتابه "نظرة الغرب إلى الإسلام" يقول :

لا يجب علينا أن ننتظر من تلك الفترة أن يتم فيها نقد الإسلام بروح حرة غير مقيدة وعلمية وأكاديمية وبمبادئ وتقاليد إنسانية[٦] .

وكان من أهم أعمال مراكز الاستشراق والدراسات الإسلامية فى الغرب طبع ونشر كتاب الإنجيل ؛ فمثلا أقدمت ليدن على نشر طبعة عربية من الإنجيل فى مطلع عام ١٥٦٩م بعد أن كانت قد جهزت حروف الطباعة العربية ، ووصلت بالاستشراق والدراسات العربية إلى هذه المرحلة(٧) . وقد أطلق الدكتور ساسى سالم بعد بحثه فى المرحلة الأولى للاستشراق اسما عليها هو "مرحلة الاستشراق الدينى" .

إعلان زويمر عن الهدف التبشيرى للاستشراق

فى مؤتمر المبشرين والدعاة المسيحيين الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٠٦ اشتكى كثير من الدعاة المسيحيين من فشل دعوتهم بين المسلمين وقالوا : إن أحدا من المسلمين لم يعتنق المسيحية نتيجة مخططاتنا الثقافية حتى الآن ، سوى ابن فصلناه عن أسرته مدة من الزمن أو عجوز فقير قدم إلينا بدافع المساعدة المالية .

وأعلن القس "زويمر" فى الرد على ذلك :

لا ينبغى على المبشرين المسيحيين إطلاقا القلق من عدم اعتناق المسلمين للمسيحية أو أن يصيبهم اليأس بسبب ذلك ؛ ذلك لأن هدفنا ليس تنصير المسلمين ، بل إن هدفنا الأساسى هو صرفهم عن الاهتمام بالإسلام والمعارف الإسلامية ، وإذا تحقق لنا ذلك فسوف يكون ذلك بالتأكيد أكبر نصر لنا(٨) .

الاستشراق التبشيرى هو أول مظهر من مظاهر دخول أمريكا إلى إيران

إنه لما يثير الدهشة فعلا أن نعلم أن اللبنة الأولى فى كل الاتصالات السياسية بين أمريكا وإيران على مدى أكثر من قرن والسيطرة المنفردة لها على إيران ، هى مهمة تبشيرية قامت بها مجموعة من رجال الدين المسيحى الأمريكيين فى إيران .

إن أول اتصال للأمريكيين مع إيران حدث فى عام ١٢٠٩ ش الموافق عام ١٨٣٠م ، حيث قدمت إلى إيران فى تلك الأثناء عدة مجموعات من المبشرين

الأمريكيين بغرض التبشير بالدين المسيحى فى مناطق شمال غرب إيران . وبعد مرور خمس وعشرين سنة أى فى عام ١٨٥٥م (١٢٣٤ش) وصل عدد المبشرين الأمريكيين إلى ثمانية وأربعين مبشرا .

يقول "جيمس بيل" الأمريكى فى كتابه "النسر والأسد THE EAGLE AND THE LION":

كانت أول مجموعة من الأمريكيين ينظرون إلى الإيرانيين باستهانة ، ويبحثون فيما بينهم ببساطة عن السبل الضرورية لتحقيق أهدافهم النهائية ؛ أى تغيير دينهم وعقيدتهم(٩) .

وقد تعرض الإمام الخمينى (رحمه الله) فى محاضرته فى باريس عام ٥٧ (١٩٧٨م) أيضا إلى موضوع توأمه الاستشراق والتبشير والدعوة ضد الإسلام وهجمة الدول الاستعمارية ، عندما قال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

منذ أن وطأت أقدام الأجانب أرض إيران ، وقاموا بالبحث والدراسة فيها ، وأرادوا نهب ثرواتنا ، بدأوا بالدعوة إلى أن الإسلام والمؤسسة الدينية الإسلامية شيء يتعارض فى نظر الناس مع الحياة ، ومع العقل ، وهو رجعى لا يتناسب مع الحياة ، ووجهوا مثل هذه الاتهامات والادعاءات العديدة(١٠) .

تقسيم المستشرقين التبشيريين

قسم الدكتور على بن إبراهيم النملة المستشرقين التبشيريين إلى عدة مجموعات على النحو التالى :

١- مجموعة من المستشرقين كانت وظيفتها الأولى كقساوسة دراسة العلوم الدينية فى الكنيسة والدعوة للمسيحية والتبشير والتنصير ، ثم دخلوا بعد ذلك فى

الاستشراق والدراسات الإسلامية حتى يستفيدوا من هذا المجال فى تحقيق الأهداف التبشيرية .

٢- مجموعة أخرى بدأت حركة الاستشراق المحض بدون دافع تبشيرى ، إلا أنهم بمرور الوقت وقعوا تحت تأثير الدعوة الكنسية ، حتى كان دورهم التبشيرى أكثر وأقوى من المستشرقين الآخرين ، وأصبح استشراقهم أداة للتنصير والتبشير ، ومن أمثال هؤلاء "صمويل زويمر" المستشرق الأمريكى .

٣- مجموعة ثالثة من المستشرقين لم يقوموا بالعمل التبشيرى بشكل جدى ورسمى ، إلا أنهم تعاونوا مع الكنيسة والمبشرين ووضعوا دراساتهم فى خدمتهم .

٤- المجموعة الرابعة من المستشرقين قاموا أيضا فى بداية اشتغالهم بالاستشراق وبدافع التبشير الدينى بدراسة الشرق والإسلام ، وتعرضوا لبعض الموضوعات أحيانا ، إلا أنهم وبمرور الوقت لاحظوا بطلان هذا الأسلوب المتعصب وغير العلمى ، فابتعدوا عن ذلك ، وواصلوا حركة الاستشراق العلمى .

٥- أما المجموعة الخامسة من المستشرقين فقد كانت لديهم دوافع دينية غير مسيحية ، مثل دافع اليهودية أو الإلحاد أو العلمانية أو المدنية[١١] .

الصلة بين الاستشراق التبشيرى والسياسى

أعلن العالم المسيحى الأوروبى الكبير "روجر بيكون"[١٢] بعد مشاهدته فشل الحروب الصليبية التى استمرت عشرين عاما لتحويل المسلمين من الدين الإسلامى إلى المسيحية :

لقد كانت الحرب المقدسة بلا فائدة ومضيعة للوقت على رغم قساوتها واحتدامها ، ولم تنجح فى السيطرة على الشرق . ومن ثم فإن أفضل وسيلة لنشر المسيحية بين المسلمين هى التبشير والدعوة الهادئة والمسالمة والمتوازنة .

وتبعا لهذا التحليل بدأ مشروع ضخم لتعلم اللغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية والمعارف الإسلامية وعلوم الشرق تحت لواء "بيكون"[١٣] .

مظاهر الصلة المشتركة فى مؤتمر التبشير العالمى فى إدينبورج

على الرغم من أن المؤتمر العالمى للتبشير الذى عقد فى أوائل القرن العشرين الميلادى بحضور قساوسة وآباء من الكنائس المختلفة ، كان يبدو فى الظاهر مجرد تجمع كنسى للتوصل إلى سبل التبشير بالمسيحية فى العالم الإسلامى ، فإن مشاركة الدول الاستعمارية القوية فى عقد هذا المؤتمر والتخطيط له كانت جدية وفعالة ؛ بحيث إنهم أطلقوا على مجموعة المناقشات والمحاضرات التى ألقيت فى ذلك المؤتمر والتى نشرت فى مجموعة من عشرة مجلدات اسم شرح واجبات "المبشرين والحكومات" :

"THE WORLD MISSIONARY CONFERENCE MISSIONS AND GOVERNMENTS"

وفى محاضرته الرسمية فى ذلك المؤتمر ، أزاح "دبليو . اتش . تى . جاردنر"[١٤] الستار عن مصدر التدخل التبشيرى والسياسى الغربى فى شئون إيران السياسية حيث قال :

إن رؤساء قبيلة البختيارية الذين قاموا بهذا الانقلاب الأخير ، وصاروا حكاما لطهران ، كانوا قبل حصولهم على مثل هذا النجاح المدهش من الأصدقاء الدائمين للبعثات التبشيرية للكنيسة والبعثات المسيحية[١٥] .

تأسيس الفاتيكان ومواد معاهدته

تأسست مدينة الفاتيكان ، أو بتعبير آخر دولة الفاتيكان ، وهى مقر الحكم الروحى للبابا لكل المسيحيين الكاثوليك فى العالم ، عام ١٩٢٩ ميلادية فى إيطاليا . وقد نجحت الحكومة الإيطالية فى نهاية الأمر وفى التاريخ المذكور فى التعامل

السياسى مع البابا ، وأقيم حفل للمصالحة وعقدت معاهدة للتعاون المشترك باسم "معاهدة لاترانو" مما أعطى الصلة القديمة الخفية بين "التبشير والاستعمار" صبغة رسمية ، وذلك بعد أن فشلت حكومة إيطاليا فى السيطرة على روما بسبب مقاومة البابا ، وبعد أن شب الصراع بين مؤسسة البابا الدينية وحكومة المملكة الإيطالية لفترات طويلة .

وتتضمن معاهدة لاترانو سبعا وعشرين مادة مع ملحق عبارة عن اتفاقية مالية . ويوضح إمعان النظر فى كل مادة من هذه المواد على حدة حقائق كثيرة . فالجو العام لهذه المعاهدة هو التعامل بين الدين والدولة ، حيث تعترف المملكة الإيطالية رسميا فيها بتأسيس دولة مستقلة للفاتيكان فى قلب البلاد ، وتأمين كثير من الإمكانيات المادية والمساعدات السياسية من أجل الوجود الفعال للكنيسة الكاثوليكية على المستوى الدولى ، وتنصير أتباع الأديان الأخرى وخاصة فى الشرق وأفريقيا ، وفى المقابل يعترف قداسة البابا بتبعية روما للمملكة الإيطالية ، ويمنح بركته لجلالة الملك .

وها هو مطلع نص المعاهدة وبعض موادها :

باسم الثالوث المقدس ... نظرا لأن الفاتيكان وإيطاليا يدركان تماما ضرورة إزالة كل أسباب الخلاف عن طريق إقامة علاقات دائمة تقوم على أساس العدالة ومكانة الجانبين ، ويعتقدان بأن توفير الظروف القانونية والعملية لاستقلال الفاتيكان المطلق فى "تحقيق أهدافه السامية فى العالم" سوف يستوجب قبول الفاتيكان للحل الحاسم والدائم لـ "قضية روما" التى برزت فى عام ١٨٧٠ عند انضمام روما إلى الإمبراطورية الإيطالية تحت حكم أسرة ساڤويا .

ونظرا لأنه من الضرورى لتأمين الاستقلال التام والمطلق للفاتيكان وسيادته بلا منازع حتى على "الساحة الدولية" تأسيس "مدينة الفاتيكان" بترتيبات خاصة ، والاعتراف رسميا بملكيتها التامة للبلاط البابوى وسيادته المنفردة على المدينة المذكورة

فقد اتفق قداسة البابا المعظم "پی الحادی عشر" وجلالة الملك "فيكتور عمانويل الثالث" ملك إيطاليا على قرار عقد معاهدة ، وقد عينا لهذا الغرض مندوبين كاملى الصلاحية هما : سعادة الكاردينال "پيترو جاسپارى" سكرتير الحكومة من جانب قداسة البابا ، والشقاليه "بنيتو موسولينى" رئيس وزراء الحكومة من جانب الملك ، اللذين توصلا بعد الإجراءات اللازمة والمفاوضات الضرورية إلى الاتفاق على المواد التالية :

المادة الأولى : أن تجعل إيطاليا المادة الأولى من الدستور الملكى الإيطالى موضع اعتراف وتأكيد من جديد بحيث يكون المذهب الكاثوليكى الرومى المذهب الرسمى الوحيد للبلاد بموجب تلك المادة .

المادة الثانية : تعترف إيطاليا رسميا بسيادة الفاتيكان على الساحة الدولية كخاصية ملازمة له وتتطابق مع تقاليد رسالته وضرورتها فى العالم .

المادة الثالثة : تعترف إيطاليا رسميا بالملكية الكاملة والسلطة الوحيدة وسيادة البلاط البابوى على الفاتيكان فى وضعه الفعلى وبكل ملحقاته وإمكانياته ...

المادة السادسة : سوف تؤمن إيطاليا عن طريق المسئولين ذوى الصلاحية الماء المناسب للفاتيكان إلى الأبد ...

وسوف تؤمن إيطاليا أيضا الاتصالات التلغرافية والتليفونية واللاسلكية لمدينة الفاتيكان حتى بشكل مباشر مع الدول الأخرى ، وكذلك الخدمات الإذاعية والبريدية له . وسوف تتولى إيطاليا كذلك تنسيق الخدمات العامة الأخرى .

المادة الثامنة : نظرا لأن إيطاليا تعتبر شخصية "قداسة البابا" مقدسة وغير قابلة للاعتداء ، فإنها ستعتبر أى نوع من الاعتداء عليه أو التحريض على فعله يستوجب إنزال العقوبات المقررة للجرائم المشابهة التى ترتكب ضد "الملك" . وسوف يُعاقب كل من يرتكب جريمة الإهانة العلنية لشخص قداسة البابا أو عدم احترامه له سواء بالقول أو بالفعل أو بالكتابة على أرض إيطاليا كما لو كان قد وجه إهانة وعدم احترام لشخص الملك .

المادة الواحدة والعشرون : يتمتع كل الكاردينالات فى إيطاليا بنفس الاحترام الذى يتمتع به الأمراء ذوو الأصول الملكية ...

المادة ١ من الاتفاقية المالية – تتعهد إيطاليا بمجرد توقيع المعاهدة بدفع مبلغ ٧٥٠,٠٠٠,٠٠٠ (سبعمائة وخمسين مليون) ليرة إيطالية نقدا وما يعادل مليار ليرة كأوراق لقرض غير مسمى بفائدة ٥٪ يكون أول موعد فائدة لها فى الثلاثين من يونيو ١٩٢٩م ...

وبعد كل هذا التعاطف الملكى الاستعمارى الإيطالى مع المؤسسة البابوية ، نقرأ البند الأخير ويتضمن ما يلى :

المادة السادسة والعشرون : يؤكد البلاط البابوى أنه بتوقيع الاتفاقية المالية سوف تتمتع الحوزات الأسقفية بالضمانات اللازمة والكافية والاستقلال وحرية الإدارة الروحية بروما والكنيسة الكاثوليكية فى إيطاليا وكل أنحاء العالم ، ويعلن أن "قضية روما" قد حلت إلى الأبد ، ويعترف رسميا بمملكة إيطاليا بزعامة "أسرة ساقويا" ومدينة "روما" كعاصمة لها . وفى المقابل تعترف إيطاليا رسميا بمدينة الفاتيكان تحت سيادة قداسة الباب المعظم[١٦] .

تزامن تعاون الكنيسة مع مكاتب الدول الاستعمارية التجارية

يقول جلال آل أحمد[١٧] فى تقرير له عن الصلة بين الاستشراق التبشيرى والاستشراق الاستعمارى فى القرون الماضية ما يلى :

كان مبشرو المسيحية هم عيون الاستعمار خلال أحداث غزو الغرب لإفريقيا ، وكانوا يقيمون بجوار كل مكتب تجارى فى أنحاء العالم كنيسة أيضا ، ويدعون السكان المحليين للحضور إليها بكل الوسائل الممكنة . والآن وبعد انحسار الاستعمار عن تلك المناطق ، فكلما أغلق مكتب تجارى ، أغلق معه باب إحدى الكنائس[١٨] .

الإعلان عن الوثيقة الرسمية للمؤتمر العالمى للتبشير فى إدينبورج

فى الثامن عشر من يونيو عام ١٩٠٨م عقد المؤتمر العالمى للتبشير فى مدينة إدينبورج بحضور آباء وقساوسة الاستشراق فى العالم . وكان موضوع "ضرورة تطوير عمل البعثات التبشيرية المسيحية فى العالم والتوسع فيه" مدرجا على جدول أعمال هذا المؤتمر . وعلى الرغم من مرور ما يقرب من تسعين عاما على تاريخ هذا المؤتمر ، فيبدو أن مرور الوقت لم يتمكن من التأثير على الهدف الأصلى والأساليب العامة للاستشراق التبشيرى .

وقد طبعت مجموعة مناقشات وبحوث وقرارات ذلك المؤتمر التاريخى الكبير فى عشرة مجلدات تحت عنوان "المؤتمر التبشيرى العالمى والحكومات THE WORLD MISSIONARY CONFERENCE MISSIONS AND GOVERNMENTS"، وتوجد نسخة كاملة من هذا الكتاب فى مكتبة المتحف البريطانى .

وقد نقل المندوب الأسبق للجمهورية الإسلامية فى الفاتيكان الكاتب والباحث المعاصر حجة الإسلام "سيد هادى خسروشاهى"[١٩] الذى استطاع الحصول على وثيقة مهمة من تلك المكتبة ، وهى عبارة عن محاضرة جاردنر W.H.T.GAIRDNER المهمة جدا ، والتى تتضمن الخطوط الاستراتيجية لأنشطة الاستشراق التبشيرى والموجودة فى المجلد العاشر ، وذكر مختارات منها وترجمها ونشرها فى كتابه "الفاتيكان" . وقد جاء فى قسم من هذه الوثيقة أو المحاضرة ما يلى :

البلدان المحمدية

السيد الرئيس !! الآباء والإخوة !!

السؤال ليس صعبا جدا ، وهو أين يمكننا العثور على شواهد تجديد الحركة الإسلامية ومظاهرها اليوم ؟ أو أين لا يمكننا العثور على مثل هذه الشواهد ؟

من المؤكد أننا على معرفة تامة بحركات التجديد التى أثرت فى البلدان الإسلامية مثل : تركيا ومصر وإيران والهند ...

ففى روسيا عَرَفْتُ عن طريق سيدة روسية بحثت فى هذه القضية بشكل خاص وأعدت تقريرا عن ذلك ، أنه عقب إعلان الحرية الدينية فى السابع عشر من أبريل عام ١٩٠٥ وانضمام خمسين ألف شخص جبرا للكنيسة الشرقية اليونانية ، عادوا جميعا إلى الإسلام ، وتبعهم عدد آخر لأول مرة واعتنقوا هذا الدين . ولا شك أن مثل هذه الأحداث سوف تحرض وتشجع مسلمى القسم الأوروبى من روسيا ومناطق الڤولجا وآسيا الوسطى وربما سيبيريا .

ولما كانت الأفكار والمعتقدات تنتقل بسرعة كبيرة كالتيار الكهربائى ، خاصة عندما تنقل قضبان السكة الحديدية هذه الأفكار ، وبالتالى فإنه مما لا شك فيه أن خط ما وراء الخزر الحديدى الذى سوف يُمد من تركستان الروسية سرعان ما يلعب هذا الطريق التجارى التاريخى الذى يمتد من وسط قارة آسيا وحتى الصين دور شبكة الأعصاب التنظيمية بالنسبة لمسلمى آسيا الوسطى ، ويصبح أكثر انسجاما وتنظيما ...

إن قضية الإسلام فى الواقع ليست بالشىء الذى نتجاوزه ببساطة ... ذلك لأن الاسلام قد وصل حتى أبوابنا ، وله وجود محسوس فى كل مكان بدقة من أقصى سواحل أفريقيا الشمالية وحتى أوروبا ، ويجب القول أصلا بأن الإسلام قد تحرك أيضا الآن على كلا جانبى البحر الأبيض المتوسط ...

وإذا لم يكن الإسلام موجودا ، لانتصر المسيح عيسى (عليه السلام) بلا شك . ومن هذا المنطلق لا يمكننا تأجيل حل مشكلة الإسلام إلى الغد . وكما نعلم فإن هذه هى مشكلة اليوم ، ومن ثم لنجعل اليوم يوم إيجاد الحل والتحرر والخلاص "SOLUTION SALVATION" أعود إلى حديث باستور ورز :

لا يوجد أى نوع من الاتحاد بين المبشرين فى أفريقيا . انظر إلى الساحل الغربى ، هناك فى غرب أفريقيا مجموعات تعمل منفصلة عن بعضها . وعلى مدى علمى فإنه لم يبذل أى جهد فى سبيل الاتحاد . ولهذا السبب أتمنى أن يتكاتف كل

المبشرين فى أفريقيا الغربية لتفعيل نشاطهم بين المسلمين بشكل مؤثر وفعال . وسوف تؤدى هذه الخطوة على الأقل إلى القيام بعمل مشترك . ينبغى أن يربط الإسلام بيننا جميعا[٢٠] .

أسقف وينشستر الإنجليزى يشجع علي محاربة الشرقيين لبعضهم بعضا

أقدمت الكنيسة على تنصير قبائل أتراك أسيا الوسطى بعد الحروب الصليبية التى استمرت من سنة ٤٨٩ وحتى ٦٩٠ هـ ، وقام المغول الذين أصبحوا شبه مسيحيين بتحريض من المبشرين النسطوريين بشن حرب دموية على مسلمى إيران وغيرها من البلاد . وأرسل "جلال الدين حسن الإسماعيلى" سفيرا له إلى البلاط الإنجليزى عام ٦٣٦ هـ طلبا للمساعدة خوفا من المغول . فقال "أسقف وينشستر" الذى كان حاضرا فى مجلس الملك :

دعوا هؤلاء الكلاب يحاربون بعضهم بعضا ، ويبلعون بعضهم بعضا ، وسوف نقوم بقتل الناجين منهم أيضا عندما نذهب لحرب أعداء المسيح[٢١] .

البابا جان بول الثاني المكلف بتنفيذ أمر كارتر

فجأة وبعد احتلال وكر الجاسوسية واعتقال الجواسيس الأمريكيين من قبل الشعب الإيرانى المضطهد ، أرسل البابا بول الثانى الزعيم الروحى الأسبق لكاثوليك العالم مبعوثا خاصا إلى قم يحمل رسالة سلام وطلبا للإفراج عن الرهائن إلى الإمام الخمينى (رحمه الله) ، ذلك البابا الذى كان يضع على وجهه قناع الروحانية والسلام والعدالة على مستوى العالم أجمع ، بينما هو شاهد على ما قامت به أمريكا والمستعمرون الأوروبيون على مدى عشرات السنين من جرائم استعمارية وإذلال للعالم، كما كان على علم بوسائل التعذيب المؤلمة والإعدامات الظالمة التى قام بها النظام البهلوى ، ولم يفتح فمه مطلقا للدفاع عن حقوق هؤلاء المظلومين المشروعة ،

ولم يوفد مبعوثا له لتقديم النصح إلى بلاط الحكومة الأمريكية أو شاه إيران .

وقد طرح الإمام الخمينى (رحمه الله) ضمن إجابته عليه سؤالا هو :

لماذا لم يرسل قداسة البابا الذى يحترق قلبه من أجل أسْر عدة جواسيس ، مبعوثا له للدفاع عن شعوب إيران المظلومة وغيرها من الدول ؟[٢٢] .

ومع أن هذا السؤال العظيم والحكيم ظل بلا إجابة آنذاك ، فإن "كارتر" رئيس جمهورية أمريكا فى ذلك الوقت أزاح الستار فى مذكراته التى كتبها بنفسه عن هذا السر وصرح بالإجابة التالية :

لقد تم إرسال هذا المبعوث من قبل البابا بناء على طلب منى تليفونيا ، عندما وجدت أن كل الطرق الدبلوماسية قد أغلقت[٢٣] .

امتناع البابا جان بول الثانى وسفير الفاتيكان فى إيران عن تحديد المعتدى فى الحرب المفروضة

على الرغم من اطلاع الباحثين والسياسيين فى العالم ومعرفتهم بأن صدام والنظام البعثى فى العراق هما البادئان بالحرب على إيران وأن الأمة الإيرانية قد هبت "للدفاع" عن نفسها فحسب ، بل إن هيئة الأمم المتحدة قد أعلنت هذا الموضوع رسميا أيضا ، فإننا ومع الأسف نجد قداسة البابا الذى يمثل الزعامة الدينية لكاثوليك العالم المسيحى ، والذى رفع راية العدالة ، قد التزم الصمت حيال هذا الموضوع ، وكان مستعدا فقط لكى :

أولا : يشارك فى المراسم للصلاة من أجل السلام التى أقيمت فى مدينة "آسى سى" فى حضور ممثلى كل الدول والأديان فى ٦٥/٨/٤ للصلاة من أجل السلام العالمى . إنه يصلى من أجل السلام !!

ثانيا : طبقا لتصريح سفير الفاتيكان فى طهران آنذاك "د - آندريه آ" فى مباحثاته مع المسئولين بوزارة الخارجية الإيرانية الذى قال فيه : لقد أدان البابا فى

لقائه مع الدبلوماسيين فى شهر يناير الحرب الإيرانية العراقية !! ... وقد كتبت إلى الفاتيكان بألا يتحدث البابا فى هذا الصدد مرة أخرى ... !!

ويجيب السفير السابق للجمهورية الإسلامية الإيرانية فى الفاتيكان السيد "سيد هادى خسروشاهى" فى رسالة موجهة إلى سفير الفاتيكان فى طهران ضمن نقله للكلام السابق الذكر إجابة رائعة عليه ، حيث يقول :

ما هو مفهوم هذه العبارة "لقد أدان البابا فى لقائه مع الدبلوماسيين فى شهر يناير الحرب الإيرانية العراقية" ؟ وهل من المنطقى أن يدان فى وقت واحد البلدان المعتدى والمعتدى عليه معا ؟ ...

وبالإضافة إلى ذلك فإن مسئولى الفاتيكان الذين أعلنوا رسميا خلال تأديتهم للصلاة من أجل السلام بأن صدام ومجاهدى خلق رحبوا فى ذلك اليوم بوقف إطلاق النار المعلن عنه ، قد أعطوا صفة رسمية للمنافقين الإرهابيين ، وأيدوا وباركوا هذين التيارين الدمويين فى ذلك القرن[٢٤] .

إنذار الإمام الخميني (رحمه الله) للبابا

قام البابا جان بول الثانى للمرة الثانية بالسماح بالتوسع فى أنشطة عدة مدارس خاصة بالأرمن فى الظاهر وذلك بإرسال الرسالة والسفير ، وهى التى كانت فى واقع الأمر تقوم بنشاط تبشيرى وتضليل لشباب المسلمين .

وقد اغتنم الإمام الخمينى (رحمه الله) هذه الفرصة التاريخية ، إذ كان شاهدا على العلاقة الوثيقة بين المؤسسة الدينية للكنيسة والاستعمار الأمريكى المسيطر على العالم ، وذكرهم بأهم المواقف المنحرفة للبابا والكنيسة ، وكتب فى المرة الأولى رسالة تعد من مفاخر وثائق الثورة الإسلامية الإيرانية .

ولكن فى المرة الثانية عندما التقى "الأسقف ميلارين كابوتشى" ممثل البابا

بالإمام ، طرح فى حديثه المفصل موضوعات قيمة ننقل منها الفقرات التالية :

... يجب أن أبلغ قداسة البابا هذا الموضوع عن طريقك وهو : هل قداستكم لا تعلمون شيئا عن الأوضاع فى أمريكا هذه ، وعن هؤلاء الأشخاص الذين ينتسبون للمسيحية ؟ أم أنكم تعرفون وتتجاوزون عنهم دون أى اهتمام أو اكتراث ؟ هل تعلمون أن كياننا كله قد انهار تماما تحت نفوذ إنجلترا وأمريكا وهيمنتهما ؟ هل تعلمون ماذا فعلوا ببلادنا عندما فرض علينا الإنجليز أثناء حكم رضا خان ، وعندما فرض الإنجليز والأمريكيون والسوفييت علنا محمد رضا ؟ ماذا فعلوا بدولتنا ؟ وهل من مبادئكم فى أى وقت الاستماع إلى صرخة المظلوم ؟ أم أنكم تؤثرون صراخ الظالمين على ذلك النحو ؟ ... عندما أراد الطلاب المسلمون التظاهر وإبلاغ معاناة أمتنا ، ماذا فعلت الشرطة الأمريكية معهم ؟ هل يعلم قداسة البابا أن شبابنا الآن يرزح تحت القيود والأغلال محطم الضلوع ، وبعضهم فى حالة من اللاوعى ؟ هل يهتمون أصلا بهذه المسائل ؟ هل يعرفون كيف كان السيد المسيح (عليه السلام) يتعامل مع البشر ، وأنتم يا من تدعون نيابتكم عنه ، ألا تهتمون بهذه المسائل مطلقا ؟

ليتكم أرسلتم رسالة أيضا إلى كارتر ، رسالة إلى كارتر تقولون فيها إنهم قبضوا على الشباب الذين يريدون إحقاق الحق ، يريدون توضيح الظلم الواقع على شعبنا ، لقد قبضوا عليهم وكسروا ضلوعهم بأحذيتهم طويلة الرقبة ، وهم الآن يرزحون فى الأغلال وتكاد تزهق أرواحهم تحت أحذية جلادى كارتر وأمريكا . كيف أجيب شعبنا إذا قال : إن المؤسسة المسيحية فى خدمة القوى العظمى . كيف أجيبهم عندئذ ؟ .

إننى أسف لأننى لا أستطيع الإجابة عليهم ، لأننى إذا أردت الدفاع عن المؤسسة المسيحية الدينية ، فلابد أن تكون هناك بوادر وإرهاصات فى العمل ، وشواهد فى العمل ، وسوف ترى الأمة تلك الشواهد على وجوهنا ... لماذا ينادون هم بهذه التفرقة ؟ ...[٢٥] .

حاملو لواء الاستشراق التبشيرى[٢٦]

١- يوحنا الدمشقى ، أول مستشرق فى العلوم الإسلامية .

٢- ثيوفانتس البيزنطى .

٣- جيربرت[٢٧] ، الراهب الفرنسى المتخصص فى العلوم الإسلامية .

٤- بطرس ، أول قسيس ترجم معانى القرآن .

٥- البابا رايموندوس لولوس[٢٨] .

٦- القس رايموندوس مارتينى الدومينيكانى[٢٩] ، مؤلف سورة يعارض بها القرآن (١٢٣٠ - ١٢٨٠م) .

٧- روجر بيكون الإنجليزى ، مؤسس كرسى اللغة العربية فى خمس جامعات غربية كبيرة .

٨- البابا "جريجورى الرابع" .

٩- البابا "هونوريوس الرابع" .

١٠- البابا "كليمانس الخامس" .

١١- "بادويل" ، مؤسس قسم اللغة العربية فى خمس جامعات غربية كبيرة .

١٢- غليوم بوستل الفرنسى(٣٠) ، مؤسس طباعة الحروف فى الغرب (١٥١٠ - ١٥٨١) .

١٣- أبراهام هنكلمان ، الراهب الهامبورجى ، مترجم معانى القرآن والبادئ بالطبعة الأولى للقرآن فى القرن السابع عشر الميلادى .

١٤- لودفيجو ماراتشى (المفسر المسيحى للقرآن) .

١٥ ، ١٦ ، ١٧ - أساتذة آخرون من المستشرقين من أمثال "إدوارد بوكوك" (متوفى ١٦٩١) و"سيمون أوكلى" (متوفى ١٧٢٠) و"جورج سيل" (متوفى ١٧٣٦) الذين قاموا بأنشطتهم بدوافع دينية مناهضة للإسلام[٣١] .

وقد عم ضياء العلوم الإسلامية وحضارة المسلمين العالم الغربى والمسيحية إلى الحد الذى جعل رجال الدين المسيحى يصابون بالقلق والانزعاج من الانحسار التدريجى للمسيحية فى مواجهة انتشار الإسلام ، إذ كتب المستشرق "جابريللى" فى كتاب "تراث الإسلام" يقول : "لقد استعربت المسيحية بسرعة لغويا وثقافيا"[٣٢] .

١٨- كارل جو تليپ پفاندر[٣٣] ، القس المناظر فى إيران . يقول عنه مونتجمرى وات :

كان پفاندر إحدى الشخصيات الفعالة فى المناظرات الدينية بين الإسلام والمسيحية. وقد سُمح له لفترة بالقيام بمناظرات دينية فى إيران ، ثم قام بنفس هذا العمل فى الهند البريطانية . وألف عدة كتب فى هذا الصدد باللغة الفارسية ، ترجمت بعد ذلك ونشرت باللغة الإنجليزية . وأهمها كتاب "ميزان الحق" . وقد طبع هذا الكتاب ونشر باللغة الفارسية عام ١٨٣٥م ، ثم تُرجم بعد ذلك وطبع باللغتين الأردية والإنجليزية . وهو يستعرض فى الفصل الرابع نفس تلك النظرة المشوهة عن الإسلام، ثم يقوم بعد ذلك بتوجيه النقد إلى الإسلام[٣٤] .

١٩- إيجناتس جولدزيهر[٣٥] ، المتخصص اليهودى فى القرآن ومؤلف كتاب "الأساليب التفسيرية للقرآن" (١٨٥٠ - ١٩٢١) .

ولد جولدزيهر فى المجر لأسرة يهودية . وكان يكتب مقالات مفصلة علمية دينية فى المجلات وهو فى سن السادسة عشرة من عمره . وقد حصل على درجة الدكتوراه التمهيدية من جامعة لايبزيج على يد الأستاذ المستشرق "فليشر" وهو فى سن العشرين من عمره . ثم أصبح أستاذا بجامعة "بودابست" للغات الإسلامية . ثم تم إيفاده من قبل وزارة الثقافة المجرية للبحث والدراسة إلى فيينا وليدن وسوريا

والقاهرة وفلسطين ، وفى سوريا استفاد من حضوره دروس "الشيخ طاهر الجزائرى"، كما شارك بالحضور فترة فى فصول الأزهر الدراسية .

وقد تنقل بين الدول العربية لمدة عشر سنوات ، وخلف ٥٩٢ عملا علميا .

كما أنه أحد كتّاب دائرة معارف ليدن الإسلامية[٣٦] .

وقد أثر فكره الاستشراقى والإسلامى تأثيرا كبيرا على الدراسات الإسلامية فى ألمانيا .

٢٠- تيودور نولدكه[٣٧] المتخصص الألمانى فى القرآن (١٨٣٦-١٩٣١) .

هو أبو الاستشراق الألمانى ، وهو ملم باللغات العبرية والعربية والسريانية والفارسية والتركية والسنسكريتية والآرامية واليونانية واللاتينية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية . وقد رحل عن الدنيا وهو فى سن الرابعة والتسعين من عمره . كتب رسالته "تاريخ القرآن" وهو فى سن العشرين ، وحصل بها على درجة الدكتوراه التمهيدية وجائزة أكاديمية باريس ، ثم قام بعد استكمالها بمساعدة تلميذه "شوالى" بطبعها على هيئة كتاب بعنوان"GESCHICHTE DES QORANS"[٣٨]، وما يزال هذا الكتاب حتى الآن من أهم مراجع الغربيين فى علوم القرآن . ومع أن هذا المرجع لم يترجم إلى العربية على حد معلوماتى حتى يخضع لمعايير نقد علماء المسلمين ، فإننا لا نعلم شيئا أيضا عن ترجمته إلى الإنجليزية ، ونشاهد فقط نسخته الألمانية .

٢١- ويليام مونتجمرى وات[٣٩] ، العالم الإنجليزى المتخصص فى الإسلام والقرآن ولد فى اسكتلندا عام ١٩٠٩ . كتب رسالته لنيل درجة دكتوراه الفلسفة بعنوان "الجبر والاختيار فى صدر الإسلام" تحت إشراف أستاذه "ريتشارد بل" . ثم درس العلوم الإسلامية ، وأصبح مساعدا إنجليكانيا "تابعا الكنيسة البروتستانتية الإنجليزية" فى بيت المقدس . ثم صار رئيسا لقسم الدراسات العربية والإسلامية فى جامعة إدينبورج إلى أن تقاعد فى عام ١٩٨٠م .

٢٢- أرثر جفرى[٤٠] ، مؤلف كتاب "الألفاظ الدخيلة فى القرآن" .

كان أستاذا بالجامعة الأمريكية فى بيروت وأستاذا بجامعة كولومبيا الأمريكية ، وأستاذا للغات السامية بالقاهرة . وربما يكون أستراليا أو إنجليزيا أو أمريكيا . ولا توجد معلومات دقيقة عنه .

٢٣- ريجى بلاشر[٤١] ، المترجم الفرنسى للقرآن (١٩٠٠ - ١٩٧٣) .

ولد فى باريس وهاجر مع والديه إلى الجزائر المستعمرة ، وفى السنوات التى كان أبوه فيها يعمل كموظف فرنسى فى مراكش الخاضعة للاستعمار ، قام بدراسة اللغة العربية والإسلام . وبعد الفراغ من الدراسة فى مدرسة الفرنسيين ، أصبح مديرا لإحدى المدارس فى الرباط . ثم حصل على درجة الليسانس ، وأصبح عضوا فى المركز العالى للبحوث فى المغرب . وقد حصل على درجة الدكتوراه برسالتين هما : أبو الطيب المتنبى ، والترجمة الفرنسية لطبقات الأمم .

٢٤- أرثر جون أربرى[٤٢] ، المتخصص الإنجليزى فى الأدبين الفارسى والعربى (١٩٠٥ - ١٩٦٩) . وهو من أبناء إنجلترا . حصل فى بداية الأمر على ليسانس الأدب العربى والفارسى ، وتعلم التركية والفرنسية . سافر فى عام ١٩٣٠ إلى إسطنبول والقاهرة كعضو هيئة تدريس بكلية يمبروك للقيام بأبحاث ، واشتغل بتحقيق النسخ الخطية الموجودة فى المكتبة القومية بالقاهرة . وقد استفاد كثيرا من حضوره مع الدكتور عفيفى ونيكلسون .

وفى عام ١٩٣١ أصبح رئيسا لقسم اللغات القديمة بجامعة القاهرة . كما سافر أيضا إلى فلسطين ولبنان وسوريا .

مؤلفاته العلمية له أكثر من مائة كتاب وسبعين مقالة :

ألف : واحدا وعشرين كتابا .

ترجم : ثمانية وثلاثين كتابا إلى الإنجليزية .

حقق : ثلاثة عشر كتابا .

٢٥- زويمر(٤٣) ، قسيس ومؤسس مجلة العالم الإسلامى هو مستشرق مبشر ومؤسس مجلة "العالم الإسلامى" فى أمريكا . ولهذه المجلة اتجاه تبشيرى مناهض للإسلام . وقد ألف كتاب "الإسلام يحدد حدود العقيدة" . وهو ناشر كتاب "الإسلام" ؛ وهو عبارة عن مجموعة مقالات المؤتمر الثانى للتبشير عام ١٩١١م فى لكهنو بالهند[٤٤] .

٢٦- ويليام موير[٤٥] ، المستشرق والمبشر المسيحى (١٨١٩ - ١٩٠٥) قام بتعليم اللغة العربية بعد أن خدم لعدة سنوات فى الهند وتولى منصب مندوب الحكومة الإنجليزية فى الولايات الشمالية الغربية للهند ، ثم قام بالبحث فى "تاريخ الإسلام" . ووصل به أمر تعصبه الشديد للمسيحية إلى إرسال بعثات تبشيرية مسيحية إلى "تاج محل" و"أكرا" . وكان "بفاندر" أحد زملائه المتعصبين ضد الإسلام .

ألف ويليام كتبا متعددة ضد الإسلام ونشرها ، منها الكتاب التالى :

حياة محمد (ﷺ) وتاريخ الإسلام THE LIFE OF MOHAMMED AND HISTORY OF ISLAM

٢٧ - هنرى لامنس[٤٦] ، الراهب البلجيكى المتعصب (١٨٦٢ - ١٩٣٧) ولد لامنس فى "جِنت" ببلجيكا ، ذهب فى شبابه إلى بيروت ، ودرس هناك فى الجامعة المسيحية ، وبدأ حياة الرهبنة . وقضى عامين فى دير اليسوعيين فى جبل لبنان ، وشُغل لمدة خمس سنوات بتعلم الخطابة واللغات المختلفة . ثم أصبح أستاذا للتاريخ الإسلامى فى "مركز البحوث الشرقية" التابع لكلية اليسوعيين . وكان يتولى لفترة منصب مدير مجلة التبشير المسيحى "البشير" ثم مجلة "المشرق" ، ألف كتبا عديدة حول الإسلام تؤكد تعصبه الأعمى وخيانته فى نقل الأحداث التاريخية .

٢٨- برلامس[٤٧] ، القسيس المسيحى والجمل التالية له :

لم يستطع القرآن اجتذاب العرب للإسلام فحسب ، بل أدخل أمما مختلفة ومتنوعة فى الإسلام ، ويزداد ضياؤه اتساعا وانتشارا كل يوم ، ويلقى بأشعته على أسيا وأفريقيا .

ويراقب المبشرون المسيحيون هذا الوضع ، إلا أنهم يقفون مكتوفى الأيدى أمام هذا الأمر(٤٨) .

٢٩- أ . ر. جيب(٤٩) (١٨٩٥ - ١٩٧١) المتخصص الإنجليزى فى التاريخ الإسلامى كان جنديا من جنود المدفعية فى السنوات الواقعة بين ١٩١٤ و ١٩١٨ فى الحرب مع فرنسا وإيطاليا ، ثم قام بعد الحرب بتعلم اللغات الشرقية وخاصة الأدب العربى ، وصار محاضرا فى جامعة لندن فى مادة "التاريخ والأدب العربى" .

وجيب هو أحد كتاب "دائرة المعارف الإسلامية" وأحد المشرفين عليها ، وكان أستاذا للغة العربية فى "جامعة لندن" و "جامعة أكسفورد" و"جامعة هارفارد الأمريكية" ومديرا "لمركز بحوث الشرق الأوسط فى هارفارد" .

٣٠- فولتير الفرنسى(٥٠)

هو الأديب والكاتب الفرنسى (١٦٩٤ - ١٧٧٨) الذى أقام مهرجانا فى عام ١٧٤٥م ضد نبى الإسلام طبقا لما ذكره الدكتور "صالح البُنداق" ، وكتب بهذه المناسبة رسالة إلى الحبر الأعظم "البابا بنوا بنلاكتوسBENOIT.XIV " وسمى تلك الرسالة "التعصب مع محمد نبى الإسلام" ، واتهمه باتهامات كثيرة مرفوضة وباطلة(٥١)(٥٢) .

٣١- ماسينيون الفرنسى(٥٣) ، المتخصص فى علم الشيعة والحلاج (١٨٨٣ - ١٩٦٢) .

هو لويس ماسينيون المولود فى باريس ، وقد اختار المذهب الكاثوليكى وهو فى سن الخامسة والعشرين من عمره . ويرجع السبب وراء شهرته إلى دراساته ومؤلفاته حول الحلاج والمذهب الشيعى .

وقد تعلم اللغات الشرقية فى المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية والتى مازالت تخرّج حتى الآن مستشرقين كثيرين من فرنسا وغيرها من الدول الأخرى ، وما زالت موجودة فى عنوانها المعروف : رقم ٤ شارع الليل فى المنطقة السابعة بباريس .

سافر ماسينيون إلى دول إسلامية كثيرة منها الجزائر ومراكش ومصر .

وكان لفترة طالبا فى المركز الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، وهناك بدأ دراساته فى الآثار الإسلامية . وكان يرتدى فى الغالب الأعم الملابس الوطنية المصرية . وعندما دخل الأزهر للدراسة ارتدى "الزى الأزهرى" .

وشُغل لفترة أيضا بتدريس "المدارس الفلسفية فى الإسلام" و"المصطلحات الفلسفية" باللغة العربية فى جامعة القاهرة القديمة ، وكان طه حسين أحد تلاميذه . وقد قام بعمل أبحاثه على شكل رسائل حول "مراكش بعد الفتح العربى ، مع خرائط للمناطق التاريخية" و"حفريات الآثار القديمة فى العراق" .

٢- مدرسة الاستشراق السياسى الاستعمارى

بداية العلاقات السياسية بين الشرق والغرب وتنافس الحضارتين

قمنا فى هذا الكتاب بدراسة بداية العلاقات السياسية بين الشرق والغرب تحت عنوان "مراحل الاستشراق العشر"[٥٤] .

ظهور الحضارة الإسلامية على ساحة المنافسات

لاحظنا فى القسم الخاص بالنبذة التاريخية ومراحل الاستشراق أن أول مرحلة للاستشراق قد استمرت من القرن السادس ق.م وحتى القرن السادس الميلادى ولمدة اثنى عشر قرنا تقريبا ، حيث تجلت فى تلك الأثناء المنافسة الطويلة بين حضارة الشرق والغرب .

لقد كانت مشاهدة التطور المتنامى للحضارة الإسلامية فى الشرق وانتشارها فى الغرب منذ القرن السادس الميلادى وما تلاه وأفول الغرب فيما بين القرن الثالث عشر وحتى القرن السادس عشر الميلادى ناقوس خطر نبه الغربيين إلى عالمية الحضارة الإسلامية الشرقية . ومن ثم اضطروا إلى البدء فى حركة البحث للتعرف على هذه الحضارة الشرقية ومحاربتها واقتباس الإنجازات والمكاسب التى يمكن نقلها إلى الغرب وهو الذى سُمى بالاستشراق .

يقول إدوارد سعيد :

بعد هجرة سيدنا محمد (ﷺ) فى عام ٦٣٢م ، ازداد فى البداية النفوذ العسكرى ثم النفوذ الثقافى والدينى للإسلام بشدة . وفى المرحلة الأولى سقطت إيران وسوريا ومصر ثم تركيا وشمال أفريقيا أمام جيوش المسلمين . وفى القرن الثامن والتاسع الميلاديين فُتحت أيضا إسبانيا وسيسيل وأجزاء من فرنسا . وفى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين كان الإسلام قد تقدم صوب الشرق حتى الهند وإندونيسيا والصين وفى مقابل هذا الهجوم غير العادى ، لم تتمكن أوروبا من فعل أى شىء يذكر سوى الإعراب عن مخاوفها من هيبة الإسلام . وكان المؤلفون المسيحيون الذين شاهدوا هذه الفتوحات والسبق الذى أحرزه المسلمون على صلة ضئيلة بالعلم والثقافة العالية والمتميزة عند أغلب المسلمين فى هذه الفترة التى قال عنها جيبون "إنها كانت تتزامن مع أكثر عهود الشعوب الأوروبية ظلمة وتقاعسا ..." .

ولهذا كله أصبح الإسلام رمزا للإرهاب والتخريب والجماعة الشيطانية والبربرية وموضع كراهية من الأوروبيين ، وشكل الإسلام ضربة روحية قاصمة لأوروبا . وكانت الإمبراطورية العثمانية حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادى تشكل خطرا بالنسبة لأوروبا حيث كانت تتربص بجوار هذه القارة لتعرض "الحضارة المسيحية" كلها للخطر ....

والجدير بالذكر هنا أن ما جرى حتى الآن باسم الإسلام إنما يهدف بالضرورة إلى الحد من تلك القوة الكبيرة والخطيرة التى استقرت فى أذهان الأوروبيين على أنها

رمز للإسلام ... لذلك فإن المستشرقين يرون أنه ينبغى وضع هذا "الشرق العنيد" تحت السيطرة[٥٥] .

ويقول فى موضع آخر :

منذ أواخر القرن السابع الميلادى وحتى نهاية حرب "ليانتو" فى عام ١٥٧١م تمتع الإسلام بكل صوره سواء كان عربيا أم عثمانيا أم إفريقيا شماليا أم إسبانيا بنفوذ وسلطة على أوروبا المسيحية وكان يهددها بشكل مؤثر ؛ ومن ثم فإن حقيقة أن الإسلام هو الذى أدى إلى تخلف الروم وازدهر هو ازدهارا كبيرا ، لا يمكن أن تمحى من ذهن أى أوروبى سواء فى ذلك الزمان أو فى الوقت الحاضر[٥٦] .

تحريف تاريخ الإسلام العظيم فى كتاب دراسى بجامعة كمبريدج

إن من مظاهر تاريخ البشرية ظهور دين يسمى الإسلام فى "الجزيرة العربية" فى القرن السابع الميلادى أنقذ سكان شبه الجزيرة والبلدان المحيطة بها من الجهل وتقديس الخرافات ؛ كما أن ازدهار "الحضارة الإسلامية" وتألقها منذ ظهور الإسلام وحتى القرن الثانى عشر الميلادى يعد من أزهى العصور التاريخية .

ومن ثم ؛ فإنه لو كان من المقرر أن توفر المراكز الجامعية الأوروبية والأمريكية الكبيرة معلومات علمية عن "تاريخ الإسلام" بإخلاص وصدق لطلابها ، فقد كان من الواجب بالتأكيد تفصيل القول عن هاتين الفترتين التاريخيتين العظميين ، وكان يمكنهم تلقين الطلاب بالإضافة إلى ذلك كل مشكلة تتعلق بالإسلام لكونهم مسيحيين ؛ إلا أن تأليف كتاب باسم "تاريخ الإسلام" وحذف المميزات البارزة لهاتين الفترتين المزدهرتين من هذا الكتاب ، يعد أبرز دليل على "الخيانة العلمية" و"خيانة التاريخ" و"خيانة الطلاب" ، وهذا الأمر قد حدث للأسف فى أوروبا وما زال يحدث .

ويوضح إدوارد سعيد هذا الأمر على النحو التالى :

إن الكتاب الذى يقع فى مجلدين بعنوان "تاريخ الإسلام" الذى أصدرته جامعة كمبريدج لأول مرة فى إنجلترا عام ١٩٧٠م ، بالإضافة إلى تعريفه للإسلام بأنه "دين سيئ جدا" ، وبعد أن يتحدث عن الأوضاع الإقليمية للبلاد العربية قبل الإسلام ، يفرد فصلا عن "النظام القبلى ومنزلة شيخ القبيلة كرئيس لها وعن خلفاء بنى أمية" بعد ذلك ، ويخصص فصلا للحرب ، ثم يفصل القول عن الحروب الطويلة الأمد والممالك ، والوفيات ، والأفراح والأتراح ، والتنقلات ، إلا أنه لم يتناول مطلقا "الحضارة الإسلامية فى الأندلس"[٥٧] .

الحضارة الاسلامية ، أو حضارة المسلمين

عندما لم يتمكن بعض المستشرقين والعلماء الغربيين المتخصصين فى الإسلام من إغفال وتجاهل مبدأ ظهور "الحضارة الإسلامية" فى التاريخ ، ورأوا كذلك فى نفس الوقت الازدهار اللافت للنظر والقيم والمكاسب الإنسانية الإيجابية أمرا مسلما به ولا يمكن إنكاره ، اختاروا طريقا ثالثا لإفشالها ؛ فقرروا قطع الصلة بين "الحضارة الإسلامية" و"الإسلام" ، وعدم اعتبار الحضارة الإسلامية وليدة الدين الاسلامى نفسه ومحصلة لمعارف الإسلام الدينية ، بل ادعوا أن "الدين الإسلامى" قد اقترض حضارته من الأديان والحضارات والأمم الأخرى ونسبها لنفسه ، وأن كل تلك الإنجازات العلمية والأخلاقية والاجتماعية للمسلمين لم تكن ملكا لهم على مدار التاريخ ، بل هى أمانة وقرض عندهم اقترضوه من الأجانب ، حتى يثبتوا بهذه الطريقة أن الإسلام يفتقد إلى المعارف الأساسية التى تشكل حضارة إنسانية .

ويذكر كتاب "تاريخ الإسلام" الكتاب الدراسى الرسمى بجامعة كمبريدج كمُنَفِّذٍ قوى لهذا المشروع :

إن الحضارة الإسلامية تقوم على الاقتراض من الحضارات المسيحية واليهودية واليونانية والنمساوية والألمانية بعيدا عن مبادئ المسلمين !![٥٨] .

وبالإضافة إلى أن مؤلفى هذا الكتاب لم يلقوا نظرة على المصادر والمنابع المعرفية للحضارة الإسلامية فى الآيات والروايات ؛ فقد غفلوا حتى عن أن الحضارة الإسلامية كانت موجودة فى الأندلس وغيرها من البلدان فى الفترات التى كان فيها كل المسيحيين واليهود واليونانيين والنمساويين والألمان يغطون فى سبات عميق فى عصر الظلمة قبل عصر النهضة .

محاربة المسيحيين لتقليد الاعتراف وعبادة الأصنام مظهر من مظاهر تأثير الإسلام على الغرب

شرح أحمد أمين فى كتابه "ضحى الإسلام" مظاهر تأثير الثقافة النقية والعقلانية للدين الإسلامى المبين على المعرفة الدينية لرجال الكنيسة فى الغرب ؛ فكتب يقول :

١- ظهرت فى القرن الثامن الميلادى أى فى القرنين الثانى والثالث الهجريين فى مقاطعة سبت مانيا SEPT MANIA الفرنسية حركة تدعو إلى إنكار الاعتراف أمام القساوسة ، وأنه ليس للقس الحق فى ذلك ، وأن يضرع الإنسان إلى الله وحده لطلب المغفرة على ما ارتكبه من إثم ، وبما أن الإسلام ليس فيه قساوسة ورهبان وأحبار ، فطبيعى ألا يكون فيه اعتراف .

٢- كذلك كانت هناك حركة تدعو إلى تحطيم الصور والتماثيل الدينية ، ذلك لأنه فى القرن الثامن والتاسع الميلادى أو القرن الثالث والرابع الهجرى ظهر مذهب نصرانى يرفض تقديس الصور والتماثيل ؛ فقد أصدر الإمبراطور الرومانى ليون الثالث أمرا سنة ٧٢٦م يحرم فيه تقديس الصور والتماثيل ، وأمرا آخر سنة ٧٣٠م ، يعد الإتيان بهذا وثنية . وكذلك كان قسطنطين الخامس وليون الرابع ، على حين كان البابا جريجورى الثانى والثالث وجرمانيوس بطريرك القسطنطينية والإمبراطورة إيرينى من مؤيدى عبادة الصور ، وجرى بين الطائفتين نزاع شديد .

٣- يقال إن "كلوديوس CLADIUS" أسقف تورين (الذى عين سنة ٨٢٨م = ٢١٣ هجرية) والذى كان يحرق الصور والصلبان ، وينهى عن عبادتها فى أسقفيته ، ولد وربُى فى الأندلس الإسلامية ، وكراهية الإسلام للتماثيل والصور معروفة[٥٩] .

حركة الترجمة وازدهار الحضارة الإسلامية

بعد أن أصدر جُستين فى عام ٥٢٩م أمرا بإغلاق مدرسة أثينا ، اتجه العلم القديم من منطقة البحر الأبيض المتوسط إلى البلدان التى تحولت بعد ذلك إلى بلدان إسلامية . وكان أعظم مركز لثقافة الغربيين فى العصور القديمة هو الموجود فى الإسكندرية بمصر . وكان النسطوريين يدرسون علم الطب عند اليونانيين باللغتين الفارسية والسريانية . هؤلاء هم الأشخاص الذين لجأوا إلى جندى شاپور بعد طردهم من أديسا فى عام ٤٨٩م . وقد تحولت جندى شاپور فى ذلك الوقت إلى مركز علمى نشط حيث تبودل هناك الفكر اليونانى والإيرانى والسريانى واليهودى والمسيحى والهندى فى جو يسوده الصبر والتحمل والمهادنة والتعامل برفق . وبعد أن انتصر العرب على إيران ، احترموا هذا التراث القديم وقدروه . وبعد مرور قرن من الزمان على وفاة محمد (ﷺ) امتدت الإمبراطورية الإسلامية من إسبانيا وحتى التركستان ؛ فتحولت ترجمة الرسائل العلمية القديمة بسرعة إلى قضية حكومية ، حيث أصدر الأمراء ومحبو الفن أوامرهم شخصيا بترجمة هذه الأعمال . واجتمع لهذا الغرض مترجمون عظام من قوميات وأديان مختلفة .

ومثال ذلك حنين بن إسحق (ولد عام ٨٧٣م) الذى كان مسيحيا نسطوريا ، وكان مجيدا للغتين العربية والسريانية . هذا الطبيب المشهور هو أحد أعظم مترجمى الرسائل الطبية السريانية واليونانية . وكان جادا جدا فى عمله ؛ بحيث إنه كان يقابل بين النسخ المتعددة للكتاب الواحد حتى يحصل على النص الأصلى للكتاب . كما كان يشرف على مجموعة تولت مسئولية ترجمة أعمال جالينوس وبقراط وديوسكوريدس إلى العربية . وقد لعب حنين بن إسحق دورا مهما فى ترجمة الأعمال العلمية اليونانية إلى العربية . وكان ابنه إسحاق بن حنين أيضا على معرفة باللغة اليونانية وترجم أعمال أرسطو الفلسفية وكُتب بطليموس واقليدس الأصلية إلى العربية . والجدير بالذكر أن أعمال ديوسكوريدس فى مجال علم العقاقير ، تعد من الأعمال التى لم يكن لها بديل حتى القرون الوسطى فى الشرق والغرب .

ويشير ابن النديم فى القرن التاسع إلى أن ١٧٤ كتابا من بين ٤٢٠ كتابا طبيا كانت فى الأصل باللغات اليونانية والسنسكريتية والپهلوية والسريانية . وقد ترجمت هذه الكتب على مدى القرنين الثامن والتاسع إلى اللغة العربية . ونطالع من بين كتّاب هذه المؤلفات أسماء ثلاثة أشخاص أكثر من غيرهم وهم : بقراط ، ورفوس من سكان إفسوس ، وخاصة جالينوس الذى تُرجم له فقط مائة وخمسة وعشرون كتابا . كما نطالع من بين ٢٥٦ كتابا عربيا أعمالا لحنين بن إسحاق وقسطا بن لوقا ويوحنا بن مسويه ، وكان الثلاثة يعيشون فى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى ، وهم مسيحيون نسطوريون ، و ١٤٤ رسالة طبية من مؤلفات زكريا الرازى . وكان لمشروع جمع المعلومات والنصوص الطبية الإسلامية لبيت الحكمة أهمية كبيرة وهو دليل على سجل المسلمين العلمى وشاهد على جانب من العلوم الإنسانية فى هذا الميدان .

انتشار العلوم الطبية فى الدول الإسلامية

هناك مشروع آخر فى ميدان الطب ، هذا المشروع هو البحث حول كيفية نشر العلوم الطبية فى البلدان التى يقطنها المسلمون ، وقد اهتم هذا البحث بنشر هذه العلوم من ناحيتين : الناحية النظرية والناحية العملية . وسوف نستعرض الآن بعض التوضيحات حتى نلفت النظر إلى أهمية هذا المبحث :

أشهر أساتذة العلوم الطبية عند المسلمين فى صدر الإسلام

١- ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) : على الرغم من أنه لم ينل أى نوع من التعليم الرسمى فى مجال العلوم الطبيعية أو الطبية ، فإن أطباء مشاهير كانوا يعملون تحت إشرافه وهو فى سن السادسة عشرة من عمره ، وقد أحاط بكل علوم عصره وهو فى سن الثامنة عشرة . إن ابن سينا الذى اشتهر على أنه طبيب وفيلسوف له أيضا مؤلفات فى مجال العلوم الطبيعية والفيزياء والنجوم والرياضيات والدين والأخلاق . ويتضمن كتابه المشهور باسم "القانون" فى الطب كل المعلومات المتاحة فى عصره عن

علوم الطب تقريبا . هذا بالإضافة إلى أنه يحتوى على مشاهداته وملاحظاته الشخصية كذلك . هذا الكتاب الذى ترجم إلى اللغة اللاتينية ، كان يدرس فى جامعات الغرب لقرون عديدة .

٢- أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، أشهر طبيب مسلم ويعرف بلقب جالينوس العرب ، وهو الذى يُعرف فى الغرب باسم RHAZES . كان الرازى فى بداية أمره عازف عود ، وقبل أن يتجه إلى الطب كان يعمل فى مجال الكيمياء . ترجمت رسالته حول مرض السفليس والحصبة إلى اللغات الأوروبية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وهى تعد من مراجع الأطباء الغربيين فى العصر الحاضر . وأعمال الرازى متنوعة جدا ، وله ١٨٤ عملا فى مجال الطب والمنطق والفلسفة والكلام والعلوم الطبيعية والكيمياء والنجوم والرياضيات ، وغير ذلك . وقد رفض الرازى التبعية والتقليد الأعمى لعلماء الغرب وخاصة جالينوس ، وكان يؤمن بالمشاهدات والملاحظات اليومية ، والدقة فى توجيه المريض وتشخيص المرض .

٣- ابن الهيثم (٣٥٤ - ٤٣٠هـ) ، هو أول من انتقد نظرية بطليموس حول الدنيوية . كما كان أيضا من أعظم المتخصصين فى علم الضوء ، وقد اعتمد فيه بالتأكيد على تجارب علمية وأساليب جديدة أبعدته عن علم اليونان . ونقلت وجهات نظره ورؤيته بواسطة علماء الغرب غالبا فى القرون الوسطى ، وأفاد كبلر وديكارت من نظريته حول انكسار الضوء فى القرن السابع عشر .

٤- ابن البيطار ، هو واحد من أعظم علماء النبات والعقاقير فى العالم الإسلامى . ولد فى ملقا وتوفى فى دمشق عام ١٢٤٨م ، سافر إلى الأناضول وسوريا وجمع عينات من النباتات . ويعتبر كتابه فى الأدوية أهم عمل موجود فى مجال العقاقير الطبية . وقد عرَّف فى هذا الكتاب بألف وثمانمائة عينة من النباتات . ومن بين هذه العينات توجد ثلاثمائة عينة جديدة لم ترد قبل ذلك فى أى كتاب . ويستعرض ابن البيطار فى كتابه آراء الكتّاب اللاتين واليونان كما يشرح هو ملاحظاته ومشاهداته . وقد ظل هذا الدليل الموضوعى المهم الذى يضم كل علم العقاقير مصدرا لطب الأعشاب فى الدول الشرقية الإسلامية .

٥- ابن رشد ، ولد فى مدينة قرطبة عام ١١٢٦م . وترجع شهرته إلى كتابه فى تفسير وشرح أعمال أرسطو . وعندما تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية بهر أوروبا وأذهلها . وقد شرح أعمال ابن سينا بوصفه طبيبا ، وكتب رسالة طبية بعنوان كتاب "الكليات" ، وهى التى تُرجمت بعد ذلك إلى اللغة اللاتينية بعنوان COLLIGET، ويشتمل هذا العمل على سبعة كتب فى مجال علم التشريح وعلم الأمراض وعلم اقتفاء الأثر وعلم الأدوية والصحة والعلاج بالأدوية . وفى ذلك الوقت شُغل ابن رشد بقراءة كتاب الفيزياء والأرغنون لأرسطو ، وهو أعظم وأقيم عمل فلسفى من وجهة نظره . هذه المسألة تدل على مدى اهتمامه بالعلوم النظرية وبالقياس بطبيعة الحال . هذا بالإضافة إلى أن ابن رشد كان مهتما أيضا بعلم الفلك الأرسطى وغير البطلميوسى .

٦- ابن النفيس ، كان جراحا يزاول نشاطه فى دمشق فى القرن الثالث عشر . وقد اكتشف الدورة الدموية الرئوية ، وبهذا بيَّن الخطأ الذى وقع فيه جالينوس فى هذا الصدد . وقد حدث هذا الاكتشاف المهم قبل ثلاثمائة سنة من تفسير سرفانتس (١٥٣٣م) وكولومبو (١٥٥٩م) لنظام الدورة الدموية . والجدير بالذكر أيضا أنهما قاما بهذا العمل بعد مضى ثلاثين عاما على طرح آراء ابن النفيس فى أوروبا .

٧- أبو القاسم الزهراوى (القرن التاسع والعاشر) وهو الذى عُرف فى أوروبا باسم أبو الكاسيس ، وكان مشهورا وذائع الصيت فى الغرب والشرق . وقد ترجمت أجزاء كثيرة من دائرة معارفه الطبية إلى اللغة العربية واللاتينية واللهجة الفرنسية الجنوبية . وقد ترجم الزهراوى مائة وثلاثين رسالة حول الأمراض والعقاقير وغير ذلك وهو الذى عرف أكثر على أنه جراح . وكانت مصادره التى اعتمد عليها فى كتابة هذه الرسائل هى مؤلفات زكريا الرازى الإسلامية ومؤلفات پاول دجين اليونانية .

وقد لعبت أفريقيا الشمالية دورا مهما ونشطا فى انتقال علوم العرب وأوروبا عن طريق سيسيل وإسبانيا . وبلغت مدينة القيروان ذروة التقدم فى القرن التاسع ، وكانت واحدة من أعظم المراكز الثقافية التى تتمتع بجو يسوده التعاون والتعايش . وقد اجتذب بلاط الأمراء هناك أطباء مشهورين من أمثال الإسرائيلى الذى كان

نموذجا للأفلاطونى اليهودى الجديد ، وقد انتشرت أعمال الإسرائيلى المتأثرة بجالينوس وعمت الشرق الإسلامى والغرب المسيحى . وتعد رسالته فى القلب التى ترجمت إلى اللغات اللاتينية والإسبانية والعبرية أول رسالة تؤلف بالعربية فى هذا الموضوع .

٨- ابن الجزار (القرن العاشر) كان طبيبا مشهورا ، وهو الذى وصل كتابه المسمى "زاد المسافر" حتى الأندلس ، وترجم بعد ذلك إلى اللغات العبرية واللاتينية واليونانية أيضا . ويجدر القول بأن كثيرين من أطباء الأندلس العظام قضوا جزءا من حياتهم فى شمال أفريقيا .

الأندلس وسيسيل

كانت توليدو أحد المراكز التعليمية المهمة فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر . وقد حوَّلت وفرة المخطوطات المتعددة ووجود يهود يتحدثون بالعربية ومستعربين ، مدينة توليدو إلى مدينة لا يمكن الاستغناء عنها فى مجال ترجمة الكتب (قَدَّمَت مجموعة من المسيحيين الأوروبيين الذين كانوا تحت حكم المسلمين شكلا آخر من التقاليد الدينية) .

وفى تلك الأثناء يمكن ذكر جرارد (١١١٤ - ١١٨٧) وهو من سكان كرمونا ، كنموذج بارز . وقد وقف حياته على ترجمة أعمال فلسفية ورياضية وطبية من العربية إلى اللغة اللاتينية . كما نقل أيضا أعمال أرسطو وجالينوس وإقليدس إلى اللغة العربية . وترجم جرارد كتاب القانون لأبى على بن سينا وأعمال الرازى إلى اللغات الأوروبية . وقد لاقت هذه الكتب اهتماما كبيرا فى أوروبا ، وظلت حتى القرن السابع عشر الميلادى تعامل فى الجامعات على أنها مراجع أساسية .

ويستفاد من ترجمات قسطنطين الأفريقى أنه نقل علم الطب عند المسلمين إلى أوروبا . ولد فى قرطاج وتعلم الطب فى القاهرة ومن المحتمل أنه سافر إلى الهند وأثيوبيا ، وقام بدراسة اللغات العبرية واليونانية والسريانية والأثيوبية والكلدانية

واللغات الهندية . وقد علم بقلة الأعمال الطبية باللغات الأوروبية ، ومن هنا أقدم على دراسة الطب وجمع كل ما كتب في هذا الحقل . عاد قسطنطين إلى سيسيل ، ورحب بقدومه إلى سالرنو الدوق روبرت جيسكارد . وانتقل بعد ذلك إلى دير "مونت كازينو" وأصبح راهبا . ومن أهم أعماله ترجمته لكتاب "مسائل في الطب" تأليف حنين بن إسحاق . كما ترجم أيضا أعمال المجوسى وابن الجزار . وتعتبر ترجمات قنسطنطين التي كانت موضع استفادة في القرن الثاني عشر في مدرسة سالرنو إحدى أهم كتب العرب الطبية التي كانت تدرس في أوروبا .

نظرة على مكتبات العالم الاسلامى المهمة فى القرون الوسطى

لقد تطورت حضارة المسلمين وتقدمت عقولهم في قرون عصور الظلام في أوروبا إلى الحد الذى تأسست في البلدان الإسلامية مكتبات كثيرة ، مثل :

١- مكتبة عمر في طرابلس التي كانت تضم مائة وثمانين موظفا يقوم مائة وثلاثون منهم باستنساخ الكتب .

٢- مكتبة بيت الحكمة في بغداد وهي التي أسسها هارون الرشيد في عام ١٧٠ هـ وذاعت شهرتها في الآفاق ، وتم تخريبها أثناء هجوم المغول على بغداد وإيران عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م ، حيث نهبت كتبها وألقيت في النهر .

٣- مكتبة شابوربن أردشير دار العلم ، وهي التي أسسها الوزير بهاء الدولة البويهي عام ٣٨٢ هـ في منطقة الكرخ ببغداد ، وكانت تضم أكثر من عشرة آلاف كتاب[٦٠] .

٤- دار الحكمة "دار العلم" بالقاهرة ، وأسسها الخلفاء الفاطميون عام ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م ، وكانت تضم حوالى ١/٦٠٠/٠٠٠ مجلد ، وظلت نشطة جدا حتى عام ٥١٢ هـ[٦١] .

٥- دار الحكمة "خزانة الحكمة - دار العلم" بقرطبة (كوردوبا) في إسبانيا ، وقد وصلت إلى ذروة عظمتها فيما بين سنتى ٣٠٠ و ٣٥٠ . وكانت تضم أكثر من

أربعمائة ألف كتاب ، وتقع فهارسها فى أربعة وأربعين مجلدا . وكان يعمل بها خمسمائة موظف[٦٢] .

٦- مكتبة أسرة بنى عمار فى طرابلس الشام ، وقد أسسها فى عام ٤٩٢هـ بتوجه شيعى أبو الحسن على بن محمد بن أحمد الذى كان شيعيا . وكانت تضم فى البداية ثلاثمائة ألف كتاب ، ثم زادت بعد ذلك حتى وصلت إلى ثلاثة ملايين كتاب . وقد تم إحراقها فى عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨م أثناء الغزو الصليبى بأمر أحد القساوسة ونهبت أعداد من كتبها أيضا[٦٣] .

٧- مكتبة مرصد مراغة ، أسسها خواجه نصير الدين الطوسى وزير هولاكو خان المغولى فى عام ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩م . ونقلت إليها كتب كثيرة من كنوز الثقافة العظيمة فى الشام والجزائر والموصل وبغداد والموت وسمرقند ونيشابور وقزوين وساوه . وكانت هذه المكتبة تضم أكثر من أربعمائة ألف كتاب فى موضوعات علمية متنوعة ، وظلت نشطة وفعالة حتى عام ٧١٦ عند موت السلطان أبى سعيد بهادر خان المغولى ، إلا أنها نهبت بعد ذلك بمرور الزمن[٦٤] .

تأثير المسلمين على المراكز التعليمية الأوروبية

عندما وصلت علوم اليونان فى القرن الثانى عشر الميلادى إلى الغرب بعد أن طورها المسلمون والعرب وأضافوا إليها ، كانت جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا ومونت بلير من أوائل المؤسسات التى تأثرت بهذه العلوم . ومن بين الفرانسيسكان والدومينيكان الذين قاموا بالتدريس فى هذه الجامعات روبرت جراستست وروجر بيكون ، وكانا يجيدان اللغة العربية ، وقاما بترجمة رسائل ابن الهيثم إلى اللغة اللاتينية . وفى النصف الأول من القرن الثانى عشر وصلت ترجمات قنسطنطين الأفريقى إلى "شارترس" أيضا .

وقد لعب ابن سينا كطبيب وفيلسوف دور الوسيط بين أرسطو وجالينوس . ولاقت كتبه ترحيبا كبيرا فى جامعات بولونيا ومونت بلير وباريس . وفى نهاية القرون الوسطى ، كان كتاب القانون لابن سينا موضع استفادة كأهم مرجع فى جامعة بادوا حيث كان يقوم بالتدريس هناك جاليليو وفسالى . وفى سنة ١٤٠٥ كانت النظريات العلمية فى بولونيا تتمحور حول أربعة أشخاص : مؤلفين يونانيين هما بقراط وجالينوس ، مؤلفين عربيين هما : ابن سينا وابن رشد على وجه الخصوص[٦٥] .

قلق الغرب فى مواجهة موجة الأدب العربى للمسلمين من وجهة نظر "فون جرونباوم"

ينقل "فون جرونباوم" قول "الفارو" الكاتب المسيحى المتعصب الذى شاهد عبر التاريخ مشهد الظاهرة المذكورة وأسف من أجلها ، يقول :

إن إخوتى المسيحيين يقرأون بشوق وولع شديد كتب العرب العلمية وأشعارهم ويرددون تلك الأشعار ، ويشترون كتبا كثيرة للعرب المسلمين بأسعار خيالية ، وهم لا يهتمون أصلا بالكتب المقدسة ورسائل الأنبياء السابقين .

وا أسفاه !! هل تجد عالما مسيحيا فى هذه الظروف يهتم إلى هذا الحد بالهوامش والحواشى اللاتينية الموجودة على الكتاب المقدس ؟ إنهم يعتمدون على كتب العرب ، ويقولون إن مؤلفاتنا نحن المسيحيين لا قيمة لها من حيث التوثيق !! إنهم يكتبون حتى رسائلهم باللغة العربية وينظمون الشعر العربى أحيانا بشكل أفضل من الشعراء العرب أنفسهم ، ويفخرون به ، إلا أنهم لا يستطيعون كتابة رسالة باللاتينية ولا يعرفون ذلك[٦٦] .

القلق من انتقال حضارة الغرب إلى الشرق من جديد

يقول إدوارد سعيد وهو نفسه مسيحى وشاهد على الأوضاع الراهنة للحضارتين الغربية والشرقية والإسلامية :

إن الإسلام كان يتحكم فى الشرق والغرب طوال سنوات ازدهاره السياسى والعسكرى فى القرن الثامن وحتى القرن السادس عشر الميلادى . ثم انتقل بعد ذلك مركز الخلافة إلى ناحية الغرب . واليوم ونحن فى أواخر القرن العشرين الميلادى أيضا ، يبدو مرة أخرى أن الانتقال إلى ناحية الشرق بدأ فى التحرك[٦٧] .

خوف الغرب من جهاد المسلمين وعالمية الإسلام

وبعد أن يشرح "إدوارد سعيد" تنوع الأفلام السينمائية والتلفزيونية الغربية التى ترسم صورة قبيحة وكسولة للشخصية العربية التى تسعى وراء الراحة وهى غازية ومستهلكة للنفط ؛ يصرح بالسر الكامن وراء كل هذه الجهود والتخطيط المتناسق للغربيين ، ويقول :

إن كل ما يكمن خلف كل هذه الصور والشخصيات ، هو تهديد الجهاد ، والخوف من أن المسلمين (أو العرب) سيستولون فى نهاية الأمر على الدنيا !![٦٨] .

تنافس الحضارتين الإسلامية والمسيحية على لسان كانتول سميث

يقول "ولفرد كانتول سميث" المستشرق الكندى المعاصر فى كتابه "الإسلام فى التاريخ الحديث" :

كان الدين الإسلامى هو المنافس الوحيد للحضارة الغربية حتى قبل ظهور "كارل ماركس" ، ذلك لأن الموجة الأولى لانتشار الإسلام اجتاحت الأندلس الأوروبية ، وفى الموجة الثانية عام ١٥٢٩م وصل الإسلام فى القرن السادس عشر حتى أبواب ڤيينا ....

وبعد ظهور الشيوعية نهض الإسلام من جديد أيضا وأعلن عن أفكاره وقيمه وآرائه . وللإسلام فقط قدرة فكرية مقنعة استطاعت جعل عشرات الملايين من

المسيحيين فى العالم الغربى مولعين به حتى أنهم تركوا الديانة المسيحية رسميا واعتنقوا الدين الإسلامى(٦٩) .

تصريحات هنرى بيرن وشاتوبريان وشيرول حول تنافس الحضارتين

اعترف "هنرى بيرن"HENRY PIRENNE" صراحة بقصد الحضارة الغربية وتصميمها الجاد المناهض للحضارة الإسلامية ، وقال :

إن الإسلام هو خلاصة شيء أجنبى غريب تصدت له كل الحضارة الأوروبية منذ القرون الوسطى وما تلاها ووقفت ضده(٧٠) .

ويتحدث "شاتوبريان" وهو مستشرق كبير أخر عن دوافع وأسباب الحروب الصليبية الماضية وحروب الغرب وهجماته الجديدة على دول الشرق ، فيقول :

إذا كانت الحروب الصليبية أيضا بشكلها القديم أو الجديد قد اعتبرت غزوا ؛ فإنها قد أثارت قضايا قدمت عونا كبيرا إلى "تعالى البشر" فى مواجهة قضايا فناء الجنس البشرى وحضارته . إن الحروب الصليبية لم تكن تهدف إلى تحرير كنيسة أورشليم غير المقدس فحسب ، بل إنها كانت تتصل فى الغالب الأعم بموضوع أى من الحضارتين ستنتصر فوق سطح الأرض ، هل هى الحضارة المعادية بشدة للتمدن والمتجهة بشكل منظم إلى الجهل والديكتاتورية والعبودية ، أم الحضارة والثقافة التى استطاعت إيقاظ نزعة النبوغ والحكمة والعقلانية القديمة ، وقوضت أساس الرق والعبودية(٧١) .

وصرح "قولنتين شيرول" فى محاضرة مهمة له عنوانها "الشرق والغرب" ألقاها فى عام ١٩٢٤م فى جامعة "شيكاغو" بقوله :

يوجد فى الشرق إحدى القوى العظمى العالمية وهى الدين الإسلامى بشكل خاص وهو الذى يتولى مسئولية تعميق الهوة والشقاق فى العالم(٧٢) .

تكهن ويل ديورانت بغلبة الحضارة الشرقية على الغرب

لا يمكن تصور أن هذا القلق قد وجد فى أذهان بعض رجالات الغرب خلال العقدين الأخيرين فقط ، ذلك لأنه منذ سبعين سنة مضت تنبأ ويل ديورانت أبو علم الحضارة الغربية فى مقدمة المجلد الأول من كتابه تاريخ الحضارة الذى ألفه عام ١٩٣٥م ، بخطورة تجدد حضارة الشرق ومنافستها الموفقة للغرب وحذر من ذلك بقوله:

فى الوقت الراهن حيث تتجه عظمة أوروبا إلى الزوال ، وفى نفس الوقت تنشغل أسيا بتجديد حياتها ، ويمكن التكهن بدقة بأن قضية الصدام بين الشرق والغرب ستكون أكبر قضية فى القرن العشرين ... إن المستقبل يتجه إلى المحيط الهادى ، ولابد أن نوجه كل عقولنا وحواسنا إلى هذه الناحية من العالم .

ولكن كيف يمكن للدفاع الغربى أن يفهم الشرق ؟ ولقد أفهمونى خلال السنوات الثمانى التى قضيتها فى الدراسة والسفر أن الغربى إذا أوقف كل عمره على بحث قضايا الشرق ودراستها ، فإنه لن يتمكن من فهم الروح الشرقية المليئة بالأسرار كما هى[٧٣] .

اقتراح حوار الحضارات من قِبَل البروفيسور سيلون لوي الفرنسي

إن الحوار بين طرفين مختلفى الفكر فى محاولة لمعرفة كل طرف لفكر الآخر هو فى حد ذاته مقدمة لعملية التأثير والتأثر . إلا أن نتيجة هذا الحوار ومن الذى سوف يؤثر ومن الذى سوف يتأثر ، إنما يرتبط بالقوة والضعف ، وفى يد أى جانب من الجانبين يكون التخطيط والمبادرة . فإذا كان التخطيط والمبادرة فى يد جماعة الحق فإن النتيجة ستكون فى الغالب الأعم لصالح الحقيقة وهداية الجماعة المقابلة ، وإذا كانت المبادرة فى يد جماعة الباطل ، فإن النتيجة غالبا ما تكون غلبة الداعين للباطل وزيادة نفوذهم وسلطانهم وإضعاف المطالبين بالحق وهزيمة كثير من أنصار الحق وتأثرهم بالباطل .

وعلى هذا الأساس كان ابتكار نظرية "حوار الحضارات" فى مطلع القرن الحادى والعشرين الميلادى من قبل رئيس جمهورية إيران الإسلامية آنذاك حجة الإسلام خاتمى ، ورقة رابحة أتاحت مجالات ثقافية وسياسية عالمية لشرح الحقائق الإسلامية ومواقف الثورة الإسلامية الإيرانية المطالبة بالحقوق والمناهضة للظلم ، وكان من الجدير استفادة كل المسئولين والباحثين من هذه الفرصة الاستفادة اللازمة . إلا أنه من نافلة القول أن المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية الغربيين قد تكفلوا هم فى العقد الثالث من القرن العشرين بإبداع وتخطيط نفس هذا المشروع حتى يفيدوا من هذه الفرصة تحت ستار الثقافة لحقن نواياهم الخبيثة والتأثير على الشرقيين والمسلمين وتطويعهم .

ومع أن كثيرين من مستشرقى الغرب ورجالات الحكومات الأوروبية والأمريكية قد عقدوا العزم على محاربة الحضارة الإسلامية وقاتلوا بلا هوادة على الجبهات العسكرية والسياسية والثقافية والاقتصادية للحيلولة دون نهضة الحضارة الإسلامية وانتشارها من جديد ، وشمول العالم بالثقافة والقيم الإسلامية حتى فى الغرب ، وكذلك من أجل تهيئة أذهان الشرقيين وثقافتهم لقبول نفوذ الغرب وحضارته ، إلا أن بعض المستشرقين الفطنين من الأوروبيين لاحظوا أن الحضارة الإسلامية والشرقية بحكم أنها تقوم على أسس القيم الإنسانية والعدالة والمعنويات والفطرة لا يمكن القضاء عليها ، وتيقنوا من دوامها واستمراريتها التاريخية ، وأن الأمة الإسلامية كذلك تتمتع بالإيمان الكامل والوفاء للإسلام والحضارة الإسلامية واستقلالها ، فحذروا المسئولين فى الغرب بضرورة الكف عن هذا الصراع المكلف الذى لا طائل منه ، والقيام بدلا من "صراع الحضارات" وفرض حضارة الغرب ، بحوار الحضارات وعرض حضارة الغرب وثقافته على أهل الشرق .

وقد حذر البروفيسور "سيلڤين ليڤى SYLVAIN LEVI " رئيس الجمعية الآسيوية الفرنسية وأستاذ اللغة السنسكريتية فى النصف الأول من القرن العشرين عام ١٩٢٥م فى الـ "كوليدج دو فرانس" بشكل جدى ، وكان يتحدث عن العلاقات بين الغرب والشرق ، من هذا الخطر والطريق الجديد ، فقال :

إن واجبنا هو أن نفهم حضارة الشرق . وهنا توجد قضية على المستوى الفكرى وهى عبارة عن القيام بجهد عقلانى ومتعاطف فى نفس الوقت لفهم الحضارات الأجنبية ، سواء كانت فى شكلها القديم أو فى شكلها المستقبلى وخاصة بالنسبة لنا نحن الفرنسيين والأوروبيين مع الاهتمام بمستعمراتنا الآسيوية الكبيرة ، والقيام بذلك بشكل عملى ...

إن هؤلاء الناس هم ورثة تراث كبير من التاريخ والفنون والدين ، وهم لم يتخلوا حتى الآن عن مشاعرهم تجاه هذه الأشياء بشكل كامل ، ومن المحتمل أنهم يرغبون فى الاستمرار فى ذلك أيضا . إننا نفرض على أنفسنا التدخل فى تيار تطورهم وتكاملهم ، أحيانا بدون السؤال عن وجهة نظرهم ، وأحيانا أخرى استجابة لطلبهم .

نحن ندعى خطأ أو صوابا أننا نمتلك حضارة أفضل منهم ، ونقول هذا لأنفسنا من أجل إحقاق الحق بالنسبة لهذا التفوق ، لقد أخضعنا كل تقاليدهم المحلية للسؤال ، والحق الذى نؤيده ونؤكده بمثل هذا الاطمئنان لا يترك لهم مجالا للشك أو الاعتراض . ومن ثم ؛ فحيثما تدخل الأوروبيون ، أحس السكان المحليون بنوع من الإحباط واليأس ، وكان هذا الإحساس حادا جدا وصعبا . ولهذا السبب أحسوا بأن تأثير هذا التدخل بشكل عام سيسبب نقصا وتدهورا لوضعهم سواء من الناحية المادية أو من الناحية الأخلاقية الروحية بشكل أكبر بدلا من التحسن والزيادة !! ويبدو أن كل هذه الأمور سوف تؤدى الى إنهيار بنية حياتهم الاجتماعية الضعيفة وغير المستقرة تحت أقدامهم . ونتيجة للخيمة والأعمدة الذهبية التى فكروا الآن فى بناء حياتهم عليها فقد اكتسبت شكل البهرجة والعظمة الجوفاء .

وقد تحول هذا اليأس والإحباط من أقصى الشرق إلى أدناه إلى نوع من "البغض والكراهية" . ويكاد هذا البغض الآن أن يتحول إلى "نفور" ، وينتظر هذا النفور أيضا الفرصة المناسبة حتى يدخل إلى حيز التنفيذ ! وكما أن أوروبا لا تقوم بالخطوة التى تتطلبها مصالحها بسبب الكسل أو عدم الإدراك الصحيح ، فسوف تصل القصة الآسيوية الدرامية المحزنة فى هذه الحالة إلى "نقطة خطيرة" .

وفى هذه المرحلة التى يتخذ فيها ذلك العِلْم شكلا من أشكال الحياة والأدوات التى تخدم السياسة ؛ أى أن توظف أعمال السياسة حيثما تكون مصالحنا فى خطر حتى تتسلل عن قرب إلى عمق حضارة الشرقيين المحلية وحياتهم وتسعى وراء معرفة القيم الرئيسية والخصائص الخالدة عندهم . وبدلا من جعل الحياة المحلية تواجه التهديدات غير المنطقية للواردات من قبل الحضارة الأوروبية ، يجب علينا أن نضع منتجاتنا الأخرى تحت تصرف هذه الحضارات بنفس الطريقة ، "ونعرض عليهم حضارتنا أيضا" ، أى أن نقايض ونتبادل بضاعتهم فى السوق الداخلى(٧٤) .

الاستشراق السياسى ، هو المدفعية الثقافية والنيران التى أعدها الاستعمار

يقول محمد الغزالى الكاتب المصرى المعاصر فى مقدمة الطبعة الخامسة لكتابه "دفاع عن العقيدة والشريعة" حول دور الأنشطة العلمية للاستشراق فى العالم الإسلامى :

إن الجهود العلمية والثقافية للمستشرقين فى العالم الإسلامى ، تشبه المدفعية بعيدة المدى التى تمهد الطريق أمام تقدم جنود المشاة ؛ فهى تمهد الطريق الذهنى للمجتمعات الإسلامية لدخول الاستعمار الغربى والشرقى . إن الاستشراق هو ساحر أعداء الإسلام الحديث ، وقد وضع قناع العلم والبحث والتدين على وجهه ، بينما جسده لا يضم روح البحث والسعى وراء الحقيقة(٧٥) .

المهام الاستعمارية لخبراء الثقافة فى السفارات الغربية من وجهة نظر مصطفى السباعى

من الطبيعى أن تقوم الحكومات من هذا المنطلق بتخصيص أماكن خاصة للأنشطة الاستشراقية فى سفاراتها فى الخارج لتحقيق أهدافها ، وأن تكلف هؤلاء المستشرقين بمهام محددة . يقول الدكتور مصطفى السباعى فى بيان هذا المخطط :

تم استخدام سكرتير أو ملحق ثقافى فى كل سفارة من سفارات الدول الغربية ، يكون مجيدا للغة أهل تلك البلد حتى يتمكن من القيام بالمهام المكلف بها مثل :

١- التعرف على المفكرين البارزين والصحفيين المؤثرين ورجال صنع القرار السياسى فى البلاد ، والتعرف على أفكارهم وتوجهاتهم .

٢- إقامة علاقات معهم .

٣- تلقينهم التوجهات والأفكار المطابقة لسياسات الدولة التابعين لها .

٤- التعرف على وسائل التفرقة بين الدول العربية وجعل كل واحدة منها تنظر بعين الشك والريبة وسوء الظن إلى الأخرى ، والوقيعة فيما بينهم .

٥- التعرف بشكل جيد على التوجهات والميول والأمانى الخطيرة المناهضة للاستعمار لكل شعب ، والقضاء عليها وإحباطها قبل استفحال خطورتها[٧٦] .

وتعتبر الوثائق الباقية والمنشورة من "وكر الجاسوسية الأمريكية فى إيران" دليلا راسخا وقويا على وجود الاستشراق الاستعمارى والجهود العلمية التى تُبذل لتخريب أى دولة إسلامية أو شرقية[٧٧] .

اعترافات بالبعد الاستعمارى للاستشراق

يقول "ويليام مونتجمرى" فى كتابه "صدام آراء المسلمين والمسيحيين" :

فى الواقع كانت توجد علاقة معقدة بين المستشرقين فى مفهومهم الواسع واستعماريى وزارة الخارجية ... ونظرا لأن المستشرقين قد تراكمت لديهم معلومات كثيرة عن الثقافات التى اطلعوا عليها ، فقد سار وراءهم الاستعماريون حتى تساعدهم بعض هذه المعلومات على التعرف على الشعوب التابعة لهم بشكل أفضل ، وقد استخدم المسئولون فى وزارة الخارجية بالتدريج باحثين يقومون بالبحث فى مجال القضايا الخاصة التى تهمهم[٧٨] .

وفى أول اجتماع سنوى "لجمعية المستشرقين الأمريكيين" فى عام ١٨٤٢م قال رئيس الجمعية المذكورة :

ومما يجدر الإشارة إليه أن نشاط الاستشراق الأمريكى متناسق مع خطوات الاستشراق الغربى . وقد جاء فى تقرير النشاط الاستشراقى الأمريكى أن : هذا التناسق ضرورى من أجل "المحافظة على الأمن القومى"[٧٩] .

ويرجع السبب فى إقدام الغربيين على دراسة الإسلام ومعرفة معتقدات الشرقيين الدينية إلى الرغبة فى التعرف على العوامل والأسباب العقائدية التى تقف وراء مقاومة أهل الشرق للغزو الاستعمارى الغربى ، وقد تم التخطيط للقضاء عليها وهدمها . وقد تتبعوا هذه الأسباب إلى حد ما وأعلنوا عنها ، حيث أعلن "جلادستون" وزير المستعمرات الإنجليزى فى محاضرة رسمية له فى اجتماع موظفى وزارة المستعمرات الشرقية :

إن خطوات الإنجليز فى الشرق الأوسط لن تكون ثابتة مادام القرآن يتلى ويعمل به بين المسلمين[٨٠] .

الغزو والقضاء على الاستقلال واتهام الغرب للشرق

يقول "ويلفريد كانتويل سميث WILFERED CANTWELL SMITH " أستاذ الاستشراق والدراسات الإسلامية فى جامعة هارفارد بأمريكا الذى درس فى مرحلة الدكتوراه فى جامعة برينستون بأمريكا على يد المستشرق المعروف "البروفيسور جِب" ، فى كتابه المفصل "الإسلام فى التاريخ الحديث"[٨١] والذى تناول فيه مسيرة تطور المسلمين من البداية وحتى الآن ، وكانت له رؤية تفسيرية محايدة :

وأوضح مثال على هذه الهجمات ، الهجمة الوحشية والعنيفة للإمبريالية الغربية . ففى عام ١٨٨٢م أغلقت السفن الإنجليزية ميناء الإسكندرية بالمدافع حتى تحول دون قيام مصر بأولى خطواتها نحو الإصلاحات الداخلية بزعامة "عرابى باشا" . كما

استخدمت أيضا فرنسا سلاحها الاستعمارى فى سوريا عام ١٩٢٥م ، وقصفت المدافع الفرنسية دمشق وقضوا على الأمل فى الاستقلال فى القاهرة ...[٨٢] ولم يكن الغرب أو العالم الجديد يكتفى بالغزو والهجوم بل يقوم بتوجيه الاتهامات أيضا ...[٨٣] .

إلى الأمام ناحية الشرق[٨٤] (پيش به سوى شرق)

ربما يكون من المثير للدهشة والعجب أن يكون هذا الشعار السابق هو عنوان فارسى لكتاب أحد المستشرقين الألمان ويدعى "أوليرخ جركه"[٨٥] ، وهو يدور حول تحليل موقف الألمان بالنسبة إلى إيران فى الحرب العالمية الأولى ، ولا يوجد أى بعد لإظهار سوء النية والإساءة للغربيين ومستشرقيهم . وقد جمع "جركه" موضوعات هذا الكتاب بالإضافة إلى المصادر السابقة عليه من مصادر ووثائق وزارة الخارجية الألمانية التى لم تنشر ومذكرات المسئولين المعاصرين للحرب المنشورة وكثير من المصادر الأخرى فى مجلدين وطبعه فى عام ١٩٦١ باللغة الألمانية . وقام بترجمته إلى الفارسية السيد پرويز صاعدى ، ونشرته دار نشر "سيامك" فى عام ١٣٧٧ ش (١٩٩٨م) .

ومع أن كل صفحات هذا الكتاب تتضمن اعترافات للمستشرقين بما اقترفته الحكومة الألمانية من مظالم ومؤامرات بالنسبة لإيران وغيرها من الدول كالعراق والدولة العثمانية والهند وغير ذلك ، فيتضح من خلال الملاحظة الدقيقة كيف أن الغربيين لم يكونوا يعترفون بأى هوية مستقلة لشعوب الشرق وحكوماته ، وكانوا يتولون هم بأنفسهم التخطيط واتخاذ القرارات وإصدار الأوامر بتنصيب وعزل المسئولين وإشعال الثورات والفتن القومية وتقسيم المدن والمحافظات :

إن سياسة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى تجاه الشرق والتى كانت تقضى بـ "إثارة ثورة عامة فى الهند" والمشاركة فى المنطقة المتوترة نتيجة التنافس التقليدى بين روسيا وإنجلترا ، لم تكن تخالف سياسة ألمانيا فى إيران[٨٦] .

الهيمنة السياسية والاستعمارية أول دافع للاستشراق الأمريكى

تأسست "الجمعية الشرقية الأمريكية" عام ١٨٤٢ م ، وأعلن جون بيكرنج JOHN PICKRING رئيس هذه الجمعية فى المؤتمر السنوى لأول اجتماع لهذه الجمعية هدف أمريكا الأصلى بقوله : إن أمريكا تستطيع أن تقوم بما تقوم به القوى الاستعمارية الأوروبية على أساس الدراسات الشرقية . وفى أول اجتماع للجمعية الأمريكية عام ١٨٤٣م قدم بيكرنج مشروعا لافتا للنظر ، وأثار اهتمام الحاضرين بحديثه عن الظروف المناسبة فى ذلك الوقت والسلام الذى يسود فى كل مكان (وإمكانية الوصول إلى الدول الشرقية بحرية أكبر وتوفر إمكانيات الاتصال بصورة أفضل) . وكانت أهداف هذه الجمعية عبارة عن التمهيد والإعداد لتعلم اللغات الآسيوية والإفريقية والبولونيزية وكل ما يتعلق بالشرقيين[٨٧] .

علاقة تأمين الأمن القومى الأمريكى وحمايته بإضعاف الإسلام فى رأى مورتيمر جريفز

أعلن "مورتيمر جريفز MORTIMER GRAVES" فى عام ١٩٥٠ عن ضرورة عمل الاستشراق وجمع الكتب والمجلات الشرقية ، حيث قال :

يجب أن يعترف الكونجرس الأمريكى رسميا بأن هذا العمل يعد بمثابة خطوة على طريق تأمين وحماية أمننا القومى . لأن الواقع يؤكد ضرورة فهم وإدراك أفضل من قبل أمريكا للقوى التى كانت تمنع قبول الشرق الأدنى للفكر الأمريكى وتقاومه ، وأهم هذه القوى بالتأكيد الشيوعية والإسلام[٨٨] .

ومن ناحية أخرى ، فقد تأسس فى واشنطون عام ١٩٤٦م "معهد الشرق الأوسط" تحت مظلة حماية الحكومة الفيدرالية ، وانبثقت عن هذه المؤسسات تنظيمات أخرى مثل "جمعية دراسات الشرق الأوسط" بمساعدات كبيرة من "مؤسسة فورد" وغيرها من المؤسسات ، وهى التى نفذت مشاريع "وزارة الدفاع الأمريكية" و"شركات البترول" و"الشركات المتعددة الجنسيات"[٨٩] .

وقد صرح "اللورد كورزون" رئيس الجمعية الجغرافية والمستشرق الإنجليزى فى مؤتمر "مانيون هاوس" بقوله :

إن الدراسات الاستشراقية ليست تسلية فكرية أرستقراطية راقية ، بل إن الاستشراق عبارة عن "مهمة ملكية عظيمة" .

ووصف استمرار هذه الحركة الاستراتيجية السياسية للإنجليز فى الشرق بقوله :

إن بلدان الشرق كجامعة لا يتخرج منها العالم الباحث أبدا[٩٠] .

الحرب الباردة هى خطة عمل مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد

انتخب "جيب" مديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد فى منتصف الخمسينيات ، وكان لموقعه المهم نسبيا وأفكاره وأسلوب عمله تأثير كبير على الاستشراق .

وقد ركز "جيب" الاستشراق فى محور نوعية نظرة الدراسات الإقليمية للحرب الباردة وتلاقيها معها[٩١] .

الشرطة الإيرانية بقيادة سويدية وقانون إنجليزى

من إنجازات الاستشراق التوصل إلى طرق وأساليب تغلغل نفوذ الدول الغربية داخل كيان حكومات الدول الشرقية . وقد يكون هذا التغلغل أحيانا على شكل مخطط للمؤسسات العسكرية والأمنية ، أو على شكل مستشار فى أحيان أخرى ، أو على هيئة قائد أو فى صورة دعم مالى ودفع رواتب الموظفين .

وقد نفذ هذا المخطط من قبل الاستشراق السياسى فى عدد من الدول الشرقية والإسلامية ، وذاقت بلادنا إيران مرارة هذه التجربة مع الأسف الشديد . ويجدر بنا أن نقرأ التقرير التالى لأحد المستشرقين الالمان حيث يقول :

فى عام ١٩١٤ كانت الشرطة الإيرانية تتكون من أربعة وثلاثين ضابطا سويديا ، ومائة وعشرين ضابطا إيرانيا ، وحوالى ستة أو سبعة آلاف جندى ... وفى ذلك الوقت كانت هذه القوات على وشك الانهيار ، ذلك لأنها رغم دورها الأساسى فى حماية التجارة الإنجليزية ، فإن الحكومة البريطانية لم تكن تبدى أى إهتمام بهذه القوة ، وحجتها فى ذلك أن قادة الشرطة لم يكونوا مستعدين أن يصبحوا آلة فى يد السياسة الإنجليزية . ونتيجة لهذا أيضا لم يدفع الإنجليز رواتب الشرطة كما كان الوضع فى السابق ... ومن ثم أدى دعم الألمان المالى للشرطة إلى زيادة نفوذهم داخلها(٩٢) .

دور الصهيونية فى الاستشراق السياسي

يقول إدوارد سعيد :

هناك ثلاثة أمور أدت إلى تحول أبسط تصور للعرب والإسلام إلى صورة موضوع سياسى تماما وغير صحيح تقريبا :

١- تاريخ التعصب العام والمشهور ضد العرب والإسلام عند الغرب ، الذى انعكس مباشرة على تاريخ الاستشراق .

٢- النزاع بين العرب والصهيونية الإسرائيلية وتأثيره على يهود أمريكا وأيضا على الثقافة الليبرالية لكافة الشعوب .

٣- فقدان كل نوع من الأرضية والمكانة الثقافية التى يمكن عن طريقها الشعور بالتعاون مع العرب والإسلام .

إن التصور الموجود الآن فى ذهن الغربيين وخاصة الأمريكيين هو أن : إسرائيل الديموقراطية بطبيعتها ونزعتها التحررية تقف فى جانب ، والعرب الأشرار الإرهابيون والعنيدون يقفون فى الجانب الآخر(٩٣) .

ويرى إدوارد سعيد وهو الذى قضى عشرات السنين فى جامعات نيويورك وأمريكا وشاهد توجهات المستشرقين وميولهم ورجال السياسة ومخططى خطط الاستشراق فى الجامعات ، أن السر الأصلى وراء عدم توافق أمريكا مع العرب والمسلمين يكمن فى "تأييد وجود إسرائيل" ، يقول :

وبناء على هذا ، فإذا كان العرب لا يحتلون مكانا فى اهتمام الأمريكيين ، فإنما يرجع ذلك إلى قيمة سلبية عندهم وهى نظرة الغرب إليهم على أنهم "مخربو حياة إسرائيل ووجودها" ، أو النظر إليهم من هذه الناحية أيضا على أنهم وقفوا فى وجه قيام إسرائيل فى عام ١٩٤٨م(٩٤) .

دور الصهيونية فى مراكز الاستشراق بلندن

يتولى رئاسة مركز البحوث الشرقية بجامعة لندن يهودى ، بينما معظم سكان إنجلترا وجامعييها وعلمائها من المسيحيين ، إلا أن الأمر العجيب أن يسند منصب رئاسة مركز أبحاث الاستشراق بجامعة لندن المهمة إلى يهودى صهيونى هو "برنارد لويس" الذى أشرف لسنوات طويلة على توجيه وإرشاد الباحثين والكتّاب(٩٥) .

التوصية المتشددة من أول رئيس لجمهورية إسرائيل إلى بلفور

على أساس أبحاث المستشرقين نفسها التى تُعرّف العرب على أنهم ناقصو عقل ولا هدف لهم ويسعون وراء الرفاهية والقوة ولا حيلة لهم ، رسم أول رئيس لجمهورية دولة إسرائيل حاييم وايزمان CHAIM WAIZMAN الزعيم البولندى الأصل للحركة

الصـهـيـونيـة خطة الصـراع مع العرب ، وذلك فى خطابه إلى "بلفـور" رئيس وزراء إنجلترا فى الثلاثين من شهر مايو عام ١٩١٨م حيث كتب يقول :

يبدو العرب فى الظاهر على أنهم أناس أذكيـاء عقـلاء ، أنهم يقدسون شيئـا واحدا فقط ألا وهـو : القوة والنجاح ... ويجب على المسئولين الإنجليز الذين يعرفون بطبيعة العرب التى تتسم بالخيانة توخى الحذر بدقة وعلى الدوام .

وكلما أظهر النظام الإنجليزى مزيدا من الإنصـاف والعدل ، أبدى العرب مزيدا من الكبـر ... إن الأوضـاع الراهنة سوف تستـدعى بالضـرورة الرغبـة فى إنشـاء فلسطين عـربيـة . وذلك إذا بقى العـرب فى فلسطين بطبـيـعـة الحـال !! إلا أن ذلك لن يؤدى إلى مثل هذه النتيجة ، لأن المزارع القروى متخلف على الأقل لمدة أربعة قرون و"الأفندى" أيضـا خائن وجاهل وطمـاع ، وبنفس الطريقة هو كسول وعير كفء وغير وطنى[٩٦] .

قناع المسيحية فى خدمة اليهود

وقَع مستشرقو الغرب من اليـهود فى رحلاتهم الاستشراقية إلى البلدان الشرقية الإسـلامـيـة ودراسـاتـهـم الإسـلامـيـة والوجـود بين النـاس ودراسـة ومـشـاهـدة الأحـداث الداخليـة فى هذه البـلاد مـبـاشـرة فى مـشـكـلـة ؛ ذلك لأنهم كـانوا يـعلمـون أن اليـهـود الصـهـاينة مكروهون عند المسلمين ، ولن يتـعـاونوا مـعـهم فى مـسـألة الحـصـول على المعلومـات فى أى وقت من الأوقـات ، لذلك اضطروا إلى الاسـتـفـادة من "التـبـشـيـر" و"المسيحية" كستـار وقدموا أنفسهـم للمسلمين على أنهم مسيحيون غربيون يقومـون بالدراسة والبحث .

وقـد قدم حـجـة الإسـلام الدكـتـور بى آزار الشـيـرازى فى هذا السـيـاق نموذجـا مشهورا بارزا لمؤلف هذا الكتاب عندما قال :

قال لى الشهيد الدكتور بهشتى ذات يوم قبل قيام الثورة الإسلامية بعدة سنوات إن أحد الباحثين الغربيين قدم إلى طهران لدراسة الإسلام وكان يرغب فى لقاء مراجع التقليد وتوجيه بعض الأسئلة إليهم عن الإسلام ، فإذا كان بإمكانك مرافقته فافعل ذلك . وأبديت استعدادا لذلك بهدف أن يستمع باحث غير مسلم إلى معارف الإسلام الخالصة على لسان علماء ديننا . وقدمته على أنه مسيحى يهتم بالدراسات الإسلامية . وأخذته لزيارة بعض مراجع التقليد الأجلاء آنذاك ، ودارت بينهما مناقشات . وبعد عدة سنوات سافرت إلى كندا وشغلت هناك بالدراسة فى جامعة "مك جيل" ، وقصصت هذه القصة على بعض الأصدقاء المسلمين الجامعيين . فقالوا لى : لا ، إنه يهودى قح بدأ دراسة الإسلام منذ عدة سنوات ، وهو الآن يعمل مديرا لأحد أقسام الاستشراق والدراسات الإسلامية فى إحدى الجامعات الأمريكية !!

وجود الإسلام فى فلسطين يسبب قلقا للغرب

كتب "هانوتو" المستشرق الفرنسى ومستشار وزارة الاستعمار الفرنسية فى مقالة له عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩م) ، يقول :

عبر مسلمو آسيا بسرعة من شمال أفريقيا ... ورشقت رماحهم كل الغرب .. وكانت فرنسا على صلة بالإسلام فى كل منطقة ... والإسلام هو الدين الوحيد الذى يلقى قبولا كبيرا إذا ما قيس بالأديان الأخرى ... والإسلام موجود حتى الآن فى آسيا ، وفى بيت المقدس مهد الإنسانية ومقر المسيح (عليه السلام) أيضا وما زال يواصل انتشاره ودعوته ...[٩٧]

التعريف ببعض المستشرقين الاستعماريين

١- لورانس[٩٨] الجاسوس الإنجليزى المخطط والمنفذ لمشروع تقسيم الإمبراطورية العثمانية الكبيرة[٩٩]

هو "توماس إدوارد لورانس" أو ملك العرب غير المتوج ، ولد فى إنجلترا عام ١٨٨٨م . وهو الابن الثانى غير الشرعى للسير توماس روبرت تشابمان ، ذلك لأنه عندما عشق أبوه مديرة منزله السيدة "سارة مادن" ترك زوجته الشرعية التى أنجب منها أربع بنات عمليا وبدون طلاق ، وهاجر مع معشوقته وأولادها من إيرلندا إلى إقليم "ويلز" ، وغير اسم عائلته من "تشابمان" إلى "لورنس" وأنجب خمسة أبناء غير شرعيين .

التحق لورانس فى عام ١٩٠٧ بالكلية الدينية المسيحية "يسوع" بجامعة أكسفورد بإنجلترا ، ثم بدأ أبحاثه للكشف عن آثار الحضارات تحت مياه البحر ، وخلال هذه الأبحاث اجتهد فى التعرف على القلاع والحصون العسكرية القديمة فى فرنسا وإنجلترا ، وربط بين هذه البحوث والدراسات وبين سفره إلى سوريا وفلسطين حتى يقوم باكتشاف القلاع والحصون العسكرية الصليبية فى فترة الحروب الصليبية فى هذين البلدين .

ولكى يقوم بالتعرف على واقع فلسطين وسوريا قضى أياما فى السياحة والتنقيب وليالى فى ضيافة بعض منازل بل وخيام العرب المسلمين المقيمين فى الصحراء ومرافقتهم ومناقشتهم بشكل خاص وبدون كُلفة حتى استطاع جمع معلومات جديدة وموثقة ، وعاد إلى الجامعة محملا بالخرائط والصور الكثيرة ، وحصل على شهادته الجامعية فى العلوم من جامعة أكسفورد .

وعلى الرغم من أن لورنس قد تعلم اللغة العربية فى هذه الرحلة نسبيا ، فقد أُوفد بعد ذلك إلى مدرسة الأمريكيين فى مدينة "الجبيل" بلبنان لاستكمال دراسته للعربية وتمهيدا للقيام بالمهام التالية .

وقد أعد لورانس بمساعدة زملائه أثناء وجوده فى مصر خرائط عسكرية دقيقة وشاملة لصحراء سيناء ؛ بحيث كانت نفس هذه الخرائط دليلا ومرشدا للجيش الإنجليزى المعتدى فى الحرب العالمية ، مما أدى إلى انتصاره . وقد طبعت نفس هذه الخرائط التى أعدها لورانس ونشرت بعد ذلك بشكل رسمى فى أكسفورد .

وقد كُلف "لورانس" بمأمورية هي توثيق صلته بـ "الشريف حسين" أكثر الزعماء نفوذا فى الجزيرة العربية وحاكم مكة ، وتحريضه على الوقوف ضد الحكومة المركزية للأتراك ، وكان أبناء الشريف حسين الأربعة وهم : على وعبد الله وفيصل وزيد صيدا للورنس بعد ذلك .

ومهد ضغط الدولة العثمانية على الشريف حسين وإحضاره هو وأبنائه الذى لا يعرف له المؤلف سببا - المجال لتأثر الشريف حسين بلورانس . فأرسل الشريف حسين ابنه "فيصل" إلى مصر حتى يتعهد لممثلى الحكومة الإنجليزية بالتعاون فى حرب العرب ضد الدولة التركية . وسعى الشريف حسين وأبناؤه إلى الاتحاد مع زعماء القبائل العربية فى الخفاء حتى يبايعوهم على حرب استقلال العرب(١٠٠) فى مواجهة الأتراك . وكان لورانس فى كل هذه الأحداث إما مخططا أو مشرفا ، أو مرافقا أو عضوا فى وفد المباحثات . وكان يقوم بالتفاوض وهو يرتدى الزى العربى الكامل ، ويتزين كزعيم قبيلة عربية ، ويتحدث باللهجة العربية المحلية ، مراعيا تقاليد العرب القومية ، ويشد إليه انتباه المخاطبين ، فأصبح بحق موضع تكريم واحترام وثقة(١٠١) .

على أية حال بدأت الحرب بعد كل ما بذله لورانس من جهود مضنية لتحريض زعماء الولايات العربية ضد الحكومة المركزية ، وتحريض الحكومة المركزية بما يسمى "بحرب الاستقلال" وتحريض الحكومة المركزية العثمانية ضد هؤلاء المتمردين والثوار !! . ودخل عرب سوريا بزعامة فيصل السرية من ناحية ، وعرب الحجاز من ناحية أخرى بزعامة الشريف حسين ضد الإمبراطورية العثمانية .

وقد تعرفت الحكومة التركية العثمانية على قادة الثورة فى سوريا واعتقلتهم جميعا ، وتم شنق كل هؤلاء الرجال العظماء والأبطال المسلمين المطالبين بالاستقلال على مرأى من "فيصل" صباح ذات يوم فى ميدان عام على يد موظفى الإمبراطورية العثمانية الإسلامية !!

كانت هذه هى المأساة والمشهد المحزن الذى خطط له لسنوات لورانس وغيره من المستشرقين والجواسيس الإنجليز والحكومة الإنجليزية وتمنوه !!

عاد لورانس إلى إنجلترا بعد أن انتهت الحرب العالمية ووفق فى تقسيم الإمبراطورية العثمانية الكبيرة ، وشُغل بتدوين وتدريس تجاربه الفريدة لغيره من أفراد كوادر الاستعمار الإنجليزى .

٢- كارل هينريش بيكر ، عميل الاستعمار الألمانى فى أفريقيا ومؤسس "مجلة الإسلام"

كان بيكر (المولود فى عام ١٨٣٣) المستشرق الألمانى ومؤسس "مجلة الإسلام" يعمل فى خدمة مخططات الاستعمار الألمانى ، وفى عامى ١٨٨٥م - ١٨٨٦م قبل الإشراف على استعمار أفريقيا واستطاع أن يضم بعض البلدان الإسلامية الأفريقية إلى المستعمرات كذلك ، ولعب دورا كغيره من الخبراء فى استمرارية الاستعمار الألمانى حتى عام ١٩١٨م .

٣- "إنجلز" الجاسوس الأمريكى وأول مستشرق فى مصر

فى عام ١٨٢٣م كُلف "إنجلز" الجاسوس الأمريكى بمهمة من قبل "آدامز" وزير خارجية أمريكا تهدف إلى التعرف على ظروف مصر كولاية من ولايات الإمبراطورية العثمانية العظمى ، فسافر إلى مصر ودخلها وأعلن أنه اعتنق الدين الإسلامى . ثم أقدم على إقامة علاقات مع المسئولين فى الحكومة المصرية حتى يمهد لعقد اتفاقية تعاون بين حكومتى الدولة العثمانية وأمريكا .

وقد أدى مهمته على أكمل وجه وقام بهذا التمهيد المطلوب ؛ ومن ثم أرسل "جونسون" رئيس جمهورية أمريكا آنذاك فى عام ١٨٢٩م وفدا سياسيا رفيع المستوى مع عدد من أكبر تجار المخدرات إلى إسطنبول ، وعقدت أول اتفاقية بين أمريكا والدولة العثمانية فى عام ١٨٣٠ ، وبدأ الوجود الرسمى لأمريكا فى البلدان الإسلامية[١٠٢] .

٤- "سنوك هورجرونيه"[١٠٣] الجاسوس الهولندى أو عبد الغفار الموفد للحج (١٨٥٧ - ١٩٣٦) .

كان لدى سنوك معلومات كثيرة عن الدين والإسلام والقانون . وقد حصل على درجة الدكتوراه عن رسالته حول "موسم الحج فى مكة" ، وأشار فى رسالته إلى أهمية الحج عند المسلمين ، واستنتج أن الحج هو ميراث من عصر عبادة الأصنام عند العرب . بدأ رحلته المشهورة إلى الجزيرة العربية عام ١٨٨٤م ، ودخل مكة وأقام هناك ستة أشهر تحت اسم مستعار هو "عبد الغفار" . ثم طرد من مكة لا لأنه خدع المسلمين ، بل بسبب تنافس الغزاة والدسائس التى قام بها معاون القنصل الفرنسى فى مكة ويدعى "لوستالُت" الذى هَرَّب عمودا منقوشا بالخط الآرامى وحصل عليه "أوتينج" . وقد أرسل معاون القنصل الفرنسى هذا العمود المنقوش إلى متحف "اللوفر" فى باريس .

٥- "دى ساسى" المستشرق الفرنسى ومترجم بيانات وزارة الحربية

كان دى ساسى موظفا رسميا بوزارة الخارجية الفرنسية فى عام ١٨٠٥م . وكان يتولى عملية ترجمة بيانات وزارة الحربية لأهل الجزائر أثناء الغزو الفرنسى فى عام ١٨٣٠ ، كما كان يكلف أحيانا بمهمات من قبل وزير الحربية الفرنسى[١٠٤] .

٦- ماسينيون الفرنسى[١٠٥] المتخصص فى علم الشيعة والحلاج (١٨٨٣ - ١٩٦٢)

توجه ماسينيون إلى العراق لدراسة علم الآثار هناك وظروف حياة "الحلاج الشهيد" ، ونزل ضيفا على عائلة "الألوسى" فى بغداد وهى أسرة مشهورة بالعلم فى العراق ، وقام بحفريات فى صحراء العراق بمساعدتهم . وزار كل "مراقد الشيعة" فى جنوب بغداد وكربلاء والنجف والكوفة وغيرها ، هذا بالإضافة إلى بقايا إيوان كسرى وسلمان الفارسى والقرية التى تضم قبور الصحابة من أمثال سلمان وحذيفة ، وانتهى إلى اكتشاف قصر الأخيضر فى ربيع عام ١٩٠٨ . ونشر كل هذه المعلومات فى مجلدين تحت عنوان "بعثة علم الآثار فى العراق"[١٠٦] .

٧- "سلفستر دو ساسى" القسيس المتخصص فى الأدب العربى ومستشار وزير الحربية الفرنسى فى الجزائر .

ولد هذا المستشرق الفرنسى الكبير عام ١٧٥٧م وتعلم اللغة العربية والعبرية والكلدانية والسريانية وغيرها ، وكان يقوم بدور دينى بالإضافة إلى ذلك كقسيس ، وقام بتأليف كتب فى اللغة العربية بشكل تخصصى .

٨- "اللورد كرزون" المستشرق الإنجليزى

أسس اللورد كرزون بعد جهد كبير "معهد بحوث الشرق" فى إنجلترا للمحافظة على المستعمرات الشرقية ، وقد تغير اسم هذا المعهد فيما بعد إلى "جامعة لندن للاستشراق والدراسات الأفريقية"[(١٠٧)] .

سعى "اللورد كرزون" وزير خارجية إنجلترا فى أعوام ما بعد الحرب العالمية الأولى إلى تغيير الاستشراق من كونه بضاعة فخمة إلى خدمة مصالح إنجلترا الاستعمارية[(١٠٨)] .

٩- "ستوج هانجرونى" المستشار الهولندى فى إندونيسيا

كان فى مطلع القرن العشرين مستشارا بارزا للحكومة الهولندية بشأن مسلمى هولندا الغربية (إندونيسيا الحالية)[(١٠٩)] .

١٠- "جيب"[(١١٠)] ونظريته الاستشراقية حول حماية إسرائيل وتأييدها فى هارفارد

كان "جيب" رئيسا لمركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة هارفارد ، وقد لعب دورا مهما جدا فى تغيير سياسة وزارة الخارجية الأمريكية بالنسبة للشرق الأوسط فى الخمسينيات . وكان يوجه توجيهات استشراقية من أجل مبدأ حماية إسرائيل وتأييدها[(١١١)] .

١١- "برنارد لويس" الأمريكى

لعب هذا المستشرق دورا أساسيا فى احتلال فلسطين وتوجيه الصهيونية(١١٢).

١٢- "ماكدونالد"

كان من المرشدين النشطين للمستعمرين فى الدول الشرقية من شمال أفريقيا وحتى باكستان كخبير فى العلوم الإسلامية[١١٣] .

١٣- "ديفيد صمويل" والسير أنطونى إيدن

يكفى للتعرف على جهود هذا المستشرق الاستعمارية أن وزير خارجية إنجلترا لم يكن يتخذ أى قرار بالنسبة لمصر فى عام ١٩٣٠ إلا بعد أخذ رأى المستشرق اليهودى "ديفيد صمويل مرجليوس" أستاذ الأدب العربى بجامعة أكسفورد[١١٤] .

١٤- "إدوارد هنرى بالمر" (١٨٤٠ - ١٨٨٢)

هو المستشرق الإنجليزى الذى تخصص فى معرفة عادات عرب البادية فى مصر والشخصيات المؤثرة فيها ، وكان يعيش فى مصر فترة ويرتدى الزى العربى ، واتصل بسكان صحراء سيناء[١١٥] . وقد حشدهم ضد ثورة "أحمد عرابى" واستخدمهم لحماية القوات الإنجليزية فى قناة السويس . ويعد أعظم مترجم للقوات المسلحة الإنجليزية أثناء احتلالها لمصر .

وقد عوقب بالمر على جرائمه إذ قبض عليه فى كمين نصبه له المصريون من البدو وقُتل ، ودفن جثمانه هو ومرافقوه فى صحراء سيناء الجرداء .

١٥- "بارتولد" المستشرق الروسى (متوفى عام ١٩٣٠) مؤسس مجلة "عالم الإسلام"

كان يزاول نشاطه فى خدمة المستعمرين الروس أثناء الاستيلاء على آسيا الوسطى .

١٦- "هانوتو" المستشرق الفرنسى (ولد فى عام ١٩٤٤م)

لعب دورا رئيسيا فى استيلاء فرنسا على أفريقيا عن طريق تقديم مقترحات مهمة لاستعمار أفريقيا المسلمة[١١٦] .

عمليات الغرب النفسية الكبيرة ضد الشرق

اكتشاف المؤامرة التاريخية الخطيرة[١١٧]

قررت حكومات الغرب الاستعمارية وأطياف كثيرة من المستشرقين فى العصر الحديث وبعد الثورة العلمية والصناعية فى أوروبا الاستفادة من صناعاتهم المتقدمة وأقسامهم العلمية فى بدء نهضة جديدة للاستيلاء على دول الشرق واستغلال كل الثروات الطبيعية من معادن ومصادر تحت الأرض وثروات بشرية عند الشرقيين والاستفادة منها ، وتحويل تلك الدول إلى سوق لبضائع الغرب . وقد استلزم الوجود والهيمنة المطلقة على الشرق التغلغل فى كل الجوانب داخل الهيكل الحكومى للدول من إدارات عسكرية وسياسية وأمنية واقتصادية وعلمية ودينية وتربوية ، ولم يكن كل هذا ممكنا فى كثير من الحالات إلا عن طريق انهيار الدول الإسلامية والشرقية الكبرى مثل الإمبراطورية العثمانية وتقسيمها إلى دويلات صغيرة ، والقيام بغزو الدول واحتلالها والتصدى للوصاية على حكومات تلك الشعوب عن طريق عملائها ومبعوثيها الغربيين .

فهناك الاحتلال والانتداب للهند والعراق وغيرهما عن طريق الإنجليز ، وهناك احتلال مصر والجزائر عن طريق فرنسا واحتلال ... عن طريق البرتغال وعشرات النماذج الأخرى من الاحتلال العسكرى من قبل الدول الغربية شهدها القرنان الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديان . ويعتبر الغزو الوحشى الأمريكى والإنجليزى لأفغانستان والعراق آخر حلقة فى سلسلة هذه المعاملة الظالمة للشرق من قبل الغرب حتى يومنا هذا .

من البديهى أن الضمير الإنسانى بشكل عام وليس فقط الشرقيين الذين تعرضوا للغزو ، وكثيرا من الغربيين أيضا الذين كانت ضمائرهم مستيقظة لم يقبلوا مثل هذا النوع من الهجوم الوحشى والغزو العسكرى والحروب التى لا تبقى ولا تذر . خاصة وأن الدول الغربية الغازية كانت أحيانا تتكالب على تقسيم غنائم البلدان الشرقية التى يتم الحصول عليها بلا تعب وتنشب فيها أظافرها كالذئاب ، وقد تسببوا فى القضاء على ملايين البشر الأبرياء على وجه الأرض بنشوب الحربين العالميتين من منطلق رغبتهم فى الحروب الدموية والوحشية .

وقد رأت الدول الغربية الغازية أن مقاومة الشرقيين الواسعة وكذلك كثرة من الغربيين ذوى الضمير الحى تقف حجر عثرة فى طريق حملاتهم العسكرية وهجماتهم واحتلالهم ووصايتهم وانتدابهم . وإذا لم يزيلوا هذا المانع فإنهم سيواجهون فى كل غزو لهم إدانة ومقاطعة الضمير الجماعى للبشرية ؛ لذلك اضطروا للبحث عن وسيلة تمهد لهم ذهن المجتمع الدولى لقبول السيطرة والهيمنة .

تحليل علمي لتمهيد طريق التسلط والهيمنة

كُلف المستشرقون بإعداد تحليل علمى فى الظاهر للتوجيه العقلى والوجدانى لغزو الغرب للشرق والاستيلاء عليه ، ليس فقط لإقناع الغربيين ذوى الضمائر الحية بالموافقة على ما تقوم به حكوماتهم ، بل لكى يرضى أهل الشرق ويقبلوا هذا الوضع بقدر الإمكان ؛ فقالوا :

إن هذا الغزو والاحتلال والتصدى للوصاية من قبل الدول الغربية إنما هو عمل فدائى وتضحية يقوم بها الغربيون لإنقاذهم من شر مظالم ملوكهم المستبدين وحكوماتهم الديكتاتورية وكذلك لنشر حضارة الغرب وصناعته وعلومه وبضائعه الكمالية فى الدول الشرقية .

ويشكل وجود هذين العاملين أداة استدلال مناسبة جدا لتقديم هذا التفسير والتحليل ونعني بذلك : "الصفة الاستبدادية والظالمة بقسوة التى تتصف بها حكومات الدول الشرقية" من ناحية ، و"تخلف الدول الشرقية عن صناعة الغرب وحضارته" من ناحية أخرى . إلا أن نجاح هذه العمليات النفسية المهمة لم تكن من السهولة بمكان على مستوى الشرق والغرب ، وكانت تتطلب أسسا ودعائم قوية لكى تقنع كثيرا من المتعلمين والمفكرين والعلماء فى الشرق والغرب .

وقد استخدم منظرو الاستعمار والاستشراق علم الفسيولوجيا ، وعلم النفس ، والتاريخ ، وفلسفة التاريخ ، والجغرافيا ، وعلم الاجتماع ، والقانون ، حتى يثبتوا : أن أجناس أهل الشرق من ناحية خلايا العقل وإمكانية الإدراك والفهم والإبداع والإدارة والقوة الروحية والنفسية قد خُلقت على مستوى أقل بكثير من الاستعداد العقلى والفكرى والروحى الموجود عند الغربيين . وقد تسبب انحطاط ووضاعة نظرة الشرقيين واستعدادهم الذاتى إلى ظهورهم بمظهر الكسل ، وحب الرفاهية ، وقلة التفكير ، والشراهة فى الأكل ، والتقليد الأعمى ، والاعتقاد فى الخرافات ، والتمسك بالتقاليد ، والعبادات الجامدة ، والتفاخر والمبالغة فى احترام رجال الدين ، وعبادة الأصنام ، والاهتمام بالسحر والطلاسم والتعاويذ . والتعامل مع الجن ، وعدم العناية بالصحة ، والإيمان بالآخرة ، وذلك بدلا من السعى من أجل إصلاح ورقى حياتهم الاجتماعية والدنيوية وأمثال ذلك .

هذه الواقعية العميقة والمتأصلة لم يُثبتها علم تشريح خلايا العقل وعلم النفس وعلم اجتماع الأعراق والأقوام وكذلك الرحالة والسياح الجغرافيين فحسب ، بل اكتشفها وأثبتها علم التاريخ بتقويمه لحضارات الشرق وكذلك علم الحجريات وعلم الأحياء ، وماضى الشرقيين فيما قبل التاريخ . أما خلايا عقل الإنسان الغربى فإنها تقع تماما فى نقطة عكس ذلك ؛ فهى تتصف بالسعى والنشاط والإبداع وحب الحرية ورعاية العلم والإدارة والنظام والعقلانية والإنسانية والعطف ويقظة الضمير وغير ذلك .

وطبقا لهذا التفسير العلمى الدقيق المدعوم بعدة تخصصات علمية ، يمكن التنبؤ بالقطع بإنه إذا لم ينهض الغربيون الموهوبون لنجدة الشرقيين المتخلفين ذهنيا وتخليصهم من قبضة حكامهم الأغبياء ، والقيام بالإشراف والوصاية عليهم وإدارة شئونهم وتعليمهم وتربيتهم فسوف تحدث كارثتان عظيمتان .

تداعيات عدم غزو الشرق

أولا : سوف يظل نصف المجتمع البشرى ومخلوقات الله - أى الشرقيون - يرزح تحت وطأة الجهل والفقر وسوء الحظ والتخلف والحرمان من إنجازات حضارة تاريخ البشر ومكاسبها .

ثانيا : يجب أن يستفيد الجميع من كل الثروات المعدنية والطبيعية فى باطن الأرض والإمكانيات الموجودة على سطح الأرض والإمكانيات الجوية الموجودة فى كل الدول الشرقية وهى ثروة وهبها الله لكل البشر ، ونتيجة لوجودها فى أيدى إدارات غير مؤهلة وعاجزة ؛ فإنها لن تستغل من قبل البشر الاستغلال الأمثل ، ومن ثم لن يحرم منها الشرقيون فحسب بل سيضيع حق الغربيين فيها أيضا .

وفى مثل هذه الظروف يحتم الضمير الإنسانى والأديان السماوية والإرادة الإلهية بالقطع على الغربيين ذوى الضمائر الحية المؤهلين العطوفين أن : يهبوا بتضحية وفداء لتجنب وقوع هاتين الكارثتين العظيمتين ، لإزالة العوائق التى وضعتها الحكومات المحلية لدول المشرق التى تحول دون هذه الوصاية التى يرضى عنها الله ، وذلك لمساعدة نصف البشرية المتخلفة فكريا وتخليصهم من الوحشية والبربرية ، وتعليمهم وتربيتهم ، وأن يتولوا إدارة تلك البلدان ومعادنها وثرواتها الغالية فى نفس الوقت .

هذه العمليات الإنسانية والأخلاقية والوجدانية الممتدة هى على قدر كبير من الأهمية والقيمة حتى لو تمت فى مقابل مصرع عدد من جنود الغرب وفلذات أكباده

من الشباب ، وإنفاق نفقات باهظة على الحروب وتقديم مساعدات مالية إلى الدول الشرقية المتضررة من الحرب والمحتلة ، والمذابح الجماعية لشعوب دول الشرق غير المؤهلة والتى لا فائدة منها ، وتخريب قليل من المنازل والمصانع القديمة والمتخلفة عندهم . ذلك لأن الجراحة لإنقاذ روح أى إنسان من الغدد الفاسدة سوف يستلزم بالضرورة إراقة بعض الدماء وتحمل الآلام والأوجاع ، ولا يجب على الطبيب الحكيم والرحيم أن يتردد فى أداء واجبه بسبب إراقة بعض الدماء أو سماع بعض الأنين وأحيانا اعتراض المريض وسبابه[١١٨] .

إفشاء الإمام الخمينى (رحمه الله) لسر المؤامرة

أفشى الإمام الخمينى (رحمه الله) زعيم الأمة العظيم ومصلح القرن سر هذه المؤامرة الخطيرة على النحو التالى :

من القضايا التى لا تعطى الفرصة للمسلمين والمستضعفين فى العالم للفكاك من قيود المستعمرين وأغلالهم ، وتبقى عليهم فى حالة من الركود والتخلف ، قضية الدعاية المتعددة الجوانب التى نشرت وتنشر من قبل المستغربين والمستشرقين إما بأمر من القوى العظمى أو لقصر نظر الآخرين فى كل الدول الإسلامية والمستضعفة . ألا وهى أن العلم والحضارة والتقدم لا يتأتى إلا عن طريق جناحين اثنين هما الإمبريالية والشيوعية ؛ وأنهم ، وخاصة الغربيين وأخيرا الأمريكيين هم الجنس الأفضل وغيرهم من الأجناس يكونون فى مرتبة أقل ومعيبين وأن رقيهم ناتج عن نبل أصلهم ، أما تخلف الآخرين فهو نتيجة نقص وعيوب أصلهم !! وبتعبير آخر ؛ فأولئك البشر قد وصلوا إلى الكمال والنضج ، أما هؤلاء فهم فى طور النمو وسوف يصلون بعد ملايين السنين إلى الكمال النسبى . لذلك فالسعى من أجل التقدم لا فائدة منه ، وعلى الأحرار إما الانضمام إلى الرأسمالية الغربية أو إلى الشيوعية الشرقية . وبتفسير آخر ، فإننا لا نملك أى شىء لأنفسنا وعلينا أخذ كل شىء من القوى العظمى سواء كانت شرقية أم غربية ؛ نأخذ العلم والحضارة والقانون والتقدم !!

وأنتم ترون فى أيامنا السوداء هذه ونتيجة لتأثير هذا الفكر الذى فُرض علينا أن كل شىء ننتجه حتى ولو كان ممتازا يكون الإقبال عليه قليلا بسبب هذه الجريمة ، ونفس هذا الشىء إذا وضع عليه اسم الغرب ، يقبلون عليه بشدة ويجد رواجا عظيما ؛ فالأقمشة الإيرانية لابد أن يكتب على أطرافها بالحروف الأجنبية واللاتينية حتى تجد من يقبل عليها ويشتريها !! والأمراض التى تعالج فى بلادنا على نحو جيد يسافرون لعلاجها فى الخارج . ويسود هذا الاعتقاد فى الوقت الذى أثبت بعض العلماء والكتّاب من غير المسلمين بالشواهد الحية أن الحضارة والعلوم قد انتقلت إلى أوروبا عن طريق الإسلام وأن المسلمين كانوا سباقين وروادا فى هذا المضمار .

ويجب القول بأن جامعاتنا كانت تدار بيد حفنة من المستغربين المضطربين أو العملاء . وتناقص عدد العلماء الملتزمين ، وسلبوا منهم السلطة والنفوذ . وشجعت هذه الأغلبية المستغربة الشباب على حب الغرب وعشقه ، وكانوا يرسلونهم فوجا وراء فوج إلى الخارج . وهناك فى الخارج كانت تلعب يد الاستعمار لعبتها ، ويرعون الشباب ويعلمونهم بالقدر الذى يريده المستعمرون ، ثم يعيدونهم إلى بلادهم وقد حملوا معهم أفكارا غربية وغير إسلامية وغير قومية . وتلك كانت كارثة القرن الأخير التى حدثت فى البلدان الإسلامية والخطأ الذى وقعت فيه . ويجب الاطلاع على تفاصيل هذا الموجز[١١٩] .

مقتطفات من أفكار المستشرقين عن التخلف الفكرى عند الشرقيين

١- بلفور[١٢٠] رئيس وزراء إنجلترا أول من صرح بهذه الفكرة

هو "آرثر جيمس بلفور[١٢١] ١٨٤٨ - ١٩٣٠م" رئيس وزراء إنجلترا والسياسى المشهور الذى تولى لفترة العديد من المناصب كرئيس للوزراء ووزير للخارجية وعضو فى البرلمان ووزير لشئون المستعمرات الاسكتلندية ، ولعب دورا حساسا كمنظّر للأزمات والحروب الإنجليزية أثناء احتلال مصر ، صرح فى محاضرة تاريخية له أمام مجلس العموم الإنجليزى بمناسبة احتلال مصر فى ١٣ يونيو ١٩١٠م بقوله :

بمجرد ظهور الشعوب الغربية على مسرح التاريخ ، قدموا نماذج من طاقاتهم واستعدادتهم وجدارتهم ، ومن قبيل ذلك نموذج حكم أنفسهم بأنفسهم ... وامتلاكهم لمزايا وأفضليات ... وتستطيعون إلقاء نظرة على تاريخ كل البلدان والأوطان الشرقية التى يطلق عليها كلمة "الشرق" فى معناها الواسع ، فلن تعثروا مطلقا على أثر يذكر عما نسميه "حكم الذات" . لقد انقضت كل قرونهم وعصورهم العظيمة فى ظل حكومات عنيدة نرجسية واستبداد مطلق . وكل ما أقرضوه للحضارة ، وكان فى الواقع إسهاما كبيرا ، كان فى ظل هذه النوعية من الحكومات . لقد جاء فاتح بعد فاتح سابق ، وقامت سلطة عقب سلطة سابقة ، إلا أنكم لا ترون بين كل تلك التقلبات المصيرية والجذرية ولو فى موضع واحد أن أمة من هذه الأمم أسست بإرادتها وقوتها وحركتها حكومة مستقلة . هذا هو الواقع . والبحث هنا لا يدور حول الأفضل أو الأقل قيمة .

وأعتقد أن أحد "الحكماء الواقعيين الشرقيين" سيقول أيضا : إن هذه الحكومات التى قبلناها فى مصر وغيرها من بلدان الشرق الأخرى ، ليست شيئا له قيمة حتى يقوم بها فيلسوف ، بل هى عمل قذر جدا ، عمل حقير لتسيير الأمور الضرورية .

هل من الأشياء الجيدة أن نحكم نحن هذه الشعوب العظيمة حكما مطلقا ، وأنا أؤمن بعظمتها ؟

أنا أعتقد أن هذا شيء جيد ... وأن هذا ليس لمصلحتهم فحسب ، بل إنه لصالح كل الغرب المتحضر بالتأكيد ... نحن نوجد فى مصر من أجل المصريين فقط ، وعلى الرغم من أنه من أجلهم ، فإنه من أجل أوروبا جميعها كذلك...[١٢٢] .

وبعد ذلك التحليل والتفسير الإنسانى من قبل بلفور بالنسبة لغزو الإنجليز وإحتلالهم لمصر وقع فى تناقض عندما تحدث عن أهداف الغزو الإنجليزى ، إلا أنه بعد ذلك وصف الهجوم والقتل الذى تعرض له الشعب المصرى بأنه واجب إنسانى يقع على عاتق الدولة الإنجليزية العلية ، وينتظر من الشعب المصرى أيضا تقدير ذلك وتقديم الشكر عليه ، يقول :

إذا كان من واجبنا أن نحكمهم ، سواء قدروا ذلك أم لم يقدروه ... فكيف يجب علينا تنفيذ ذلك ؟ إن إنجلترا تصدر أفضل ما لديها إلى هذه الدول ، أى أن ممثليها ووكلاء ها المتواضعين من الإنجليز يقدمون خدماتهم للشعب بصرف النظر عن العقيدة أو الجنس ، وهم مختلفون بطبيعة الحال من هذه الناحية ...[١٢٣] .

٢- تصريحات السير ألفريد ليال[١٢٤]

وينتقل "كرومر" فى كتابه الذى يقع فى مجلدين وعنوانه "مصر الحديثة" عن "ألفريد" نفس هذه النظرية ، إذ يقول : قال لى السير "ألفريد ليال" فى وقت ما :

إن الدقة فى العمل فى أذهان الشرقيين أمر منفر وشنيع !! ويجب على الإنجليز المقيمين فى الهند أن يتذكروا هذا المبدأ البديهى دائماً .

إن قلة الدقة ونقصها تنتهى بسهولة إلى "الكذب" و"عدم صحة العمل" ، والواقع أنها صفة وسجية للذهن الشرقى .

إن الأوروبى أقرب ما يكون إلى المنطق والاستدلال . والحقائق التى يبينها كلها خالية من أى نوع من الإبهام . ومع أنه من الممكن ألا يكون قد قرأ المنطق ، إلا أننا نجده إنسانا "عالما بالمنطق" بشكل طبيعى . وهو بالفطرة إنسان "شكاك" لا يقبل أى موضوع أو أى اقتراح قبل طلب الدليل عليه . ويعمل ذهنه المتعلم والمدرب كالآلة .

أما ذهن الإنسان الشرقى فهو مثل الشوارع الجديدة التى تفتقر فى أرضيتها إلى التناسب والتطابق . واستدلاله عمليا عبارة عن وصف غير ذى موضوع تماما . وعلى الرغم من أن العرب القدماء قد تعلموا علم الجدل على مستوى عال نسبيا ، فإن أحفادهم يفتقرون إلى قوة الاستدلال والمنطق بشكل ملحوظ . وهم غالبا لا يستطيعون استنباط حكم منطقى من أبسط القضايا التى يحكمون هم بصحتها .

إن توضيحات الشرقى تكون عادة طويلة وتفتقر إلى الوضوح والجلاء . وقبل أن يتم قصته ، سيقع عدة مرات فى أقوال متناقضة . وإذا حاولت أن تضع كلامه موضع البحث والتدقيق الكافيين ؛ فإنه سيتخلى عن المقاومة فى مواجهة أقل ضغط استدلالى .

ثم قال بعد ذلك :

إن الشرقيين أو العرب قوم "سذج" "ينخدعون بسرعة" ، ويفتقرون إلى كل نوع من الطاقة والحيوية والدافع . وهم فى الغالب أهل "تملق ومداهنة مفرطة" ، ويميلون إلى الخداع والعلاقات الخفية والتحايل وعدم محبة الحيوانات .

إن الشرقيين لا يستطيعون السير على طريق واحد أو رصيف واحد ، ذلك لأن أفكارهم وعقولهم المعيبة عاجزة عن إدراك ما يدركه الأوروبيون الأذكياء مباشرة ، ولا يفهمون أن الطرق والأرصفة قد جُعلت للسير عليها .

الشرقيون كذابون متمرسون . وهم مبتلون بالتعب والثقل وسوء الظن كذلك ، وهم فى كل المجالات يقفون على طرفى نقيض مع الجلاء والوضوح المباشر والنبل والأصالة الموجودة لدى "الأنجلو ساكسونيين"[١٢٥] .

٣- هنرى كيسنجر[١٢٦]

هو السياسى المعروف فى سياسة أمريكا الخارجية ، ولد عام ١٩٢٣م ، وهو الذى طرح فكرة التميز الذاتى للغرب على الشرق مستدلا فى ذلك بغربية اكتشافات نيوتن ، وحذر من خطر أزمة السيادة الوطنية للشرقيين على بلدان الشرق ، يقول :

يجب على الغرب المبادرة بإعداد نظام دولى قبل أن تفرض المشكلة نفسها كضرورة ملحة[١٢٦] .

٤- جان باتيست جوزيف فوريه

كان سكرتيرا لمعهد الاستشراق والمصريات أيام نابليون ، يقول فى مقدمته التاريخية على كتاب "وصف مصر" :

إن هذا البلد الذى نقل ذات يوم علومه ومعارفه إلى الأمم الأخرى ، يعانى اليوم من الهمجية والبربرية .

إن نابليون باحتلاله لمصر قد أدى خدمة لسكان مصر تجعلهم يحيون حياة أكثر ملاء مة وطبيعية ، هذا بالإضافة إلى أنه يضع بين أيديهم كل مزايا الحضارة المتقدمة أيضا[١٢٨] .

٥- شارل رو[١٢٩]

هو الذى قال : "عندما تكون مصر تحت إدارة عاقلة ومستنيرة ؛ فإنها ستحصل على الرفاهية والتقدم ... وسوف تلقى بعد ذلك بظلالها المتحضرة على كل جيرانها الشرقيين »[١٣٠] .

٦- جوستاف فلوبر (١٨٨٠م)[١٣١]

ألَّف دائرة معارفه على شكل قصة كوميدية عنوانها "بوڤارد وبكوشه" ، وهاتان الشخصيتان هما بطلا هذه القصة . ويقول خلال وصفه لوجهتى نظر هاتين الشخصيتين وحوارهما حول التفاؤل أو التشاؤم بالنسبة لمستقبل البشرية :

إن آسيا تجر أوروبا إلى الاضمحلال والانهيار[١٣٢] .

ويكتب هذا المستشرق والرحالة الفرنسى رحلته بعد سياحة فى مصر وغيرها من الدول الشرقية ، إلا أنه يسعى من خلال قدرته على الكتابة والأدب إلى تصوير أهل مصر فى صورة سيئة جدا من التخلف ، بحيث لا يتوقع القارئ طريقا آخر لخلاص

أهل مصر ونجاتهم سوى احتلالهم بواسطة الأوروبيين ؛ فمثلا نرى فى قسم من مذكراته يشبه تخلف الشعب المصرى من ناحية الصحة وأنواع الأمراض التى تثير الاشمئزاز وعدم وجود الطب والعلاج بأنهم يشبهون قوما يعيشون قبل التاريخ ، ويقول :

ما أجمل مستشفى القصر العينى ... !! وما بها من رعاية ... هناك فى كثير من الأحيان عدة أشخاص من مرضى "السفليس" فى قسم المماليك العباسيين مصابين بهذا المرض فى "المقعدة" ، وقد وقفوا جميعا فوق أسرتهم بأمر الطبيب ، وحلوا أحزمة سراويلهم (كتدريب عسكرى) وفتحوا مقاعدهم بأصابعهم ، حتى يظهروا جروح السفليس عندهم .

وفى أحيان أخرى ، كان الشعر ينبت داخل مقعدة أحدهم بسبب مرض "سلس البول" ... وقد تراجعت بسبب الرائحة العفنة والنتنة التى تفوح منه .

وهناك شخص آخر مصاب بمرض لين العظام وقد انحنت يداه إلى الخلف ، وطالت أظافره بطول شوكة الطعام . ويمكن للمرء أن يرى هيكله العظمى بوضوح . وكان باقى جسده نحيلا أيضا بشكل عجيب ، كما غطى رأسه أيضا "البرص" بلونه الأبيض .

أما غرفة المشرحة ... فقد وضع على مائدة فيها جثمان أحد العرب وهو مفتوح تماما وذو شعر أسود اللون ...

ويسخر فلوبر فى فصل آخر من كتاب رحلته ويوجه الإهانات إلى نساء الشرق ويشرح عشقه ومرافقته لـ "كوشك خانم" الراقصة والمغنية المصرية ورقصها ، ويستنتج فى ثنايا روايته النتيجة التالية :

إن المرأة الشرقية صاحبة نزوة وعديمة الشخصية وتفتقر إلى الأصالة[١٢٣] .

٧- شاتوبريـان

يقول هذا المستشرق الفرنسى المعروف :

كان عرب المشرق أشخاصا متحضرين ، ولكنهم انحدروا إلى الوحشية مرة أخرى . إنهم لا يعرفون شيئا عن الحرية ، وليس لديهم ما يملكونه . القوة والنفوذ هما سيدهم . وعندما يمر وقت طويل من الزمن لا يرون فيه غزاة لهم يفرضوا عليهم العدالة السماوية ، فإن الفضائل التى تتحكم فيهم تكون عبارة عن عدة جنود بدون قائد أو مواطنين بدون مُشرع أو مقنن أو أسرة بدون رب أسرة .

وعندما يحاول عربى التحدث باللغة الفرنسية ؛ فإننا نشعر نحن الغربيين بإحساس يشبه إحساس الرجفة التى شعر بها "روبنسون كروزو" عندما رأى ببغاءه يتحدث لأول مرة[١٣٤] .

٨- ألفونس دى لامارتين[١٣٥]

يقول هذا المستشرق الفرنسى :

هذا الوطن العربى هو موطن التطرف ؛ فهنا ينمو ويترعرع كل شىء ، ويستطيع كل شخص ساذج وسطحى أن يصبح نبيا بدوره .

وبعد هذا الاستنتاج يعتبر احتلال دول الشرق من قبل الغربيين حقا لهم بكل تأكيد ، يقول :

إن السلطة التى تم تعريفها على هذا النحو وتكتسب قدسيتها من كونها حقا أوربيا ، تعنى بشكل أساسى حق احتلال هذه البلد أو تلك وكذلك سواحلها بهدف إقامة مدن حرة أو مستعمرات أوروبية أو موانئ تجارية فى تلك الأماكن .

ولا يقف لامارتين عند هذا الحد ، بل يضيف إلى ذلك قوله :

إن بلاد المشرق عبارة عن : صنف من الشعوب التى لا أرض لها ولا وطن ولا حقوق ولا قوانين ولا أمن ... وهى تنتظر بفارغ الصبر الملجأ والملاذ واحتلال أراضيها

من قبل الأوروبيين[١٣٦] .

٩- جان وستليك[١٣٧]

يذكر وستليك فى كتابه "فصول فى مبادئ القوانين الدولية" :

إن ذلك الجزء من الكرة الأرضية الذى يسمى بالدول غير المتحضرة ، من الضرورى أن يضم إلى الدول المتقدمة أو يحتل بواسطتها[١٣٨] .

١٠- كوڤيه

كان يؤمن بأن المستشرقين ليسوا بشرا فى واقع الأمر ، بل هم حيوانات تشبه الإنسان . وقد ألف كتابا ذكر فيه نظام حكم الشرقيين لأنفسهم ، وأطلق عليه اسم "الحكومة الحيوانية" .

١١- جو بينو

ألف هو أيضا كتابا بعنوان "رسالة حول عدم ندية الأجناس البشرية" ، وذلك لإثبات الضعف الذاتى للجنس الشرقى وتسهيل سبل هيمنة الغرب على الشرق .

١٢- روبرت نوكس(١٣٩)

يحاول هذا الكاتب الذى يرى أن الإنسان فى الغرب هو الذى يتقبل المعرفة فقط أن يضع هالة من الإبهام والغموض حول الإنسان الشرقى . ولهذا ألف كتابه المسمى "أجناس البشر الضالة" .

١٣- جوستاف لوبون الفرنسى

يقول فى كتاب "قوانين علم النفس فى تطور الأمم" :

مادام الإنسان الشرقى هو أحد أعضاء الأعراق الوضيعة والذليلة ، فإن ذلك يستلزم أن يظل تحت إمرة الآخرين وسلطانهم(١٤٠) .

١٤- مارك جرادين(١٤١)

كان هذا المستشرق الفرنسى يعتقد بأن الشرقيين متخلفين ومحتاجين إلى الاستعمار والاحتلال من قبل الغرب ، وهو يتبنى أفكار الشرقيين أنفسهم وتوقعاتهم ؛ فيقول :

لقد كان على فرنسا القيام بأعباء كثيرة فى الشرق ، ذلك لأن بلدان الشرق كانت تتوقع منها أكثر مما تقدر عليه .

إن بلدان المشرق تضع كل مسئوليات مستقبلها فى يد فرنسا عن طيب خاطر ، ويشكل هذا الأمر خطورة كبيرة بالنسبة لفرنسا وبالنسبة للشرق أيضا ، ذلك أن فرنسا ما زالت حتى الآن تتابع قضية الشعوب المحرومة ، وكانت تقبل غالبا مسئولية أكبر من قدراتها وطاقاتها...(١٤٢) .

١٥- ت - اى - لورانس(١٤٣)

يصف الشرقيين فى رسالة له عام ١٩١٨ إلى "دبليو ريتشارد" ويعرفهم لمسئولى أوروبا على النحو التالى :

تصورت العرب ... أنهم يفكرون فقط فى اللحظة التالية ويسعون إلى قضاء حياتهم بدون أى تعقيدات أو صعوبات . أى بمعنى ألا يكون هناك إرهاق فكرى وأخلاقى . إنهم الجنس الذى يرمى بعصر التعليم والتعلم وراء ظهره .

ومن المؤكد أن "لورانس" قد أعرب عن هذه الحقيقة المرة التى كانت مخبأة فى

ترسبات عقله حيث يقول :

ومع هذا فإننى أرى أننا نفهم وجهات نظرهم إلى حد كاف ، إلى الحد الذى يجعلنى قادرا على رؤية نفسى وغيرى من الأجانب من زاوية نظرهم ... وأعلم أننى أُعتبر شخصا غريبا من وجهة نظرهم وسوف أظل كذلك دائما[١٤٤] .

ويبين هذا المستشرق السياسى الإنجليزى قيمة شعوب دول المشرق من وجهة نظر الإنجليز بقوله :

إن كل ولايات المستعمرات وحدودها لا تساوى عندى صبيا إنجليزيا ميتا[١٤٥] .

١٦- جرترود بل[١٤٦]

يقول : خلال كل هذه القرون والعصور ، لم يتعلم العرب أى حكمة من التجارب ، والإنسان العربى لا يستقر على موقف آمن[١٤٧] .

١٧- شارلز ميشيل[١٤٨]

ألف كتابا فى إثبات هذا الموضوع ؛ حيث أثبت أن كل السياسات الخارجية لنفوذ الغرب وسيطرته بالنسبة لكل دولة شرقية كانت تقوم على أساس حقائق علم الأحياء ، والتخلف الذاتى لأهل البلدان الشرقية وتفوق استعداد وقدرات الغربيين وحاجة الشرقيين إلى حماية الغرب وإداراته . وسمى هذا الكتاب : رؤية بيولوجية لسياساتنا الخارجية (A BIOLOGICAL VIEW OF OUR FOREIGN POLICY) .

١٨ - توماس هنرى هوكسلى[١٤٩]

يعد توماس (١٨٢٥ - ١٨٩٥م) من أنصار نظرية داروين ، وقد ألف كتابا

بعنوان كفاح من أجل الوجود فى المجتمع الإنسانى ، وذلك لإثبات التفاوت الذاتى بين الشرقيين والغربيين على أساس مبدأ التكامل وتنوع الخلقة .

١٩- جان بى كروزييه(١٥٠)

ألف هو أيضا كتابا بعنوان "تاريخ التطور العقلى فى خطوط التطور الحديث" فى عام ١٩٠١ ، فى إطار نفس هذه العمليات النفسية الغربية للسيطرة على الشرق .

(HISTORY OF INTELLECTUAL DEVELOPMENT ON THE LINE OF MODERN EVOLUTION) .

٢٠ - تشارلز هارقى(١٥١)

قام تشارلز بتأدية مهمته ورسالته فى إطار القواعد والأدلة البيولوجية لسياسة هيمنة الغرب على الشرق عن طريق تأليفه لكتاب بعنوان "بيولوجية السياسة الإنجليزية" (BIOLOGY OF ENGLISH POLITICS) .

٢١ - ويليام سميث(١٥٢)

اعتبر الشرقيين والعرب من البشر الكسالى المتقاعسين بالفطرة ؛ إذ إنهم لا يملكون أى نوع من إمكانية الإبداع والتطور والرقى . ويتحدث مقارنا بين الرحالة العرب والأوروبيين فيقول :

إن الرحالة والسائح العربى يختلف عنا تماما ، وتشكل له الحركة من مكان إلى مكان أفة وبلاء على العكس منا ، وهو لا يستمتع بالسعى والاجتهاد ، وينشغل دائما بجوعه وتعبه . ولا تستطيع مطلقا أن ترضى شخصا شرقيا عندما ينزل من فوق ناقته سوى بالجلوس على سجادة وانشغالة بالاستراحة وشرب الشاى وتدخين النارجيلة ،

ويمكن أن يفكر أيضا في رغبة أخرى . هذا بالإضافة إلى أن العرب جماعة نادرا ما تتأثر بالمناظر[١٥٣] .

٢٢- جورج أورويل[١٥٤]

جورج أورويل هو المستشرق الرحالة الذى ألف كتابا فى عام ١٩٣٩م حول سفره إلى مراكش ، وحاول وصف "عدم إنسانية" أهل تلك البلاد على النحو التالى :

عندما تطأ قدمك مثل هذه المدينة ، سوف تجد مائتى ألف شخص من الأهالى ، وقد جلس عشرون ألف شخص منهم على الأقل فوق بسط وهم لا يملكون شيئا آخر سوى ذلك ، وعندما ترى كيف يعيشون ، والأهم من ذلك كيف يموتون ببساطة ، يكون من الصعب عليك تصديق أنك تسير بين حفنة من البشر !! والواقع أن كل الإمبراطوريات الاستعمارية قد أسست وأقيمت على هذا الأساس .

إن لون بشرتهم أسمر ، وتعدادهم كثير جدا أيضا . هل لحومهم وجلودهم تشبهك حقا ؟ وهل لهم أسماء أصلا ؟ أم أنهم مثل مواد سمراء اللون لا يمكن التمييز بينها تتجمع حول الإنسان كالنحل أو الحشرات الأخرى ؟ لقد أطلوا برؤوسهم من قلب التراب ، وقضوا عدة سنين فى الفقر والبؤس ، ويوسدون التراب مرة أخرى فى مقابر بعيدة كالتلال الترابية ، دون أن ينتبه أحد لرحيلهم ، بل إن القبور أيضا سرعان ما تندرس وتصبح ترابا خالصا[١٥٥] .

٢٣- ماكدونالد

يزعم هذا المستشرق الأمريكى أن الشرقيين لا يملكون القدرة على فهم مفهوم "الحياة" أيضا ، يقول :

أعتقد أن الاختلاف والتفاوت الكبير بين الشرق والغرب يكمن فى عدم قدرة الشرقيين على رؤية الحياة على أنها أمر دائم ومستمر ورتيب وبشكل كلى ، ويجب أن يتضمن فهم هذا الموضوع كل الحقائق المفترضة حول الحياة[١٥٦] .

وكان الأجدر بالسيد "ماكدونالد" ضمن نظرته إلى كم كتب فلسفة فلاسفة الإسلام على مدى ألف عام منذ الشيخ الرئيس أبى على بن سينا وحتى ملا صدرا وإلى الآن ، ودراسات تعليل مفهوم الحياة وتعميم الحياة على كل المخلوقات ومنها الجمادات ، وعمومية مفهوم الحياة ، بل الشعور والإدراك لكل الوجود من الذرة وحتى المجرة فى هذه الكتب ، أن يفتح القرآن مرة واحدة ويلاحظ نظرية "تجليات الحياة السامية وتعميم الحياة فى كل مخلوقات الوجود" فى هذا النوع من الآيات الشريفة مثل قوله تعالى : "إِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ"(سورة الإسراء ٤٤) .

إن فهم وإدراك الحياة وعموميتها ، ليس قاصرا على فهم العلماء فحسب ، بل هو لدى كل الأمة الإسلامية ، حيث يردد المسلمون العاديون وأهل المشرق أيضا هذه الأبيات التالية مع أنفسهم :

- إن جملة ذرات الأرض والسماء ، تقول لك ليلا ونهارا :

- نحن نسمع ونبصر ونعقل ، ونلتزم الصمت معكم أيها الغرباء .

وقد تابع "ماكدونالد" أهدافه التبشيرية المغرضة فى كتبه التالية :

١- الموقف الدينى والحياة فى الإسلام .

٢- تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الإسلام .

٣- مقالات كثيرة فى دائرة المعارف الإسلامية[١٥٨] .

٢٤- إميت تيريل جونيور[١٥٩]

ادعى فى مقالة له بعنوان "حوض فى الشرق الأوسط" :

إن العرب مجرمون أصلا ويوجد العنف والغش والخداع فى جيناتهم[١٦٠] .

٢٥- السيدة سانيا حمادى[١٦١]

تزعم هذه السيدة المستشرقة أن :

العرب لا يملكون أصلا الاستعداد للوحدة والحياة الجماعية .

ولذلك تقول فى كتاب "شخصية العرب ومزاجهم" :

لقد أظهر العرب حتى الآن عدم قدرتهم واستعدادهم لعمل وحدة منظمة ومطيعة . إنهم يستطيعون القيام بشكل جماعى بتجربة الانفعال والشوق والولع ، إلا أنهم لا يتابعون جهودهم ومساعيهم الجماعية بصبر وأناة ؛ تلك الجهود التى تُقابل عادة بالشك والتردد . إنهم يظهرون عدم التنسيق والتنظيم فى أجهزتهم وعملياتهم ، ولم يقدموا أى دليل على قدرتهم على التعاون . ويعتبر أى نوع من العمل الجماعى للصالح العام والمشترك أو للفائدة المتبادلة أمرا غريبا بالنسبة إليهم . والعرب يؤمنون قليلا بالتقدم والتغيير ويعتبرون أن الخلاص والنجاة إنما تكون فى العالم الآخر !![١٦٢] .

٢٦- هالبرن[١٦٣]

هو عالم الفسيولوجيا المستشرق الذى قام بتفسير وبيان عقل الإنسان المسلم الشرقى والغربى تبعا لتصوره وحلل نطاق إدراك كل منهما ، يقول :

يمكن تقسيم كل ظواهر الفكر الإنسانى وتياراته وموضوعاته إلى ثمانية أقسام . إلا أن الفكر والذهن الإسلاميين عند المسلم لا يقدران إلا على أربعة من هذه الأقسام الثمانية !![١٦٤] .

٢٧- مورو برجر[١٦٥]

يعتقد مورو برجر أن كل إنسان يظهر حدة ذكاء فى القضايا الأدبية ، ومن المؤكد أنه سيكون بطىء الفهم بالنسبة للقضايا العقلانية ، لأنه ربما لا يملك الاستعداد لفهم كلا الجانبين معا . ويقول فى كتابه "العرب فى العصر الحاضر" :

لما كانت اللغة العربية تتضمن حالة من المبالغة والصنعة الأدبية الوفيرة ، لذلك فإن العرب عاجزون عن التفكير بواقعية[١٦٦] .

المستشرقون الأمريكيون

يبين إدوارد سعيد وجهة نظر المستشرقين الأمريكيين حول الشرقيين والمسلمين بقوله :

يتحدث المتخصصون الخرافيون فى شئون العرب بوزارة الخارجية الأمريكية عن مشاريع العرب الذين هم بصدد احتلال كل الدنيا ، ويصورون الصينيين الخونة ، والهنود العراة أو نصف العراة ، والمسلمين الأذلاء فاقدى الإرادة ، على أنهم "آكلو جيف" أبهتنا السخية ورفاهيتنا نحن الغربيين . ولذلك فإننا عندما نتركهم فى مواجهة الشيوعية أو فى مواجهة الغرائز والمشاعر الشرقية الجوفاء والميتة ، فإننا نصب لعناتنا عليهم[١٦٧] .

توافق الشيوعيين مع المستشرقين

كتب ماركس فى السنة الثامنة عشرة للويس بونابرت يقول :

لا يمكن للشرقيين أن يمثلوا أنفسهم ، ولابد من شخص آخر يمثلهم[١٦٨] .

سر إشفاق الغربيين على تخلف الشرقيين الفكرى والأخلاقى

إن كشف هذا السر كان على يد جماعة من المستشرقين الذين أشرنا إليهم فى الصفحات السابقة ، فقد سعوا ليثبتوا للشرقيين والغربيين أن "شعوب الدول الشرقية والمسلمين والعرب لا يملكون الإمكانيات الذاتية للتطور العلمى والأهلية الأخلاقية والقدرة على حكم أنفسهم" . وعلى فرض أن الشرقيين على هذه الدرجة من التخلف ، فما هى النتيجة التى يتوصل إليها علماء الاستشراق وحكام الغرب من هذه المقدمات للتمهيد والتخطيط لغزو الدول الشرقية واحتلالها وحكمها ؟ يبدو أنه يمكن الإجابة عن هذا السؤال بإجابتين :

الإجابة الأولى – وتُستنبط من ثنايا عباراتهم فى الصفحات الماضية ، وهى : أن الغربيين يتحملون مسئولية مساعدة بنى البشر المتخلفين من منطلق الأخلاق والضمير الإنسانى ؛ لذلك ينبغى عليهم الإطاحة بحكوماتهم عن طريق غزو بلادهم ، وتولى الإشراف على تلك الشعوب التى لا ملاذ لها ولا ملجأ ، والوصاية عليها بأنفسهم !!

أما **الإجابة الثانية** فالأفضل أن نستمع إليها من المحلل الكبير والمستشرق المعاصر فى أمريكا السيد "إدوارد سعيد" حين يقول :

إن الشعوب العربية ... شعوب منتجة للبترول . وهذه فى حد ذاتها نقطة سلبية أخرى ، ولما كانت معظم الأحاديث تدور حول بترول العرب ؛ فإن هذا يذكّر على الفور "بحظر البترول" فى عامى ١٩٧٣م – ١٩٧٤م !! وهذا يجرنا بطبيعة الحال إلى تذكر أن العرب لا تتوفر لديهم الأهلية الأخلاقية اللازمة لامتلاك مثل هذا المخزون الضخم من البترول .

وبدون حسن التعبير الشائع ، فإن السؤال الذى يطرح دائما هو : لماذا ينبغى أن يكون لمثل هؤلاء الناس الحق فى تهديد العالم الحر المتقدم الديمقراطى صاحب الأخلاق ؟!

ومن ناحية هذه التساؤلات فإن بعض الأشخاص يقترحون ضرورة قيام جنود البحرية الأمريكية باحتلال مناطق البترول العربية[١٦٩] .

الاستشراق أداة لهيمنة الغرب الثقافية على الشرق

من الأهداف الأساسية للاستشراق الغربى بث روح التغريب وتقبل قيم الغربيين وثقافتهم وهيمنة الحضارة الغربية على بلدان الشرق ، ذلك لأنه ليس أمام الغربيين من طريق ذهبى للوصول إلى أهدافهم سوى السيطرة على الشرق .

ويفسر "المستر رافائيل باتاى RAPHAEL PATAI " هذه النظرية وهذا التحليل فى كتابه "النهر الذهبى إلى الطريق الذهبى" كمحلل شرقى ؛ بحيث لا يشك فى هذا الحكم الشرقيون السذج والمفكرون والكتاب المسلمون المتفائلون :

لكى نتمكن بجدارة من تقويم أن ثقافة الشرق الأوسط سَتَقْبَل عن طواعية شيئا من مخازن حضارة الغرب الممتلئة ، يجب أن نحصل فى البداية على فهم أفضل وأوضح لثقافة الشرق الأوسط . ولقياس التأثيرات المحتملة للصفات التى سبق الإشارة إليها يجب أن تتوفر مثل هذه الظروف فى المضمون الثقافى المقدم للأشخاص الذين يخضعون للتقاليد ، وكذلك الوسائل والطرق التى يمكن عن طريقها تقديم الهدايا والمعونات الثقافية الجديدة بشكل مناسب ، كما ينبغى أيضا دراستها بشكل أكثر عمقا واتساعا عن ذى قبل .

والخلاصة فإن السبيل الوحيد للتغلب على عقد المقاومة العنيدة التى لا تقبل الحل فى مواجهة التغريب ، والتعود على العادات والتقاليد الغربية فى الشرق الأوسط ، يكون عن طريق "دراسة الشرق الأوسط" ، والحصول على تصور أكمل لثقافته التقليدية ، وإدراك أفضل للأفعال والانفعالات والتيارات التغييرية التى تتشكل فيه فى الوقت الحاضر .

ولا شك أن هذا العمل يكون شاقا ومتعبا ، إلا أن أجره يكون عبارة عن التآلف والتناغم بين الغرب وجزء آخر من الدنيا يقع بجواره يتمتع بأهمية حيوية ويستحق ذلك تماما(١٧٠) .

وقد واصل رافائيل باتاى نفس هذه السياسة فى كتابه الجديد "الفكر والذهن العربيان" .

غرور الغرب ومطالبته بالمزيد من وجهة نظر شريعتى

على الرغم من أن الدكتور علي شريعتى (١٧١) قد مدح تقدم الغرب وأثنى على المصلحين الغربيين ، فقد كانت له وقفات صلبة مع الغرب بجانب هذا المديح والثناء ، ومن أقواله التى أراد بها كشف النظرة المغرورة والمتكبرة للغرب وعمليات إهاناتهم للشرقيين ؛ قوله :

تشيع هذه النظرة فى فلسفة الغرب من "نيتشه" إلى "هيجل" و"كنت دوجوبيتو" ومن "زيجموند فرويد" إلى "زيجفريد" . بل إن "إرنست رينان" المحب للبشرية كان يقول أيضا : إن الغرب جنس يدير العمل ، والشرق جنس العمال . وكان السيد "زيجفريد" يقول : إن العقل الغربى هو عقل الصناعة والإدارة والحضارة ، أما العقل الشرقى فهو عقل المشاعر والعواطف . وكان "موريس تورز" زعيم الحزب الشيوعى الفرنسى يقول : إن شعوب الجزائر وشمال أفريقيا ليست شعوبا ، إنهم فى حالة التحول إلى شعوب . هذا هو فكر السيد الاشتراكى !!

أقول : أيها السيد الأوروبى ، هذا صحيح ، ولكن ليس بسبب كونهم شرقيين ، بل بسبب أن الشرق قد تدهورت أحواله ، وإلا فما بالك بالفترة التى كان فيها عقل رجل إيرانى من أبناء طوس يدعى خواجه نظام الملك(١٧٢) يدير إمبراطورية عظيمة تمتد من الهند وحتى البحر الأبيض المتوسط . ونفس هؤلاء الهنود المتهمين بميلهم إلى التصوف ، هم أول من اخترع الأعداد . إن القوانين التى اكتشفها ابن الهيثم

حول انكسار الضوء ما زالت موضع قبول فى علم الفيزياء الحديث ، وكذلك الحسابات الدقيقة التى قام بها ابن الهيثم مع إخوة موسى وأبنائه ، أو الجبر والمقابلة عند الخيام ، أو مبادئ علم الجبر نفسه(١٧٣) .

يقول "برتراند راسل" ليس كمستعمر ، بل كرجل مشهور محب للحرية فى العالم : البترول ملك الحضارة .

أى أنه ليس ملككم ، إنه ملك للشخص الذى يقدر على استهلاكه ، هذه هى علاقتنا مع الغرب فى الفلسفة الإنسانية .

يريد الأوروبى أن يقول أيضاً بخصوص العلم والثقافة :

إنه توجد ثقافة واحدة فقط فى الدنيا تسمى الثقافة الإنسانية ، ألا وهى الثقافة الغربية ....

وما زالوا يصفون إلى اليوم فى المدارس الأوروبية حرب إيران واليونان على أنها حرب البربر واليونان ، بينما كانت إيران فى ذلك الوقت تشكل أعظم حضارة قديمة .

ويتلون على أسماعهم فى الصفين الثانى والثالث الابتدائى : "الغربى أفضل من الشرقى" . بل إن العقل الغربى له رؤية رمادية إضافية"(١٧٤) .

اعتراف المستشرقين بقدرات الشرقيين الرفيعة

على الرغم من كل تلك الدعايات السيئة الكاذبة والإهانات الكثيرة والحديث عن بطء الفهم والتخلف وضعف القدرات الذاتية عند الشرقيين ؛ فإن كثيرا من المستشرقين عندما لاحظوا التقدم الكبير للحضارة الإسلامية العظيمة منذ القرن الأول وحتى القرن الثانى عشر الهجرى ، وشاهدوا تلألؤ وازدهار علوم المسلمين المتنوعة وانتعاشها ، مما سحر عيون الغربيين ؛ بدأوا بالاحتفاء والاعتراف وتمجيد القدرات

الكبيرة والهمة العالية التى يتمتع بها الشرقيون والمسلمون والعرب ، وألَّف بعضهم كتبا مستقلة ، وكتب البعض الآخر عدة مقالات فى هذا الصدد . بل إن هؤلاء الذين أساءوا للشرقيين عدة مرات قاموا بالاعتراف بذكاء الشرقيين وإمكانياتهم ربما بدون قصد . وفيما يلى نماذج من هذا النوع من الاعترافات :

١- دونكن ماكدونالد

هذا المستشرق الأمريكى الذى كان قد تحدث وكتب ضد الشرقيين وحط من شأنهم ، ينقل عنه المستشرق "جيب GIPP" قوله :

وهكذا يظهر أن العرب ليسوا فقط ممن يؤثرون الراحة ولا يفكرون من الناحية الاعتقادية ، بل إنهم أشخاص منطقيون وماديون عمليا ، وباحثون وشكاكون ويسخرون من خرافاتهم واستعمالها ويستهزءون بها ، وهم مغرمون بتجارب ما وراء الطبيعة ....[١٧٥] .

٢- بول ڤاليري (١٨٧١ - ١٩٤٥م)[١٧٦]

يعترف هذا المستشرق الفرنسى الشاعر والناقد بأن الشرقيين كانوا رواد الثقافة والحضارة ، وأن الغربيين لا يشكون فى هذه المسألة ، يقول :

أنا لا أعتقد بوجود أدلة على الخوف من تأثير الشرق الآن من وجهة النظر الثقافية ، فإن هذه الثقافة ليست مجهولة بالنسبة لنا : ذلك لأننا ندين للشرق ببداية كل هذه التخصصات الفنية والريادة للقسم الأكبر من علومنا[١٧٧] .

٣- جيب[١٧٨]

على الرغم من مواقفه الهدامة ضد الإسلام والشرقيين ، فقد يعترف بأن الشرقيين يجب أن يكونوا حتى الآن وفى القرن العشرين قدوة لنا وأسوة فى الشعر والأدب الرومانسى ، يقول :

لقد اتجه الرومانسيون الألمان مرة أخرى ناحية الشرق ، قاصدين بذلك عن وعى العثور على طريق يوصل التراث الواقعى للشرق فى مجال الشعر إلى الشعر الأوروبى . ويبدو أن القرن التاسع عشر يفتح أبوابا لتحقيق هذا الهدف مع الشعور الجديد بقوتهم وتفوقهم .

واليوم نلاحظ بوادر التغيير من ناحية أخرى ؛ فمرة أخرى تُقرأ آداب الشرق من أجلهم ، ويُكتسب إدراك وفهم جديد عن الشرق . وبموازاة انتشار هذا العلم وأن الشرق قد عثر على مكانته الحقيقية فى الحياة الإنسانية ، فمن المحتمل أن تقوم آداب الشرق من جديد بأداء مهمتها التاريخية وتساعدنا حتى نتخلص ونتحرر من قيود المفاهيم المحدودة والظالمة التى تعتبر هامة فى مجال الآداب والفكر والتاريخ فى هذا الجزء من العالم الذى نعيش فيه ، وتحد من كل شيء[١٧٩] .

وهكذا أعلن "جيب" عن مواقفه الواقعية لرجال السياسة فى الستينيات حينما وصل إلى مرحلة البلوغ العلمى ؛ ففى عام ١٩٥١ أكد فى مقالة كتبها لكتاب "الشرق الأدنى والقوى العظمى THE NEAR EAST AND THE GREAT POWERS" أن وقت استخدام أدوات التفوق فى المنزلة الاجتماعية وتمثيل دور العالم والمعلم أمام الشرقيين قد ولًى ، يقول :

لقد تغيرت مكانة الدول الغربية ومنزلتها عند الدول الآسيوية والأفريقية تماما . ومن هذا المنطلق فإننا لم نعد نستطيع الاعتماد على عامل المكانة والمنزلة والاحترام الذى كان يُتصور قبل الحرب أنه لعب دورا كبيرا .

كما أننا لم نعد نستطيع توقع حضور أناس من آسيا وأفريقيا أو من أوروبا الشرقية عندنا وتعلمهم شيئا منا ، بينما نحن جالسون فى أماكننا منتحين جانبا . يجب علينا أن نتعلم شيئا عنهم ، حتى نتعرف كيف نتعامل معهم فى علاقة متوازية وأكثر قربا(١٨٠) .

اعتراف ويل ديورانت بأقدمية حضارة الشرق وبدايتها

يبين ويل ديوارنت العقل المفكر لعلم حضارة الغرب فى مقدمة كتابه السر وراء بدء الكتاب بحضارة الشرق ، حيث خصص المؤلف المجلد الأول من كتابه الضخم "تاريخ الحضارة" لحضارة الشرق ؛ فيقول :

إن قصتنا تبدأ من الشرق ، لا لأن آسيا كانت مسرحا لأقدم مدنية معروفة لنا فحسب ، بل كذلك لأن تلك المدنيات كونت البطانة والأساس للثقافة اليونانية والرومانية التى ظن "سير هنرى مين" خطأ أنها المصدر الوحيد الذى استقى منه العقل الحديث ؛ فسيدهشنا أن نعلم كم مخترعا من ألزم مخترعاتنا لحياتنا ، وكم من نظامنا الاقتصادى والسياسى ومما لدينا من علوم وآداب ، وما لنا من فلسفة ودين ، يرتد إلى مصر والشرق(١٨١) .

ازدهار الحضارة الإسلامية في الأندلس واستفادة الغرب العلمية

يقول "دى لاسى أوليرى" موضحا هذه المسألة :

أصبحت الجامعة الإسلامية فى قرطبة بالأندلس قبلة العلم فى العالم خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر ؛ ومن ثم كان يفد إليها الشباب والباحثون المسيحيون الغربيون لدراسة فروع العلم المختلفة نظرا لتسامح المسلمين بالنسبة لأتباع الأديان السماوية ، وقاموا بترجمة كتب كثيرة فى العلوم والفلسفة مثل كتب

ابن سينا وابن رشد وابن طفيل ، وكانوا يدرسونها فى جامعات الغرب حتى أواخر القرن الخامس عشر[١٨٢] .

حرب المغول الدموية فى المشرق الإسلامى مؤامرة من قبل الاستشراق التبشيرى

إن المستشرقين الذين يستندون فى القرون الأخيرة على أحداث تاريخ الشرق المريرة وحروبهم الدموية لإثبات التفوق الأخلاقى للإنسان الغربى والتخلف الذهنى والأخلاقى للإنسان الشرقى ، يذكرون أسوأ حدث وقع فى الشرق الإسلامى وهو الغزو المغولى الوحشى والدموى ، مما يجعل عددا من المسلمين يحسون بالخجل والعار عند سماع هذه الدعايات .

إلا أن الاهتمام بمسألتين هنا يكون على درجة كبيرة من الأهمية :

أولاً : أى مجرم شرقى آثم تسبب فى هجوم واحد فى مصرع مائة وخمسين ألف إنسان برىء ، كما هو الحال بالنسبة لما سببه قذف هيروشيما ونجازاكى بالقنابل الذرية ، أو قام جنوده بالتعامل مع الأسرى بشكل عنيف وغير إنسانى ، كما فعل الجنود الأمريكيون فى سجن "أبو غريب" بالعراق ؟ .

ثانيا : إن كثيرا من مخالفات الدول الشرقية قد ارتكبت نتيجة مؤامرة هؤلاء الغربيين أنفسهم ؛ فمثلا نجد أن الغزو المغولى الدموى ، هذه الحرب الداخلية الأكثر دموية وتدميرا فى المشرق ، كانت مؤامرة من تدبير الكنيسة الغربية .

ففى عام ١٢٤٥ أرسل "البابا أينوسان الرابع" وفدين دينيين يضمان عددا من القساوسة برئاسة "بوهانس" القسيس الإيطالى لتحريض المغول من أحفاد جنكيز . وبعد سنتين أوفد "لويس التاسع" ملك فرنسا ، الذى كان يحارب المسلمين على سواحل بحر الروم ، سفراء محملين بالهدايا الثمينة إلى بلاط "منكوقاآن" ملك المغول

لتحريضه على حرب المسلمين ، وكلفه بالقيام بغزو الدول الإسلامية بعد أن عرض عليه صداقته[١٨٣] .

مدرسة الاستشراق العلمى

الاستشراق العلمى

يقول الحق سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك ...) (آل عمران ٧٥) ، ويقول أيضا : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) (المائدة ٨٢) .

على الرغم من أن التيار الطويل المدة للاستشراق ملىء بالخيانات والتهم والأكاذيب ، فإن القرآن الكريم يعلمنا فى الآيات السابقة دروسا حول نفاذ البصيرة والتحليل والتمييز بين الشخصيات النافعة والشخصيات الخائنة من أتباع الأديان السماوية الأخرى ، ويوجد فى ثنايا جهود الاستشراق والدراسات الإسلامية التى بذلها الغربيون ، شواهد على البحوث العلمية المحايدة والمنصفة ، بل إن تألق ولمعان نور المستشرقين وتلألؤ اعترافاتهم وتوجهاتهم الكثيرة التى ترضى الله وتطالب بالحق ، واحيانا جهادهم البطولى عن طريق شعلات أقلامهم وبيانهم قد مزق حجب الظلمة والجهل عند الغرب ، وأزاح الستار عن حقيقة الإسلام والقرآن . ولا شك أن بعض الكتاب المسلمين قد أقدموا حتى الآن على جمع هذا النوع من اعترافات وتصريحات العلماء الغربيين من غير المسلمين وألفوا فى ذلك كتبا مفيدة عرضوها فيها .

وسوف نستعرض فى الصفحات القادمة نبذة مختصرة حول بعض هذه الشخصيات من كتاباتهم وأقوالهم .

مما لاشك فيه أنه لا يمكن الادعاء بأن كل أنشطة المستشرقين البحثية ومؤلفاتهم كانت مخلصة وتبحث عن الحقيقة ، وأن كل تصريحاتهم تطابق الواقع ومتفق عليها ؛ ذلك لأن العثور على مثل هؤلاء الأشخاص أمر صعب للغاية ويحتاج التعرف عليهم إلى تقصي وبحث ودقة أكثر . لذا فإن مجموعة الشخصيات التى سنتحدث عنها فى الصفحات التالية هى عبارة عن توليفة من مجموعتين : المجموعة الأولى وهى فى حقيقة الأمر نهضت بدافع فطرى بالبحث وإبداء وجهات النظر باحثة عن الحقيقة مدافعة عن الحق ، أما المجموعة الثانية فهى التى تكون بعض أقوالها وكتاباتها مصداقا للبحث عن الحقيقة واتباعها ، على الرغم من أنهم صرحوا فى مواضع أخرى بأقوال غير مقبولة .

هذه النوعية من الأشخاص كانت موجودة فى كل قرون الاستشراق وعصوره ، لكننا من أجل الاختصار والأولوية سنقوم بتقديم نماذج منها من القرون الأخيرة فقط (منذ القرن السابع عشر الميلادى) وإبداء الرأى فيها :

القرن السابع عشر هو عصر النهضة العلمية والعقلية فى أوروبا

اكتسبت حركة الاستشراق أيضا طابع التحليل العقلى المنصف فى ظل "عصر النهضة" والحركة العقلية والعلمية الأوروبية إلى حد ما ، ونظرا لطرد بعض رجال الكنيسة أصبحت الإغراءات الجاهلة والتهم التبشيرية والمغرضة التى لا أساس لها من الصحة أقل قبولا عند المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية . وفى هذا المناخ ظهرت وجوه بارزة من المستشرقين المنصفين وعلماء الإسلام العقلانيين منذ القرن السابع عشر وما تلاه وخاصة فى القرنين التاسع عشر والعشرين :

١- ريتشارد سيمون[١٨٦]

هو مؤلف كتاب "تاريخ نقد عقائد الشعوب الشرقية وعاداتها" الذى طبع فى عام ١٦٨٤م . وقد أثنى فى كتابه هذا على عقائد المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم ، وأبدى إعجابه بإتزانهم ووقارهم الذى اكتسبوه من الدين الإسلامى .

ولهذا السبب أنّبه "أرنولد"[١٨٧] واتهمه بأنه بالغ فى مدح المسلمين والثناء عليهم(١٨٨) .

٢- الفيلسوف بيير بايل[١٨٩]

هو مؤلف كتاب "حياة محمد" ، وقد ضمن قاموسه التاريخى والنقدى وجهات نظر الغربيين غير المنصفين حول حياة سيدنا محمد (ﷺ) ، وطبعه فى عام ١٦٩٧ فى "روتردام"[١٩٠] .

٣- هارديان ريلاند[١٩١]

هو أستاذ اللغات الشرقية بجامعة "أوترشت" بهولندا الذى بذل جهودا ودقة كبيرة فى التعرف الواقعى على تاريخ الإسلام ومعارفه ، وألف كتابه "دين محمد" فى مجلدين باللغة اللاتينية عام ١٧٠٥م وقام بنشره . وقد قام فى المجلد الأول بشرح العقائد الإسلامية الصحيحة معتمدا فى ذلك على المصادر الأصلية العربية واللاتينية ، ويرى الدكتور بدوى أن هذا الجزء هو من تأليف أحد المسلمين باللغة العربية ، وقام ريلاند بترجمته من العربية ، وفى الجزء الثانى قام المؤلف بتصحيح مفاهيم الغربيين الخاطئة عن الإسلام ، ودافع عن الإسلام .

ويكفى أن هذا الكتاب قد تم حظره من قبل الكنيسة الكاثوليكية نظرا لتأثيره على معرفة قسم من الغربيين بالإسلام الحقيقى . وعلى الرغم من هذا الحظر فقد تُرجم الكتاب تدريجيا إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والهولندية والإسبانية .

٤- جوهان جاكوب (يعقوب) رايسكه الألمانى شهيد الدفاع عن الإسلام والتشيع

يعد "JOHANN JAKOB REISKE" رايسكه أول مستشرق ألمانى شهير ومؤسس الاستشراق والدراسات الإسلامية فى ألمانيا . ولد فى "هلّة" بألمانيا فى ٢٥ ديسمبر ١٧١٨م . وكان أبوه دباغا ، وقد توفى وهو طفل صغير . فأودعوه دار اليتامى . تعلم اللغتين اليونانية واللاتينية . وعندما التحق بالجامعة ، تعلم اللغة العربية بدون معلم نظرا لرغبته الشديدة فى ذلك . وكان ينفق المال القليل الذى كان يتقاضاه من أسرته فى شراء الكتب العربية . وكان قد اطلع على كل الكتب العربية المطبوعة فى ألمانيا وهو فى سن العشرين من عمره .

وفى هذه الفترة قام بترجمة المخطوطة العربية لكتاب "رسالة هرمس فى لوم النفس" إلى اللغة اللاتينية بشكل جميل ودقيق . ثم توجه بعد ذلك إلى ليدن لدراسة المخطوطات والأدب العربى ، وعلى الرغم من فقره ومشكلاته المالية الكثيرة فقد تمكن من الاستفادة منها إلى حد ما .

وعندما أنهى رايسكه دراسته للدكتوراه فى تخصص الأدب العربى ، بعد أن قام بدراسة عدة كتب عربية وطبعها فى جامعة ليدن ، حاول أستاذه "شولتس" أن يصرفه عن استمراره فى دراسة هذا التخصص ؛ ذلك لأنه كان يريد أن يخلفه ابنه فقط فى تولى كرسى الأستاذية فى تخصص اللغة العربية بتلك الجامعة ؛ فاضطر رايسكه إلى تغيير تخصصه إلى الطب ، وكتب رسالته حول "المسائل الطبية عند أطباء العرب" ، إلا أنه لم يهتم عمليا بالطب ، وواصل دراساته وبحوثه العربية والإسلامية[١٩٢] . فألف كتابا باللاتينية وبدأ المقدمة بترجمة كتاب "تقويم التواريخ" لحاجى خليفة . وفى هذه المقدمة خطا عدة خطوات علمية شجاعة على النحو التالى :

١- دافع عن سيدنا محمد (ﷺ) بشدة ، وأدان التهم الموجهة إليه من قول للكذب أو الضلال .

٢- اعتبر إتهام المستشرقين القائم على "كون الدين الإسلامى خرافيا ومثيرا للسخرية" أمرا مرفوضا وغير جائز .

٣- اعتبر تقسيم تاريخ العالم إلى "تاريخ مقدس" و "تاريخ غير مقدس" وهو الأمر الذى دعا إليه الغربيون بشدة حتى يقللوا من شأن فترة التاريخ الإسلامى أمرا خرافيا ، ووضع تاريخ العالم الإسلامى فى "صدر تاريخ العالم" .

وقد تسببت شجاعته هذه فى بيان حقائق التاريخ والاستشراق إلى معارضة معاصريه له ، حيث خلقوا له مشكلات كثيرة وصلت إلى حد قطع راتبه ، ومع ذلك تحمل شظف الحياة وضيق ذات اليد بسبب صموده هذا وإصراره على رأيه . ونتيجة للدعاية السيئة التى قام بها أستاذه "شولتس" فى حقه بسبب مواقفه لم تسمح له أى جامعة ألمانية أو غير ألمانية بالتدريس .

وتوفى رايسكه وهو فى سن السابعة والخمسين فى عام ١٧٧٤م بمرض السل والفقر . وقد صرح "يوهان فوك"[١٩٣] المستشرق والباحث فى القرن العشرين فى كتابه بأن "يوهان رايسكه" أصبح "شهيدا للأدب والثقافة العربية" ، وتعد حياته المؤلمة شهادة ووثيقة على معاناة ذلك العصر . ومما يثير الخجل والعار أن شخصية واحدة من الشخصيات المعاصرة له لم تعترف بقدره وقيمته ومكانته على الإطلاق[١٩٤] .

وربما كان من الأفضل تسمية "رايسكه" بـ "شهيد الإسلام" ، ذلك لأن رجال الكنيسة قد دخلوا فى صراع معه من أجل حمايته ودفاعه عن الإسلام ، وليس بسبب ميله إلى الأدب العربى .

دفاع رايسكه عن التشيع

يعتقد "رايسكه" أن تصدى الأمويين للخلافة والظلم والمعاناة التى فرضت على شيعة على (رضى الله عنه) كان قدرا إلهيا .

كما يعتقد أن عليا (رضى الله عنه) أفضل أمير أنجبه العالم الإسلامى ؛ فقد كان شجاعا وعادلا .

ويرى رايسكه أن حرب على (رضى الله عنه) مع معاوية نموذج لانتصارالخداع على القوة ، والشر على الحق . وهو يزيد على ذلك بأن يقارن بين على (رضى الله عنه) و"ماركس أورليوس" إمبراطور الروم الفيلسوف . ويسرف فى القول فى هذا الصدد ويقوم بالمقارنة بين الأشخاص وأحداث التاريخ الإسلامى وتاريخ أوروبا ، بهدف إبراز ما حدث على مسرح الأحداث فى الشرق الإسلامى ، وتشابهه فى العظمة والأهمية مع الحوادث التى حدثت فى أوروبا[١٩٥] .

٥ - سلفستر دى ساسى رائد الاستشراق فى القرن التاسع عشر ، عصر انفصال الاستشراق العلمى عن الكنيسة

إن بحوث الاستشراق والدراسات الإسلامية فى الغرب التى كانت تخضع لسلطة الكنيسة وموظفى الباباوات ، أخذت تستقل بعد عصر النهضة وأيضا منذ منتصف القرن الثامن عشر ، وانفصلت حركة الاستشراق وخاصة فى فرنسا وإنجلترا عن الكنيسة وحركة التبشير إلى حد ما . غير أنه لا يمكن الزعم بسذاجة بانفصالها المطلق . ويوضح التقرير التالى زاوية من هذا الانفصال :

فى مارس ١٧٩٥م على وجه الدقة عندما أسست حكومة الثورة الفرنسية فى باريس مدرسة اللغات الشرقية الحية ، وضعت أساسها على "العنصر العلمى المفيد" ، وأكدت أساسا على الإفادة من آداب الشرقيين وعلومهم الذين حازوا قصب السبق

فيها قبل ذلك . وكان رائد هذه الحركة "سلفستر دى ساسى"[١٩٦] (ت ١٨٣٨) الذى تزعم المستشرقين فى عصره ، وأصبح "مركز الدراسات العربية" التابع له فى باريس قبلة لكل الباحثين الغربيين . ومما لا شك فيه أن جهوده الرئيسية هو وغيره من المعاصرين له كانت منصبة على الأدب العربى (الصرف والنحو والشعر والنثر) ، ولم يكن لهم شأن بالقضايا الدينية والإسلامية ، ومن ثم ظهر فى هذا القرن الاستشراق ذو الصبغة العلمانية .

والجدير بالذكر هنا أن "دى ساسى" كان له وجهان فى أنشطة الاستشراق ، أحدهما وجه الاستشراق العلمى والثانى وجه الاستشراق الاستعمارى . ولذلك كان يقوم بنوعين من العمل الاستشراقى منفصلين عن بعضهما كما يبدو ، بدليل أن اسمه ذكر ضمن قائمة المستشرقين الاستعماريين أيضا .

٦- جوستاف فلوجل[١٩٧] (١٨٠٢ - ١٨٧٠) المؤلف المسيحي لمعجم القرآن

ولد فى مدينة باوتسن فى منطقة سكونيا بألمانيا . التحق فى عام ١٨٣١م بجامعة لايبزيج . ودرس هناك الإلهيات والفلسفة واللغات الشرقية . كما قام بالدراسة والبحث كذلك فى ڤيينا لمدة عامين . وفى عام ١٨٢٩ ذهب إلى باريس وشارك بالحضور فى فصول العربية والفارسية فى "الكوليدج دو فرانس" ، واستفاد من حضوره مع "سلفستر دى ساسى" . وكانت له دراسات كثيرة فى علم الكتب بمكتبات الغرب ، ثم أصبح فيما بعد أستاذا للغات الشرقية فى ألمانيا ، وبعد ذلك تولى وضع فهارس للكتب العربية والفارسية والتركية فى "المكتبة الإمبراطورية فى فيينا" ، أتمها عام ١٨٥٤ ، وتوفى فى عام ١٨٧٠ فى مدينة "درسدن" .

ألف فلوجل أو ترجم أكثر من عشرين كتابا فى موضوع "علم القرآن" و "علم الإسلام" وآداب العرب وعلومهم .

ومن أعماله كتاب "نجوم الفرقان فى أطراف القرآن" (CONCORDANTIAE CO-RANI ARABICAE).

ويعتبر هذا الكتاب أول فهرس لألفاظ آيات القرآن الكريم ، وقد طبع فى عام ١٨٤٢ فى مدينة لايبزيج بألمانيا ، وأصبح أساسا بعد ذلك لكتاب "معجم القرآن" لفؤاد عبد الباقى ، الذى أصبح الآن فى متناول أيدى كل العلماء والباحثين وطلاب المراكز العلمية .

٧- جول لابوم[١٩٨] الفرنسى مؤلف المعجم الموضوعى لآيات القرآن

لابوم هو مؤلف كتاب "تفصيل آيات القرآن الكريم" باللغة الفرنسية ، ومما يثير الدهشة أن مؤلف هذا الكتاب المتخصص فى القرآن لم يكن يعرف هو نفسه العربية ، لذلك استفاد من ترجمة "كازيميرسكى" الفرنسية للقرآن .

ويتحدث العلامة أبو الحسن الشعرانى عنه فى مقدمته على كتاب "تفصيل آيات القرآن" بشكل طيب[١٩٩] .

٨- إدوارد مونتيه[٢٠٠] الفرنسى

ترجم "مونتيه" معانى القرآن الكريم إلى الفرنسية ، وهى طبقا لقول محمد فؤاد عبد الباقى تعد أدق ترجمة . وقد أقدم فى آخر تلك الترجمة على جمع الآيات على أساس الموضوعات القرآنية ، والواقع أنه وضع فهرسا موضوعيا للقرآن الكريم كمكمل لفهرس "جول لابوم" الموضوعى .

ويقول محمد فؤاد : لقد عرضته على الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر فسر به وأمرنى بترجمته من الفرنسية إلى العربية . وطبع عبد الباقى هذه الترجمة تحت عنوان "المستدرك" على فهرست جول لابوم الموضوعى فى آخر كتاب "تفصيل الآيات" .

وقد قام مونتيه بالدفاع عن القرآن والإجابة على عدد من شبهات المستشرقين فى المقدمة والحواشى ، فمثلا يقول فى المقدمة :

إن القرآن مفيد لنا نحن المسيحيين فائدة عظيمة . وهو من أهم الكتب الدينية . وترتبط الحياة الروحية لمجموعة كبيرة من أفراد البشر به ، ولا يقل عددهم عن مائتين وخمسين مليونا . ولا ينبغى على قارئ القرآن الملل من تكرار بعض موضوعاته أو الأسلوب الفقهى لآيات الأحكام ، لأنه غالبا ما سوف يراها مقترنة بالأصول والقواعد المعقولة وبالتعبيرات الجميلة والمثيرة للدهشة .

٩- ڤنسينك الهولندى[٢٠١] ، (١٨٨٢ - ١٩٣٩) مؤلف معجم كنوز أهل السنة

ڤنسينك من مواليد هولندا ، كان يعمل أستاذا بجامعة ليدن . أول عمل له هو رسالته للدكتوراه فى عام ١٩٠٨ وعنوانها "محمد واليهود فى المدينة" ، وهى التى نشرت باللغة الهولندية .

وفى عام ١٩١٦ أعلن فى إحدى المجلات أنه قرر إعداد "معجم مفهرس" طبقا لترتيب الحروف الأبجدية لأحاديث نبى الإسلام (ﷺ) من كتب أهل السنة الأصلية ، وهى بالإضافة إلى الصحاح الستة تشتمل على : "مسند الرازى" و "مسند أحمد بن حنبل" و "موطأ الإمام مالك" . ولذلك وجه الدعوة إلى ثمانية وثلاثين باحثا من دول مختلفة للتعاون معه ، والتزمت بالاتفاق على ذلك "أكاديمية أمستردام للعلوم" وغيرها من المؤسسات الهولندية والأوروبية وخاصة الحكومة الهولندية .

وقد استطاع ڤنسينك تأليف ونشر معجم الأحاديث على نوعين ، وخرج هذا المشروع العظيم إلى النور منذ عام ١٩٣٢ تحت إشراف "الاتحاد الأكاديمى العالمى" :

١- المجموعة الكاملة لألفاظ الأحاديث النبوية باللغة الفرنسية وهى التى ترجمها الدكتور أحمد الطيب إلى العربية فى ثمانية مجلدات وأطلق عليها اسم "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى" ، وهى الآن موضع استفادة من كافة الباحثين فى كل الدول الإسلامية .

٢- خلاصة ذلك المعجم ، وهو الذى ترجمه الدكتور فؤاد عبد الباقى وسماه "مفتاح كنوز أهل السنة" ، وهو أيضا موضع استفادة من الباحثين[٢٠٢] .

١٠- يوهان فوك الألماني

قرر فوك المستشرق الألمانى الشجاع فى القرن العشرين القيام بنقد وبحث إنجازات المستشرقين الذين سبقوه ومدى صدقهم أو خيانتهم وصحة وجهات نظرهم من سقمها على مدار التاريخ ، وأعلن بشجاعة تامة أن نشاط المستشرقين كان "جسرا لانتقال علوم المسلمين وحضارتهم إلى أوروبا" .

وقد أخرج "فوك" نتائج دراساته على هيئة كتاب قيم ألفه ونشره باسم "تاريخ حركة الاستشراق" ، وهو الذى نقله إلى العربية السيد عمر لطفى العالم .

يقول "فوك" فى قسم من كتابه :

لقد كان للدراسات والبحوث التى تدور حول الإسلام والعرب مكانة هامة فى الحوار العقلى بين أوروبا والإسلام ، وأتاحت الفتوحات الإسلامية الكبرى والمواجهة المسلحة بين الدول الإسلامية الفتية والإمبراطورية البيزنطية وغيرها من دول أوروبا أرضية واسعة لتعرف رجال السياسة الغربيين على ثقافة العرب والإسلام .

وبالإضافة إلى هذا فإن نهضة العالم الإسلامى للمحافظة على التراث العلمى القديم عند اليونانيين وإحيائه فى فروع الفلسفة والرياضيات والطب والفلك والعلوم الطبيعية قد أرغمت الأوروبيين على تعلم هذه العلوم ونقلها من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية[٢٠٣] .

١١- نيكلسون عالم التصوف الإنجليزى[٢٠٤] (١٨٦٤ - ١٩٤٥)

يعتبر نيكلسون أعظم مستشرق إنجليزى فى مجال التصوف الإسلامى بعد ماسينيون . تعلم فى بداية الأمر اللغتين الفارسية والعربية ، وأصبح أستاذا للغة الفارسية بجامعة لندن وهو فى سن الثامنة والعشرين .

كان مولعا بالشعر والتصوف والأدب ، ولهذا تركزت معظم أعماله فى هذه المجالات . مثل : ترجمة وشرح "مثنوى مولوى"[٢٠٥] فى ثمانية مجلدات ، و"أسرار خودى"[٢٠٦] (أسرار الذات) لإقبال اللاهورى .

١٢- موريس بوكاى الفرنسى

هو أول من قبل بأن القرآن منزل من الله ، ونظر إلى القرآن بعيدا عن الحب والبغض ، وله كتاب يسمى : "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم"[٢٠٧] .

١٣- ويليام ويستون[٢٠٨]

على الرغم من أن ويستون كان خليفة نيوتن فى كمبريدج نظرا لاهتمامه وولعه بالإسلام ، فقد تم إخراجه من هناك وذلك فى عام ١٧٠٩م[٢٠٩] .

١٤- ليوبولد فايس المستشرق النمساوى

أمن ليوبولد بعدالة الدين الإسلامى المبين بعد أن قام بعمل بحوث كثيرة حول الإسلام ، واعتنق الدين الإسلامى رسميا . وغير اسمه إلى "محمد أسد" ، وألف كتبا قيمة مثل : "الإسلام على مفترق الطرق" الذى نقله الدكتور عمر فروخ إلى العربية[٢١٠] .

١٥- جورج جرداق المسيحي مؤلف كتاب الإمام على صوت العدالة الإنسانية

هو الكاتب المسيحى المشهور الذى يرجع ذيوع صيته فى العالم إلى كتابه القيم والثمين الذى يقع فى خمسة مجلدات وقد ألفه بطريقة علمية منصفة لتصوير شخصية الإمام على (رضى الله عنه) العظيمة . وعلى الرغم من أن جورج جرداق عربى ولبنانى ، فقد وُضع فى قائمة المستشرقين البارزين الكبار بوصفه عالما مسيحيا فى حقل الإسلام .

ولد فى عام ١٩٢٦ ميلادية ، وما زال حتى الآن (وقت تأليف هذا الكتاب) حيا يرزق ويزاول أنشطته العلمية . وقد نظر الإيرانيون إلى رحلته إلى إيران التى قام بها منذ فترة وزيارته لمدن قم وطهران ومشهد وغيرها ، على أنها ظاهرة علمية بجانب صداقته لهم .

ويعتبر كتابه من أفضل الكتب التى ألفت على مدى ١٤٠٠ عام فى وصف شخصية الإمام على (رضى الله عنه) الإنسانية والأخلاقية ، وعلى الرغم من أنه من الممكن ألا يرضى المسلمون عن بعض وجهات نظره كمسيحى ، فإن ما كتبه بهذا المستوى الرفيع وبحيادية وأستاذية جعل عشرات من الشخصيات الإسلامية الشيعية ومراجع التقليد يقدرونه حق قدره رسميا ؛ مثل المرحوم أية الله العظمى البروجردى ، وأيه الله العظمى سيد محسن حكيم ، ومحمد جواد مغنيه ، والمرحوم شرف الدين العاملى ، وغيرهم .

كان جورج جرداق قد طبع خلاصة أبحاثه ودراساته فى مجلد واحد فى بادئ الأمر ، وعندما لاقى ترحيبا كبيرا ، قام بطبع كتابه طبعة مفصلة فى خمسة مجلدات . وتشتمل مجلدات هذا الكتاب على الموضوعات العلمية التالية :

١- على وحقوق الإنسان ٢- على والثورة الفرنسية ٣- على وسقراط ٤- على وعصره ٥- على والقومية العربية .

وقد قام السيد هادى خسرو شاهى بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية بعد أن أخذ موافقة كتابية من المؤلف ، وطبعت هذه الترجمة عام ١٣٦٩ش (١٩٩٠م) فى دار نشر (خرم - كتاب سعدى) فى قم[٢١١] .

١٦- جون ديفنبورت[٢١٢] الإنجليزي مؤلف كتاب الاعتذار...

هو المستشرق وعالم الإسلام الإنجليزى المعاصر الذى ألف كتابه الشهير "الاعتذار ، محمد والقرآن" ، وقد خطا بهذا العمل خطوة شجاعة نحو الكشف عن أكاذيب المستشرقين الغربيين الآخرين . يقول فى مقدمة كتابه :

إن البحث التالى عمل متواضع ، إلا أنه يسعى بمنتهى الصدق والأمانة إلى نفى التهم الكاذبة والافتراءات الملفقة عن تاريخ حياة محمد . وقد بُذل فيه جهد كاف للدفاع عن صدق دعواه حيث كان واحدا من أعظم الخيرين الصادقين ... إننى أشعر بحق أننا إذا أحجمنا عن تمجيد وتكريم مثل هذا الرجل العظيم الفذ فإن هذا يعد نوعا من عدم الحياء وعدم الإنصاف . وإذا اعتبرنا ظهوره صدفة عشوائية فكأننا بذلك نشك فى قدرة الله تعالى وقوته القاهرة والنافذة[٢١٣] .

وقد أُلِّف هذا الكتاب القيم فى عام ١٨٦٩م[٢١٤] ، ولأنه لم يترجم مع الأسف ؛ فقد حُرم من قراءته المسلمون ومنهم أهل اللغة العربية وأهل اللغة الفارسية أكثر من قرن من الزمان .

١٧- إيزوتسو الكاتب اليابانى المتخصص فى الإسلام والقرآن

ولد البروفيسور توشى هيكو إيزوتسو أستاذ الفلسفة بجامعة ماك جيل بكندا والأستاذ المتميز بجامعة (كيو KEIO) باليابان فى عام ١٩١٤ م فى طوكيو ، قام أولا بتدريس النصوص الفلسفية اليونانية واللاتينية ، كما شغل فترة كذلك بتدريس مباحث

علم اللغة وعلم المعانى ، ومن هنا انجذب للغة العربية وترجم لأول مرة معانى القرآن الكريم من العربية إلى اليابانية . ونتيجة لممارسته للفلسفة وإجادته للغة العربية فقد تعرف على مؤلفات الغزالى وكلام الأشعرى وكذلك أعمال ابن سينا ، فكان يدرس كتاب "النجاة" لابن سينا و "الاقتصاد فى الاعتقاد" للغزالى فى معهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماك جيل .

وفى عام ١٣٤٤ ش (١٩٦٥م) عندما كان الدكتور مهدى محقق يقوم بتدريس كلام الشيعة والفلسفة الإسلامية الإيرانية فى ذلك المعهد ، اهتم إيزوتسو بالفكر الفلسفى الشيعى وحكماء إيران وتعرف عليهم ، وأسس بالتعاون مع الدكتور محقق"سلسلة العلوم الإيرانية" . ومن أهم أعمال إيزوتسو كتاب "الله والإنسان فى القرآن" طوكيو ١٩٦٤ (وقد نشر قسما منه وترجمه الأستاذ أحمد آرام تحت عنوان "الاتصال غير اللغوى بين الله والإنسان" وهذه الترجمة مصحوبة بدراسة الجملة فى القرآن قام بها المهندس مهدى بازركان ، وقامت دار نشر (بعثت) بطبعه فى عام ١٣٥٦ ش (١٩٧٧م) .

١٨- الدكتور شينيا ماكينو تلميذ إيزوتسو ، ثاني متخصص ياباني في القرآن

يعتبر "شينيا ماكينو SHINYA MAKINO" ثانى العلماء اليابانيين المتخصصين فى القرآن . ومع أنه لم يكن مسلما ، فقد اختار موضوع رسالته للدكتوراه متأثرا بأبحاث أستاذه "إيزوتسو" العلمية . ولم يكن دافعه من القيام بهذا البحث الرغبة أو الميل الخاص للدراسات الإسلامية أو القرآنية ، بل كان الدافع هو "معرفة الأديان السامية" التى يعد الإسلام واحدا منها . وعنوان رسالته للدكتوراه هو "الخليقة والبعث" وهى التى كتبها فى عام ١٩٦٩م وناقشها وقامت جامعة "كيو" بطباعتها .

وقد تَرْجم هذا الكتاب بعد ذلك فى عام ١٣٥٦ ش (١٩٧٧م) الأستاذ جليل دوستخواه إلى الفارسية ، وطبعته دار نشر (أمير كبير) فى عام ١٣٦٣ ش = (١٩٨٤م) تحت عنوان دقيق هو : "الخليقة والبعث ، بحث فى علم الدلالة فى إطار النظرة القرآنية الشاملة" .

وكما يبدو من اسم الكتاب فقد جعل ماكينو أساس بحث موضوع "الخليقة والبعث من وجهة نظر القرآن" هو نفسه "الأساس المعرفى لعلم الدلالة" تماما ، الذى كان إيزوتسو مؤسسا له فى اليابان ، وكان يحاول الاهتمام بدقائق دلالة الكلمات الرئيسية الموجودة فى القرآن والتى أكد عليها القرآن نفسه ، وذلك من أجل الاستنباط والفهم الصحيح لمفاهيم الآيات القرآنية . لذلك يمكن اعتبار هذا الكتاب امتدادا لأبحاث إيزوتسو وكتابه[٢١٥] .

١٩- آندريه ريبين ANDEREE RIPPIN

هو من المستشرقين المعاصرين والعميد الحالى لكلية العلوم الإنسانية والأستاذ بقسم التاريخ بجامعة فيكتوريا (VICTORIA). كما أنه يزاول نشاطه أيضا فى جامعات ماك جيل وكالجارى وميتشيجان والأكاديمية الأمريكية الدينية .

وقد نشر أندريه ريبين حتى الآن أكثر من مائة وعشر مقالات بحثية حول موضوع القرآن والإسلام فى مجلات ومطبوعات متعددة فى العالم[٢١٦] . وهو يعد من الباحثين المعاصرين المتخصصين فى القرآن الكريم .

٢٠- كتانى

حارب بشدة احتلال إيطاليا لليبيا[٢١٧] .

٢١- كانت هنرى دى كاسترى

هو الذى قام بتأليف كتاب "الإسلام سوانح وخواطر" وبيَّن بعض المعارف الإسلامية الهامة ، وذلك بعد أن قام ببحوث ودراسات علمية حول الدين الإسلامى ، برغم أنه لم يعتنق الدين الإسلامى رسميا . ورد على شبهات المستشرقين وافتراءاتهم حول القرآن الكريم وشخصية نبى الإسلام (ﷺ) بشكل واف وبأسلوب علمى . وقد استعرض الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه "أوروبا والإسلام" تاريخ حياته وجهوده فى الدراسات الإسلامية(٢١٨) .

٢٢- توماس آرنولد المستشرق الإنجليزى (١٨٦٤ - ١٩٣٠م)

هو مؤلف كتاب THE BREACHING OF ISLAM " الدعوة إلى الإسلام" أكد فى كتابه هذا الأسلوب الثقافى الحر للدعوة الإسلامية على مدى التاريخ ، ورفض اتهامات أعداء الإسلام القائمة على استخدام السيف والعنف فى الدعوة ، وذلك بالوثائق التاريخية ، وهو يثبت أن المسلمين قد استقبلوا أحسن استقبال من أتباع الديانات الأخرى فى فتوحاتهم . وقد ترجم هذا الكتاب وطبعه الدكتور إبراهيم حسن بعنوان "الدعوة إلى الإسلام" ، كما ترجم ونشر باللغتين التركية والأردية كذلك(٢١٩) .

٢٣- جوستاف إڤون جرونباوم

ولد "GUSTTAVE EVON GRUNEBAUM" (١٩٠٩ - ١٩٧٢) لأسرة يهودية فى فيينا ، والتحق بجامعة برلين لاستكمال دراسته ، ثم هاجر بعد ذلك إلى أمريكا ، واعتنق المذهب الكاثوليكى ، واختير فى عام ١٩٣٨ للعمل أستاذا فى جامعة نيويورك ثم أستاذا فى جامعة شيكاغو ، وفى عام ١٩٥٧ عين رئيسا لقسم الدراسات الشرقية بجامعة كاليفورنيا (فرع لوس أنجلوس) . وقد ألف كتبا كثيرة فى الدراسات الإسلامية والقرآنية والأدب العربى والإسلام وتاريخه ، مثل :

١- الإسلام فى العصور الوسطى "MEDIEVAL ISLAM".

٢ - الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية

"UNITY AND VARIETY IN MUSLIM CIVILISATION"

٣ - نزعة التقليد والأفول الثقافى فى تاريخ المسلمين[٢٢٠] .

٢٤- الدكتور توماس بالنتين إيرڤينج T.B. IRVING أو الحاج تعليم على

هو العالم المسيحى الأمريكى الذى بهرته عدالة الإسلام وسمو معارف القرآن بعد أن قام بدراسة الإسلام والقرآن لعدة سنوات واعتنق الدين الإسلامى ، واختار لنفسه اسم "الحاج تعليم على" . وكان قد درس القرآن وبحث فيه لأكثر من عشرين عاما ، وكتب أول ترجمة إنجليزية بنثر جديد لمعانى القرآن ونشرها .

والحاج تعليم على هو رئيس قسم العلوم والفنون بالكلية الأمريكية الإسلامية فى شيكاغو والأستاذ البارز فى جامعة "رتينسى"[٢٢١] .

٢٥- ليوبولد ، محمد أسد

هو أحد العلماء والمستشرقين الأمريكيين ، اعتنق الإسلام بعد أن قام بالبحث فيه لفترة من الزمن ، وأطلق على نفسه اسم "محمد أسد" . يقول فى مذكراته المسماة "الطريق إلى مكة"[٢٢٢] والتى ترجمت بعنوان "الطريق إلى الإسلام" :

كنت أعمل فى الصحافة فى مطلع حياتى . وفى عام ١٩٢٦ وفقت فى التعرف على الدين الإسلامى وتشرفت به ، ثم بدأت السفر إلى الدول الإسلامية . وفى صيف عام ١٩٣٢ وصلت إلى مكة ، وعشت فى المملكة العربية السعودية ست سنوات ، ونعمت برعاية الملك عبد العزيز بن سعود ، ثم توجهت إلى الهند ، وتعرفت هناك على الفيلسوف والشاعر الإسلامى العظيم محمد إقبال اللاهورى ، ومنعنى من مواصلة

السفر إلى التركستان الشرقية والصين وإندونيسيا حتى أشارك معه فى وضع أساس علمى وعقلى لقيام دولة إسلامية فى الهند . وفى تلك السنوات قمت بأعمال علمية وكتابة مقالات وتأليف كتب وإلقاء محاضرات وتدريس وترجمة الفقه والثقافة الإسلامية . وفى عام ١٩٤٧ عندما تأسست باكستان الإسلامية ، طلبت منى الحكومة الباكستانية تأسيس "قسم ومركز علمى لإحياء الثقافة الإسلامية" حتى نقدم الثقافة الإسلامية فى إطار الاحتياجات والمتطلبات الجديدة . وبعد عامين من العمل فى هذا المركز عينتنى وزارة الخارجية الباكستانية رئيسا لقسم "الشرق الأوسط" بها . وقد قضيت عمرى كله فى العمل على تقوية العلاقات بين باكستان والدول الإسلامية الأخرى .

وفجأة وجدت نفسى ذات يوم عضوا فى وفد باكستانى موفد إلى أمريكا !! وكان هذا أمرا عجيبا ؛ حيث يتحول إنسان أوروبى على هذا النحو وتتغير هويته . وأصبحت بعد ذلك سفيرا مطلق الصلاحية للحكومة الباكستانية فى أمريكا .

وأخيرا استأذنت وزارة الخارجية الباكستانية عام ١٩٥٢ حتى أكتب هذا الكتاب وهو "الطريق إلى مكة"[٢٢٣] .

هذه هى مقتطفات من حياة محمد أسد حتى عام ١٩٥٢م . وقد سجل نسخة من مذكراته بعد عدة سنوات من هذا التاريخ حيث وعده ناشر الكتاب المذكور بطباعته[٢٢٤] . وبطبيعة الحال فإن محمد أسد قام برحلات أيضا إلى إيران ومصر وسوريا وفلسطين ودمشق وأفغانستان . وكانت أسفاره مليئة بالذكريات والخواطر ، وخاصة أول رحلة له من أمريكا ، بشكل جيد وملىء بالعبر تخليدا لهذه الرحلة .

وقد طُبع كتاب "الطريق إلى مكة THE ROAD TO MECCA" باللغة الإنجليزية فى أمريكا أولا ثم فى إنجلترا بعد ذلك ، ولقى ترحيبا واسعا ، ثم ترجم بعد ذلك إلى اللغات : الألمانية والسويدية والفرنسية واليابانية والأردية والتاميلية والإندونيسية والعربية . ولمحمد أسد كتاب قيم آخر يسمى "ISLAM AT THE CROSS ROADS" كان قد ألفه أثناء إقامته فى الهند ، وقد عربه الدكتور عمر فروخ تحت عنوان (الإسلام على

مفترق الطرق)[٢٢٥] .

لقد كان عالما يهوديا يبحث ويدرس ترجمات القرآن ، وأقر فى بحوثه ودراساته بعدالة الاسلام وأفضلية القرآن ومكانته ، وإعتنق الاسلام ، وإختار لنفسه إسم "محمد أسد" ، وقام بترجمة معانى القرآن وتفسيره باللغة الإنجليزية .

وتسمى ترجمته "THE MESSAGE OF THE QURAN" أو "رسالة القرآن" ، وقد طبعت هذه الترجمة فى ١٠٠٥ صفحة فى عام ١٩٨٠ دار الأندلس للنشر فى جبل طارق[٢٢٦] .

٢٦- إدوارد . و . سعيد ، ناقد الاستشراق الكبير

هو مسيحى من مواليد فلسطين ، ومع أنه ليس غربيا ، فإنه يمكن أن ينطبق عليه مصطلح المستشرق لكونه ليس مسلما .

قضى فترة تعليمه الابتدائى والمتوسط فى فلسطين ومصر ، أما دراساته الجامعية فقد كانت فى أمريكا ، حيث حصل على الدكتوراه من جامعة هارفارد .

ومنذ عام ١٩٧٤ وحتى الآن وهو يقوم بالتدريس فى الجامعات الأمريكية ، ويشغل الآن (شهريور ١٣٨٢ = ٢٠٠٣م) منصب أستاذ الأدب الإنجليزى وأدب الشعوب فى جامعة كولومبيا .

ألف كتابه عن الاستشراق "ORIENTALISM" فى عام ١٩٧٦ لطلاب جامعتى "كاليفورنيا" و"ستانفورد" فى نيويورك ، واستقبلته المحافل العلمية فى العالم استقبالا طيبا إلى درجة أنه تُرجم حتى الآن إلى العديد من لغات العالم المشهورة كالفرنسية والألمانية والإسبانية والإيطالية والعربية والتركية والفارسية واليابانية والماليزية . وقد حاول فى هذا الكتاب أن يحافظ على حياديته ويستعرض الأنشطة العلمية للمستشرقين . ولا يمكن تجاهل نقده الشديد لنظرة التعالى عند الغربيين فى كيفية

تعاملهم مع الشرقيين .

ومع أن إدوارد سعيد لكونه مسيحيا لم يكن بصدد نقد وجهات نظر المستشرقين وآرائهم بالنسبة للإسلام والقرآن فى هذا الكتاب ، فإنه يلاحظ فى مواضع عديدة نغمته النقدية بالنسبة لمغالات بعض الغربيين وتطرفهم وأحكامهم غير العادلة وغير العلمية بالنسبة للإسلام والشرقيين . ويصل هذا الموقف الذى يستحق التقدير فى الفصل الأخير من الكتاب إلى ذروته عندما يستعرض موضوع فلسطين المحتلة من قبل الصهيونية . وقد أدت شجاعة إدوارد سعيد فى الدفاع عن الإسلام والهجوم على المستشرقين غير المنصفين إلى تعرضه لانتقاد حاد من قبل المستشرقين الآخرين المعاصرين له ؛ فمثلا يقول "مونتجمرى وات" فى كتابه "صدام آراء المسلمين والمسيحيين" :

لقد أبدى إدوارد سعيد آراء غير منصفة وشكك فى نوايا المؤلفين المستشرقين ودوافعهم ؛ فمثلا قال فيما يتعلق بالدافع الكامن وراء "سير هاملتون كيب" مؤلف كتاب "الدين المحمدى – بحث تاريخى" : إن المؤلف فضل كلمة محمدى الجديدة على كلمة الإسلام . وهذا الاتهام بعيد كل البعد عن الإنصاف[٢٢٧] .

ولا شك أنه دفع ثمن هذا الدفاع وهذا النضال الشجاع ؛ فقد اعتقل فترة ، وهُدد بالموت ، وقد تسلق يهوديان صهيونيان ذات يوم أسوار منزله لاغتياله ولكنهما فشلا فى ذلك ، وأُحرقت مكتبته ذات مرة . إلا أنه قال فى حديث له :

إن الخطر الأصلى الذى يتعرض له أى إنسان ليس القتل ، بل إن الخطر يكمن فى تخليه عما يؤمن به[٢٢٨] .

وللأسف ففى أثناء تبييض هذه الصفحات (آبان ٨٢ = ٢٠٠٣م) نقلت الصفحات خبر وفاة هذا المحارب والمدافع الشجاع فى ساحة الاستشراق والدراسات الإسلامية، ولم يحرم الشرقيون نتيجة لذلك من بركة وجود مثل هذا المقاتل فحسب ، بل حرم منها أيضا المسلمون .

٢٧- البروفيسور هنرى كوربن الفرنسي - ناقل عرفان السهروردى[٢٢٩] وحكمة صدرا[٢٣٠] إلى الغرب

يعد كوربن من شخصيات الاستشراق المعاصر البارزة ، وهو الذى لعب دورا لا يُنسى فى نقل العرفان والحكمة الإسلامية الخالصة والتشيع الإيرانى إلى أوروبا . خاصة وأن لقاءاته الكثيرة والدائمة مع العلامة طباطبائى قد جعلت اسمه محببا لدى الإيرانيين .

اتجه إلى الدراسات الصوفية منذ عام ١٩٢٦ بعد أن أتم دراسته فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس . وقد صبغت كتب افلاطون ودروس "أتين يلسون" ومناقشاته مع أستاذه "ماسينيون" فكره بصبغة التصوف .

يقول كوربن : "لقد كان هدف مهمتى هو طرح مشاريع طويلة المدى وأفكار ممتدة" . وقد تمكن على مدى خمس وعشرين سنة من إصدار "مجموعة الدراسات الإيرانية" فى اثنين وعشرين مجلدا ، وهى التى تضم عددا من المخطوطات العربية والفارسية القيمة .

وقد تعاون سيد جلال الدين آشتيانى فى إعداد النصوص الفلسفية الإيرانية مع كوربن باللغة الفرنسية . وكانت جماعة من محبى الفلسفة يجتمعون مع كوربن أحيانا فى حديقة أحد الأصدقاء فى الستينيات . وكان يشارك فى تلك الجلسات مجموعة من علماء قم وخاصة العلامة طباطبائى الفيلسوف والمفسر المعاصر ، وقد استمرت ما يقرب من خمس عشرة سنة[٢٣١] .

وفى عام ١٩٥٤ خلف كوربن لوى ماسينيون فى "قسم العلوم الدينية فى مدرسة الدراسات العليا بباريس" .

وقرر كوربن بالتعاون مع الأستاذ سيد جلال آشتيانى إعداد ونشر أعمال ومتون مختارة لأربعين إلى خمسين من فلاسفة إيران فى القرن السابع عشر وفى القرن العشرين الميلادى ، وقد تمكن من نشر أربعة مجلدات من سبعة مجلدات أولاها اهتمامه ؛ بالإضافة إلى مجلد باللغة الفرنسية .

وفى عام ١٩٧٣م أسس "الجمعية الملكية للفلسفة" وعهد برئاستها إلى الدكتور سيد حسين نصر[٢٣٢] الذى كان صديقا لكوربن ، واستمر تردد كوربن على إيران بالإضافة إلى تدريسه فى الجمعية لعدة سنوات تالية .

وفى عام ١٩٧٧م أسس فى طهران "المركز الإيرانى لدراسة الثقافات" وقد تولى رئاسته "داريوش شايگان" تلميذ كوربن . وشارك كوربن فى العام التالى فى "المؤتمر الدولى لحوار حضارات الشرق والغرب" فى طهران ، وتحدث فيه عن "عرفان السهروردى وهايدجر" . وتوفى كوربن فى عام ١٩٧٨م[٢٣٣] .

٢٨- الشهيد الدكتور إدواردو (مهدى) أنيللى الإيطالى[٢٣٤]

كان "إدواردو" الابن الوحيد لـ "آنيللى" أغنى رجل فى إيطاليا ورئيس وصاحب شركة "فيات" الاقتصادية الكبرى - حاصلا على دكتوراه "فلسفة الشرق" .

ويعد "إدواردو" نموذجا آخر من نماذج "مؤمنى آل فرعون" ؛ ذلك لأنه ولد للأسرة الملكية الإيطالية من أب كاثوليكى وأم يهودية .

وكان دخول هذا الشاب الإيطالى فى الإسلام وهو من سلالة هذه الأسرة أمرا مثيرا للدهشة جدا . وترجع بداية اعتناقه للإسلام إلى تصادف رؤيته للقرآن الكريم فوق رفوف المكتبة وهو فى سن العشرين عندما كان مشغولا بالقراءة فى إحدى المكتبات ، وذلك قبل قيام الثورة الإسلامية الإيرانية بأربع سنوات . فأخذ القرآن وأخذ يتصفحه بنظرة عابرة ، وقرأ ترجمة عدة آيات حتى يتمكن من فهمها . إلا أنه وجد فى نفس هذه الآيات القليلة ثقافة جذبته إليها وجعلته يستمر فى قراءته .

واستمر فى قراءة القرآن بولع شديد حتى ارتبط بهذا الكتاب يوما بعد يوم وزاد اهتمامه به وشعر أن هذا الكتاب ليس كتابا بشريا عاديا ، بل هو كتاب إلهى وسماوى . ومن هنا قام بعد ذلك بالبحث عن الكتب الإسلامية الأخرى بعد القرآن ، وشغل لمدة ثلاث سنوات بالدراسة والقراءة ، إلى أن اتضحت أمامه تماما عدالة الإسلام وأفضلية المعارف الإسلامية ومكانتها . عندئذ اتجه إلى أحد المراكز

الإسلامية واعتنق الإسلام رسميا . وقد اختار له المسئولون عن المركز اسما إسلاميا هو "هشام عزيز" حيث كان يوقع بعض رسائله بنفس هذا الاسم حتى آخر عمره .

وبعد قيام الثورة الإسلامية فى إيران وانتشار ثقافة الثورة القيمة فى وسائل الإعلام العالمية ، كان يتابع أخبارها بشغف شديد ، إلى أن عقد تلفزيون إيطاليا فى عام ٥٩ (١٩٨٠م) مائدة مستديرة حول موضوع أخذ رهائن موظفى وكر للتجسس فى ايران بحضور إثنين من دبلوماسيى الدول الإسلامية والدكتور قديرى .

إختار مذهب أهل البيت ، وفى الاجتماع الذى عقده معه السيد فخر الدين حجازى فى إيطاليا إقترح عليه أن يسمى نفسه بإسم "مهدى" ، ومنذ ذلك الوقت أخذ يقدم نفسه بهذا الاسم .

وبعد نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية ، قدم إلى إيران فى شهر فروردين عام ٦٠ (١٩٨١م) رغبة منه فى زيارة الإمام الخمينى ، وتشرف بتقبيل يد الإمام الخمينى (رحمه الله) فى حضور جمع من علماء العصر الكبار مثل السيد خامنه اى ، والسيد رفسنجانى وغيرهما ، وقبل الخمينى جبهة هذا الشاب الذى اختار تخصص "فلسفة الشرق" لاستكمال دراسته الجامعية ، حتى يتعرف أكثر على أفكار الإسلام الفلسفية وحصل على درجة الدكتوراه فى هذا التخصص ، واستمر فى دراساته وبحوثه العلمية بعد ذلك .

تنحية إدواردو عن تولى إدارة فيات

لإدارة فيات - أعظم قوة اقتصادية فى إيطاليا - دور يشبه دور الملكية فى إيطاليا . كان أبوه يقدمه على أنه الابن الوحيد وأنه هو الذى سوف يتولى إدارة فيات ويملكها من بعده رسميا . ولكنه عندما لاحظ جدية إدواردو فى اعتناق الإسلام وتوجهاته الإيديولوجية غير المادية عزله من إدارة الشركة ، وعين ابن أخيه خلفا له . وكان أبوه قد حدد إقامته لفترة فى إحدى الڤيلات فى محاولة منه للحيلولة دون هذا التحول الأيديولوجى ، ووضع حرسا للاستقبال والخدمة ومنع خروجه .

شهادة إدواردو

قرر الصهاينة فى إيطاليا وكما يحدث فى كل أنحاء العالم نقل هذه القوة الاقتصادية الكبرى من يد أحد المسيحيين إلى اليهود ، وللقيام بهذا العمل وتيسيره اختاروا لوالد إدواردو امرأة يهودية ولابنته زوجا يهوديا حتى ولد له أربعة أبناء يهود، وقد لاحظوا مايلى :

أولا : تم تعيين ابن الأخ المسيحى الكاثوليكى لإدارة خلافة فيات وليس الأحفاد اليهود .

ثانيا : سوف ينتقل قسم كبير من هذه الثروة كميراث إلى شاب مسلم ملتزم . ولذلك وبعد فترة شاهد الشعب الإيطالى موت إدواردو المشكوك فيه ثم موت ابن عمه المشكوك فيه أيضا .

يقول الدكتور قديرى فى هذا الصدد :

"لقد صرح لى إدواردو بنفسه وقال : إن الصهاينة فى قلق كبير من أن تصل هذه الثروة الكبيرة لى وأن أضعها فى خدمة الدعوة والترويج لثقافة الدين الإسلامى والثورة الإسلامية ، وانا متأكد من أنهم سوف يقدمون على قتلى ذات يوم ، وسوف يشيعون أننى انتحرت أو جننت أو حدثت لى حادثة ما . وفى نهاية الأمر تحققت هذه النبوءة عمليا ؛ حيث اختفى فى نوفمبر عام ٢٠٠٠م عندما قرر القدوم إلى إيران وقم لتعلم المعارف الإسلامية ، وأضاع أبوه كثيرا من الوقت فى تسليمه جواز سفره ، وبعد عدة ساعات من البحث عنه عثرت الشرطة الإيطالية على جثة إدواردو هذه الشخصية الإسلامية البارزة تحت أحد الجسورالكبيرة .

بضعة مستشرقين منصفين آخرين من وجهة نظر الندوى

ذكر العلماء والكتّاب المسلمون الذين كتبوا فى موضوع الاستشراق ، مستشرقين منصفين آخرين ، ومن هؤلاء :

العلامة سيد أبو الحسن الندوى الذى ذكر فى محاضرته التاريخية فى مؤتمر "دراسة كتابات المستشرقين" فى الهند الأسماء التالية كمستشرقين منصفين :

١- البروفيسور آرنولد (T.W. ARNOLD) مؤلف كتاب "الدعوة إلى الإسلام "THE PREACHING OF ISLAM" .

٢ - استانلى لين پول (STANLEY LANE POOLE) مؤلف كتاب "صلاح الدين الأيوبى" وكتاب "العرب فى الأندلس MOORS IN SPAIN" .

٣ - الدكتور آلوييس اسبرنجر ALLOYS SPRENGER مؤلف المقدمة القيمة لكتاب "الإصابة فى تمييز الصحابة" تأليف ابن حجر العسقلانى .

٤- إدوارد لين (EDWARD WAILLIAM) مؤلف معجم الكلمات العربية باللغة الإنجليزية ويسمى (ARABIC - ENGLISH LEXICON)[٢٣٥] ويقع فى تسعة مجلدات .

٥- استرنج (G.B.STRENGE) مؤلف كتاب "جغرافيا الخلافة الشرقية" (LANDS OF THE EASTERN CALIPHATE)[٢٣٦] .

٦ - مارجريت ماركوس (MARGARET MARCUS) .المستشرقة الأمريكية التى أسلمت بعد دراساتها وبحوثها العلمية ، واختارت لنفسها اسم "مريم جميلة" . وقد ألفت كتابا بشكل علمى وبحثى . مثل :

(أ) الإسلام والعصرانية ISLAM AND MODERNISM .

(ب) الإسلام فى مواجهة الغرب THE WEST ISLAM VERSUS[٢٣٧] .

وهذه قائمة بأسماء ما يقرب من مائتى شخص من العلماء الغربيين والباحثين الذين أعلنوا إسلامهم بعد البحث والدراسة :

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
١	برسى رايمينسن	أحمد	باحث إنجليزى زاول البحث العلمى لمدة خمسين عاما
٢	بوكاتان هاميلتون		ضابط بحرى وجراح فى الجيش الإنجليزى
٣	بوركهارت	إبراهيم المهدى	عالم إنجليزى
٤	كريستن شرقيس	عبد الحق	مؤلف كتاب "بونابرت والإسلام"
٥	البروفيسور كوان		
٦	ديفيد سن	جلال الدين	كان نقيبا بالجيش
٧	ڤادينجتونفراى		باحث أسترالى
٨	إتيان دينه	ناصر الدين	باحث فرنسى
٩	دونالد راكول	محمد بن عبد الله	باحث أمريكى ورئيس مجلة "راديو برسوناليتى"
١٠	دادلى رايت	محمد صديق	عالم وباحث إنجليزى
١١	الدكتور استيفان	عبد الكريم	الأستاذ بجامعة بودابست ومترجم بعض الكتب الإسلامية
١٢	الدكتور بتواست	على سلمان	باحث فرنسى

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
١٣	الدكتورة كابلو		باحثة حاصلة على دكتوراه الفلسفة
١٤	الدكتور ماركوس	حميد	عالم ألمانى
١٥	الدكتور شلدراك	خالد	عالم إنجليزى ومؤسس المعهد العربى الإسلامى بلندن
١٦	الدكتور يوخينجراد		عالم ألمانى وطبيب سافر إلى إيران
١٧	الدكتور راماداس	رشيد الدين	دكتور فى الفلسفة وكاتب مقالات حول الإسلام
١٨	إدوارد آلكوك		ضابط بالجيش الإنجليزى
١٩	ميس افى شورت	حليمة	عالمة أسترالية وكاتبة مقالات إسلامية
٢٠	بن كوب	مهدى عبد الرحمن	باحث هولندى يقيم فى أمستردام
٢١	كاترشى	فاطمة	عالمة هولندية
٢٢	و.ڤاجنر	فيصل	باحث هولندى وعضو سابق بالكنيسة الكاثوليكية
٢٣	ميس جريفيتس	رحيمة	باحثة إنجليزية ورحالة

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
٢٤	جن مونرو		كاتب وعالم وصحفى هولندى
٢٥	ديفيد هوركوارت		قريب جدا من الإسلام
٢٦	هادى هايتكل		باحث أمريكى له مقالات عن أهمية الإسلام
٢٧	هنرى سانديناك		عالم وباحث وأستاذ فى علم الأجناس
٢٨	روسى نيك		عالمة نرويجية كانت تبحث فى الأديان على مدى عشرين عاما
٢٩	هورت لانجه	حسين	كان مسلما سنيا فى بحوثه الأولية ثم تحول إلى شيعى
٣٠	هانياك		باحث إنجليزى وكاتب مقالات حول أهمية الإسلام
٣١	جورج ديوار	حيدر	عالم سويسى ومؤلف كتاب شخصيات الإسلام
٣٢	ميس دانسكن	فاطمة	باحثة اسكتلندية لها مقالات
٣٣	جان فيشر		عالم إنجليزى كتب مقالات حول عظمة الإسلام

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
٣٤	جو مالن	حبيب الرحمن	المقيم فى الفليبين وكان من أتباع المذهب الكاثوليكى قبل ذلك
٣٥	ج . ث . بررا		باحثة سيلانية اعتبرت نجاة الرجل والمرأة فى الإسلام
٣٦	الدكتور راكتسون		باحث اسكتلندى وعضو سابق فى كنيسة اسكتلندا
٣٧	ج . لاو جراو	حبيب الله	باحث إنجليزى كتب مقالات عديدة
٣٨	كيلينجر	محمد توفيق	رئيس الشرطة الهولندية
٣٩	إيفلين كوبولد	الحاجة زينب	باحثة إنجليزية ومؤلفة كتاب "نحو الله"
٤٠	لئوراس		باحث إنجليزى كتب موضوعات حول إسلامه
٤١	لويس أدوليس	حسن	باحث أمريكى له دراسات
٤٢	لورد هيدلى	فاروق	حاصل على درجات علمية عالية كما أنه سافر للحج
٤٣	برستلى		باحث أسترالى له مقالات إسلامية

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
٤٤	بيكتال	محمد	أديب وكاتب ومترجم لمعانى القرآن باللغة الإنجليزية
٤٥	شاربونيه		رئيس جمعية المثاليين الطبيعيين الفرنسية
٤٦	مايكل كلافى		باحث أمريكى كان من أتباع المذهب البروتستانتى قبل ذلك
٤٧	ميوليس جالى		باحث وعالم إنجليزى له مقالات حول الإسلام
٤٨	جوتار أديجسون	محمد	باحث سويدى كتب عدة مقالات
٤٩	م . او . دين		سيدة مستنيرة الفكر تقيم فى "أولد جيت"
٥٠	أرنست كلارك	عمر	عالم أمريكى مقيم فى شيكاغو
٥١	واتارا سوله		باحث اعتنق عبادة الأصنام وبعد دراسة وبحث حطم الصنم وانضم للمسلمين ، وهو يقيم فى أبيدجان
٥٢	بانج تينك		حصل على دراسات عليا فى تخصص الاقتصاد

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
٥٣	شيبرفيلد		كاتب وباحث إنجليزى له دراسات فى الأديان
٥٤	بولين نايس		عالمة تقيم فى دوميلان لها بحوث
٥٥	البروفيسور بارڤون فون		أستاذ جامعى ومدرس وله دراسات كثيرة
٥٦	البروفيسور ليون	مصطفى	عضو شرف فى جمعية العلماء فى أوروبا وأمريكا
٥٧	البروفيسور بيفهوس		حاصل على دكتوراه الفلسفة والآداب ومقيم فى هامبورج
٥٨	البروفيسور بنيامين	عبد الأحد	قسيس وعالم كلدانى كبير
٥٩	البروفيسور خويرشكى	إسماعيل	عالم بولندى يقيم فى كراكوف
٦٠	ريموند لاويس	محمد	باحث إنجليزى كان ينكر وجود الله فى المسيحية بداية
٦١	روبرت والكر		باحث وعالم يقيم فى إدينبورج وله عدة مقالات
٦٢	روزيلر	عبد الرحمن	باحث ألمانى واضح الرؤية
٦٣	روزويت		باحث ألمانى معاصر يقيم فى مدينة فرايبورج

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
٦٤	روز رجوهرت		باحث ألمانى يقيم فى مدينة برلين
٦٥	فلاورز		قسيس إنجليزى عالم كان من أتباع الطائفة الأرثوذكسية
٦٦	ديكنسون		باحث إنجليزى
٦٧	سالياه	عبد الرازق	باحث انجليزى كان مسيحيا كاثوليكيا فى السابق
٦٨	دوجرى	سليم	باحث إنجليزى مقيم فى سيلان
٦٩	أرشيبالد هاميلتون	عبد الله	باحث اسكتلندى عالم ، قائد فى الجيش الإنجليزى
٧٠	السيدة هاميلتون	مريم	زوجة أرشيبالد هاميلتون وهى باحثة ومفكرة
٧١	استيوارت رانجمين		عالم مقيم فى اسكتلندا وكاتب مقالات إسلامية
٧٢	السير كويليام	عبد الله	عالم وباحث إنجليزى ومؤلف كتاب الدين الإسلامى
٧٣	موسكراو	عبد الرحمن	قضى فترة فى الجيش ثم أسلم بعد أن قام بعمل عدة بحوث ودراسات لازمة

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
٧٤	توماس كلايتون	محمد	باحث نافذ البصيرة يهتم بسيرته الذاتية
٧٥	ت. هـ . بادكلى		عالم ايرلندى كان يطالع فى البداية الكتب المناهضة للإسلام
٧٦	ميتا	عمر	عالم اقتصادى يابانى كان بوذيا فى السابق
٧٧	ڤان بيتم		عالم وباحث هولندى
٧٨	ڤان مورس	عبد الله	باحث هولندى يقيم فى مدينة هانس ، يعرف عدة لغات
٧٩	والتر ويليام		باحث ومفكر إنجليزى
٨٠	ويليام بيكارد	بشير	عالم إنجليزى وكاتب مقالات علمية وإسلامية
٨١	بوكاتان هاميلتون		ضابط بحرى وجراح سابق بالجيش الإنجليزى
٨٢	السيدة هاميلتون		باحثة إنجليزية وزوجة بوكاتان وهى تعرف عدة خطوط ولغات
٨٣	بى نيوا ليونارد	يوسف	باحث أفريقى يقيم فى نيوزيلندا
٨٤	إلياس ساكوما		عالم يابانى ومؤلف كتاب "تقدم الإسلام"

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
٨٥	أمادين اسكوز		باحثة أسلمت فى عام ١٩٤٥
٨٦	موسلر	أمينة	باحثة ألمانية لها مقالات فى فضائل الإسلام
٨٧	أرثر بلفور		باحث وعالم كان مسيحيا بروتستانتيا قبل ذلك
٨٨	أ . كان		عالم وباحث إنجليزى له بعض الكتابات
٨٩	أ . باليه		باحث فرنسى يقيم فى مدينة نيس بفرنسا
٩٠	بومون بنيامين		باحث وعالم يقيم فى ترينيداد
٩١	ب . هـ . تشاند		كاتب قدير من أصل هندى ويقيم الآن فى أمريكا
٩٢	بروقفله	محمد	باحث ألمانى مفكر أسلم بعد أن قرأ القرآن
٩٣	ألفونس دينه	ناصر الدين	عالم فرنسى ألف كتابا كبيرا بالفرنسية حول نبى الإسلام
٩٤	أرثر كرباسين	حسين اثنى عشرى	باحث فرنسى يجيد عدة خطوط ولغات

رقم مسلسل	الاسم الأصلي	الاسم الإسلامي	ملاحظات
٩٥	سيسيليا كونولى		عالمة أسترالية لها مقالات فى فضائل الإسلام
٩٦	كنود هلمبو		عالم دانماركى كتب مقالات لصالح الإسلام فى صحف كوبنهاجن
٩٧	جوتراد	خالد	عالم إنجليزى مؤلف كتاب "الإسلام دين البشر"
٩٨	فرد دماير		عالم ألمانى مؤلف كتاب "حياة فلاسفة الإسلام"
٩٩	ديانخ هود		باحثة إنجليزية كانت تدين بالمذهب البروتستانتى سابقا
١٠٠	الدكتور كابريو		عالم إيطالى ورئيس إدارة مركز الدراسات الإسلامية فى سان فرانسيسكو
١٠١	الدكتور جرينه		عالم فرنسى اعتنق الإسلام نتيجة تدقيقه فى القرآن وتمعنه فيه
١٠٢	الدكتور بيكيك		عالم إنجليزى بحث فى الإسلام لعدة سنوات

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
١٠٣	الدكتور مليكيان	محمد على	عالم وباحث إيراني وأستاذ سابق بجامعة طهران
١٠٤	الدكتور بالنتين		عالم أمريكى قام بعمل أبحاث دقيقة حول الإسلام
١٠٥	الدكتور انسشى		عالم إيطالى يعرف عدة لغات
١٠٦	الدكتور جان	جان محمد	عالم إسبانى ودكتور فى الفلسفة والقانون
١٠٧	إدوارد لوتز	عبد الرحمن	عالم أمريكي ومؤسس الجامعة الإسلامية فى أمريكا
١٠٨	بنلجيون		باحث وعالم له بحوث دقيقة حول الإسلام
١٠٩	أشميت دورمولين	محمد عادل بيك	مهندس ألمانى عالم ألف كتابا باسم "الإسلام"
١١٠	أرنست تشريرى		باحث برازيلى انجذب إلى الإسلام بعد أن شاهد صلاة الجماعة عند المسلمين فى التلفزيون
١١١	فيترادى	عبد الله إسلامى	باحث برتغالى كتب مقالات حول بحوثه

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
١١٢	فرانسيسكو بايللى		باحث إيطالى عثر على الحقيقة نتيجة رحلاته إلى الدول الإسلامية
١١٣	هانس آرنولد		باحث ألمانى اعتنق الإسلام على إثر قراءته للقرآن ودراسته له
١١٤	يورجن ولجرام		باحث ألمانى كانت له دراسات إسلامية لعدة سنوات
١١٥	هيلدا دومون		سيدة إنجليزية كانت تبحث لعدة سنوات فى أديان العالم
١١٦	هورست راتقان		باحث ألمانى اعتبر الإسلام أفضل دين فى الأديان
١١٧	هوارد اسميث	عبد الرشيد	عالم إنجليزى كتب مقالات عن الإسلام
١١٨	إبراهيم قو		باحث وعالم روحانى كان يدين بالمذهب الكاثوليكى فى البداية
١١٩	فلورانس كيلى		باحثة أوروبية كتبت مقالات حول أهمية الإسلام
١٢٠	ايوان	أبا ذر	باحث بولندى يعرف عدة لغات وخطوط

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
١٢١	جيجنبرج	الحاج محمد يوسف	باحث ألمانى كان كاثوليكيا وأسلم وسافر للحج
١٢٢	جوئن		عالم فرنسى أسلم بعد أن قرأ كتاب حضارة الإسلام والعرب والتقى بمؤلف "ليالى بيشاور"
١٢٣	كلمانى مسرا	محمد	مهندس هندى كان برهميا وأسلم فى العراق
١٢٤	هوناتيان	على إسلامى	باحث أرمنى إيرانى أسلم بعد بحثه حول الحجاب الإسلامى
١٢٥	كيدوا		باحث ومفكر ألف كتابا حول الدعاء والصلاة
١٢٦	ليوبولد ويس	محمد أسد	مستشرق إنجليزى سافر إلى دول الشرق لعدة سنوات
١٢٧	لوماكس	عز الدين	باحث أمريكى امتنع عن تناول المشروبات الكحولية بعد اعتناقه الإسلام
١٢٨	مادسن		عالم دانماركى ترجم معانى القرآن إلى الدانماركية

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
١٢٩	اسمن	مالك	باحث ألمانى نشر مجلة "الإسلام" بالألمانية والتركية
١٣٠	سيترين	مليكه	عالمة إنجليزية لها مقالات فى مجلات لندن
١٣١	ماركوس موريسن		رحالة أسترالى جاء إلى إيران وأجرى معه المؤلف حوارا
١٣٢	موريس دلود		باحث فرنسى له بحوث كثيرة
١٣٣	مورى	على محمد	عالم يابانى كتب مقالات عن أهمية الإسلام
١٣٤	تاسى سوترمان		عالم ومفكر تركستانى له مقالات بالإنجليزية
١٣٥	سوكيا	نادية	عالمة مقيمة فى جزر موريشيوس ومديرة مجلة الإسلام التركية
١٣٦	أوتويودان		باحث أمريكى قضى عدة سنوات فى البحث
١٣٧	البورفيسور تشكنتا		عالم هندى ورئيس جامعة حيدر أباد
١٣٨	البروفيسور سايتوه	عبد الكريم	عالم يابانى وأستاذ بجامعة طوكيو

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
١٣٩	البروفيسور دكتور	محمد حميد الله	أستاذ بجامعة باريس وهو من العلماء المشهورين
١٤٠	البروفيسور اهدن فلس		عالم الاجتماع المعروف والأستاذ بجامعة هايدلبرج الألمانية
١٤١	البروفيسور اوهانيان	رضا	من أسرة أرمنية إيرانية أصيلة
١٤٢	ردنى آلجار		باحث إنجليزى ، لم يكن يعترف بأى دين من الأديان فى البداية وينكر وجود الله
١٤٣	روشه لرن	عزيزة	عالمة فرنسية ومديرة مجلة "نظرة ناحية الشرق"
١٤٤	تينيوس		باحث ألمانى معاصر ومؤسس "جمعية الأخوة الإسلامية" فى ألمانيا
١٤٥	امورا	عبد الله	عالم يابانى معاصر وناشر لمقالات عن الإسلام
١٤٦	ويد يارتى	عبد الحق	عالم ومفكر ومؤلف كتاب "محمد فى كتب العالم المقدسة"
١٤٧	واكر كلاسكو		باحث إنجليزى أسلم بعد أن قرأ مجلة "إسلاميك ريڤيو"

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
١٤٨	فارمر		باحث إنجليزى إشتغل بالبحث لعدة سنين واعتنق الإسلام
١٤٩	كاپرليان	محد إسلامى	باحث إيرانى مسيحى أسلم فى دزفول بعد الدراسة والبحث
١٥٠	زكى عريبى		رئيس وزعيم اليهود فى مصر ، جذبته أيات القرآن الكريم بعد الاستماع إليها فاعتنق الإسلام
١٥١	ألفريد زارتور		باحث ومفكر ألمانى
١٥٢	ورنرارپ		باحث ألمانى له بحوث
١٥٣	هادى كونيك		باحث ومدقق ألمانى عثر على الحقيقة
١٥٤	جنورج بريجا		فى السنوات الأخيرة ، اعتنقت مجموعة من الباحثين الألمان الذين قضوا فترة فى البحث حول الإسلام ، الدين الإسلامى بالتدريج بتوجيه وإرشاد من البروفيسور مفتى زاده . وفى ١٩٤٨/١٠/٣١ أعلنوا إسلامهم
١٥٥	أجينو ديتز		
١٥٦	أروين فلك		
١٥٧	فوكس		
١٥٨	يوهان		
١٥٩	برنوليدك		
١٦٠	هاينريخ		

رقم مسلسل	الاسم الأصلي	الاسم الإسلامي	ملاحظات
١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥	هايك أوتو ألفريد باير بنتين جونتر جرتنر هارس والتر تشوك		عن طريق إرسال رسالة من فرايبورج بألمانيا إلى عدة مراكز إسلامية منها مركز الدعوة الإسلامية بطهران ، وردت فيها أسماؤهم من "ألفريد زارتور" وحتى "والتر تشوك" .
١٦٦	بينز هويت	عبد الله	باحث وعالم إنجليزى أصبح مسلما اثنى عشريا
١٦٧	بلجراو	حميد	باحث إنجليزى تخرج من جامعة لندن
١٦٨	براهيما كوليبالى		باحث أفريقى كان يعبد الأصنام فى البداية ، ثم أسلم وسافر لأداء فريضة الحج
١٦٩	بريجيت هانى		باحثة إنجليزية ومدير عام جمعية النساء المسلمات بلندن
١٧٠	كلوناريس	على	باحث أمريكى يدرس فى جامعة لوس أنجلوس

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
١٧١	الدكتور سيلز		باحث إنجليزى اعتنق الإسلام بعد حضور خمس جلسات لمدة ثمانى عشرة ساعة
١٧٢	هادجريفز	عبد الرحمن	عالم إنجليزى كتب مقالات عن أهمية الإسلام
١٧٣	هيدى والر		باحثة إنجليزية تكتب فى المجلات الإنجليزية لصالح الإسلام
١٧٤	كاى هايد		باحث أمريكى إحتفل بمناسبة إسلامه
١٧٥	مارجريت ماركوس	مريم جميلة	أمريكية يهودية الأصل كانت لها مراسلات مع علماء مسلمين
١٧٦	بورشفيلد	محمد	باحث ألمانى جذبه الإسلام فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف
١٧٧	بلانت		باحث إنجليزى وعضو سابق فى الكنيسة الإنجليزية
١٧٨	شوبرت		باحث ألمانى اعتنق المذهب الشيعى وهو الآن إمام لمسجد هامبورج

ملاحظات	الاسم الإسلامي	الاسم الأصلي	رقم مسلسل
باحث أمريكي معاصر أسلم نتيجة تمعنه في دراسة القرآن		استرائيد اسمارت	١٧٩
عالم إيطالي ألف كتابا عن أخطاء أهل الصليب	عبد الله	تورميدا	١٨٠
باحثة إنجليزية لها بحوث حول الإسلام		ورراويد	١٨١
باحث ألماني أسلم نتيجة تمعنه في دراسة القرآن	عبد الله	بورك	١٨٢
باحث أمريكي ولد في الهند وكان يعتنق الديانة الهندية		تشاند	١٨٣
باحث إنجليزي عرف الإسلام عن طريق تدبره في القرآن	عبد الله	تشارلز جارنر	١٨٤
باحث من زامبيا وصل إلى الحقيقة عن طريق دراسة الكتب الإسلامية	محمد مصطفى	كولي	١٨٥
مفكرة فرنسية أخذت جائزة رفيعة في اللغة العربية	فاطمة الزهراء	جان درايو	١٨٦
باحث إنجليزي أسلم نتيجة تمعنه وتدبره في القرآن	عمو علي	دوبسن	١٨٧

رقم مسلسل	الاسم الأصلى	الاسم الإسلامى	ملاحظات
١٨٨	جوئنن	عبد الواحد يحيى	كان فى مصر ، وكانت لديه معلومات كثيرة حول الإسلام ، ويطلق عليه اسم فيلسوف الإسلام
١٨٩	ألكساندر روسل	محمد	باحث أمريكى قام بدراسات لسنوات عديدة
١٩٠	هنرى شوئتز		عالم سويسرى يعرف عدة لغات ، أسلم فى تونس
١٩١	ماجور باترسبى	عبد الله	باحث إنجليزى له بحوث عديدة
١٩٢	أورينج	فوز الدين أحمد	أستاذ وباحث هولندى
١٩٣	ويسكويت يوتيه	صلاح الدين	باحث فرنسى له بحوث دقيقة

وهناك أسماء أخرى للمستشرقين المنصفين تستحق الرجوع إليها فى بعض الكتب ، مثل : كتاب "ثقافة علماء الإسلام الأجانب" تأليف حسين عبد اللهى خوروش الذى جمع ما يقرب من ألفى اسم وبعض مميزاتهم وصفاتهم .

وكتاب "اعترافات علماء العالم الكبار" تأليف خير الله مردانى الذى جمع فيه مقتطفات من أقوال مائة وخمسين مستشرقا .

وكتاب "القرآن من وجهة نظر مائة وأربعة عشر عالما عالميا" تأليف محمد مهدى عليقلى ، ومقدمة الدكتور سيد محمد باقر حجتى .

حواشى الفصل الرابع

(١) يرجع السبب فى تقدم هذه المدرسة على غيرها من مدارس الاستشراق إلى أن أكبر قدر من الاستشراق لدى الغربيين قد تم على يد رجال الكنيسة وبدافع تبشيرى مسيحى ، ويشكل القساوسة أغلبية هذا النوع من المتخصصين فى الإسلام والمستشرقين .

(٢) يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص ١٤ .

(٣) شرق شناسى ، ص ١٢٢ . نقلا عن : أنتوان كالند ، رسالة هاى مقدماتى بركتاب شناسى شرقى ويا ديكسيونرى بين المللى از أن چه دانش جويان رشته شرق شناسى بايد بدانند ، ج ١ ص ٧١١ ، چاپ هلند . وكتاب : محمد در چشم غرب ، تدوين شده در مجله ژورنال دانشگاه بولستون دوره ٢٢ ، ش ٢ ، ص ٩ ، تأليف : مونتگمرى وات .

(٤) نقد الخطاب الاستشراقى ، ص ٢٧ .

(٥) رودى پارت ، الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية ، ص ٩ .

(٦) الاستشراق والخلفية ، ص ٢٣ ، نقلا عن : ساذرن ، نظرة الغرب إلى الإسلام فى القرون الوسطى ، ترجمة دكتور على فهمى ، ص ١٧ .

(٧) الاستشراق والتبشير ، ص ٢١ ، نقلا عن : محمد عزت إسماعيل الطهطاوى ، التبشير والاستشراق ، أحقاد على النبى محمد (ﷺ) وبلاد الإسلام ، ص ٤٥ .

(٨) المستشرقون والإسلام ، ص ١١ . نقلا عن : الغارة على العالم الإسلامى ، شاتلييه ، تعريب محب الدين الخطيب ، ص ٤٧ .

(٩) حسن واعظى ، إيران وأمريكا ، ص ٥٣ .

(١٠) در جست وجوى راه امام از كلام امام ، دفتر اول ، ص ١٠٩ .

(١١) المستشرقون والتنصير ، ص ٢٩ – ٣٢ .

(١٢) ROJER BACON.

(١٣) نقد الخطاب الاستشراقي ، ص ٢٠ - ٢١ ، نقلا عن : دومينيك سورديل ، الإسلام في القرون الوسطى، ص ٢٤ . دكتور جمال الدين الشيال ، التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر الأوروبي في عصر النهضة ، ص ٨

(١٤) W.H.T GAIRDNER.

(١٥) سيد هادي خسروشاهي ، واتيكان ، دنياى إسلام وغرب ، ص ١٩٣ .

(١٦) المرجع نفسه ، ص ٢٠٨ - ٢١٨ .

(١٧) جلال آل أحمد : كاتب إيراني معاصر ، وهو من العلامات البارزة في تاريخ الأدب الفارسي المعاصر ، ولد في طهران عام ١٩٢٣ وتوفي عام ١٩٦٩م ، وكان في حياته بمثابة الأديب والداعية الاجتماعي المعارض للمناخ العام السائد في إيران في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات . وقد بدأ حياته الأدبية في عام ١٩٤٥ بنشر أول قصصه بعنوان (زيارت) في مجلة (سخن) . ومن أهم رواياته (نون والقلم) التي كتبها عام ١٩٦١ ولكنها لم تنشر إلا في منتصف السبعينيات وقبل قيام الثورة الإيرانية الإسلامية بسنوات معدودة . (المترجم) .

(١٨) غرب زدگى ، ص ٣١ .

(١٩) كان سفيرا لإيران في مصر لعدة سنوات . (المترجم) .

(٢٠) نفس المصدر ، ص ١٨١ ، ٢٠٠ .

(٢١) نفس المصدر ، ص ٢٧ .

(٢٢) نفس المرجع ، ص ٢٦ .

(٢٣) نفس المرجع ، ص ٢٧ .

(٢٤) المرجع نفسه ، ص ١٥٧ - ١٦١ .

(٢٥) صحيفة نور ، مركز مدارك انقلاب اسلامى ، ١٣٦١ ، ١٢٦٠ ، ص ٢٦٨ ، در تاريخ ١٢/٥/٥٩ تهران . واتيكان ، ص ٢٦٣ ، بيانات امام در ديدار با اسقف ميلارين كاپوچى .

(٢٦) هدف المؤلف من تقسيم أسماء المستشرقين إلى ثلاث مجموعات : تبشيرية واستعمارية وعلمية لا يعني أن كل كلام وسلوك كل واحد كان يعبر عن ماهية هذه المجموعة ، بل الهدف من ذلك أن الصبغة الغالبة على أقواله وأفعاله تتطابق مع إحدى هذه المجموعات ، وكثير من المستشرقين التبشيريين من وافق الاستعمار وسار على نهجه أحيانا أو تعامل مع الشرق والإسلام بإنصاف أحيانا أخرى ، وكذلك الحال بالنسبة للمستشرق الاستعماري من الممكن أحيانا أن يتماشى مع التبشير أو يمجد المسلمين

أو الشرقيين فى أحيان أخرى ، كما أنه من الممكن أن ينحو كثير من الأشخاص الذين ورد ذكرهم فى مجموعة المستشرقين المنصفين منحى تبشيريا أو استعماريا ، وتكون لديهم أيضا أقوال وأحكام خاطئة أحياناأخرى .

(٢٧) JER BERT .

(٢٨) RAYMON LULL .

(٢٩) RAYMONDO MARTINI .

(٣٠) GUILLAUME POSTEL .

(٣١) الظاهرة الاستشراقية ، ص ٤٣ .

(٣٢) الإسلام وشبهات المستشرقين ، ص ٤٥ .

(٣٣) CARL GOTTLIEP PFANDER.

(٣٤) برخورد آراء مسلمانان ومسيحيان ، ص ١٧٦ .

(٣٥) IGNAZ GOLDZIHER.

(٣٦) السباعى ، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، ص ٣٢ .

(٣٧) THEODOR NOLDEKE.

(٣٨) GESCHICHITE DES QORANS . VON : THE ODOK NOLDKE . NEWYORK. ١٩٨١.

(٣٩) WILLIAM MONTGOMERY WATT .

(٤٠) ARTOUR JEFFRI .

(٤١) REGIS BACBERE .

(٤٢) ARTHUR JOHN ARBERRY .

(٤٣) ZWEIMER .

(٤٤) السباعى ، الاستشراق والمستشرقون ، ص ٣٢ .

(٤٥) WILLIAM MUIR.

(٤٦) HENRY LAMMENC .

(٤٧) PERLAMS .

(٤٨) خير الله مردانى ، اعترافات دانشمندان بزرگ جهان ، ص ٧٤ ، نقلا عن : تاريخ القرآن ، ص ١٦٢ وقرآن وكتاب هاى ديگر آسمانى ، ص ٣٠١ .

(٤٩) ROSKEEN GIBB.

(٥٠) VOLTAIRE .

(٥١) المستشرقون وترجمة القرآن ، ص ١١٦ .

(٥٢) لمزيد من الاطلاع حول أسماء المستشرقين التبشيريين انظر كتاب "المستشرقون والتنصير" تأليف الدكتور على بن إبراهيم الحمد النملة الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ، الذى نشرته "مكتبة التوبة" فقد خصص المؤلف بعد التمهيد العادى حوالى ١٢٠ صفحة من كتابه لذكر أسماء ٣٢٦ مستشرقا مبشرا ونبذة عن كل منهم . وبطبيعة الحال يجب أن نعلم أن عمل المؤلف الأصلى هو أنه جمع هذه الأسماء من كتابى : المستشرقون تأليف نجيب عقيقى ، وموسوعة المستشرقين تأليف الدكتور بدوى ، ولم يقدم المؤلف إضافة علمية جديدة .

(٥٣) LOUIS MASSIGNON.

(٥٤) انظر نفس هذا المرجع ، ص ٨٥ .

(٥٥) شرق شناسى ، ص ١١٢ .

(٥٦) نفس المرجع ، ص ١٣٩ .

(٥٧) نفس المرجع ، ص ٥٣٨ .

(٥٨) نفس المرجع ، ص ٥٤٣ .

(٥٩) المستشرقون والإسلام ، ص ٢٤ . نقلا عن : أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ص ١٦٤ .

(٦٠) ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٢ .

(٦١) المقريزى ، الخطط المقريزية ، ج ١ ، ص ٤٥٨ .

(٦٢) تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .

(٦٣) كرد على ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٩٧ .

(٦٤) سيد محمود مرعشى نجفى ، در آمدى بر دايرة المعارف كتاب خانه هاى جهان ، ص ٤١ .

(٦٥) فصلنامه كتاب هاى اسلامى ، سال دوم ، شماره ٦ ، مقاله گزارشى از پروژه بيت الحكمة در يونسكو ، احسان نراقى ، ص ٧٨ - ٨٣ .

(٦٦) المستشرقون والإسلام ، ص ٢٥ نقلا عن : فون جرونباوم ، حضارة الإسلام ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، ص ٨١ .

(٦٧) شرق شناسى ، ص ٣٦٨ .

(٦٨) المرجع السابق ، ص ٥١١ .

(٦٩) المستشرقون والإسلام ، ص ٣٢ . نقلا عن النص الإنجليزى لكتاب الإسلام فى التاريخ الحديث لولفرد ، طبعة أكسفورد ، ص ١٠٥ .

(٧٠) شرق شناسى ، ص ١٣٢ .

(٧١) الاستشراق ص ٢١٢ ، نقلا عن مجموعة أعمال شاتوبريان ج ٢ ، ص ٩٩٠ - ١٠٥٢ .

(٧٢) شرق شناسى ، ص ٤٥٠ نقلا عن شيرول ، غرب وشرق ، ص ٦ .

(٧٣) ويل ديورانت ، تاريخ تمدن ، ج ١ ، شرق زمين ، مقدمه ، ص ٢ .

(٧٤) شرق شناسى ، ص ٤٤٣ ، نقلا عن الكتاب التذكارى لسيلفين ليفى ، تأليف جاك باكوت BACOT، طبعة باريس ، ص ١٢٣ .

(٧٥) محمد الغزالى ، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، ص ٣ .

(٧٦) الاستشراق والمستشرقون ، ما لهم وما عليهم ، ص ١٨ .

(٧٧) مجموعة منشورات اسناد لانه جاسوسى امريكا .

(٧٨) برخورد آراى مسلمانان ومسيحيان ، ص ١٨٠ .

(٧٩) سير تاريخى وارزيابى انديشه شرق شناسى ، ص ٩٦ .

(٨٠) عمر رضوان ، آراء المستشرقين ... ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(٨١) ISLAM IN MODERN HISTORY .

(٨٢) ويلفرد كنت ول اسميت ، اسلام در جهان امروز ، ص ١٠١ .

(٨٣) المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٨٤) PERSIAN IN DER DEUTSCHEN ORIENT POLITIK.

(٨٥) ULRICH GERKE.

(٨٦) اولريخ گرکه ، پیش به سوی شرق ، ایران در سیاست شرقی المان در جنگ جیانی اول ، پیشگفتار ، ص ٢٠ .

(٨٧) شرق شناسی ، ص ٥٢٤ نقلا عن : ژورنال انجمن شرق شناسی امریکا ، ش ٤٣ ، ص ٧٦ ، مقاله : مقاله اولیه شرقی در اروپا وکار انجمنی شرقی در امریکا ، تالیف ناناتیل اشمیت .

(٨٨) المرجع السابق ص ٥٢٥ نقلا عن : فری ، خاور نزدیك وقدرت های بزرگ ، ص ٧٦ .

(٨٩) المرجع السابق ، ص ٥٢٦ .

(٩٠) المرجع السابق ، ص ٥٢٨ نقلا عن كرزون ، موضوعات روز ، چاپ لندن ، ص ١٠ - ٢٨ وميشيل ادواردز ، اوج امپراتوری ، ص ٣٨ .

(٩١) المرجع السابق ، ص ٥٢٧ .

(٩٢) اولريخ گرکه ، پیش به سوی شرق ، پیش گفتار ، ص ١١٣ .

(٩٣) شرق شناسی ، ص ٥٥ .

(٩٤) المرجع السابق ، ص ٥٠٩ .

(٩٥) المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، ص ١٢٧ .

(٩٦) شرق شناسی ، ص ٥٤٥ نقلا عن : انگرمز ، أوراق فلسطين ، ص ٣١ .

(٩٧) محمد البهی ، اندیشه نوین اسلامی ، ص ٢٧ - ٣١ .

(٩٨) T.E.LAWRENCE.

(٩٩) أنتوني ولويس توماس ، لورانس ؛ لغز الجزيرة العربية . الاستشراق فی الميزان ، معاليقی ، ص ١٧٨- ١٨٨ .

(١٠٠) لورانس لغز الجزيرة ، ص ١ - ١٧ .

(١٠١) المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(١٠٢) دكتور محمد إبراهيم الفيومی ، الاستشراق ، رسالة استعمار ، ص ١٢١

(١٠٣) CHRISTIAN SNOOK HORGRONYE.

(١٠٤) الاستشراق والخلفية الفكرية ، ص ٤٦ نقلا عن : إدوارد سعيد ص ١٤٦ ، ٢٢١ .

(١٠٥) LOUIS MASSIGNON.

(١٠٦) فرهنگ كامل خاورشناسان، ص ٢٧٨ . يوجد توضيح أكثر حول "ماسينيون" فى هذا الكتاب .

(١٠٧) عمر رضوان ، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم ، ج ١ ، ص ٣٥ . رويكرد ، ص ٣٠ .

(١٠٨) رويكرد ، ص ٣٠ .

(١٠٩) المرجع السابق .

(١١٠) H.A.R.GIPP.

(١١١) المرجع السابق .

(١١٢) المرجع السابق .

(١١٣) روى كرد ... ، ص ٢١ .

(١١٤) المعاليقى ، الاستشراق فى الميزان ، ص ١٧٨ .

(١١٥) روى كرد ، ص ٢١ .

(١١٦) كان من الجدير ذكر معلومات عن شخصية كل واحد من هؤلاء المستشرقين ونشاطهم وآرائهم ، إلا أن بذل الجهد فى دراسة موضوعات الشبهات القرآنية عندهم كان له أولويات فى هذا الكتاب ، لذلك تم الامتناع عن جمع تلك المعلومات وتسجيلها ، وتم الاكتفاء باختيار معلومات قليلة تتعلق بتوجهاتهم الاستعمارية .

١١٧) اعتبر أن فتح هذا الأفق الجديد يرجع إلى إدوارد سعيد حيث قام بشرح تفصيلى لهذه المؤامرة بكل شجاعة وهو فى مركز الاستشراق الاستعمارى ، ولذلك استخرجت هذه الموضوعات ووثائق هذا الفصل من كتابه "شرق شناسى" .

(١١٨) هذا الكلام المذكور أعلاه هو خلاصة مجموعة من وجهات نظر وتصريحات مستشرقين استعماريين غربيين ، يمكن مشاهدة أجزاء متعددة منها فى عباراتهم التى سوف ننقلها عنهم فى الصفحات التالية .

(١١٩) صحيفة امام خمينى (رحمه الله) ج ١٨ ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(١٢٠) بلفور هو نفسه ذلك السياسى الاستعمارى الذى قرأ فى عام ١٩١٧ بيان الحكومة الإنجليزية فى وقت تصديه لوزارة الخارجية الذى ينادى بحماية الأراضى اليهودية المستقلة ، والذى اشتهر باسم "إعلان بلفور" .

(١٢١) BALPHOUR .

(١٢٢) شـرق شـناسـى ، ص ٦٣ نقـلا عن كـتـاب : انديشـه هـاى سلطنتى ودشـمنان آن ، تاليف A.P.THORNTON ص ٢٥٧ .

(١٢٣) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(١٢٤) SIR ALFRED LYAL .

(١٢٥) المرجع السابق ، ص ٧٤ نقلا عن لورد كرامر ، مصر جديد ، ج ٢ ، ص ١٤٦ .

(١٢٦) HENRY KISSINGER .

(١٢٧) شرق شناسى ، ص ٩٠ نقلا عن : كيسنجر ، سياست خارجى امريكا ، ص ٢٨ .

(١٢٨) المرجع السابق ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(١٢٩) SHARELS ROUX .

(١٣٠) المرجع السابق ، ص ١٦٠ ، نقلا عن جان مارلو ، ساخت كانال سوئز ، ص ١٤٢ .

(١٣١) GUSTAV FLAUBERT .

(١٣٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٨ نقلا عن : گوستاو فلوبر ، بووارد وپكوشه ، ج ٢ ، ص ٩٨٥ .

(١٣٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٢ نقلا عن : فرانسيس استيگ مولر ، فلوبر در مصر ، ص ١٧٣ - ٢٠٠ .

(١٣٤) المرجع السابق ، ص ٣١٢ - ٣١٣ نقلا عن : مجموعة آثار شاتوبريان ، ج ٢ ، ص ١٠٦٩ .

(١٣٥) A. DE . LAMARTINE .

(١٣٦) المرجع السابق ، ص ٣٢٤ نقلا عن : لامارتين ، سفر به شرق ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ ويونس طه حسين ، رمانتسيم فرانسوى وايران .

(١٣٧) JOHN WSTLAKE .

(١٣٨) المرجع السابق ، ص ٣٧١ نقلا عن : جان وستليك ، فصول در اصول قوانين بين المللى .

(١٣٩) ROBERT KNOX .

(١٤٠) المرجع السابق .

(١٤١) SAINT MARS GIARDIN .

(١٤٢) شرق شناسى ، ص ٣٨٨ . نقلا عن مجلة بررسى هاى جغرافيايى ، مقاله استعمار گرايى در حركت جغرافيايى فرانسه ، تاليف : مكى كى .

(١٤٣) T.E. LAWRENCE .

(١٤٤) المرجع السابق ص ٤٠٨ ، نقلا عن : بل ، بيابان وبذر افشانده شكوه ، ص ٢٤٤ .

(١٤٥) المرجع السابق ص ٤٣٠ ، نقلا عن : لاورنس ، هفت ستون حكمت ، ص ٣٨ .

(١٤٦) G.BELL .

(١٤٧) المرجع السابق ، ص ٤٠٩ نقلا عن : بل ، بيابان وبذر افشانده شده ، ص ٢٤٤ .

(١٤٨) CHARLES MICHAEL .

(١٤٩) HOXLEY .

(١٥٠) CYROZIER .

(١٥١) HARVEY .

(١٥٢) W. SMITH .

(١٥٣) شرق شناسى ، ص ٤٢٢ نقلا عن : چارلز داكتى ، مسافــرت هــايى در بيابان عربستان ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(١٥٤) G.ORWELL .

(١٥٥) المرجع السابق ، ص ٤٤٨ نقلا عن : ج اورويل ، مراكش ، مجموعه اى از مقالات ، ص ١٨٧ .

(١٥٦) المرجع السابق ، ص ٤٩٣ ، نقلا عن : مك دونالد ، گرايشات دينى وحيات در اسلام ، ص ٢ – ١١ .

(١٥٧) الإسراء (١٧) آية ٤٤ .

(١٥٨) من افتراءات المستشرقين ، ص ٣٩ .

(١٥٩) EMMETT TYRRELL - JR. .

(١٦٠) شرق شناسى ، ص ٥١٢ . نقلا عن مجلة هاربر HARPER ، ص ٣٥ .

(١٦١) SANIA HAMADY .

(١٦٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٢ نقلا عن : سانيا حمادى ، شخصيت واخلاقيات عرب ، ص ١٠٠ .

(١٦٣) MANPHRED HALPERN .

(١٦٤) المرجع السـابق ، ص ٥٥٣ ، نقلا عن : تز هالبرن در بيست ودومين كنفرانس خاورميانه در دانشكاه پرينتون امريكا ، سال ١٩٧٣ .

(١٦٥) M. BERGER .

(١٦٦) المرجع السابق ، ص ٥٥٣ ، نقلا عن : برگر ، جهان عرب در عصر حاضر ، ص ١٤٠ .

(١٦٧) المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

(١٦٨) المرجع نفسه ، ص ٤٧ .

(١٦٩) المرجع السابق ، ص ٥١٠ .

(١٧٠) شرق شناسى ، ص ٥٥٠ نقلا عن : رافائيل پاتايى ، شخصيت واخلاقيات عرب ، ص ٤٠٦ .

(١٧١) على شريعتى (١٩٣٣ - ١٩٧٧م) : يعتبر على شريعتى أحد مفكرى الثورة الإسلامية فى إيران ، وقد نشر الفكر الثورى . ولد على شريعتى فى إحدى قرى سبزوار فى منطقة خراسان عام ١٩٣٣م ، وكان أبوه من كبار المفكرين والمجاهدين الإسـلاميين . وقد انضم فى صبـاه إلى جناح الشبـاب فى الجبـهة الوطنيـة ، وتخرج من كليـة الآداب عام ١٩٥٨م وأرسل فى بعثة إلى فرنسا عام ١٩٥٩م وحصل هناك على درجة الدكتوراه فى علم الاجتماع الدينى كما حصل على دكتوراه أخرى فى تاريخ الإسلام ، ثم عاد إلى إيران وعين مدرسا بجامعة مشهد بعد أن تعرض للسجن فى إيران وفى فرنسا ، وأخذ يلقى الدروس والمحاضرات ذات الهدف التنويرى الدينى ، إلى أن رحل بعد ذلك إلى لندن فى مايو ١٩٧٧م ومات هناك فى نفس هذه السنة . ومن أهم مؤلفاته كتاب "العودة إلى الذات" الذى نقله إلى العربية المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقى شتا ونشر فى القاهرة عام ١٩٨٦م . (المترجم) .

(١٧٢) هو أبو على حسن بن على الطوسى الملقب بنظام الملك ، ولد بنوغان (طوس) عام ٤١٠ هـ وحين تولى الب أرسلان حكم خراسان عام ٤٥١ هـ أسند إليه الوزارة . وإضافة إلى منصبه اشتهر أيضا بحبه للعلم والأدب وإنشاء المدارس فى مختلف المدن ووقف الأوقاف للإنفاق عليها . وعرفت هذه المدارس باسم "نظامية" وأهمها مدرسة بغداد (عام ٤٥٧) . ويحتل كتابه "سياست نامه" مكانة مهمة . وله أيضا رسالة فى شروط الوزارة وجهها لابنه فخر الملك بعنوان "وصاياى نظام الملك" أو "دستور الوزراء" (المترجم) .

(١٧٣)عليرضا بختيارى ، ما وغرب (يادواره بيستمين سالگشت دكتر على شريعتى) ص ٢٥ نقله از مجموعه أثار شريعتى ، ج ٢٠ ، ص ١٨ .

(١٧٤) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(١٧٥) شرق شناسى ، ص ٤٤٠ نقلا عن : استانفورد شاو ، مطالعاتى در تمدن اسلام ، مقاله : "ساختار تفكر مذهبى در اسلام" ، ازگيپ ، چاپ بوستون أمريكا ، ص ١٨٠ .

(۱۷٦) PAUL VALERY .

(۱۷۷) المرجع السابق ، ص ٤٤٦ ، نقل از : ژان هايتير ، مجموعة آثارپول والرى ، چاپ پاريس ، ج ۲ ، ص ١٥٥٦ .

(۱۷۸) H.A.R GIPP .

(۱۷۹) المرجع السابق ، ص ٤٥٧ نقل از : توماس أرنولد ، ميراث اسلام ، ص ۲۰۹ .

(۱۸۰) المرجع السابق ، ص ٤٩٠ نقلا عن : ريچارد فرى ، خاورميانه وقدرت هاى بزرگ ، ص ٨٦ .

(۱۸۱) ويل ديورانت ، تاريخ عدن ، ج اول ، مقدمه مؤلف .

(۱۸۲) نقد الخطاب الاستشراقى ، ص ٤١ نقلا عن : الفكر العربى ومركزه فى التاريخ ، دى لاسى ، ص ۲۳۱ .

(۱۸۳) ١١٥ رساله استشراقى غربى ، پايان نامه ... ، مدرسه امام خمينى (رحمه الله) .

(۱۸٤) آل عمران (۳) آية ٧٥ .

(۱۸٥) المائدة (٥) آية ٨٢ .

(۱۸٦) RICHARD SIMON .

(۱۸۷) ARNOULD .

(۱۸۸) الاستشراق والخلفية ، ص ٣٢ .

(۱۸۹) PIERRE BAYLE .

(۱۹۰) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(۱۹۱) HADRIAN RELAND .

(۱۹۲) دكتر عبد الرحمن بدوى ، فرهنگ كامل خاورشناسان ، ص ١٥٩ .

(۱۹۳) FUECK .

(۱۹٤) الاستشراق والخلفية ، ص ٣٥ نقلا عن : FUECK.OP.CIT.P.108 .

(۱۹٥) فرهنگ كامل خاورشناسان ، ص ١٦٢ .

(۱۹٦) SILVESTRE DE SACY .

(١٩٧) GUSTAV FLUGEL .

(١٩٨) JULES LABUME .

(١٩٩) جول لابوم ، تفصيل آيات القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ص ٤

(٢٠٠) EDWARD MONTER .

(٢٠١) A.J.WENSINCK .

(٢٠٢) دكتر عبد الرحمن بدوى ، فرهنگ كامل خاورشناسان ، ص ٤٣٥ .

(٢٠٣) يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ترجمة عمر لطفى العالم ، ص ١٣ .

(٢٠٤) NICHOLSON .

(٢٠٥) مثنوى مولوى : هو اسم المنظومة المعروفة التى نظمها جلال الدين محمد المولوى البلخى المعروف بالرومى (متوفى ٦٧٢هـ) ، وهذه المنظومة فى بحر الرمل المسدس المحذوف أو المقصور وتشتمل على ستة دفاتر ويصل مجموع أبياتها إلى ستة وعشرين ألف بيت ، وقد اشتهرت هذه المنظومة الصوفية بين محبى التصوف ومريديه ، وكتبت عليها شروح عدة (المترجم) .

(٢٠٦) أسرار خودى : مجموعة أشعار للشاعر العلامة محمد إقبال اللاهورى (متوفى ١٣٥٧هـ) ، وهو من شعراء باكستان العظام وقد نظم الشعر بالفارسية والأردية ، ولأشعاره طابع صوفى وعمق فكرى . درس إقبال فى إنجلترا وألمانيا ، ومن هنا مزج بين الفكر الغربى والشرقى فى أشعاره (المترجم).

(٢٠٧) المرجع السابق ، ص ١١٥ نقلا عن : آراء المستشرقين حول القرآن ، عمر رضوان ، ص ١٥٠ .

(٢٠٨) WILLIAM WHISTON .

(٢٠٩) شرق شناسى ، ص ١٤١ .

(٢١٠) المستشرقون والإسلام ، ص ٩ .

(٢١١) جورج جرداق ، امام على (رضى الله عنه) صداى عدالت انسانى ، از مقدمه ترجمه سيد هادى خسروشاهى .

(٢١٢) JOHN DAVENPORT .

(٢١٣) جان ديفنبورت ، عذر تقصير به پيشگاه محمد وقرآن ، مقدمه .

(٢١٤) جان ديفنبورت ، الاعتذار ، محمد والقرآن ، تعريب عباس الخليلي ، ص ٨ .

(٢١٥) شينيا ماكينو ، آفرينش ورستاخيز ، ترجمه جليل دوستخواه ، مقدمه .

(٢١٦) قدم الصديق الفاضل السيد تقي صادقي المعلومات المذكورة أعلاه ، وهو صاحب الجهود الكبيرة في التعرف على أعمال "آندريه ريبين" بل والتواصل العلمي معه .

(٢١٧) نقد الخطاب الاستشراقي ص ٢٦ نقلا عن : فرانسوا بلوا ، المستشرق الأمريكي الشاب ، في مجلة الفكر العربي ، العدد ٣٣٢ ، ص ١٩٨ ، مقالة : "في نقد المستشرقين" .

(٢١٨) من افتراءات المستشرقين ، ص ٤٣ .

(٢١٩) المرجع السابق .

(٢٢٠) عبد الرحمن بدوي ، دايرة المعارف مستشرقان ، ترجمه صالح طباطبايي ، ص ٤٣١ .

(٢٢١) قرآن ناطق ، ج ١ ، ص ٢١٨ ، نقلا عن : نشر دانش ، س ٧ ، ش ٢ ، بهمن ١٣٦٥ ، ص ٣٤ .

(٢٢٢) THE ROAD TO MECCA .

(٢٢٣) محمد أسد ، الطريق إلى الإسلام ، تعريب عفيف البعلبكي ، ص ١٥ – ٢٥ .

(٢٢٤) المرجع نفسه ، ص ٤٠٦ .

(٢٢٥) المرجع السابق ص ٤ – ٧ .

(٢٢٦) بي آزار شيرازي ، قرآن ناطق ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

(٢٢٧) برخورد آراي مسلمانان ومسيحيان ، ص ١٨٤ .

(٢٢٨) باقر بري ، إضاءات على كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد ، ص ١٢ .

(٢٢٩) السهروردي (قتل عام ٥٨٧) : هو الشيخ شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي المعروف بـ "شيخ الإشراق" وهو من أعظم فلاسفة إيران . ولد في مدينة سهرورد وتعلم الحكمة والفقه على يد الشيخ مجد الدين الجيلي أستاذ الفخر الرازي حتى أصبح أستاذا في فنون الفلسفة ، وقد اتهم بالإلحاد نظرا لاختلافه في الرأي مع القدماء واستخدامه لبعض المصطلحات الدينية الزرادشتية ، وقد أدى هذا إلى تحريض علماء حلب لصلاح الدين الأيوبي على قتله . ويعد السهروردي فيلسوفا صوفيا ويُنسب إليه تأليف تسعة وأربعين كتابا ورسالة في انتقاد الحكماء وقصة الغربة الغربية، وهذه الكتب الثلاثة نشرها هنري كوربن المستشرق الفرنسي مع مقدمة باللغة الفرنسية في عام ١٣٣١ (المترجم) .

(٢٣٠) صدرا (توفى ١٠٥٠ هـ) : هو صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازى المعروف بـ "ملا صدرا" ، من فلاسفة إيران المشهورين فى القرن الحادى عشر الهجرى . ولد فى شيراز وانتقل إلى أصفهان بعد موت والده وتعلم على يد مير داماد والشيخ بهائى ، وسافر إلى مكة عدة مرات ، وقد كتب أهم مؤلفاته باللغة العربية مثل : الأسفار الأربعة وشواهد الربوبية وشرح أصول الكافى .. الخ . ويمكن اعتبار ملا صدرا من مفاخر العصر الصفوى (المترجم) .

(٢٣١) أفاق تفكر معنوى در اسلام ايران ، ص ١٧ - ٥٦ .

(٢٣٢) سيد حسين نصر : ولد فى طهران عام ١٩٣٣ فى عائلة علم وأدب وبعد أن أتم التعليم الابتدائى والثانوى التحق بجامعة هارفارد ليتخرج منها عام ١٩٥٨م حاملا شهادة الدكتوراه فى تاريخ العلوم والفلسفة . ومن هناك عاد إلى بلاده فأصبح أستاذا فى تاريخ العلوم والفلسفة فى جامعة طهران ، ثم أستاذا زائرا فى جامعة هارفارد ، ثم أستاذا لكرسى الدراسات الإسلامية فى الجامعة الأمريكية ببيروت من ١٩٦٤ وحتى ١٩٦٥ . وفى عام ١٩٧٢ عين رئيسا لجامعة أريامهر فى إيران مع احتفاظه بكرسى تاريخ العلوم والفلسفة فى جامعة طهران . وضع المؤلف عدة مؤلفات باللغتين الإنجليزية والفرنسية (المترجم) .

(٢٣٣) داريوش شايگان ، هانرى كُربن ، افاق تفكر معنوى در اسلام ايرانى ، ترجمه باقر پرهام ، ص ١٧ - ٥٦ .

(٢٣٤) هذه المعلومات التالية هى خلاصة محاضرة الدكتور محمد حسن قديرى ابيانه ، المستشار الصحفى السابق لإيران فى إيطاليا ، والذى عرف إدواردو على التشيع والثورة الإسلامية الإيرانية وهى التى استمعت إليها فى مساء ٢٠ رمضان ١٤٢٣ فى مدرسة دار الشفا بقم .

(٢٣٥) أبو الحسن الندوى ، الإسلاميات ، ص ١٣ .

(٢٣٦) الإسلاميات ، ص ٤٠ .

(٢٣٧) المرجع السابق ، ص ٤٢ .

الفصل الخامس

مراكز الاستشراق فى الدول الغربية

لا يوجد الآن فى كل دولة غربية مركز أو عدة مراكز للاستشراق تحت مسمى "كلية الاستشراق" أو "قسم الاستشراق" أو "درس الاستشراق" أو "دراسات الشرق الأوسط" ، أو مراكز علمية بحثية مثل : "المركز البحثى للاستشراق التابع لأكاديمية العلوم" ، أو "مركز" أو "جمعية الدراسات الإيرانية ..." أو "جمعيات الصداقة بين بلد غربى وآخر شرقى" وغير ذلك من المسميات والعناوين والقوالب فحسب ، بل إن كثيرا من دول الشرق تضم كليات أو أقساما أو مراكز بحثية للاستشراق أيضا تقليدا للغرب .

١- فرنسا

ربما من الممكن اعتبار فرنسا المهد الأول للاستشراق ؛ ذلك لأن أوائل المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية كانوا من فرنسا ، وقاموا بدور كبير فى هذا المضمار حتى القرن الأخير . إلا أنه يبدو أن الاستشراق الفرنسى كانت له مرحلتان مهمتان بعد ظهور الإسلام : الأولى بعد الحروب الصليبية ، والثانية بعد عصر النهضة .

أ- مرحلة الاستشراق بعد الحروب الصليبية

يعتبر "جربرت" الراهب الفرنسى فى عهد سلفستر الثانى (١٩٣٨ - ١٠٥٦م) و"بطرس المحترم" أول مترجم لمعانى القرآن للغة اللاتينية ورئيس كنيسة "كلونى" ،

و"جراردى كليمون" مترجم عشرات الكتب العربية والإسلامية فى الأندلس المتوفى عام ١١٨٧م ، و"إدلارد إف باث" الراهب الفرنسى ، وعشرات المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية المسيحيين واليهود الأوروبيين ، من أوائل المستشرقين وعلماء الإسلام الغربيين .

وفى أعقاب هذا التيار الجارف للاستشراق التبشيرى تأسست عشرات المراكز للدراسات الإسلامية والاستشراق على أيدى آباء الكنيسة فى الجامعات الفرنسية وكل أوروبا ، مثل :

١- تأسيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية بأمر من "البابا أنوست الرابع" إلى رئيس جامعة باريس بتاريخ ٢٢ يونيو ١٢٤٨ م .

٢- تأسيس أول مدرسة لتعليم العربية والعبرية لتخريج المبشرين فى طليطلة بقرار من "مجلس المبشرين" عام ١٢٥٠م .

٣- تأسيس المدرسة العربية فى مدينة ريمس الفرنسية بأمر من "سلفستر الثانى" .

٤- تأسيس مركز تعليم اللغات الشرقية فى عام ١٢٥٨م بأمر من "البابا هونريوس الرابع" .

٥- تأسيس خمسة أقسام للغات الشرقية فى خمس جامعات غربية كبيرة بأمر من "البابا كليمانس الخامس" وبتصديق من "المجمع الكنسى الدينى" فى عام ١٣١١م .

٦- مركز التعليم والبحوث الإسلامية والعربية فى جامعة السوربون فى فرنسا فى القرون الأخيرة .

وكان لفرنسا النصيب الأكبر فى الاستشراق التبشيرى فى هذا المشروع التاريخى الكبير .

ب- مرحلة الاستشراق بعد عصر النهضة

بعد موت السلطان العثمانى محمد الفاتح فى عام ١٤٨١م والاستيلاء على جزر البلقان وضعف المؤسسة البابوية فى الغرب وحكومة السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانونى نشأت علاقات جديدة بين المؤسسة البابوية والحكومة الفرنسية من ناحية ، والإمبراطورية الإسلامية العثمانية من ناحية أخرى . وقد اختار "فرانس الأول" ملك فرنسا الإقامة فى تركيا فى عام ١٥٢٤م بموافقة السلطان العثمانى ، وبدأت منذ ذلك الحين الاتفاقيات والعلاقات الحسنة . وكانت أولى خطوات الغرب فى هذه المرحلة الجديدة القيام بمهمة شراء المخطوطات الشرقية والإسلامية والعربية وقد عهد بهذه المهمة إلى وفد فرنسى برئاسة ويليام بوستل . وقد وضع بوستل بجمعه لتلك الكتب المخطوطة الكثيرة ونقلها إلى الغرب أساسا لبحوث المرحلة الجديدة للدراسات الإسلامية والاستشراق فى الغرب ، وخاصة قبل قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م ، ثم نقل قسما من هذه الكتب بعد ذلك إلى ألمانيا ، ولهذا السبب يعتبر يوهان فوك أن الاستشراق خلال القرون الأربعة الأخيرة فى الغرب مدين للمخطوطات التى جاء بها بوستل[١] .

ويتحدث مؤلف كتاب "الاستشراق والدراسات الإسلامية" عن خصائص الاستشراق الفرنسى ، ويذكر مسألتين ؛ فيقول :

أولا : إن "مناهضة الإسلام" موجودة فى معظم أنشطة المستشرقين والعلماء المتخصصين فى الدراسات الإسلامية فى فرنسا ، وقد صار ذلك جزءا لا يتجزأ من صفاتهم .

ثانيا : إن الاستشراق الفرنسى كان معلما ورائدا ونموذجا اقتدى به الاستشراق الروسى ، إذ إن المستشرق الفرنسى الكبير "دو ساسى" استطاع تأسيس "المدرسة التهذيبية العليا" فى جامعة "بطرسبورج" التى تصدت للاستشراق فى روسيا ، وتخرج على يديه تلاميذ عظام من أمثال : جرجيس وديمانج وشارومى[٢] .

وتقوم فرنسا الآن بدور فعال ونشط فى الاستشراق والدراسات الإسلامية : والدليل على ذلك قيام اليونسكو بتأسيس دار الحكمة فى باريس لدعم دوائر المعارف فى العالم الإسلامى[٣] .

٢- هولندا

تعتبر "ليدن" أكثر الأسماء التى طبعت على أغلفة كثير من الكتب الإسلامية والعربية فى أوروبا . وقد ساعد على اشتهارها قدم تأسيس مطبعتها واختراع حروف الطباعة العربية فى مدينة "ليدن" من أجل طبع الكتب الإسلامية والعربية ؛ كما أن هذه الميزة أدت أيضا إلى توجه كثير من المخطوطات الإسلامية والعربية وعلماء الكتب وعلماء الدراسات الإسلامية الغربيين والباحثين والمستشرقين إلى تلك المدينة ، حتى أصبحت هولندا المضيفة الثانية لمهد الاستشراق والدراسات الإسلامية فى الغرب ببركة مدينة ليدن .

وعلى الرغم من أن اختراع حروف الطباعة العربية قد بدأ قبل هولندا بعدة عقود فى المؤسسة الكنسية فى روما ، إلا أنه منذ عام ١٥٩٠ عندما بدأت طباعة الكتب العربية فى ليدن ، فإن هذه المدينة ظلت تحتل المقام الأول فى أوروبا والغرب فى طباعة الكتب الإسلامية والعربية على مدى أربعمائة سنة وحتى الآن[٤] .

وقد مهد وجود هذه المطبعة وجمع المخطوطات ووجود الباحثين هناك فى حد ذاته ، الطريق أمام تحقيق كثير من أكبر المشروعات البحثية العلمية فى نطاق الدراسات الإسلامية والقرآنية فى ليدن ، على الرغم من أن الباحثين والمؤلفين القائمين على هذا الأمر كانوا من دول متعددة ومن الغرب .

وبعد الجهود التى بذلها "دى جويه" و"إسنوك هورجرونيه" شهدت هولندا وليدن شخصيات بارزة فى حقل الاستشراق والدراسات الإسلامية من أمثال :

أ- مارتين تيودور هوتسما (١٨٥١ - ١٩٤٣م)

وهو الذى لعب دورا مهما فى طباعة "تاريخ الطبرى" فى ليدن ، وحقق ونشر كتبا عديدة مثل "الأضداد" لابن الأنبارى ، و"تاريخ اليعقوبى" و "زبدة الفترة" لعماد الدين الأصفهانى ، ومعجم تركى - عربى ، و"العقيدة فى الإسلام" للأشعرى .

وكان مارتين يدرِّس اللغات الشرقية فى مدينة أوترخت من عام ١٨٩٠ وحتى عام ١٩١٧م .

ب- تيودور فيللّم جيونبول (١٨٦٦ - ١٩٤٨م)

خلف جيونبول هوتسما ، وكان يعمل فى مجال "الحديث" و"الفقه" و "الشريعة الإسلامية" . وقد حقق وطبع كتاب "الخراج" ليحيى بن آدم ، والمجلد الرابع من "صحيح البخارى" . ويعتبر أهم عمل علمى له هو كتابه "مصدر التشريع الإسلامى" الذى ترجمه "آرثر شادى" إلى اللغة الألمانية[٥] .

جـ - أرنت جان ڤنسنك (١٨٨٢ - ١٩٣٩ م)

يعتبر أبرز علماء الدراسات الإسلامية فى هولندا فى القرن العشرين . وكان تلميذا للمستشرقين الهولنديين الكبار من أمثال : هوتسما ، ودى جويه ، وسنوك هورجرونيه . وقد خلف "سنوك" فى عام ١٩٢٧م .

كان ڤنسنك رئيسا لهيئة تحرير "دائرة المعارف الإسلامية" ، وقد أسهم بنصيب كبير فى إعداد هذا العمل .

كما خطط كذلك لإعداد "معجم الأحاديث النبوية"[٦] وبدأ فيه ، وهو الذى نشر باسم "مفتاح كنوز السنة" .

ولڤنسنك انتقادات فى المباحث القرآنية جاءت فى كتبه مثل كتاب "محمد ويهود المدينة" وكذلك فى مقالاته[٧] .

ويعتبر وضع "فهرست الكتب الإسلامية والعربية المطبوعة فى ليدن على مدى أربعمائة سنة "أحد الأعمال القيمة التى تلفت نظر المهتمين إلى طريقة تحقيقه وإعداده وتشكل دروسا مليئة بالعبر ، إلا أن هناك عملين بحثيين كبيرين فى ليدن فى مجال الدراسات الإسلامية والقرآنية جديران بالاهتمام كنموذج على ذلك ، وهما :

دائرة المعارف الإسلامية ENCYCLOPEDIA OF ISLAM

يعتبر هذا الكتاب أعظم عمل بحثى فى الدراسات الإسلامية قدمه العالم الغربى والاستشراق حتى الآن ، وقد ترجم قسم منه إلى العربية ، ونشر فى ستة عشر مجلدا كبيرا ؛ فمنذ ما يقرب من تسعين عاما قرر الغرب والقائمون على أمر الاستشراق كتابة دائرة المعارف هذه لتقديم معارف الدين الإسلامى المبين من وجهة نظر الكتّاب المسيحيين واليهود الغربيين وأحيانا المسلمين لكافة أهل الأرض بل حتى للمسلمين أنفسهم !!

ولما عقدوا العزم على ذلك ، حققوا هدفهم ، فألفوه فى العقود الأولى من القرن العشرين ونشروه على مستوى العالم بثلاث لغات غربية حية (الإنجليزية والفرنسية والألمانية) حتى يفيد منه الجامعيون فى العالم والباحثون المهتمون بالدراسات الإسلامية . وقد نشر المجلد الأول منه عام ١٩١٣م بمشاركة ما يقرب من مائة كاتب أوروبى من دول بلجيكا وهولندا وإيطاليا والنمسا والمجر والسويد وسويسرا وروسيا[٨] .

وسوف نورد توضيحا أكثر تفصيلا حول دائرة المعارف هذه فى الفصل الخاص بـ "أساليب الاستشراق ، أسلوب كتابة دوائر المعارف" .

دائرة معارف القرآن ENCYCLOPEDIA OF QURAN

قامت ليدن فى عام ٢٠٠٠م ببحث علمى حول المعارف القرآنية وتأليف دائرة معارف القرآن فى الوقت الذى لم تقدم فيه حتى الآن الدول الإسلامية والجامعات

والمراكز العلمية دائرة معارف جامعة حول علوم القرآن . وسوف نورد توضيحا أكثر تفصيلا فى الفصل الخاص بـ (أساليب الاستشراق - تأليف دوائر المعارف) .

٣- ألمانيا

للتعرف على تاريخ الاستشراق فى ألمانيا وعلماء الاستشراق الألمان البارزين ، يكون من الأفضل الاعتماد على كلام اثنين من المستشرقين الألمان العظام وهما يوهان فوك ، وورودى بارت .

تاريخ الاستشراق الألماني من وجهة نظر يوهان فوك الألماني

مع وصول مخطوطات "ويليام بوستل" إلى مكتبة أمير منطقة (فالز) فى القرن السادس عشر الميلادى اشتعلت أول شرارة للاستشراق والدراسات الإسلامية ومعرفة وبحث الكتب العامة بشكل هادئ من قبل هؤلاء الأشخاص فى ألمانيا ، وهم :

١- مانويل تريميليوس (١٥١٠ - ١٥٨٠م) .

٢- فاى بونيوس (١٥٤٥ - ١٦٠٢م) .

٣- ياكوب كريستمان (١٥٥٤ - ١٦١٣م) .

وبالإضافة إلى ما قام به تلميذ بونيوس من عمل جاد انصب على الكتب المخطوطة فى مكتبة "هايدلبرج" التى كان قد أحضرها بوستل ، فقد نشر كتابا فى موضوع "فن الخط العربى والحروف العربية" ونظّم حروف الطباعة العربية فى قوالب خشبية ، رغم أنه لم يكن يجيد العربية بشكل تام .

٤- يوحنا كازمير أمير منطقة المقاطعة

اقترح "كريستمان" على يوحنا تأسيس قسم للغة العربية فى جامعة "هايدلبرج" وإنشاء مطبعة لطبع الكتب العربية ، حتى تتم الاستفادة من علم الطب وعلوم الفلك عند العرب ، وتمهيد الطريق أمام التبشير والدعوة للمسيحية .

٥- الراهب روثر سباى فى هايدلبرج .

٦- يوهان باتيست بودستا .

٧- إبراهام هنكلمان ، راهب هامبورج الكبير .

إن القرآن الذى كان قد تم حظر نشره وترجمته فيما بين عامى ٦٧ - ١٦٥٥م بأمر من "البابا ألكساندر" ، طُبع ونشر لأول مرة فى عام ١٦٩٤ بأمر من الراهب الألمانى إبراهام هنكلمان فى هامبورج ؛ كما طبع للمرة الثانية فى عام ١٦٩٨م أيضا بناء على أمر لورفيجو ماراتشى . وبطبيعة الحال فقد أضاف ماراتشى إلى النص العربى للقرآن ترجمة لاتينية وكذلك اعتراضات على القرآن ودفاع عن المسيحية . وربما كان هذا هو السبب وراء رغبة الهولنديين فى طباعة القرآن حتى يضم الإشكاليات والملاحظات عليه ودفاع الكنيسة فى هذا الصدد[٩] .

٨- سالونيجرى وكارلوس ديديشى .

٩- أوجوست شمولدر (١٨٠٩ - ١٨٨٠م) ، وهو الذى بدأ أول بحوث القرون الأخيرة حول تاريخ الفلسفة الإسلامية .

١٠- ماكس هورتن (١٨٧٤ - ١٩٤٥م)

١١- يوليوس روسكا (١٨٦٧ - ١٩٤٩م)

وقد أضاف الدكتور عبد الرحمن بدوى مستشرقا ألمانيا آخر لهذه المجموعة هو :

١٢- البروفيسور فيشر ، العالم الألمانى فى علوم القرآن[١٠] (١٨٦٥ - ١٩٤٩م) .

بعد أن درس فيشر صرف اللغة العربية ونحوها وثقافتها ، حصل على درجة الدكتوراه من جامعة "هلّه" الألمانية بكتابة رسالة بعنوان "سيرة الرواة الذين اعتمد عليهم ابن اسحق" ، وقد استفاد فى هذا البحث من المصادر الأصلية مثل مخطوطة "ميزان الاعتدال" للذهبى ، وهى التى لم تطبع حتى الآن وكانت موجودة فى برلين .

وقد قضى فيشر معظم حياته فى البحث حول الأدب العربى والقرآن والمعارف القرآنية وألف كتبا عديدة[11] .

تاريخ الاستشراق الألماني من وجهة نظر رودي بارت

مراكز الاستشراق الألمانية

جمعية الاستشراق الألمانية

تأسس هذا الاتحاد فى عام ١٨٤٥م بجهد المستشرق المعروف "هاينريش ليبرشت فلايشر" فى "ليبزيج" . وأعيد تعميره بعد الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٤٨ بجهود المستشرق الألمانى "هلموت شيل" (١٨٩٥) .

وقد قامت هذه الجمعية منذ ذلك الوقت وحتى الآن (١٩٦٥ وقت تأليف كتاب رودى پارت) فى كل عامين أو ثلاثة أعوام بعقد مؤتمرات عامة للمستشرقين الألمان لتبادل الآراء . وأقدمت الجمعية المذكورة فى عام ١٩٦١م على تأسيس معهد تعليمى للاستشراق فى "بيروت" ، حتى يتمكن المستشرقون الألمان من الشباب عن طريق الإقامة لمدة عامين أو ثلاثة أعوام فى بلد إسلامى القيام بأبحاثهم بواقعية أكثر . وقد تولى إدارة المعهد فى بداية الأمر "روبرت رويمر" ثم تلاه "فريتس شتيبات" . وتضم هذه الجمعية أقساما وتخصصات مثل : علم المصريات ، والدراسات الهندية ، والدراسات الصينية ، والدراسات اليابانيــة ... وغير ذلك .

ونشرت "مجلة جمعية الاستشراق الألمانية" حتى التاريخ المذكور أعلاه مائة وخمسة عشر عددا . وفى عام ١٩٥٥ أعد "إيفالد فاجنر" فهرسا لموضوعات أعداد المائة سنة الأولى لهذه المجلة ، ونشره .

وعنوان سلسلة مطبوعات كتب الدراسات الإسلامية الصادرة عن هذه الجمعية هو "المكتبة الإسلامية" .

أنشطة أخرى لهذه الجمعية

- "مجلة الإسلام" التى تصدر منذ عام ١٩١٠ وحتى الآن .

- "مجلة عالم الإسلام" التى تصدر منذ عام ١٩١٤ وحتى الآن .

- مجلة "إسلاميكا" التى طبعها "أوجوست فيشر" فيما بين سنتى ١٩٢٤ وحتى ١٩٣٨م فى سبعة مجلدات .

- نشرة "المؤلفات الاستشراقية" وهى عبارة عن صفحة نقد الكتب المؤلفة حول الاستشراق ، وقد نشرت منذ عام ١٨٩٨ وحتى عام ١٩٤٤م أى حوالى سبعة وأربعين عاما . وبعد توقف دام فترة بدأ إصدارها من جديد "هرتمن" منذ عام ١٩٥٢ .

- مجلة "أورنيس = الشرق" وهى خاصة بالجمعية الحكومية للاستشراق وتصدر منذ عام ١٩٤٨م .

تأسست سلسلة مطبوعات الدراسات الإسلامية الألمانية على يد "فون جرونباوم" وكانت تنشر بعنوان "مكتبة الشرق" وتعرف بذلك .

- مجلة "الشرق" التى كانت تعرض دائما معلومات اقتصادية واجتماعية عن دول الشرق .

- مجلة "موندوس" التى بدأت منذ عام ١٩٦٥ باللغة الإنجليزية على يد "هـ . ف . بير" وهى تقوم بنقد مطبوعات الاستشراق والدراسات الإسلامية الألمانية .

وفى جامعات فرايبورج وجيل وجيسن ، تقوم كراسى الاستشراق بأنشطة وفعاليات .

وتقوم مكتبات الاستشراق والدراسات الإسلامية المهمة فى ألمانيا بتقديم خدمات لكل الباحثين فى موضوع الاستشراق ومنها ١- مكتبة بافاريا فى ميونيخ ٢- مكتبة غرب ألمانيا فى هامبورج ٣- مكتبة جامعة توينجن[١٢] .

المستشرقون الألمان الكبار(١٣)

يعرفهم "رودى بارت" المستشرق الألمانى المعاصر على النحو التالى :

١- جوستاف فايل اليهودى (١٨٠٨ - ١٨٨٩م) .

٢- ألوييس شبرنجر (١٨١٣ - ١٨٩٣م) .

٣- ألفريد فون كريمر (١٨٢٨ - ١٨٨٩م) .

٤- تيودور نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠م) .

٥- يوليوس ڤيلهاوزن (١٨٨٤ - ١٩١٨م) .

٦- جولد زيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١م) .

٧- كريستيان سنوك هورجرونيه الهولندى (١٨٥٧ - ١٩٣٦م) .

٨- إدوارد زاخاو (١٨٤٥ - ١٩٣٠م) .

٩- مارتن هارتمان (١٨٥١ - ١٩١٨م) .

١٠- كارل هاينريش بيكر (١٨٧٦ - ١٩٣٣م) .

١١- كارل بروكلمان (١٨٦٨ - ١٩٥٦م) .

ويعتبر كتاب "تاريخ الأدب العربى" لكارل بروكلمان أهم عمل له ، ويقع فى خمسة أجزاء ، ولا يقتصر بطبيعة الحال على البحوث الأدبية فحسب ، بل يتناول الثقافة والكتب الإسلامية وتاريخ الإسلام فى خمسة عصور تاريخية بالتفصيل ، وما زال هذا الكتاب يعد أحد المصادر الأصلية للاستشراق والدراسات الإسلامية إلى الآن، وقد أخرجه فى البداية فى مجلدين ، ثم استكمله بعد أربعين سنة بزيادة ثلاثة مجلدات أخرى .

١٢- هوبرت جريمه (١٨٦٤ - ١٩٤٢م)

١٣- جوزف هوروفيتس (١٨٧٤ - ١٩٣١م)

١٤- جوزف - س - ريفلين .

١٥- هانس هاينريش شيدر .

١٦- جوتهلف برجشتريسر (٨٨٦ - ١٩٣٣م) .

تأثير الحرب العالمية الأولى على توجهات الاستشراق الألمانى

إن الحرب العالمية الأولى التى ساعدت على تحرر عدد من الدول الإسلامية فى شرق أفريقيا من براثن الاستعمار الألمانى ، على الرغم من أنها قيدت يد المستشرقين الألمان إلى حد ما من القيام بأبحاث مباشرة بين المسلمين ، فقد قضت على الدوافع والتوجهات الاستعمارية أيضا ، وأتاحت المجال للاستشراق العلمى بدون دافع أو هدف استعمارى .

وقد استمر الاستشراق العلمى الألمانى بشكل طيب إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، ولكنه تباطأ فى حركته فترة من الزمن منذ عام ١٩٣٣م مع بدء الحرب العالمية الثانية واستيلاء النازيين على السلطة وقتل كثير من المستشرقين الألمان أو هجرتهم ، وانعدام الإمكانيات المادية[١٤] .

٤- إيطاليـا

فى عام ١٤٨٩م أرسل أخو الإمبراطور العثمانى بايزيد الثانى ممثلين له إلى قداسة البابا فى إيطاليا بسبب تنافسه مع الإمبراطور ، ومهد الطريق أمامه لأول مرة للتعرف على "المجتمع الإسلامى" . وبعد عشرين سنة تم أسر "ليون الأفريقى" الذى كان من أبناء المغرب فى أحد حروب القراصنة وأُرسل إلى إيطاليا . وقد ساعدت الإقامة الجبرية لهذا العربى وقبوله المسيحية أيضا على إرساء الأسس الأولى

للدراسات الإسلامية فى إيطاليا ، حيث قام بتأليف عدة كتب حول التعريف بالإسلام وأفريقيا .

كما طُبع القرآن الكريم كذلك فى فيينا عام ١٥٣٠ ، وكانت تحت سيطرة إيطاليا، مما أدى إلى تعرف معظم أهل إيطاليا على الإسلام[١٥] .

ويعتبر اعتناق الشهيد "إدوارد إنّيللى" الحاصل على الدكتوراه فى فلسفة الشرق للإسلام فى العقدين الأخيرين من ثمار الاستشراق الإيطالى اليانعة .

وتعد أنشطة الفاتيكان فى روما المستمرة لعدة قرون – كما أوضحنا فى فصل الاستشراق التبشيرى – جزءا من فعاليات الاستشراق فى إيطاليا ، ولا داعى لتكرارها .

٥- إنجلترا

نهجت إنجلترا منذ البداية نهج خطة العمل التبشيرية الفرنسية :

كان "بادويل" أول أستاذ للغة العربية فى جامعة أكسفورد ومؤسس الاستشراق والدراسات الإسلامية فى إنجلترا ، وادوارد بوكوك (١٦٠٤ – ١٦٩١م) ، وسيمون أوكلى (١٦٧٨ – ١٧٢٠م) ، وجورج سيل (١٦٩٧ – ١٧٣٦م) ، وبوركهارت وليام لين (١٨٠١ – ١٨٧٦م) ، من القساوسة وعلماء الدين الرواد الأصليين الذين رفعوا راية الدراسات الإسلامية والاستشراق فى إنجلترا ، مع أنهم اهتموا تدريجيا بالأهداف السياسية والاقتصادية أيضا بجانب الأهداف التبشيرية .

ولكن مع الأخذ فى الاعتبار بأن الصفة الغالبة على الجهود العلمية[١٦] فى بريطانيا كانت إذلال العالم وإخضاعه واستعمار الدول الشرقية الأخرى ، إلا أنه سرعان ما اندمج الاستشراق التبشيرى مع الاستعمارى ، إلى الدرجة التى أصبح فيها التبشير والدعوة للدين المسيحى يعمل فى خدمة الاستعمار السياسى للإنجليز[١٧] .

ومنذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين حيث أعلنت الحكومة البريطانية عن نواياها فى إذلال العالم وإخضاعه ، وأصبحت رائدة فى الغزو والنهب والسلب واستغلال الدول الأخرى فى القرون الأخيرة ، حل "الاستشراق الاستعمارى" محل "الاستشراق التبشيرى المسيحى" ، وأخذ سيل الجواسيس الإنجليز يغمر كل بلد ومدينة إسلامية وغير إسلامية فى الشرق ، مثل :

١- "مستر همفر" الجاسوس الإنجليزى فى المملكة العربية السعودية (رغم أن الحكم النهائى عليه يحتاج إلى بحث أوسع) .

٢- البرنس كينياز دالجوركى ، الجاسوس الإنجليزى فى العراق والمخطط لمذهب البابية والبهائية .

٣- لورانس العرب ، مخطط تقسيم الإمبراطورية العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى .

٤- ڤامبرى الجاسوس الإنجليزى الموفد فى زى سائح ودرويش مسلم .

وعشرات ومئات الجواسيس الآخرين الذين سوف يرد تعريف وسيرة حياة بعضهم فى القسم الخاص بالشخصيات الاستشراقية الاستعمارية .

أنشطة وضع الفهارس عند الاستشراق الإنجليزى

فى أواخر الستينيات تأسست لجنة مكتبات الاستشراق الإنجليزية (ملكام) . وقد أنشئت هذه اللجنة للارتقاء بمستوى التعاون بين المكتبات الإنجليزية التى تقوم بجمع مصادر الشرق الأوسط باللغات المحلية . وطبقا لتعريف (ملكام) فإن الشرق الأوسط يضم كل الدول العربية ، وتركيا ، وقبرص ، وإسرائيل ، وإيران ، وأفغانستان ، والشعوب المسلمة التى تتحدث باللغة التركية التى كانت تابعة للاتحاد السوفييتى السابق . ويتولى رئاسة (ملكام) فى الوقت الحاضر "بول أشترلونى" .

ومن أنشطة هذه اللجنة القيام بتقديم المشروعات والرقابة على المجموعات التخصصية للاطمئنان على أن أيا من مطبوعات ومنشورات أى دولة من دول الشرق الأوسط لم يتم تسجيله ، وأنه لم يتم شراء أشياء مكررة وغير ضرورية فى المقابل كذلك . وقد بُنى هذا المشروع على أساس الاستفادة من طريقة الجمع التعاونى ، وعلى هذا الأساس تم إيداع مصادر كل دولة من دول الشرق الأوسط فى عدد من مكتبات إنجلترا على النحو التالى :

١- شبه الجزيرة العربية : جامعة إكستر والمكتبة الوطنية بإنجلترا .

٢- إيران : كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن ، ومركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة أكسفورد .

٣- العراق : جامعة إكستر (النسخ الوحيدة فقط) .

٤- إسرائيل : كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن ، ومركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة أكسفورد .

٥- الأردن ولبنان : المكتبة الوطنية بإنجلترا ، ومركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة أكسفورد .

٦- ليبيا : كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن .

٧- دول شمال أفريقيا : كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن .

٨- السودان : جامعة دورهام .

٩- سوريا : المكتبة الوطنية بإنجلترا .

١٠- تركيا : كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن .

٦- الاستشراق الروسي

تأخر الاستشراق فى روسيا

بدأ الاستشراق فى روسيا عام ١٨٠٤م وذلك بالتصديق على لائحة تدريس اللغات الشرقية فى الجامعات الروسية والقرار الذى اتخذته فى هذا الصدد ، ولم تكن روسيا قبل هذا التاريخ قد قامت بعمل يسترعى الانتباه سواء فى مجال الاستشراق أو فى مجال الدراسات الإسلامية . وطبقا لهذا القرار دُعى عدد من الأساتذة لتدريس اللغات العربية والفارسية والتركية ، ليكونوا نواة للاستشراق فى روسيا ، من أمثال : "بولديروف" فى موسكو ، و"سنوفسكى" فى بطرسبورج ، وكاظم بيك فى قازان وبطرسبورج . أما بقية المستشرقين الروس الكبار فى القرن التاسع عشر فهم تلاميذ بشكل مباشر أو غير مباشر لهؤلاء[١٨] .

وفى عام ١٨٥٥م بدأت الحركة الجدية للاستشراق فى روسيا بشكل أكبر ؛ إذ تأسست فى تلك السنة "كلية اللغات الشرقية" فى جامعة بطرسبورج ، وتصدت للبحوث العربية .

وقد لعب "دانيال - ديفيد شنولسون" (١٨١٩ - ١٩١١) دورا رئيسيا فى هذه الكلية . وأصبح ميرزا إسكندر كاظم بيك (١٨٠٣ - ١٨٧٠م) أستاذا للغة الفارسية[١٩].

ولا يجب أن ننسى بطبيعة الحال أن المصدر الأصلى للاستشراق والدراسات الإسلامية فى روسيا هو مكتبة الشاه عباس الكبير فى أردبيل التى نقلت كل كتبها المخطوطة إلى "بطرسبورج" بعد الغزو الروسى[٢٠].

الدراسات الإيرانية

يدين الاستشراق وتوجهه إلى الدراسات الإيرانية فى روسيا فى القرن التاسع عشر إلى سكرتير السفارة الروسية فى إيران فى عام ١٨٤٠م ، ويدعى "بارون بلا رامبرج" الذى كتب كتابا باللغة الإنجليزية فى مجلدين بعد أن سافر إلى ولايات إيران

ولورستان وبلاد العرب ، وشارك فى حرب هرات .

وقد سافر "خانيكوف" عضو اللجنة الدولية إلى كردستان أيضا بعد "بارون" للمشاركة فى رسم الحدود بين إيران وتركيا ، وأعد خريطة لآذربايجان وكان منحازا إلى روسيا فى حرب "كريمه" . ثم تولى بعد ذلك منصب مدير شعبة اللغات الشرقية فى وزارة الخارجية الروسية .

تم إيفاد "خانيكوف" فى عام ١٨٥٨م إلى خراسان والولايات المجاورة لها على رأس وفد علمى استشراقى !! وألف كتبا منها كتاب "بخارى" .

الدافع وراء الاستشراق والدراسات الإيرانية عند الروس

لقد تمت بعض الأسفار إلى إيران بأمر من وزارة المالية الروسية ... وبعد ذلك بأمر الإدارة العسكرية ... والجمعية الجغرافية . وقد تم تشكيل وفد فى عام ١٩٠٠ سافر عن طريق إيران إلى الخليج الفارسى والمحيط الهندى . وتتصل كل هذه الأسفار والرحلات بالفترة التى كانت تنوى فيها الحكومة الروسية فتح طريق من إيران إلى المحيط الهندى لتجارة الروس . ويجب أن تكون "چابهار" آخر نقطة للخطوط الحديدية الروسية . وقد أنهت الاتفاقية التى عقدت بين الإنجليز والروس فى عام ١٩٠٧م كل هذه المساعى[٢١] .

والجمل السابقة هى نفسها بتعبير أحد المستشرقين الروس ويدعى "بارتولد" ، وهى توضح بجلاء الهدف الأصلى من الاستشراق والدراسات الإيرانية عند المستشرقين الروس . ومع هذا فمن المستبعد أن ينظر أحد الكتّاب أو المفكرين المسلمين الإيرانيين نظرة تفاؤل وحسن ظن لفعاليات وأنشطة هؤلاء المستشرقين ويعتبرها من باب التعاطف مع الشعب الإيرانى وفى سبيل خدمته ومصلحته .

الاعتراف بإساءة الفهم

انتقد "بارتولد" وهو نفسه أحد المستشرقين الروس الكبار فى آخر صفحة من كتابه "الاستشراق فى روسيا وأوروبا" منهج الاستشراق عند المستشرقين الروس ، واعترف بإساءة فهمهم وخاصة بالنسبة للمشرق الإسلامى ، يقول :

ويمكن القول بحقيقة أكبر إن روسيا جارة البلدان الشرقية ، ومع وجود هذه الجيرة غالبا ما كانت تفضل "الكتب السيئة" المؤلفة حول الشرق على البحوث المباشرة التى تتناول الشرق . وتنطبق هذه المسألة على "الشرق الإسلامى" بصفة خاصة(٢٢) .

بضعة مستشرقين معروفين في روسيا

١- جرجيس (١٨٣٥ - ١٨٨٧م)

هو مؤسس بحوث الاستشراق فى الدول العربية . تعلم اللغات الشرقية أولا فى جامعة بطرسبرج ، ثم سافر إلى باريس ، وتعلم اللغة العربية هناك ، ثم سافر بعد ذلك إلى مصر وسوريا ولبنان ، وعاد فى النهاية إلى بطرسبرج ، وبدأ هناك تدريس الاستشراق .

٢- ديمانج .

٣- شارومى (١٧٩٣ - ١٨٥٥م) .

٧- أمريكا

على الرغم من أن أمريكا قد دخلت إلى ساحة الحضارة الإنسانية متأخرة جدا ، ولم يكن لديها معرفة عن الآخرين أو عن نفسها ، فإن الحربين العالميتين قد أضعفت إلى حد كبير الدول الأوروبية وفتحت ميدان المنافسة أمام أمريكا ، واستطاعت

الحكومة الأمريكية بدخولها هذا الفراغ العالمى العثور على وجود دولى قوى . وقد أوجد بدء الاتصال بالدول الشرقية والأمة الإسلامية والطمع فى استغلال هذه البلدان عندهم دافعا للاستشراق والدراسات الإسلامية .

وقد أدى إيفاد الباحثين تحت ستار السياحة ، والموظفين الإداريين فى السفارات الأمريكية فى الدول الشرقية ، والأساتذة الزائرين إلى جامعات البلدان الشرقية وأمثال ذلك ، وخاصة فى القرن الأخير (القرن العشرون) ، إلى دخول أمريكا إلى ساحة الاستشراق والدراسات الإسلامية بشكل جدى . وأدى تأسيس أقسام للاستشراق والدراسات الإسلامية والدراسات الشيعية فى الولايات الأمريكية اليوم إلى أن تصبح أمريكا واحدة من مراكز الاستشراق والدراسات الإسلامية المهمة .

وقد نشر الخبير والملحق الثقافى فى سفارة المملكة العربية السعودية فى أمريكا بحوثه حول أنشطة المستشرقين الأمريكيين عام ١٤١١ هـ تحت عنوان "دليل برامج الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية" فى واشنطون ، وصرح فى تلك المجموعة البحثية بقوله : إن عدد المراكز العلمية والبحثية الاستشراقية التى تقوم بفعاليات وأنشطة فى مجال الدراسات الإسلامية والعربية فى كندا وأمريكا يصل إلى حوالى مائة وثلاثين مركزا علميا كبيرا[٢٣] .

حواشى الفصل الخامس

(١) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٤٦ .

(٢) الاستشـــراق والدراسات الإسلامية ، ص ٢٨ ، نقلا عن محمد البهى ، الفكرالإسلامى الحديث ، ص ٤١٥ .

(٣) سوف يأتى تفصيل أكثر فى الفصل التالى .

(٤) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٦٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٦١ .

(٦) من الجدير بالذكر أننا قد أضفنا عبارة (ﷺ) فى كل المواضع التى ورد فيها اسم سيدنا محمد (ﷺ) فى عبارات المستشرقين التى نقلناها فى هذا الكتاب .

(٧) المرجع السابق .

(٨) المرجع نفسه ، ص ٣٦٢ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(١٠) AUGUST FISHER .

(١١) فرهنگ كامل خاورشناسان ، ص ٢٣٦ .

(١٢) رودى بارت ، الدراسات العربية والإسلامية بالجامعات الألمانية ، ص ١٠٢ - ١٠٦ .

(١٣) المرجع السابق ص ٢٠ - ٤٠ .

(١٤) المرجع السابق ، ص ٧١ .

(١٥) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٤٦ .

(١٦) نقد الخطاب الاستشراقى ، ص ٤٦ .

(١٧) الدكتور ميشا جحا ، نقلا عن الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، ص ٣٠ .

(١٨) بارتولد ، خاورشناسى در روسيه واروپا ، ص ٣٨٣ .

(١٩) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٢٠٦ .

(٢٠) سوف يأتي شرح هذا في القسم الخاص بـ "خدع الاستشراق - سرقة المخطوطات"

(٢١) واسيلي ولاديمير بارتولد ، خاورشناسى در روسيه واروپا ، ترجمة حمزة سردادور ، ص ٢٤٥ .

(٢٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

(٢٣) الاستشراق والدراسات الإسلامية ، ص ٧٥ نقلا عن : "دليل برامج الدراسات ..." ، ص ٢٦٨ .

الفصل السادس

ميادين نشاط المستشرقين وأساليب عملهم وحيلهم

ميادين الاستشراق

قلنا فى مطلع هذا الكتاب إن الاستشراق مفهوم عام يشتمل على دراسة كل خصائص البلدان الشرقية وسمات الدول والأقوام والأديان والثقافات واللغات والعادات والتقاليد والمعادن والثروات فى الدول الشرقية .

وقد اضطر المستشرقون أيضا "لمعرفة هذا الكم المتنوع من المعلومات" و"للتلقين" و"عرض إنجازاتهم البحثية" و"تنفيذ وتحقيق أهداف الحكومات التابعين لها وأوامرهم الاستعمارية والتبشيرية" إلى الاستعانة بطرق مختلفة وأشكال ووسائل تستر حتى ينجحوا فى تنفيذ برامجهم .

واستوجب نشر أهداف مخططى الاستشراق والموفدين من المستشرقين إلى أن يكون لعمليات الاستشراق وجود واسع النطاق على كافة الساحات والميادين الثقافية والاقتصادية والسياسية فى بلدان المشرق ، ولا شك أنه يجب الإذعان إلى أن المستشرقين أيضا قد تحملوا هذه الرسالة الغربية وحققوا وجودا شاملا فى دول المشرق .

إحصاء للكتب ومراكز الاستشراق فى الغرب

يمكن تقدير عدد الكتب التى ألفت حول الشـرق الأوسـط فيما بـين عامى ١٨٠٠ و ١٩٥٠م فى الغرب بحوالى ستين ألف كتاب ...

إن وجود تخصص باسم "الاستشراق" فى الغرب لا نظير له فى الشرق ، يدل فى حد ذاته على مدى القوة والضعف عند الغرب والشرق[١] .

إنشاء جمعيات ومراكز الاستشراق

تقدم الاستشراق فى القرن التاسع عشر تقدما كبيرا ، ولهذا تأسست مراكز له فى الدول الغربية فى هذا القرن ، مثل :

١- "جمعية الدراسات الآسيوية"[٢] فى فرنسا .

٢- "الجمعية الملكية للدراسات الآسيوية" فى إنجلترا .

٣- "جمعية الدراسات الشرقية" فى ألمانيا .

٤- وأخيرا "جمعية الدراسات الآسيوية الأمريكية" .

وبجانب تطور ونمو مثل هذه المؤسسات ؛ فقد كانت هناك زيادة ملحوظة فى عدد الأساتذة الذين يعملون فى حقل "الدراسات الاستشراقية" كذلك ؛ ونتيجة لذلك فقد تزايدت أيضا الآليات الموجودة لنشر الاستشراق .

أما "المجلات" و"دوريات الاستشراق الشهرية" أيضا والتى بدأت بـ "كنوز الشرق القديمة" عام ١٨٠٩م فقد تضاعف حجم مادتها العلمية وفروعها التخصصية أضعافا مضاعفة[٣] .

ويعدد الدكتور محمود حمدى زقزوق الأماكن الخاصة بتأسيس جمعيات ومراكز الاستشراق على النحو التالى :

١- أنشئت فى باريس عام ١٨٢٢م "جمعية الدراسات الآسيوية" .

٢- أنشئت فى إنجلترا عام ١٨٢٣م "جمعية الدراسات الآسيوية" التابعة للمملكة البريطانية .

٣- تأسست نفس هذه الجمعية فى نفس السنة المذكورة فى أيرلندا .

٤- تأسست "جمعية الاستشراق" فى أمريكا عام ١٨٤٢م .

٥- تأسست "جمعية الاستشراق" فى ألمانيا عام ١٨٤٥م[٤] .

ويقول الدكتور زقزوق : يوجد الآن فى أمريكا خمسون مركزا بحثيا للدراسات الإسلامية[٥] .

تنوع المحتوى العلمى للاستشراق

لمعرفة مدى التوسع فى أنشطة مركز من مراكز الاستشراق أو مستشرق من المستشرقين فى بيئة إسلامية أو شرقية ، ينبغى التأمل فى عبارات واعترافات أحد المستشرقين :

تولى ويليام جونز أحد المستشرقين الإنجليز الكبار (عام ١٧٨٧م) منصبا مهما فى شركة الهند الشرقية ، وقام بجمع المعلومات فى عدة فروع ، وذكر هو نفسه هذه المجالات على النحو التالى :

شرائع الهنود والمسلمين - السياسات والجغرافيا الجديدة للهند - أفضل طريقة لحكم البنغال - الرياضيات والهندسة - العلوم الآسيوية المختلطة - الطب - الكيمياء - الجراحة - علم التشريح عند الهنود - المحاصيل الطبية فى الهند - الشعر - علم المعانى - أخلاقيات آسيا - موسيقى الشعوب الشرقية - التجارة - الصناعة - الزراعة .

وأسس جونز فى عام ١٧٨٤م "الجمعية الآسيوية البنغالية" وأصبح أول رئيس لها(٦) .

وقد ادعى بلفور رئيس وزراء إنجلترا فى عام ١٩١٠م أنه الشخص الإنجليزى الوحيد الذى يعرف الشرق أفضل من أى شخص آخر(٧) .

واليوم يقوم المستشرقون الغربيون فى كل دول العالم الإسلامى بأداء مهامهم وتحقيق أهداف حكوماتهم الغربية التابعين لها تحت ستار أشكال مختلفة مثل : السفير ، والقائم بالأعمال ، وموظفى السفارات ، والملحقين الثقافيين والصحفيين ، والسائحين ، والمهندسين ، والمتخصصين الموفدين من قبل الشركات الصناعية والتجارية ، وأساتذة الجامعات المبعوثين ، والطلاب المبعوثين لإعداد رسائل الدكتوراه ، والطلاب المبعوثين للدراسة الجامعية والحوزات الدينية فى البلدان الإسلامية ، وجمعيات الصداقة بين دولة غربية وأخرى شرقية ، وعشرات الألقاب الخادعة الأخرى .

وعلى الرغم من أنه لا يمكن وضع أنشطة المسيحيين واليهود الإيرانيين ضمن فعاليات الاستشراق الرسمية ، لأنهم شرقيون ومن سكان إيران ، إلا أنه لما كان معيار الاستشراق فى المباحث الدينية والإسلامية لهذا الكتاب هو تعامل المسيحيين واليهود مع الإسلام والمسلمين ، فربما يمكن أن تشكل بعض معاملاتهم مع الشئون الدينية للمسلمين جزءا من امتداد الاستشراق إلى حد ما ، ذلك لأنهم كانوا أحيانا نشطين فى هذه الأمور إلى درجة أن أحد المعماريين المسيحيين من الأرمن ويدعى "المهندس جورجين – جورجن بيتشيكيان" قام بتخطيط وبناء "مصلى صلاة الجمعة المقدس فى مدينة قم" ، تلك المدينة التى تعد مركزا للتشيع ومظهرا من مظاهر الإسلام فى إيران والعالم(٨) .

الجمعيات الاستشراقية الأخرى

١- قامت فرنسا فى عام ١٧٨٧م بتأسيس "جمعية المستشرقين" . وقد تم تجديد هذه الجمعية فى عام ١٨٢٠م وكانت تصدر "مجلة آسيا" .

٢- أنشأت إنجلترا فى عام ١٨٢٣م "جمعية الجهاد من أجل الاستشراق" وكانت تصدر مجلة "الجمعية الملكية للدراسات الآسيوية" .

وكانت مجلة "جمعية بحوث الاستشراق" فى لندن فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى من أهم مجلات الاستشراق فى الغرب .

٣- أسست أمريكا فى عام ١٨٤٢م جمعية الاستشراق وكانت تصدر مجلة تسمى "الجمعية الشرقية الأمريكية" .

وتعتبر مجلة "العالم الإسلامى THE MUSLIM WORLD" التى كان يصدرها المستشرق الأمريكى المعروف زويمر منذ عام ١٩١١م من أهم مجلات الدراسات الإسلامية والاستشراق فى الغرب .

٥- وقد قام الألمان أيضا فى عام ١٨٤٢ بنفس هذا الإجراء[٩] .

أساليب المستشرقين وحيلهم

كما اتضح من الصفحات السابقة ، فإن المستشرقين سواء الذين أرسلوا من قبل الحكومات الاستعمارية فى مهمات تجسس وبحث وتخطيط مخططات ذات طابع استغلالى ، أو علماء الدراسات الإسلامية الذين كلفوا من قبل الكنيسة بعمل دراسات إسلامية مناهضة للدين الإسلامى ، أو الباحثين المستقلين والحياديين الذين قاموا ببحوث علمية خالصة لخدمة العلم وحبا فى البشرية ، قد اختاروا جميعا الأساليب التى تتناسب مع مقتضى الحال والمناخ الفكرى والاجتماعى للمجتمعات الشرقية ، ومن ثم كان من الضرورى أن يخططوا للمؤامرات والخدع لخدمة الاستعمار والكنيسة بأشكال وأنماط متنوعة وتحت ستار خادع . وسوف نشرح فى الصفحات التالية

بعض "أساليب العمل" وحيل الاستشراق المختلفة .

مما لا شك فيه أنه كان من الأفضل الفصل بين "أساليب عمل المستشرقين المنصفين" وبين "خدع المستشرقين المغرضين" ، ولكن نظرا لأن هذه الأساليب والخدع تستعمل بشكل مشترك من كلا الجانبين ، فإننا سنستعرضها بشكل مختلط على النحو التالى :

١- ترجمة معانى القرآن الكريم

القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى لم يصبه التحريف ، وهو أهم نص ومصدر أساسى للمعرفة عند المسلمين ، ولهذا السبب فهو حجر الزاوية فى بناء صرح الحضارة والثقافة الإسلامية والمنبع الأصلى لفكر ربع سكان العالم الذين يعيشون أساسا فى المشرق . وبطبيعة الحال فإن أول خطوة ضرورية لتعرف الغربيين على أفكار المسلمين وحضارة الشرق تكون عن طريق معرفة مضمون هذا الكتاب السماوى ومحتواه .

ومن ثم فقد كان من الضرورى قيام المستشرقين خلال بدايات الاستشراق بترجمة معانى القرآن من اللغة العربية إلى اللغات الغربية حتى يعرف الباحثون والعلماء الغربيون تعاليمه . وتوضح نظرة إلى تاريخ ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الغربية ، الذى سيأتى فيما يلى ، عمق ومدى جهودهم فى هذا الصدد .

ترجمة معانى القرآن على يد أحد كبار القساوسة

توجد نسخة من هذه الترجمة اللاتينية فى مكتبة "قورخانه" فى باريس كتبها المؤلف بنفسه[١٠] .

كانت هذه الترجمة وسيلة دعاية المسيحيين ضد الإسلام خلال خمسة قرون ، وقد نشرت فى عام ١٥٤٣م بتوصية من "مارتن لوثر" على يد تيودور بيلياندر أو يوخمان فى مدينة بال[١١][١٢] .

الترجمات الإيطالية

طبقا لتقرير صبرى انوشه الملحق الثقافى لجمهورية إيران الإسلامية فى روما فقد ترجمت معانى القرآن حتى الآن من واقع المكتبات الإيطالية عشرين مرة إلى اللغة الإيطالية . ولم تخضع أى من هذه الترجمات لإشراف من الباحثين المسلمين ، وتوجد فى كل ترجمة مشاكل وأخطاء سببها الرئيسى عدم إجادة المترجمين الإيطاليين للعلوم والمعارف الإسلامية واللغة العربية ، بالإضافة إلى مفاهيمهم الشخصية[١٣] .

الترجمات الألمانية

١- فى عام ١٦١٦م تمت الترجمة الألمانية التى قام بها شوايجر SCHWIEGGER واعظ كنيسة "فرادين كبرسه" فى مدينة نورنبرج تحت عنوان "قرآن تركان"[١٤] (قرآن الأتراك) .

٢- تم اكتشاف ثلاث وأربعين ترجمة لمعانى القرآن باللغة الألمانية حتى الآن ، وقد قام البروفيسور حميد الله مؤلف كتاب "تطور ترجمة القرآن فى ألمانيا" بفهرستها .

الترجمات الفرنسية

١- أقدم ترجمة فرنسية لمعانى القرآن هى التى قام بها "آندريه دوريه" ونشرها فى عام ١٦٤٧م باسم "قرآن محمد" .

٢- توجد خمس عشر ترجمة فرنسية تعتبر الآن من أشهر ترجمات معانى القرآن باللغة الفرنسية[١٥] ، وسوف يأتى تفصيل وشرح لهذا الحديث فى كتاب آخر إن شاء الله .

٢- تأليف معاجم للكتب الدينية الإسلامية

أقدم الاستشراق على إعداد معاجم مرتبة حسب الحروف الأبجدية للقرآن الكريم وكتب الحديث المشهورة عند أهل السنة ، وذلك لتسهيل وتيسير مراجعة الباحثين الغربيين وحصولهم على معارف النصوص الأصلية للدين الإسلامى من ناحية ، وأحيانا لتيسير استفادة الباحثين المسلمين أنفسهم من ناحية أخرى ، مثل :

٢-١ تأليف معاجم ألفاظ القرآن

كان المستشرقون والعلماء المسيحيون الغربيون هم أول من قام بتصنيف ووضع معاجم لألفاظ القرآن لتيسير البحث عن الآيات ، وكذلك التصنيف الموضوعى للآيات من أجل تسهيل رجوع الباحثين الذين يقومون بدراسة القرآن . والكتاب القيم والشائع هو كتاب "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" الذى وضعه "فلوجل" الألمانى . وسوف يأتى توضيح ذلك فى المجلد الثانى إن شاء الله .

٢-٢ تأليف المعجم الموضوعى للقرآن

أقدم عالمان مسيحيان فى القرون الأخيرة هما "جول لابوم" و "إدوارد مونيته" على تأليف معجم موضوعى للقرآن ، وقد ترجمه محمد فؤاد عبد الباقى من الفرنسية إلى العربية ، وطبعه بعنوان "تفصيل آيات القرآن الكريم" .

وسوف يرد توضيح أكثر حول معجم الألفاظ والمعجم الموضوعى للقرآن فى فصل "أنشطة المستشرقين القرآنية" .

٢-٣ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى

هو أول معجم ظهر لأحاديث وسنة نبى الإسلام (ﷺ) وقام به المستشرقون ، وبعد ذلك قام علماء الإسلام من بعدهم بوضع معاجم أخرى أكثر كمالا[١٦] .

٤-٢ مفتاح كنوز السنة

قام "ڤنسنك" وزملاؤه بعد أن أتموا العمل الضخم السابق بتأليف فهرس آخر ، ولكنه مختصر ومرتب ترتيبا أبجديا لأوائل الأحاديث النبوية ، وقامت ليدن بطباعته باللغة الإنجليزية .

ويعد كتاب "المفتاح" وهو معجم وفهرس للأحاديث التى وردت فى أربعة عشر كتابا من أهم جوامع أحاديث أهل السنة ، ويشتمل على كتب بالإضافة إلى الصحاح الستة ؛ هى : مسند أحمد ، ومسند زيد ، وطبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام ، ومغازى الواحدى ... وغير ذلك .

ويقول سيد محمد رشيد رضا مدير "المنار" فى مقدمته على هذا الكتاب : إن هذا المعجم على قدر كبير من الأهمية والاحتياج إلى درجة أن علماء الإسلام فى حاجة إليه أكثر من الغرب .

لذلك طلبت من مؤلفه "ڤنسنك" أن أقوم بترجمته إلى العربية ، ووافق على ذلك . وتوجد فى مقدمة المجلد الأول من الكتاب صورة موافقة "ڤنسنك" بخط يده التى أرسلها باللغة العربية إلى محمد فؤاد عبد الباقى فى عام ١٩٣٤م[١٧] . وقد نقل محمد فؤاد عبد الباقى هذا الكتاب القيم إلى اللغة العربية ، وهو الآن بين يدى كافة الباحثين وعلماء الإسلام .

٣- وضع الفهارس

قام "شنورد" بوضع أول فهرس للكتب الشرقية فى عام ١٨١٠ وطبع بعنوان "المكتبة العربية" وكان يضم التعريف بخمسمائة كتاب .

وفى عام ١٨٦٦ قام "تيودور سنجر" بعمل فهرست مفصل فى مجلدين يضم الكتب العربية والفارسية والتركية ، وصنفها موضوعيا مثل : لغات ، أديان ، آثار ، تاريخ ، جغرافيا .. إلخ .

وفى عام ١٩٢٠ قام "آرنست كوهن" بعمل فهرس للكتب الإسلامية يقع فى أربعة

مجلدات . وفى عام ١٨٧٢ أيضا وضع أستاذ كرسى بحوث الاستشراق بجامعة "لوتيش" فهرسا مفصلا عرّف فيه بسبعة آلاف كتاب[١٨] .

بل إن المستشرقين أحيانا ما كانوا يقومون بوضع فهارس لمؤلفات وأعمال علماء الإسلام الكبار المؤثرة والقيمة ، فمثلا نجد "نولدكه" شيخ الاستشراق الألمانى يضع فى عام ١٨٦٠م "فهرست مؤلفات الإمام الغزالى"[١٩] .

وفى الحالات التى قام فيها علماء مسلمون بوضع فهارس جيدة وجامعة للكتب الإسلامية ، نجد المستشرقين يقومون بترجمتها ويضعونها فى خدمة الباحثين الغربيين ؛ ومثال ذلك جوستاف فلوجل[٢٠] الذى ترجم كتاب "كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون" لحاجى خليفة فى عام ١٨٣٥م إلى اللغة اللاتينية وطبعه[٢١] . وكذلك "سوتر" المستشرق وعالم الرياضيات السويسرى الذى ترجم فصل الرياضيات من كتاب "الفهرست" لابن النديم[٢٢] .

ومن أمثلة أساليب عمل المستشرقين وحيلهم ما قاموا به من سرقة المخطوطات الإسلامية ، وإحراق علوم المسلمين وحضارتهم ، وتأسيس مكتبة ليدن ، ونقل مكتبة الشاه عباس الكبيرة من أردبيل إلى روسيا ، وسرقة الكتب والوثائق ، وإحراق الكتب المخطوطة ، وطباعة الكتب الإسلامية والشرقية ، والاختيار المغرض لمؤلفات المسلمين المعيبة لطبعها ونشرها . وقد بحثنا كل هذه الأفعال التى تتسم بالخداع والغش فى كتابنا هذا فى الفصل الثالث ، البند رقم ٦ تحت عنوان (انتقال العلوم والحضارة الإسلامية إلى الغرب)[٢٣] .

٤- البحث العلمى فى العلوم الإسلامية وتأليف ونشر عدة مجلات وكتب حولها وحول الاستشراق

تحقيق وتأليف كتب العلوم الإسلامية بتوجهات سلبية

حاول المستشرقون عن طريق بحوثهم العلمية فى مجال المعارف الإسلامية كالعقيدة والفقه والقرآن والأحاديث والشخصيات وحياة النبى الأكرم (ﷺ) وسيرة أئمة الإسلام الحصول على المعارف الأكثر واقعية وشمولا وتوازنا وقاموا بخلق

المشاكل حولها أو تحريفها ، واستطاعوا عن طريق تأليف مثل هذه النوعية من المؤلفات ونشرها إنزال ضربات حقيقية بكيان الفكر الإسلامى للمسلمين . وقد قوى هذا الدافع فى القرون الأخيرة إذ لاحظوا ازدهار الأفكار الدينية عند المسلمين والتطابق المستمر والجديد للمعارف الإسلامية الكلية مع ظروف العصور الحديثة وعدم فعالية الشبهات والمشاكل القديمة والبالية التى أثاروها ضد الإسلام .

وقد ذكرنا دوافعهم لهذا العمل وتحذيرات الإمام الخمينى المتواصلة وغيره من المصلحين اليقظين فى هذا الكتاب نفسه فى الفصل الثالث ، البند السابع تحت عنوان (طبع الكتب الإسلامية والكتب المناهضة للإسلام ونشرها) وتحت عنوان الدافع وراء بحوث المستشرقين الإسلامية[٢٤] .

هدف المستشرقين

يقول "هاملتون جيب" المستشرق الإنجليزى (١٨٩٥ - ١٩٧١م) فى هذا الصدد :

وكانت النتيجة المستخلصة من حركة تعلم الغربيين للمعارف الإسلامية أنها حررت أفكار المسلمين من سيطرة الدين عليها ، دون أن يشعروا هم أنفسهم بهذا التغيير[٢٥] .

وطبقا لهذا التصريح ، فقد كان هدف المستشرقين هو قطع الصلة بين المسلمين وبين الشريعة الإسلامية .

ويقول أيضاً :

تقوم جهود بحوث الاستشراق على توضيح أهمية قوانين هيئات سن القوانين لدى الحكومات وإظهارها على أنها البديل للقوانين الفقهية فى الشريعة الإسلامية[٢٦] .

السر وراء اهتمام المستشرقين بنشر الكتب الخاصة بالتصوف

يقول الدكتور محمد قطب :

إن السر الكامن وراء اهتمام المستشرقين الخاص بطرح قضية التصوف والفرق الصوفية والباطنية بين المسلمين ، بل وظهور متخصصين فى هذا الموضوع مثل "نيكلسون" و "أوليرى" ، هو أنهم يقدمون الحركات الإسلامية المنحرفة باسم الإسلام ؛ كالباطنية والخوارج والقاديانية والبابية والبهائية وتاريخهم وتراثهم العلمى والأدبى .

ولكن المستشرقين لا يتعرضون للحركات الإسلامية الخالصة النقية ولا يدرسونها بشكل واقعى ولا يكتبون عنها ويقدمونها كما هى ، بل يقومون بتحريفها بشكل منظم[٢٧] .

اهتمام المستشرقين الروس بترويج الطائفة البابية

على الرغم من وجود وثائق كثيرة تدل على أن تأسيس "الطائفة البابية" و "البهائية" كان على يد الاستعمار والمستشرقين ، فإن كتاب "البرنس كنياز دالجوركى" الجاسوس الأجنبى يوضح بصدق شديد خدعة ابتكار دين جديد على يد الاستعمار ، ولكنه فى نفس الوقت جدير بالتأمل والدراسة من ناحية قيمته وإمكانية الاستفادة منه .

ولا شك أنه لا ينبغى توقع إفشاء سر كافة أطروحات تآمر كل دولة استعمارية بواسطة مسئوليها وموظفيها ، إلا أن إعلانهم عن بعض جوانب كل مؤامرة ، إنما يعبر عن واقع أحداث مهمة وأسرار كثيرة لم يصرح بها .

ويجدر بنا ملاحظة ما كتبه المستشرق الروسى بارتولد عن جانب من جوانب إفشاء الأسرار حول حماية "الجماعة البابية" على حدود روسيا وطباعة كتبهم ، حيث يقول :

ألّف "و. ف . مينورسكى" كتابا حول "فرقة رجال طريق الحقيقة" . وظهرت فى روسيا سلسلة مؤلفات فى هذا الموضوع هيأت وسائل البحث حول هذه الحركة الدينية .

وفى عام ١٨٦٠م ظهر بحث "البروفيسور كاظم بيك" حول البابيين . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية فى نفس الوقت . ثم تيسرت الدراسات حول هذه الطائفة مع تأسيس جماعة البابيين على حدود روسيا ؛ أى فى عشق أباد . وهناك فى عشق أباد قام "تومانسكى" بعمل دراسات حول البابيين . وهذا هو نفسه الشخص الذى قام بطبع أحد كتب البابيين المقدسة بعنوان "الكتاب المقدس" مع ملحق يضم ترجمة روسية له بعد أن كتب عدة مقالات منفصلة . وهناك سلسلة أخرى من المقالات والمطبوعات الخاصة بالبابيين كتبها "البارون روزن" و "البروفيسور جوكوفسكى" . وقد شرح أولهما كمية كبيرة من المخطوطات التى ألفها البابيون(٢٨) .

معدل تأليف الكتب والمقالات ونشرها

١- الكتب

يقول "إدوارد سعيد" المستشرق الكبير :

يصل عدد الكتب التى نشرها المستشرقون على مدى مائة وخمسين عاما منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادى وحتى منتصف القرن العشرين حوالى ستين ألف كتاب(٢٩) .

٢- طباعة وشرح كتب العلوم القرآنية

١- الإتقان فى علوم القرآن تأليف جلال الدين السيوطى : طبع المستشرقون هذا الكتاب فى عام ١٨٥٢ م ، كما طبع على حاشيته أيضا كتاب "إعجاز القرآن" تأليف أبى بكر الباقلانى . وقد كتب المستشرق "اسپرنجر SPERNGER" أيضا شرحا على "الإتقان" وطبعه مع نص الكتاب .

٢- التيسير فى القراءات السبع : تأليف أبو عمر عثمان بن سعيد الدانى المتوفى عام ٤٤٤ هـ . وقد قام بطباعته المستشرق الألمانى "ريتر H.RITTER" وهو يعد من أهم مصادر علم قراءات القرآن .

٣- "التعريفات" فى مصطلح العلوم كالفقه والفرائض والحديث والكلام والنحو

والصرف والتفسير ، وهى مرتبة على حروف الأسماء ، تأليف الشريف الجرجانى . وقد طبع هذا الكتاب فى عام ١٨٣٧م بجهود المستشرق الألمانى "فلوجل G.FLUGEL" فى لايبزيج[٣٠] .

الإحصاء العام لانتشار كتب المستشرقين

يقول "رودى بارت" المستشرق الألمانى :

١- إن فهرس أسماء الكتب التى ألفها ونشرها المستشرقون فيما بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٩ فقط فى موضوع الشرق الأوسط تشكل ما يقرب من حوالى ألفى صفحة ، وهذا هو الفهرس الذى وضعه "برتولد شبولر" و "لودفيج فورر" .

٢- يبلغ تعداد عناوين المقالات الخاصة بالدراسات الإسلامية التى نشروها فى المجلات فيما بين عامى ١٩٠٦ و ١٩٥٥م طبقا لدراسات "بيرسن" حوالى ستة وعشرين ألف عنوان ، وهى التى طبعت باسم "الفهرس الإسلامى" .

٣- أعد "بيرسن" بعد ذلك فهرسا آخر يضم عناوين المقالات من عام ١٩٥٦ وحتى ١٩٦٠م على أساس ترتيب السنوات حتى صارت سبعة آلاف ومائتى عنوانا .

٤- نظرا لاتساع وتنوع وتفرق موضوعات كتب ومقالات المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية الغربيين وحاجة الطلاب والباحثين والمستشرقين الجدد من الغربيين إلى دليل تحليلى فى هذه الموضوعات ؛ فقد كتب "برتولد شبولر" الألمانى كتابا كبيرا يقع فى عدة مجلدات باسم "دليل الاستشراق" ، وجعل مجلداته تدور بالترتيب حول الموضوعات التالية :

١- تاريخ البلدان الإسلامية .

٢- الأديان والمذاهب ، الشيعة ، الخوارج .

٣- الفقه الإسلامى والشريعة الإسلامية[٣١] .

الإحصاء الموضوعي لكتب علماء الدراسات الإسلامية الغربيين :[٣٢]

العقائد

١- من محمد إلى الغزالي ، تأليف : جوزف هيل (١٨٧٥ - ١٩٥٠م) .

٢- الإسلام بدون القرآن ، تأليف : جوزف شاخت (١٩٠٢م) .

٣- عقائد الإسلام ، تأليف : هرمن شتيج ليجر ، وهو عالم لاهوت نمساوى (١٨٨٥) .

٤- دراسة فى تاريخ التدين الإسلامى ، تأليف : هيلموت ريتر (١٨٩٢) .

٥- الترجمة الألمانية لمختارات من كتاب إحياء علوم الدين للغزالى ، هانس باور (١٨٧٨ - ١٩٣٧) .

٦- عالم الأفكار الدينية لدى المسلمين المثقفين فى الوقت الحاضر ، ماكس هورتن (١٨٧٤ - ١٩٤٥) .

٧- عالم الأفكار الدينية لدى عامة المسلمين فى الوقت الحاضر ، نفس المؤلف السابق .

الفرق والمذاهب

١- ترجمة "مقالات الإسلاميين" للأشعرى ، هيلموت ريتر .

٢- ترجمة "فرق الشيعة" للنوبختى ، نفس المؤلف .

٣- مقالة كتب ومؤلفات الزيديين ، رودلف شتروتمن (١٨٧٧ - ١٩٦٠) .

٤- مقالة "دستور الزيديين" ، نفس المؤلف .

٥- مقالة "شعائر الزيديين" ، نفس المؤلف .

٦- "بيان مذهب الباطنية وبطلانه" (وهو قسم من كتاب "قواعد آل محمد" تأليف محمد بن الحسن الديلمى) عام ١٩٣٩ .

٧- "نصوص العلم الروحانى عند الإسماعيلية" ، ١٩٤٣ .

٨- "مجموع الأعياد والدلالات عند النصيريين" ، ميمون بن القاسم الطبرانى . وهو كتاب أساسى فى دراسة دولة العلويين السورية ، ١٩٤٦ .

٩- "تفسير إسماعيل للقرآن" .

١٠- "موضوعات باطنية فريدة عند النصيرية" ، ١٩٥٨ .

١١- "الإسلام والمسيحية فى العصر الوسيط" .

١٢- "دراسات فى تاريخ التشاحن الإسلامى مع المسيحية" باللغة العربية ، ١٩٣٠م .

الفقه الاسلامى

١- "قانون الإسلام بالنسبة للأجانب" ، حتى الأحداث المتعلقة بالمسلمين والفرنجة (دراسة الفقه الإسلامى من وجهة نظر القانون والتاريخ) ، تأليف : فيللى هيفيننج (١٨٩٤ - ١٩٤٤) .

٢- بنية المؤلفات والكتب الفقهية ، تأليف فيللى .

٣- تطبيق الشريعة الإسلامية فى القرن السادس عشر الميلادى ، تأليف پاول هورستر (١٩٣٥) .

٤- التفسيرات الشرعية لشيخ الإسلام ابن سعود ، پاول .

٥- الحيل وطرق الفرار فى الفقه الإسلامى ، خشاف ، تأليف جوزف شاخت (١٩٠٢) .

٦- كتاب الحيل فى الفقه للقزوينى ، شاخت ، وقد طبع هذان الكتابان فى عام ١٩٢٦ فى مجلة "الإسلام" فى مجموعة "المدونات العربية عن الحيل ، دراسة فى تطبيق الشريعة الإسلامية" .

٧- أهم مباحث الفقه الإسلامى ، شاخت .

٨- الفقه الإسلامى والقانون فى مصر الحديثة ، شاخت .

٩- بحث موضوع نزعة التجديد والحداثة الإسلامية ، شاخت .

١٠- نظرة اجتماعية للفقه الإسلامى ، شاخت .

١١- بداية التفكير فى التشريع والفقه فى الإسلام وخصائصه ، برجشتريسر .

١٢- طريقة البحث فى الفقه ، برجشتريسر .

١٣- السمات الأساسية للفقه الإسلامى ، برجشتريسر .

وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة كتاباته التى طبعت فى سلسلة الكتب التعليمية لقسم اللغات الشرقية ببرلين عام ١٩٣٥م[٣٣] .

١٤- الفقه الإسلامى التقليدى ، أريش بريتش .

١٥- الأحكام المفقودة فى الفقه الإسلامى ، نفس المؤلفة السابقة .

١٦- نظام القضاء والتقاضى فى الشريعة الإسلامية ، أرفين جريف .

١٧- مشكلة عقوبة الإعدام فى الإسلام ، أرفين جريف .

١٨- المفاهيم الدينية والشرعية عن الأسرى فى الإسلام والمسيحية ، أرفين جريف .

١٩- حق الملكية عند البدو ، جوزيف هيننجر .

٢٠- قانون الأحوال الشخصية ، نفس المؤلف .

٢١- نظام عقد الزواج فى الإسلام ، أريش بريتش[٣٤] .

الفلسفة وعلم الكلام الإسلامي في المذاهب

١- الملحدون والشكاكون فى الإسلام ، جوزيف فان إس .

٢- موضوعات حول نظرية المعرفة بالفقه الإسلامى ، حاشية على القسم الأول من كتاب المواقف فى علم الكلام ، جوزيف .

٣- طبقات المعتزلة ، المرتضى ، زوزانه ديفالد فيلتسر .

٤- الأخلاق عند المعتزلة ، إرنست ماينتس .

٥- الماتريدى وكتابه تأويلات القرآن ، مانفريد جوتس .

٦- الفاطميون وقرامطة البحرين ، فيلفريد ماديلونج .

٧- الإمامة فى فجر المذهب الإسماعيلى ، المؤلف السابق .

٨- الإمام القاسم بن إبراهيم ومذهب الزيديين ، المؤلف السابق[٣٥] .

العالم الإسلامي

١- الشرق الإسلامى بين الماضى والمستقبل ، فالتر براونه (١٩٠٠) .

٢- العالم الإسلامى والعصر الحاضر ، سلسلة من المحاضرات من نشر رودى بارت .

٣- التجديد الإسلامى والتراث الإغريقى ، يورج كريمر .

٤- الدول الإسلامية والغرب المسيحى اليوم ، رودولف شتروتمن .

٥- المشكلة الفكرية فى التحول إلى الغرب من وجهة نظر العالم العربى ، فون جرونيباوم .

٦- إيران بين الدول العظمى من ١٩٤١ إلى ١٩٤٨ ، فرانتس تشنر .

٧- مشكلة المرأة فى العالم العربى والإسلامى ، رودى بارت .

٨- وضع المسلمين فى روسيا من عام ١٩٤٢ وحتى عام ١٩٥٠ ، بارتولد شبولر[٣٦] .

٢- المقالات

يقول أحمد سمايلوفيتش فى كتاب "فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر" :

إن عدد المقالات التى نشرها المستشرقون فى القرن العشرين فى الفترة ما بين سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩٩١ فى المجلات والصحف يصل إلى أكثر من خمس وسبعين ألف مقالة[٣٧] .

وقد قامت مجلة المركز الإسلامى فى لندن التى شُغلت لعشرات السنين بنشر مقالات العلماء والكتاب ، والتى تولى رئاستها فى السبعينيات شخص باكستانى ، بنشر مقالات العلماء المتخصصين فى الدراسات الإسلامية من غير المسلمين مع نقد المستشرقين واتهاماتهم[٣٨] .

٣- الإصدارات

تنشر الآن حوالى ثلاثمائة مجلة خاصة بالاستشراق فى مختلف دول العالم ، بالإضافة إلى ما يقرب من خمسمائة مجلة أخرى يتعلق قسم منها بالاستشراق[٣٩] .

٤- أوائل مجلات البحوث الإسلامية والاستشراق في الغرب

١- كانت مجلة "مصادر المشرق" أول مجلة استشراقية أوروبية ، وهى التى أصدرها "هامر برجشتال" فى ڤيينا بعد الموافقة عليها فى عام ١٨٠٩ ، واستمر صدورها حتى عام ١٨١٨م .

٢- "مجلة الإسلام" التى صدرت فى باريس فى عام ١٨٩٥م وتضم بحوثا حول الدول الإسلامية .

٣- "مجلة العالم الإسلامى" التى أصدرها المبعوثون الفرنسيون فى المغرب فى عام ١٩٠٦م ، والتى تغير اسمها بعد ذلك إلى "مجلة البحوث الإسلامية" .

٤- مجلة "الإسلام" التى صدرت فى عام ١٩١٠ باللغة الألمانية "DER ISLAM".

٥ - مجلة "عالم الإسلام" التى كانت تصدر لفترة فى بطرسبورج عام ١٩١٢م .

٦- مجلة "العالم الإسلامى" التى كان يصدرها فى بريطانيا عام ١٩١١ "صموئيل زويمر" (توفى ١٩٥٢) وكان رئيسا لمبشرى المسيحية[٤٠] .

٥- تأليف دوائر المعارف

منذ أوائل القرن العشرين الميلادى توفرت إمكانيات الحصول على المعلومات فى كل المراكز البحثية والتعليمية وأيضا مراكز المعرفة الدينية فى العالم أكثر من السابق نتيجة التقدم التكنولوجي والصناعى ، ولم تقنع الكتابات الفردية المتعطشين للبحث حول الأديان البشرية المتنوعة ، ذلك لأنهم أرادوا التعرف على الجغرافيا الكاملة لكل دين وبنيته الشاملة . ومن ثم غيرت البحوث والمؤلفات الدينية مسارها تدريجيا من "الكتابة الفردية" إلى "تأليف دوائر المعارف" .

وقد احتل الغربيون والمستشرقون بسبب "دوائر المعارف" تلك مكانة عالية فى المعرفة البشرية ، ونسبوا لأنفسهم دور المعلم الأول للعالم . وأصبحت "دوائر المعارف" هى المرجع والمصدر الأصلى للمعلومات للباحثين فى فروع العلوم المختلفة فى كافة أنحاء العالم .

وقد استخدم المستشرقون الغربيون – أو من الأفضل أن نقول "زعماء الاستشراق" و"المخططون الأصليون للاستشراق والدراسات الإسلامية في الغرب – على الفور هذه التقنية المتقدمة لتحقيق أهدافهم ، وشُغلوا بكتابة دوائر المعارف حول الأديان والإسلام والقرآن ، حتى يلعبوا أكبر دور في التعريف بالإسلام في العالم . وسوف نذكر فيما يأتي عدة نماذج بارزة من هذا النوع من إنجازات الاستشراق :

١–٥ دائرة معارف ليدن الاسلامية[٤١]

بالإضافة إلى كون هذه الموسوعة أهم مرجع عن الدراسات الإسلامية للباحثين في شتى أنحاء العالم[٤٢] ؛ فهي أيضا تحتل المكانة الأولى في بلدنا الإسلامي إيران في امتحانات اللغة الإنجليزية ومرحلة الدكتوراه في فروع الأدب ، وكذلك كموضوع دراسي في مرحلة الدكتوراه .

وقد ترجمت كل أجزاء دائرة المعارف هذه إلى اللغة التركية ، وصدرت هذه الترجمة التركية في طبعتها الثانية متزامنة مع طباعة ونشر النص الإنجليزي والفرنسي لها . كما نشرت الترجمة الكاملة لهذه الموسوعة أيضا باللغة الأردية[٤٣] .

الترجمة الفارسية لدائرة معارف ليدن الإسلامية

في عام ١٣٤٨ ش (١٩٦٩م) وبتوصية من مؤسسة "پهلوي" التي كان يديرها المهندس جعفر شريف امامي ، قدم إحسان يار شاطر اقتراحا بترجمة هذه الموسوعة إلى تلك المؤسسة بوصفها أفضل نص ، وتم إنجاز هذه الترجمة بعد أخذ موافقة البلاط الملكي .

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذه الترجمة بدعم من مؤسسة "پهلوي" تحت إشراف إحسان يار شاطر وتعاونت معه مجموعة من الباحثين والمترجمين ، وبدأ ذلك منذ عام ٥٤ (١٩٧٥م) وأطلق عليها اسم "دائرة معارف إيران والإسلام" .

إلا أن هذه الترجمة الفارسية لم تتمكن من تجاوز حرف الألف ، واستمر العمل فيها حتى سنة ١٣٦٠ش (١٩٨١م) وكان أخر جزء صدر منها هو الجزء الحادى عشر الذى طُبع فى عام ١٣٧٠ ش (١٩٩١م) ويبدأ بمقالة عن "أردبيل"[٤٤] .

تقويم دائرة المعارف

مميزات هذه الموسوعة هى :

١- بما أن دائرة معارف ليدن الإسلامية قد اهتمت بالموضوعات الإسلامية فقط ، ولم تعر إيران قبل الإسلام بل حتى بعد الإسلام وأعلام وأماكن هذه الدولة اهتماما كبيرا وجديا ، فقد أضيفت إليها مقالات كثيرة كتبها باحثون إيرانيون وأحيانا غير إيرانيين .

٢- ترجمت نصوص مقالات دائرة المعارف بعينها إلى الفارسية ، ولم تضف أية إضافات تكميلية أو إصلاحية للموضوعات التى يلزم استكمالها أو إصلاحها للأسف الشديد ، بينما اعتبر مترجمو هذه الموسوعة إلى اللغة العربية فى مصر أن إضافة وجهات نظرهم التكميلية أو الإصلاحية بشكل منفصل عن نص المقالات أو على شكل حواشٍ وهوامش إلى المقالات التى لم يتمكن أصحابها من تقديم معلومات صحيحة وشاملة أو قاموا بتحريف المعارف الإسلامية من باب العناد والعداء للإسلام أو بسبب قلة المعلومات ، يعد أمرا ضروريا لا مناص منه .

بديل دائرة المعارف الإسلامية

توقفت "دائرة معارف إيران والإسلام" بعد انتصار الثورة الإسلامية ونجاحها وهى تركيبة غير مطلوبة كان لها اتجاهات قومية وكانت تُدار بواسطة شخصيات غير مرغوبة وأحيانا من التى تسعى للسلطة والنفوذ من أمثال إحسان يار شاطر ؛ فذهب يار شاطر إلى أمريكا وقام هناك بنشر دائرة المعارف الإنجليزية "إيرانيكا" .

وفى عام ٦٢ (١٩٨٣م) أسس أية الله خامنه اى "مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية" وسعى بجد من أجل التخطيط لدائرة معارف إسلامية جامعة . وقد شارك

فى هذا العمل المقدس والكبير باحثون وكتّاب إيرانيون كبار ، وصدر الجزء الأول منها فى عام ١٣٧٥ش (١٩٩٦م) ، وصدر حتى الآن (١٣٨٥ش = ٢٠٠٦م) المجلد السابع منها والذى يشتمل على حرف "التاء" . ولما كانت معظم دوائر المعارف تبدأ فى إيران بحرف "الألف" ، فقد بدأت دائرة معارف العالم الإسلامى بحرف "الباء" منعا للتكرار[٤٥] .

وقد تولى مسئولية إدارة هذه الموسوعة القيمة فى بداية الأمر المهندس مير سليم ، ثم أخذ يشرف على إعدادها ونشرها بعد ذلك الدكتور حداد عادل .

٢- ٥ دائرة معارف الدين[٤٦]

على الرغم من أن هذه الموسوعة قد ألفت حول الأديان بشكل عام ، فإن الدراسات الإسلامية لها مكانة رئيسية فيها ، ويوجد فيها مقالات كثيرة حول موضوع المعارف الإسلامية .

وقد شارك فى تأليف هذه الموسوعة أيضا علماء فى الدين المسيحى واليهودى وكذلك مسلمون بل وشيعة أيضا . وبطبيعة الحال فقد كتبت بعض المقالات بشكل إيجابى وبعضها الآخر بأخطاء وتحريفات ، حيث قام الصديق الفاضل حجة الإسلام محمد جواد إسكندرلو بنقد ودراسة إحدى المقالات وهى بعنوان "القرآن" التى كتبها "شارلز جورف آدامز" ، وقدم هذا النقد كرسالة للحصول على درجة الدكتوراه باسم "ترجمة ونقد مقالة (القرآن) من دائرة معارف الدين"[٤٧] .

٣-٥ دائرة معارف القرآن - ليدن[٤٨]

اجتمعت مؤخرا مجموعة من المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية فى أمريكا وعدة دول أوروبية حتى يؤلفوا دائرة معارف خاصة بالقرآن بهدف تقديم المعارف القرآنية على مستوى العالم . وقد عقدوا العزم على تقديم خدمة لترويج القرآن بعد أن شاهدوا ضعف همة المسلمين فى تأليف "دائرة معارف القرآن" ، وقاموا بتأليفها فى مدينة ليدن بهولندا . وسوف يأتى توضيح ذلك فى الجزء الثانى إن شاء الله .

٤-٥ إعداد دوائر معارف العالم الإسلامى فى باريس

بعد أن نجح الغربيون فى كتابة دائرة المعارف حول الإسلام والأديان والشرق تنبهوا إلى أن الشرقيين والمسلمين أنفسهم قاموا أيضا بكتابة دوائر معارف لتوصيل المعلومات الصحيحة ؛ ومن ثم فقد أفلت زمام إيصال المعلومات حول الشرق والأديان الشرقية من أيدى الغربيين ، وأصبح فى أيدى الشرقيين أنفسهم .

لذلك طرح الغرب خطة جديدة لاسترجاع زمام الأمور فى هذا الأمر المهم فى يدهم عن طريق توجيههم وإرشادهم والعمل تحت ستار التنظيم والحماية والتنسيق . ويتحدث التقرير التالى عن غاية هذا المشروع :

نظم بيت الحكمة فى المكتب الرئيسى لليونسكو فى باريس مؤتمرا دوليا حول دوائر المعارف التى صدرت فى العالم الإسلامى أو التى سوف تصدر قريبا . وكان الهدف من هذا المؤتمر حضور واضعى دوائر معارف العالم الإسلامى الكبيرة ، والقيام ببحث ومناقشة أساليبهم وتجاربهم ، وبالإضافة إلى تعاونهم مع بعضهم بعضا ، يقومون بتوضيح دور المعارف فى حوار الحضارات .

٦- معاهد تعليم اللغتين العربية والفارسية ، جسر عبور الغربيين إلى ثقافة الإسلام والشرق

لم يكن لدى الغربيين من وسيلة لفهم ثقافة الدين والمعتقدات ونوعية نظرة المسلمين وعلومهم طوال الفترة التى لم يكن الغربيون يعرفون فيها اللغتين العربية والفارسية وغيرهما من اللغات الشرقية ، وبطبيعة الحال كانت مؤامراتهم عشوائية وغير متناسبة مع واقع الشعوب الإسلامية والشرقية ، ولهذا السبب فشلوا فى كثير من المواقف .

ولكن عندما أدرك كبار رجال الكنيسة أن هذا العائق اللغوى عقبة فى سبيل التبشير والاستعمار قررت الجمعية العمومية لرجال الكنيسة فى العالم فى "فيينا"

تحطيم هذا العائق عن طريق الموافقة على مشروع ضرورة تعلم اللغات الشرقية المهمة فى خمس جامعات أوروبية كبيرة هى : أكسفورد وباريس وبولونيا وسلمنكا وجامعة الإدارة المركزية للبابا ، وبدأ تشجيع الشباب الغربيين على الالتحاق بهذه الكليات والمراكز التعليمية ، وبدأ تعليم المبشرين والباحثين فى الاستشراق ، ومد "جسر الانتصار" .

واليوم لا يقتصر تعليم اللغات الشرقية على تلك الجامعات الخمس ، بل إن كل الجامعات الكبيرة فى الدول الأوروبية وأمريكا تقريبا تضم أقساما تعليمية للغات الشرقية وخاصة اللغتين العربية والفارسية . ولا يمكن للإنسان العاقل الفطن النظر إلى كل هذا بشيء من التفاؤل ، واعتبار أن عملهم يحمل الخير فى طياته من باب حسن الظن ، وأن الدافع لديهم هو تحصيل العلم ونشره وتقديم الخدمات إلى أمم الشرق .

نعم من الممكن أن تدرس جماعة من هؤلاء الطلاب بمثل هذا الدافع ، ولكن هل يمكن تجاهل دور الدول الاستعمارية ووزارات الخارجية ووزارات الدفاع والكنائس فى تلك الدول من حيث أهدافها وتوجهاتها ونوعية برامجها وخططها التعليمية والتربوية فى هذه الكليات ؟ .

اهتمام الدول الاستعمارية بتعلم اللغة العربية

دُعى "جوزيف اسكاليجر" (١٥٤٠ - ١٦٠٩) العالم اللغوى والمستشرق الفرنسى الكبير وأستاذ كرسى جامعة ليدن ، من قبل سفير فرنسا فى البلاط البابوى ليكون معلما للغة العربية لأبنائه[٤٩] .

وأخذ جواسيس الدول الغربية يجيدون تعلم اللغة العربية إلى درجة أنهم كانوا أحيانا يعرفون لهجات الدول والمدن المختلفة أيضا ، حتى لا يتعرف المسلمون والشرقيون من أهالى تلك الدول عليهم كأجانب .

وكان "لورانس" الجاسوس الإنجليزى المشهور الذى أثار الفتنة وأشعل نيران المعارك بين حكام العرب المحليين فى الحجاز وسوريا ومصر وغيرها ، مع الإمبراطورية العثمانية الكبيرة ، يرتدى الملابس العربية الكاملة ويظهر بمظهر العرب تماما ويتحدث باللهجات المحلية فى الجزيرة العربية ومصر والعراق ، ويسلك سلوك سكان كل ولاية طبقا لعاداتها الاجتماعية وأعرافها ، بحيث إنه نادرا ما يشك أحد فى أمره ، بل كان يسعى جاهدا فى رحلاته التجسسية فى القرى والصحارى أن ينزل ضيفا ليلا على منزل أحد العرب أو خيمته لأخذ قسط من الراحة وكذلك لجمع معلومات منه[٥٠] .

مشروع تعلم اللغتين العربية والفارسية
مفتاح انتصار قاعدة الاستشراق الإنجليزى فى الهند

عندما لاحظ الحاكم الموفد من قبل إنجلترا إلى الهند ويُدعى "فارن هاستنج" بعد مرور عدة سنوات على الانتصار فى حرب "بلاسى" أن الحكومة الإسلامية المغولية التى تحكم كل هذه البلاد تقوم أساسا على لغتين إحداهما اللغة العربية لغة العبادة والعلوم الإسلامية ، والثانية اللغة الفارسية لغة الإدارة والحكومة ، اعتبر أن معرفته باللغتين الهندية والسنسكريتية غير كافية ، وأنه من الضرورى بذل الجهد بجدية من أجل تعلم اللغتين العربية والفارسية ، وذلك من أجل التمكن والسيطرة الكاملة والاستفادة من ثقافة تلك البلاد وحضارتها ؛ ومن ثم قدّم فى عام ١٧٥٧م اقتراحا بإنشاء كرسى للغة الفارسية فى جامعة أكسفورد . وعلى الرغم من أن المسئولين فى الشركة الإنجليزية الاستعمارية لم يدركوا السر الكامن وراء هذا المشروع ، ولم يتعاونوا فى تحقيقه عمليا ، فإن الحاكم الإنجليزى اللاحق فى الهند ويدعى "اللورد ولزلى" قام بإنشاء مدرسة متخصصة فى تعليم اللغة الفارسية والثقافة الدينية والاجتماعية فى الهند فى مدينة كلكته عام ١٨٠٥م ، حتى يتم تدريب وتعليم الشباب المختارين لتولى شئون الشركة فيها .

ثم تأسست بعد ذلك فى عام ١٨٠٦م "كلية فورت ويليام" فى إطار نفس هذا المشروع فى مدينة كلكته ، وهى التى استمرت حتى عام ١٨٥٤م .

كما أنشأت الشركة الإنجليزية نفسها "كلية الهند الشرقية" فى قلعة "هيرتفورد" وهى التى كانت تضطلع بتعليم ثقافة تلك المجتمعات لطلابها على مدى ثلاث سنوات بالإضافة إلى اللغتين العربية والفارسية .

نموذج لحجم الأعمال الأدبية لأحد المستشرقين ولأحد المراكز

يقول يوهان فوك الألمانى :

كان "ماثيو لامسدن" (١٧٧٧ - ١٨٣٥) يقوم بتدريس اللغتين العربية والفارسية عام ١٨٠٨ كأستاذ بكلية "فورت ويليام" فى مدينة كلكته . وأصبح أديبا مفكرا فى هاتين اللغتين ، وقد خلف أعمالا فى هذه المجالات هى :

١- كتاب قواعد اللغة الفارسية وآدابها .

٢- مختارات من الأدب الفارسى .

٣- تحقيق ونشر كتاب : يوسف وزليخا[٥١] .

٤- تحقيق ونشر كتاب : رسالة الإنشاء .

٥- تحقيق ونشر كتاب : سبحة الأبرار[٥٢] .

٦- تحقيق ونشر كتاب : ليلى والمجنون[٥٣] .

٧- تحقيق ونشر كتاب : شاهنامة الفردوسى[٥٤] .

كما قدمت كلية (فورت ويليام) أعمالا أخرى فى الأدب العربى والإسلامى . وكان خريجو هذه الكلية مكلفين بأداء الامتحانات النهائية إما باللغة الفارسية والهندية أو باللغة الفارسية والبنغالية[٥٥] .

الشعر والآداب الشرقية

الشعر

بحث بعض المستشرقين الغربيين ودرسوا أشعار اللغتين العربية والفارسية وغيرهما من اللغات الشرقية ، وغالبا ما كانت ميولهم واهتماماتهم الشخصية بالشعر تدفعهم إلى ذلك ، إلى الحد الذى جعل بعضهم قادرا على نظم الشعر بهذه اللغات الشرقية ؛ فمثلا نظم "أفوند كاستل" المستشرق ومترجم معانى القرآن ديوانا شعريا ونشره ، وهو يضم أشعارا باللغات : العربية والعبرية والكلدانية والسريانية والسومرية والحبشية والفارسية واليونانية واللاتينية . وقدم ذلك الديوان وهو عمله الأدبى العظيم إلى ملك إنجلترا آنذاك "شارلز الثانى"[٥٦] .

جهود الأساتذة المستشرقين فى تدريس العلوم الإسلامية

يوصى "رودى بارت" المستشرق الألمانى فى القرن العشرين فى آخر كتابه "الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية" بأن :

يجب أن يشترط فى اختيار أستاذ الدراسات الإسلامية فى أقسام الاستشراق بالجامعات الألمانية ضرورة معرفته لست لغات إسلامية وشرقية كالعربية والفارسية والتركية والعبرية والسريانية والآرامية والحبشية[٥٧] .

ومع أن تعلم هذه اللغات يكون صعبا فى بداية الأمر ؛ ولكن لكى تصل الدراسات الإسلامية إلى النتيجة المرجوة فلا مناص من سلوك هذا السبيل .

٧- عقد مؤتمرات الاستشراق

لموضوع الاستشراق والدراسات الإسلامية أهمية حيوية بالنسبة للدول الغربية والمسئولين بالكنيسة إلى الحد الذى جعل :

أولا : كل دولة لا تكتفى بإنجازات باحثيها وتستفيد من المعلومات التى توصل إليها منافسوها كذلك .

ثانيا : لا يمكن تنفيذ بعض المخططات الاستعمارية والتبشيرية بنجاح فى الدول الشرقية عن طريق وجود دولة غربية بمفردها ؛ ومن ثم فإن هذا النوع من المشروعات الواسعة المهمة والمصالح المشتركة للدول الاستعمارية والكنائس المختلفة فى الغرب تستوجب عقد مؤتمرات دولية لمزيد من توحيد الأفكار والتشاور والتضامن واتخاذ القرارات الموحدة .

يقول محمد قطب : يعقد المستشرقون نوعين من المؤتمرات حول الإسلام :

الأول – مؤتمرات سرية خاصة بهم يبحثون فيها الموضوعات السرية الموجودة على جدول أعمالهم .

الثانية – مؤتمرات علنية يشارك فيها بعض علماء المسلمين ، ويوجد على جدول أعمالها موضوعات علنية ومفتوحة(٥٨) .

والآن انتبهوا إلى جانب من جوانب تنفيذ هذا المشروع :

نبذة تاريخية عن مؤتمرات الاستشراق فى الغرب

١– بدأ أول مؤتمر دولى للمستشرقين أعماله فى باريس عام ١٨٧٣م ، وعُقد أكثر من ثلاثين مؤتمرا حتى عام ١٩٨٠م .

٢– بدأ أول مؤتمر للمستشرقين فى ألمانيا فى مدينة "درسدن" فى عام ١٨٤٩ واستمر بشكل منتظم بعد ذلك .

٣– أقيم مؤتمر المستشرقين الدولى فى "أكسفورد" بحضور تسعمائة مستشرق من خمس وعشرين دولة وخمس وثمانين جامعة وتسع وتسعين جمعية علمية(٥٩) .

مجالات موضوعات مؤتمرات الاستشراق

بالإضافة إلى مؤتمرات المستشرقين الدولية على مستوى العالم - وهى لها تاريخ خاص - فإن كل مركز من مراكز الاستشراق يعقد دائما ندوات ولقاءات من أجل تبادل وجهات النظر وتبادل الخبرات والإنجازات الجديدة .

ويوضح الإحصاء التالى موضوعات المؤتمرات التى عقدتها "المدرسة الأوروبية لبحوث الاستشراق والدراسات الإفريقية" على مدى العام الدراسى ١٩٩٠ - ١٩٩١م:

١- المؤتمر الدولى الخامس لبحوث اللغة التركية .

٢- مواقف اليابان بالنسبة للشرق الأوسط المعاصر .

٣- تراث التصوف الإيرانى .

٤- الإمبراطورية المغولية وتراثها .

٥- طريقة تدريس اللغة العربية كلغة أجنبية .

٦- تطور الزراعة فى إيران فى القرن العشرين .

٧- المؤتمر السنوى للجمعية الإنجليزية لبحوث الشرق الأوسط .

٨- الشرق الأوسط من وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية .

٩- معماريو المجتمع الإسلامى ومهندسوه .

١٠- صور من الأوضاع فى إيران اليوم .

١١- المشكلات الزراعية فى مصر .

١٢- الماء والغذاء ، ضغوط شديدة على الشرق الأوسط .

١٣- العلويون فى تركيا .

١٤- اقتصاد إيران بعد الثورة .

١٥- العادات والمعتقدات فى الشرق الأوسط .

١٦- استيعاب حرب العرب وإسرائيل .

١٧- الجماعات الإسلامية المجاهدة فى مصر .

١٨- سوريا والتعصب والطبقية وقدراتها السياسية .

١٩- الهجرات العالمية من الشرق الأوسط .

٢٠- مصادر الماء فى الشرق الأوسط .

٢١- الحدود الدولية فى الشرق الأوسط .

٢٢- السينما والمجتمع فى العالم العربى .

٢٣- السياسة الخارجية التركية .

٢٤- تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية فى المدينة الناشئة .

٢٥- إشكاليات ترجمة النصوص الدينية .

٢٦- الأساطير والخرافات اليهودية فى شرق أفريقيا .

٢٧- تطور الإخوان المسلمين فى مصر فى الستينيات .

٢٨- المسلمون فى آسيا الوسطى .

٢٩- نظام الأسرة فى الإسلام ، نظرية وأسلوب تطبيقه فى المغرب وإيران .

٣٠- تأثير الحرب السياسية على كتابة الحديث .

٣١- المرأة والإسلام والحكومة .

٣٢- اليهود اليمنيون فى إسرائيل .

٣٣- يهود بخارى .

٣٤- يهود الجبل فى القوقاز .

٣٥- يهود الصين .

٣٦- الإسلام واليهود والصهيونية[٦٠] .

٨- السياحة والرحلات

رؤية وذكرى للإمام الخميني (رحمه الله)

قال الإمام الخمينى (رحمه الله) فى شهر مهر ١٣٥٧ ش (١٩٧٨م) فى نوفل لوشاتو بباريس فى جمع غفير من الطلاب والإيرانيين المقيمين هناك :

وفى كل الأحوال فقد انشغلت هذه الدول العظمى وهذه القوى الكبرى بدراسة أوضاع وأحوال تلك البلدان الإسلامية وخاصة التى تمتلك ثروات ، وفى مقدمتها إيران . وإذا لاحظتم فإن هؤلاء السائحين قد شقوا طريقهم إلى الشرق منذ أكثر من ثلاثمائة عام ، وجاءوا تحت مسمى السياحة ، ولكنهم كانوا موظفين سياسيين قاموا بدراسة هذه البلدان الشرقية . والذين قدموا إلى إيران أخذوا يبحثون ويدرسون كل ما يتعلق بالمدن والقرى هناك .

وحتى الصحارى التى لا يوجد بها ماء ولا نبات ، جاءوا إليها وهم يمتطون الجمال ويتحملون فى سبيل ذلك الكثير من المشقة والعناء ، وكانوا يتنقلون مع القوافل ويدرسون الأوضاع الجغرافية لهذه البلاد ، والأهم من ذلك يدرسون بدقة الثروات مثل : الذهب والنحاس والبترول والغاز وكل ما هو موجود ، ويرسمون الخرائط بكل الأماكن التى تضم ثروات فى تلك البلدان ، والأماكن التى نعرفها فى إيران ، والتى كانت مفيدة ونافعة لهم ، ويضعون علامات عليها ويسجلونها ويثبتونها . وقبل أن تطأ أقدام أمريكا هذه البلاد كان الإنجليز هم السباقين وكذلك الروس وبعض البلدان الأخرى .

على أية حال فإن بلادنا وبلدان الشرق كانت موضع دراسة وطمع من قبلهم منذ ما يقرب من ثلاثمائة عام أو أكثر بقليل ؛ وكلما تقدموا فى هذا العمل كثر خبراؤهم وتعمقوا فى تخصصاتهم ، ووفدوا بأعداد أكبر إلى تلك البلاد ، واستقوا جميعا معلوماتهم من سكانها أنفسهم فى الغالب الأعم .

وكانوا يدرسون معنويات القبائل التى تضمها إيران مثل قبيلة البختيارية وقبيلة القشقائية وأمثالهما دراسة وافية حتى يتعرفوا على معنوياتهم وأحوالهم ، وإلى أى مدى يمكنهم الاستفادة منهم ، كما أنهم كانوا يقومون بدراسة المحافظات والقرى ، كل القرى الموجودة فى إيران ، ومنها القرى النائية والجبلية وغير ذلك ؛ أى أنهم كانوا يرسلون الخبراء فيرسمون لها الخرائط ويسجلون كل ثرواتها وكل ما يجدونه جديرا وقيما فيها ، وقد أعدوا أنفسهم لغزوها ، غاية الأمر أن القائمين على الأمر من سلاطين أو رؤساء كانوا مختلفين فى تحقيق مصالحهم ؛ فأحيانا لم يكونوا على درجة كبيرة من الخيانة ، وأحيانا كانوا على درجة كبيرة من الخيانة حيث استسلموا بكافة المقاييس .

ذكرى من همدان

كنت ذات مرة فى همدان ، فأحضر صديق لى خريطة ، خريطة كبيرة ربما تصل مساحتها إلى متر فى متر ، وكانت تلك الخريطة لهمدان ؛ قرى همدان . ومدون عليها كل الثروات الموجودة فى باطن الأرض فى قرى همدان ، وعليها مواقع كثيرة . وكانت المواقع المشار إليها على هذه الورقة بلون مختلف . فقال لى صديقى هذا إن هذه المواقع التى أشاروا إليها على الخريطة وفى هذه القرى بها شىء إما أن يكون معدن النحاس أو البترول أو غير ذلك ، وهو الآن لم يستخرج منه شىء وهم يعلمون أين توجد مثل هذه الأشياء . على أى حال ، هم بدأوا أولا بالخرائط وحددوا برسم هذه الأماكن كل شىء عن أحوال وأوضاع بلدان الشرق وبلاد إيران التى ابتليت الآن[٦١] .

وتعد كتب رحلات السائحين والرحالة الذين سافروا على مدى القرون الأخيرة إلى إيران والعراق ومصر وغيرها من الدول الإسلامية والشرقية ، كنزا ثمينا يمكن للمسئولين السياسيين والثقافيين فى الدول الإسلامية وكذلك الباحثين عن طريق دراستها الاطلاع على أنشطتهم الجديرة بالتسجيل . ولا شك أن كثيرا من الموضوعات والأنشطة السرية لم تطبع ، بل أرسلوها فى تقاريرهم السرية إلى الحكومات التابعين لها ، كما أن عددا من هؤلاء السائحين قد كتبوا تقارير ولكن لم يكتب لها نصيب من الطباعة والترجمة .

وهل كل هؤلاء السياح بالأمس ورحالة اليوم الذين يحملون حقائبهم فوق ظهورهم ويضعون نظارات على عيونهم وقبعات فوق رؤوسهم ويمسكون بأيديهم المناظير ويضعون فى جيوبهم الأقلام والأوراق ، جاءوا وسيأتون للتسلية والنزهة فقط ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال يمكن الحصول عليها من أحد السائحين وهو السيد "آرمينيوس ڤامبرى" حيث يقول :

الدرويش المزيف أو آرمينيوس ڤامبرى :

قام هذا المستشرق المجرى المولد فى عام ١٨٣٢ م بالسياحة والتجوال فى مدن إيران وأفغانستان المختلفة ودول آسيا الوسطى وهو يرتدى زى دراويش الأتراك كأحد المتصوفة الذين يرتدون الخرقة وبلحيته الطويلة وقبعته الجلدية على رأسه والكشكول[٦٢] فى يده وباسم مستعار هو "رشيد أفندى" ، وجمع معلومات كثيرة وموثقة عن الأحوال الحقيقية الدينية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والعادات والتقاليد والأساطير والأوضاع السياسية والعسكرية والخصائص اللغوية لسكان مدن "طهران" وقرى محافظة "جلستان" و "مشهد" و"تربت جام" و "شهرنوباخرز" و"هرات" و"سمرقند" و"بخارا" وغيرها .

وقد أُرسل لهذه المهمة بعد أن قضى عدة سنوات فى تركيا من قبل "المجمع

اللغوى" وقدم إلى طهران فى ١٣ يوليو ١٨٦٢م الموافق محرم ١٢٧٩ هـ ، ومنذ يناير عام ١٨٦٣ بدأ رحلته الطويلة والشاقة بمساعدة ومساندة السفارة التركية فى إيران عن طريق "سارى" و "جرجان" و"جميشان تپه" وبعد قضاء عام فى التجوال بين ربوع آسيا الوسطى قدم إلى مشهد أثناء عودته عن طريق "كاهريز" و"شهر نو" و"همت آباد" واستقبل هناك من قبل "العقيد دلماج" القائد العسكرى الإنجليزى فى خراسان ، ثم وصل إلى طهران عن طريق شاهرود ، واستقبل هناك من قبل السفارتين التركية والإنجليزية و"م . أليزون" مبعوث ملكة إنجلترا .

ويمكن إدراك أهمية وحساسية الدور السياحى الذى قام به هذا السائح من الإستقبال والحفاوة التى استقبل بها من قبل القوات السويسرية والقنصل العام الإنجليزى "م . أبوت"[٦٣] ، والقنصل الإيطالى "م . بوزيو"[٦٤] ، وقنصل بروسيا "الدكتور إ. بلو"[٦٥] ، وقنصل النمسا "هر دراجوريش"[٦٦] ، وذلك بعد لقائه مع ناصر الدين شاه وسفره من طهران إلى تبريز .

وبعد أن عبر هذا الدرويش السائح تركيا وعندما وصل إلى مدينة "PESTH" أذن لرفيق رحلته القديم المدعو "الدرويش قونجرانى" والذى أخذه معه كدليل بحجة السفر للحج بالعودة ، وقام هو بتدوين كتاب رحلاته من خلال المذكرات المتفرقة التى كان قد كتبها طوال رحلته .

ويمكن إدراك مستوى أهمية كتاب رحلاته هذا المهم جدا والشيق والجدير بالقراءة من السطور السابقة وترحيب واستقبال قناصلة الدول الغربية له ، وكذلك من انتظار الحكومة الكبيرة للإمبراطورية البريطانية ، ذلك لأن "الجمعية الجغرافية الملكية الانجليزية" كانت تنتظر إرسال معلوماته الجديدة من هذه الرحلة ، وبمجرد وصوله إلى لندن قدمها حتى يستفاد منها فى السنوات التالية الفوائد الضرورية . وقد أعد كتاب الرحلات المذكور فى ٢٨ سبتمبر عام ١٨٦٤م ثم طبع بعد ذلك .

٩- إرسال موظفين على أنهم طلاب علوم دينية بهدف معرفة مبادئ الإسلام وأصوله وسبل عرض الإسلام الجديد

يقول "جاردنر" فى توجيهاته للمؤتمر العالمى للتبشير فى إدينبورج والمحفوظة مناقشاته فى عشرة مجلدات كوثيقة مهمة فى مكتبات الغرب :

ما زال هذا التعليم وتعليم الإسلام التقليدى يشكل حتى الآن أساس حياة جماهير المسلمين فى كل أنحاء العالم ، هذه الجماهير التى ينبغى أن تذكر دائما على أنها "قوة طبيعية مخيفة وقادرة" . ومن ثم فإن "تعليم الإسلام التقليدى" ما زال يحتاج حتى الآن إلى دارسين أكثر من السابق . هؤلاء الدارسون ينبغى أن يضيفوا إلى برنامج عملهم "مهمة المراقبة ، ودراسة و"تحقيق الإسلام الجديد" الذى يوجد به جوانب متناقضة كثيرة[٦٧] .

وتعتبر مذكرات "مستر همفر" الجاسوس الإنجليزى فى البلاد الإسلامية التى تنم عن دراسته للدين والقرآن واللغة العربية على يد "الشيخ أحمد أفندى" فى إسطنبول مركز الخلافة العثمانية ، نموذجا لتجسيد هذا المشروع وتنفيذه . ومع أن هذا المشروع قد تم الإعلان عنه فى أوائل القرن العشرين من قبل "جاردنر" ، فإن مبدأ هذا المشروع كان ينفذ منذ القرون السابقة على ذلك ، ومن ثم فإن ما قام به مستر همفر يرجع إلى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى (عام ١٧١٠م) حيث كان يُنفذ لفترة ما قبل إعلان جاردنر عنه[٦٨] .

وتشبه هذه الحادثة أيضا مهمة جاسوس إنجليزى آخر هو "البرنس كينياز دالجورجى" الذى أوفد إلى الحوزة العلمية بالنجف لدراسة العلوم الدينية حتى يتولى مهمة إعداد صدع فكرى وترويج العقائد المنحرفة وخلق دين جديد ، وذلك بعد دراسته للمعارف الإسلامية . ولا شك أنه وُفق فى خداع "ميرزا على محمد الشيرازى" حتى جعله يؤسس طائفة "البهائية" الضالة ، وكم من المصائب حلت بالمجتمع الإسلامى نتيجة لذلك[٦٩] .

إيفاد باحثين مستشرقين للإقامة في الدول الإسلامية ودعمهم

يتحدث "جاردنر" فى مؤتمر إدينبورج عن مواصلة مخططاته التبشيرية الاستعمارية ؛ فيقول :

إن المساعدات المالية الخاصة بالباحثين الذين يعملون بين المسلمين فى كافة أنحاء العالم ، تتزايد من ناحيتى الكم والكيف ، وخاصة فى الأماكن التى توشك الاستنارة والثقافة على الانتشار فيها(٧٠) .

ظاهرة اعتناق الإسلام الخادعة

من الطبيعى أن يتعلم الموفدون للدخول فى سلك الطلاب والباحثين والسائحين وأمثال ذلك دروس الكذب والخداع منذ البداية فيقدموا أنفسهم بمجرد دخولهم للبلدان الإسلامية على أنهم اعتنقوا الإسلام حديثا وتسموا باسم "محمد" ، حتى يثق المسلمون بهم ويستقبلوهم بالأحضان والترحاب .

ويوضح تنفيذ هذا المشروع سيرة كثير من السائحين والشخصيات الاستشراقية والتبشيرية الاستعمارية التى ذكرناها فى الصفحات السابقة ، مثل : المستر همفر ، والبرنس دالجورجى أو الشيخ محمد ، ولورانس العرب .

ويذكر الدكتور خليفة حسن أيضا ضمن حديثه عن الأسلوب غير الإنسانى وتأصيل مبدأ GOING NATIV أسماء أشخاص من أمثال : فيليب ، ولين ، وكلوني وهورجون الهولندى الذين ادعوا اعتناقهم للإسلام ، ويضيف أن غرضهم من ذلك هو دخول أراضى مكة المكرمة والمدينة المشرفة ، وما زالوا حتى الآن يفدون إليهما حتى يتعرفوا على أسرار المسلمين عن كثب ، مثل "جيرتس" الذى ألف ونشر كتابا بعد ذلك باسم "الإسلام الذى رأيته"(٧١)(٧٢) .

مستشرق يهودى فى زى طالب أفغانى

روى لى حجة الإسلام الدكتور بى أزار الشيرازى هذه القصة ، قال :

عندما كنت أدرس فى جامعة "ماك جيل" فى كندا ، أبدى أحد طلاب الجامعة ميلا كبيرا ورغبة أكيدة فى التحدث معنا نحن المسلمين . وكلما تحدث معى كان يتحدث باللغة الفارسية بلهجة أفغانية خشنة . وجعلتنا لهجته العامية السلسة نعتقد بأنه طالب أفغانى مسلم يشبه الغربيين قليلا فى مظهرهم . وذات يوم دخلت قاعة الندوات ففوجئت بأن المحاضر فى تلك الندوة هو نفس صديقنا الأفغانى ، وكان يلقى محاضرته بلغة إنجليزية سليمة ويقوم بتحليل وتفسير بعض القضايا . وبعد البحث تبين لى أنه يهودى فرنسى ، وأن لغته الأم هى الفرنسية ولغته الثانية هى الإنجليزية وأنه يجيد بعض اللغات الإسلامية .

وبعد ذلك سألته : أين تعلمت اللغة الفارسية وأجدتها إلى هذا الحد ؟ قال : كنت أذهب كل صيف إلى أفغانستان وأرتدى ملابس الطلبة الأفغان ، ثم سافرت إلى مشهد بعد أن تمكنت من لغة أفغانستان وثقافتها ومعارفها ، وواصلت دراساتى وأبحاثى فى خراسان كطالب أفغانى !!

١٠ - قبول طلاب من الدول الإسلامية فى مركز استشراق برينستون بأمريكا وعمل غسيل مخ لهم

يعتبر مركز أبحاث الشرق الأدنى "بجامعة برينستون" من أوائل مراكز الاستشراق التى ظهرت فى أمريكا .

ومؤسس هذا المركز مستشرق مسيحى مشهور يدعى "فيليب حِتّى"[٧٣] انتقل من الجامعة الأمريكية ببيروت إلى مدينة "برينستون" بأمريكا عام ١٩٢٠م بناء على أوامر من رئاسة الجمهورية الأمريكية ، وأسس هذا المركز الذى يشتهر بالتعصب للصهيونية .

وقد تولى إدارة هذا المركز فيما بعد المستشرق اليهودى الإنجليزى "البروفيسور برنارد لويس" ، وتجنس بالجنسية الأمريكية ، ولعب دورا فى تلك الجامعة ضد الثورة الإسلامية التى قامت فى إيران . وتعد هذه الجامعة واحدة من المراكز العلمية الأمريكية التى تقدم منحا دراسية للدراسات التكميلية لطلاب الدول الإسلامية ... يقول الدكتور مازن صلاح مطبقاتى مؤلف كتاب "من آفاق الاستشراق الأمريكى المعاصر" :

عندما سافرت إلى أمريكا للحصول على فرصة لاستكمال رسالتى للدكتوراه المقدمة إلى كلية الدعوة والاستشراق بالمدينة المنورة ، قدمت إلى مدينة "برينستون" فأرسلنى ملحقنا التعليمى إلى أحد "المشرفين" الذى تولى توجيهى فى مدة إقامتى بكل مودة ونشاط ونظّم لى البرامج ، ومنها فى البداية برنامج استكمال تعلم اللغة ثم الحضور فى "مركز الاستشراق بجامعة برينستون" .

وكم كان يتعامل بكل لطف حتى أننى لم أدرك لفترة أنه مبشر مسيحى مدرب مسئول عن توجيه الطلاب المسلمين إلى الفكر المسيحى وإضعاف الدين الإسلامى عندهم[٧٤] .

حفل تخرج الطلاب في أمريكا بالزي العربي

تفخر جامعة برينستون الأمريكية بجهودها التعليمية العديدة فى الاستشراق والدراسات الإسلامية التى يقوم بها "قسم دراسات الشرق الأدنى" فى كل أمريكا ، وقد تم التخطيط والإعداد لمراسم حفل تخرج طلاب قسم الدراسات الإسلامية فيها فى عام ١٩٦٧م ونفذ بحيث يشارك الطلاب فيه وهم يرتدون ملابس طويلة وأغطية رأس وصنادل كما هو الحال بالنسبة للزى العربى . ويدخلون قاعة الاحتفال وقد وضعوا أيديهم على رؤوسهم كعلامة على الهزيمة والانكسار فى حرب المسلمين مع الغرب !![٧٥] .

هذا النوع من مراسم الاحتفالات هو أوضح مظهر من مظاهر "التعليم المسموم للاستشراق" الذى يتم على هيئة برنامج علمى وتعليمى وفنى فى جامعة أمريكية . ولهذا جاء فى نص لائحة قبول الطلاب الشرقيين فى الجامعات الأوروبية هذه المادة التى تنص على :

لابد من أن يتأثر الطلاب الذين يفدون إلى فرنسا من البلدان الشرقية للدراسة بالحضارة المسيحية وينصاعوا لها[٧٦] .

١١ - تأسيس مراكز للدراسات في الدول الإسلامية وغير الإسلامية

قلما يوجد اليوم بلد إسلامى أو شرقى لا يوجد به "مركز للدراسات الإسلامية أو الشرقية" من قبل الدول الغربية . وحيث إن المستشرقين يرتدون مسوح العلماء بشكل مهذب ومؤدب كالفلاسفة ويدخلون هذه البلاد وتلك المراكز ويحملون ألقابا مختلفة كالدكتور والبروفيسور ؛ فقد أخذ المسئولون فى الدول الإسلامية ينظرون إليهم بتفاؤل وبنية حسنة ويفسحون لهم المجال ، غافلين عن أن هذه الأنشطة التى يقومون بها هى مصداق لمشروع استعمارى وتبشيرى متفق عليه فى المؤتمر العالمى للتبشير فى إدينبورج .

وقد صرح "جاردنر" فى ثنايا حديثه فى مؤتمر "إدينبورج" بقوله :

إننى لا أعلم أين يمكن أن تتم مثل هذه الدراسة حول "معرفة مبادئ الإسلام التقليدى وسبل ترويج النزعة التجديدية الدينية" ، سوى فى العالم العربى ؟ ... ويرى كثير منا ضرورة إنشاء "مركز دراسات عربية" بشكل "هادئ وبدون جلبة" هناك بحيث يكون فى المستقبل فى خدمة كافة البعثات التبشيرية فى الدول الإسلامية[٧٧] .

ويقول مؤلف كتاب الاستشراق والخلفية الفكرية :

يوجد فى أمريكا فقط ما يقرب من خمسمائة مركز بحوث خاصة بالعالم

الإسلامى ، وظيفتها متابعة ودراسة الأحداث والظواهر والأفكار السائدة فى العالم الإسلامى وتحديد الأعمال التى يمكن القيام بها من أجل تحقيق الأهداف السياسية الأمريكية[٧٨] .

تأكيد السفارة الأمريكية فى إيران لوزارة الخارجية الأمريكية على ضرورة إنشاء مركز للدراسات الفارسية

قدم السفير "استيوارد راكول" القائم بالأعمال الأمريكى المؤقت فى إيران بتاريخ ٣٠ آذار ١٣٤٢ (١٩٦٣م) لوزارة الخارجية الأمريكية تحليلا مفصلا يقع فى خمسين صفحة حول "الطبقات المستنيرة الفكر فى إيران" وتعريف "الشخصيات البارزة" و"السيرة العلمية" لهم ووجهات نظرهم الحقيقية وسبل تحقيق أهداف أمريكا فى إيران . وجاء فى بعض فقرات هذه الرسالة :

... ونحن نعتقد كذلك أن تأسيس "معهد أمريكى للدراسات الفارسية" فى طهران سوف يكون فرصة طيبة للأمريكيين ذوى البعد الفكرى الكبير للدخول برفقة زملائهم الإيرانيين فى بيئة تكون بعيدة عن الوجود الرسمى لأمريكا . ويفد إلى إيران فى كل عام أكثر من ستة أشخاص من علماء الطبقة الأولى فى أمريكا فى مجال الثقافة والحضارة الإيرانيتين بفضل البرامج الأمريكية غير الحكومية ، فإذا توفر لهم المكان الذى يعيشون ويعملون فيه ، ويتعايشون مع زملائهم الإيرانيين ؛ فسوف يكون لهم دور أهم فى التأثير على العلماء الإيرانيين ؛ وسوف يقدمون أفكارا نافعة حول ثقافتنا وحضارتنا .

ويمكن الاستعانة بالبروفيسور "ريتشارد ايتنجهاوزن" و"كالرى هنر فيرير" الذى كانت زيارته مؤخرا موفقة جدا ، لتولى الإشراف على إنشاء مثل هذا المعهد عند توفير

الدعم المالى الخاص به[٧٩] .

تحصيل نفقات الاستشراق من الدول الشرقية

أعد المرحوم الدكتور طيباوى الذى كان فلسطينى الأصل وأستاذا فى المراكز التعليمية بجامعة لندن ، وكان يتردد على المستشرقين والمراكز التعليمية والبحثية للاستشراق والدراسات الإسلامية فى إنجلترا على مدى عشرات السنوات ، تقريرا موجزا عن ثلاث جامعات إنجليزية وأمريكية فى الفترة ما بين عامى ١٩٦٠ و ١٩٧٠ على لسان مسئوليها ونشره فى كتابه المعروف باسم "المستشرقون الناطقون بالإنجليزية" ، نورد بعضا منه فيما يلى :

(أ) تقاضى مركز دراسات وبحوث الشرق الأوسط فى لندن من حكومة الكويت فى كل عام مبلغ خمسة آلاف جنيه إنجليزى فى الفترة ما بين سنتى ١٩٧٠ - ١٩٧٩م . كما تقاضى أيضا مبالغ من حكومة أبو ظبى .

(ب) حصلت جامعة إكستر من الإمارات العربية المتحدة كل عام مبلغ خمسة وعشرين ألف جنيه إنجليزى . كما حصلت من حكومة قطر مبلغ أربعة وثلاثين ألف جنيه إنجليزى من أجل إنشاء مركز دراسات الخليج .

(جـ) تقاضى مركز الدراسات الإسلامية بجامعة ماك جيل بكندا كل عام مبلغ خمسين ألف دولار من حكومة الكويت فى الستينيات . كما حصل من الحكومة السعودية على مبلغ أربعين ألف دولار فى عام ١٩٧٦م .

(د) حصول مركز الاستشراق بجامعة هارفارد على مساعدات مالية من الحكومة السعودية .

(هـ) حصول مركز الاستشراق بجامعة ميتشيجان على مساعدات مالية من الحكومة الليبية .

(و) حصول مركز الاستشراق بجامعة جورج تاون على مساعدات مالية من

الحكومات العربية[٨٠] .

١٢- تأسيس مدارس حكومية ومستشفيات مجهزة للمسلمين وخاصة الحجاج

وجه "جاردنر" فى محاضرته فى مؤتمر إدينبورج إلى مايلى :

إن عملية التبشير المباشر بين المسلمين التى سارت ببطء فى العقود الأخيرة فى فلسطين وسوريا ، هى اليوم ممكنة أكثر من أى وقت مضى . ويمكن القيام بهذه العملية عن طريق : اللقاءات المباشرة ، والمراسلات ، والمساعدة فى نشر الآداب المسيحية ، وتيسير الحصول على الإنجيل ، والبعثات العلاجية والطبية ، ومدارس البنات والأولاد ...

ولا شك أنه يبدو أن وجود بعثة تبشيرية فى مكة والمدينة أمر بعيد عن الواقع وضرب من الخيال إلى حد ما ، ولكن لا يمكن القول بأن هذا الأمر سينجح أو يفشل بدون دراسة وبحث وسعى ؟

وعلى أية حال فإن السعى من أجل إنشاء مركز فى مدينة "جدة" يعتبر أمرا ضروريا ، هذا بالتزامن مع تأسيس مستشفى مجهز تماما حتى يعلم الحجاج معنى "المحبة المسيحية" .

لقد قال لى الدكتور زومر[٨١] بالأمس إن القيام بهذه الخطوة فى جدة يعتبر من وجهة نظره أكثر أهمية ، وهى بالتأكيد عملية أكثر من مكة[٨٢] .

وفى الاجتماع الذى عقده سفراء الدول الأوروبية فى عاصمة الإمبراطورية العثمانية ، اتفقوا جميعا على أن المدارس ومراكز الشباب التعليمية التى أنشأها الأوروبيون فى مصر للشباب المسلمين كان لها تأثير أكبر ونجاحات أكثر من غيرها

من المشاريع المشتركة للدول الأوروبية فى الشرق(٨٣) .

الهدف الأصلى من وراء الجامعات الغربية فى الدول الإسلامية

مع أنه عادة ما تكون الدوافع والأهداف الأساسية لإنشاء الجامعات والمراكز التعليمية التابعة للدول الغربية الاستعمارية فى الدول الشرقية والإسلامية جزءا مما لا يقال ولا يكتب ، ويتناقلها القائمون على شئون هذه المراكز فيما بينهم حتى لا يفر منها الطلاب الشباب وأباء المسلمين وأمهاتهم والبسطاء منهم ، فإنهم أحيانا عندما يشاهدون تحرر مجموعة من طلابهم من شباكهم الاستعمارية والتبشيرية فإنهم فى هذه الحالة يضطرون إلى الحديث عن كل تلك الأهداف بكل صراحة وبدون خوف أو تردد ، ويعلنون ضرورة التزام الطلاب بتلك الأهداف !!

فمثلا عندما لاحظت "جامعة بيروت" مقاومة الطلاب المسلمين للاستماع إلى مواعظ القساوسة والحضور اليومى المستمر فى الكنيسة ، أصدرت بيانا رسميا يتضمن الآتى :

هذه الكليات المسيحية تأسست بمساعدات مالية من المسيحيين ؛ فهم الذين اشتروا الأرض وشيدوا المبانى وأنشأوا المستشفيات وجهزوها . ولن تستطيع هذه المؤسسة الاستمرار فى أنشطتها وفعالياتها فى حالة عدم تنفيذ سياساتها وتطبيقاتها . لقد تحملوا كل هذه النفقات من أجل تدريس كتاب الإنجيل كمادة من المواد الدراسية ، وتقديم المعارف المسيحية إلى كل طالب ...

ولذلك فإن من واجب كل طالب يلتحق بهذه الجامعة أن يراعى توقعات القائمين على أمر هذه الجامعة وما ينتظرونه منه .

وعندئذ أصدرت هيئة أمناء الجامعة بهذه المناسبة بيانا آخر يتضمن ما يلى :

إن هذه الكلية لم تنشأ من أجل تعليم العلم منفصلا عن الدين ، أو القيام بتزكية الأخلاق فحسب ، بل إن أهم أهدافها هو تعلم القضايا العقائدية السامية للتوراة

والإنجيل ، واستيعابها وتقديمها للمجتمع[٨٤] .

الجامعات الغربية فى الدول الشرقية

١- الجامعة الأمريكية فى القاهرة ؛ وتخرج كل عام عددا من المبشرين المسيحيين الذين يدرسون المعارف الإسلامية التى تدرس فى الأزهر حتى ينقدونها نقدا أكثر جدية .

٢- الجامعة الأمريكية فى بيروت ؛ تأسست هذه المؤسسة التعليمية فى بادئ الأمر ككلية صغيرة باسم "الكلية السورية الإنجليزية" ، ثم أطلقت على نفسها بعد ذلك اسم "كلية بيروت" ، وفى عام ١٨٦٥ اتخذت الصفة القانونية وأعلنت عن نفسها تحت اسم "الجامعة البروتستانتية المسيحية" .

٣- الجامعة الأمريكية فى إسطنبول ؛ أنشأ هذه الجامعة قسيس ، وما زالت رئاستها حتى الآن بيد الكنيسة .

٤- الجامعة الفرنسية فى لاهور .

٥- كلية "جوردون" فى الخرطوم ؛ تأسست هذه الكلية فى إنجلترا على يد تشارلز جوردون فى عام ١٩٠٢ . ومع أنه قتل فى عام ١٨٨٥م فى ثورة المهدى السودانى ، فإن الكلية مازالت باقية .

٦- جامعة القديس بولس فى لبنان ؛ وهذه الجامعة مخصصة لتعليم وتربية قساوسة الطائفة الكاثوليكية ، وهى تسمى اليوم باسم "الجامعة اليسوعية"[٨٥] .

المدارس الأمريكية فى إيران وتركمانستان

مع أن الاتصال بين أمريكا وإيران ليس له قدم تاريخى ، فإن من أوائل الخطوات الاستعمارية الأمريكية فى إيران خطوة تأسيس مدرسة فى طهران .

أصبح "صامويل جوردن" مديرا للمدرسة الأمريكية فى إيران عام ١٣٢٠ش

(١٩٤٠م) ومنذ عام ١٣٢٤ش (١٩٤٤م) وما تلاه عين مديرا للكلية الأمريكية فى طهران . وكان نشاطه يقوم على تعليم الشباب الإيرانيين وإعداد الأشخاص المناسبين من أجل الفعاليات والأنشطة الأمريكية فى إيران فى المستقبل[٨٦] .

وعلى الرغم من أن هذا النوع من مدارس الغربيين أصبح محدودا فى إيران بعد نجاح الثورة الإسلامية فقد بقيت فقط على سبيل المثال "المدرسة الخاصة بالأرمن" فى طهران التى لا تشكل فى الظاهر مشكلة سياسية أو استعمارية تبشيرية ، بل هى تقوم كالمعتاد بتعليم وتربية أبناء الأرمن الإيرانيين وفقا لتعاليم دينهم المسيحى مما يعد حقا لهم كمواطنين .

لكن مخططى المدارس الأخرى المتشابهة قاموا باصطياد أبناء المسلمين وشبابهم وتدبير المؤامرات التبشيرية والاستعمارية مما دفع المسئولين المعنيين فى الجمهورية الإسلامية إلى إغلاق تلك المدارس . وعقب إغلاق تلك المدارس أرسل قداسة البابا "جان بول الثانى" زعيم مسيحيى العالم رسالة خاصة للإمام الخمينى (رحمه الله) ، رد عليها الإمام الخمينى أيضا برسالة حاسمة ، وهى التى أصبحت وثيقة من الوثائق التاريخية القيمة[٨٧] .

ومن البديهى أنه لا يجب استبعاد وجود مدارس حكومية متعددة مرتبطة بالدول الغربية فى طهران وبعض مراكز المحافظات ، وما زال معظمها موجودا حتى الآن .

وفى الرحلة التى قمت بها إلى تركمانستان بعد انهيار الاتحاد السوفييتى واستقلال هذه الجمهورية لاحظت أن الاستثمارات الأمريكية الحقيقية فى تأسيس المدارس الحكومية والجامعات أكثر من أى دولة من الدول الاستعمارية المنافسة لها . فقد أقدموا على اختيار أبناء الأرستقراطيين النابهين فى تركمانستان وتحديد مرتبات شهرية سخية لهم حتى يقوموا بعد تخرجهم بتنفيذ المشاريع الغربية الاستعمارية على الدوام ويروجوا الثقافة الأمريكية الاستعمارية هناك[٨٨] .

وقد حاول الاستشراق أن يقوم بدور نشط وفعال فى أشكال متنوعة ، حتى فى

صورة المسيحيين الموجودين فى البلدان الإسلامية ، على الساحات الدينية للمسلمين ، ويعتبر التصميم الهندسى لمصلى صلاة الجمعة فى قم على يد المهندس جورجين بيتشيكيان المسيحى الموجود فى إيران وكذلك تصميمه لكلية الطب فى مدينة قم من الأمور التى تستحق الاهتمام .

١٣ - حج المستشرقين

إن مؤتمر المسلمين وتجمعهم العالمى فى الحج كل عام هو أمر له جلاله وعظمته على مدار تاريخ البشرية وتاريخ الأديان ، وقد أدى هذا الأمر إلى إصابة المستعمرين الغربيين وأعداء الإسلام بالقلق دائما ، وكم كان الله حكيما فى تشريع هذه المناسك حتى تكون "قياما للناس" وكذلك "منافع لكم" ، أى تكون أساسا لثبات المسلمين ورسوخ أقدامهم ، وكذلك تحمل لهم منافع ومصالح كثيرة ، ولكن يجب الندم على أنه لا تتم الاستفادة من هذا الزخم الطبيعى فى التوافق الفكرى وتشاور رؤساء الدول الإسلامية والمسلمين ومفكرى العالم الإسلامى حول المشكلات ومواصلة الجهود وسبل الحل .

ولكى يتعرف استعماريو الغرب على العناصر المكونة للحج وماهيته وأخطاره الذاتية فقد استفادوا فى الأوقات المناسبة من قناع "الاستشراق" وسافر بعض المستشرقين على أنهم من معتنقى الإسلام حديثا إلى الحج .

وعلى الرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة حول عدد المستشرقين الجواسيس الذين وفدوا فى موسم الحج على مدى السنوات الأخيرة ، وقيام هيئة الحج الإيرانية ووزارة الحج بالمملكة العربية السعودية بالبحث فى هذا الموضوع ، فإنه يمكن التعرف إلى حد ما على هذا الجانب بالاطلاع على كتب رحلات بعض هؤلاء المستشرقين الذين

كتبوا عن رحلتهم للحج .

والآن نستعرض ثلاثة نماذج من هؤلاء :

(أ) أوليرس جاسبر سيتزن ١٧٦٧ - ١٨١١

تعرف سيتزن على "هامر" فى إسطنبول عام ١٨٠٣ . وعاش فى القاهرة لمدة عامين (١٨٠٧ - ١٨٠٩) . وسافر فى موسم الحج مرتديا الزى الإسلامى إلى مكة ، وتوفى فى اليمن .

وكان قد أرسل كثيرا من أعماله ومؤلفاته ومخطوطات المسلمين حول قبائل الدول الإسلامية وشعوبها إلى هامر[٨٩] .

(ب) ريتشارد برتون

كان من المستشرقين الذين عملوا فى خدمة جيش نابليون عند احتلال فرنسا لمصر ، وسافر إلى مكة والمدينة ، وألف كتابا مهما طبعه عام ١٨٥٥ تحت عنوان : قصتى الشخصية عن السفر إلى مكة والمدينة[٩٠][٩١] .

وقد نجح برتون فى القيام بهذه الرحلة إلى الحج متخفيا فى شخصية طبيب هندى مسلم بجانب سائر المسلمين والتسلل إلى "قلب الإسلام"[٩٢] .

(جـ) سنوك هُورجرونيه المستشرق الهولندى أو الحاج عبد الغفار

ذكرنا معلومات عن حياته وكيفية سفره إلى الحج فى القسم الخاص برواد الاستشراق الاستعمارى . يقول عنه "رودى بارت" المستشرق الألمانى :

قام كريستيان سنوك هورجرونيه (١٨٥٧ - ١٩٣٦) فى رسالته "العيد المكى" بدراسة نقدية للآيات القرآنية الخاصة بإبراهيم باعتباره الأب الأول للإسلام وبانى الكعبة . وقد كلف من قبل الدولة الاستعمارية وأقام نصف عام متخفيا بين المسلمين

فى مكة عام ١٨٨٥م وضمن كتابه المسمى "مكة" الذى كتبه باللغة الألمانية فى جزأين النتائج العلمية لمهمته تلك . ثم ذهب إلى الهند من قِبل الاستعمار وحصل على معلومات وفيرة عن المسلمين وكتب مقالات عديدة نشرت بعناية فنسنج عام ١٩٢٧م فى ستة ثم فى سبعة مجلدات ، وكان تخصصه فى الفقه الإسلامى وتاريخ الشريعة الإسلامية[٩٣] .

استخدام الأدب والمسرحيات في تشويه القيم

(أ) تشويه صورة نبى الإسلام الطاهرة (ﷺ) فى الكوميديا الإلهية

بذل المستشرقون وكثير من الكتّاب الغربيين والمسيحيين جهوداً جبارة من أجل القضاء على ميل الغربيين وانجذابهم نحو الدين الإسلامى الحنيف والأخلاق الحميدة لسيدنا محمد (ﷺ) حتى يظهروه فى صورة سيئة وقبيحة وغير مقدسة ويروجوها فى المجتمعات الغربية . ومن أجل ذلك نسبوا إليه صفات ذميمة ومعيبة متنوعة ووصفوه بها فى مؤلفاتهم . وقد استفادوا لتنفيذ هذا "المخطط المنافى للأخلاق" من كل الأشكال والقدرات والإمكانيات الثقافية والدعائية حتى فى المسرحيات والأفلام والروايات .

ويمكن إدراك عمق ومدى هذه المؤامرة عندما نعلم أن هذه الحيلة القذرة موجودة فى أشهر كتاب أدبى فى تاريخ المسيحية والغرب وهو كتاب "الكوميديا الإلهية" الذى ترجم منذ القرن الثالث عشر الميلادى وحتى الآن أكثر من ألف مرة إلى مئات اللغات الإنسانية ، وترجم كذلك إلى اللغتين الفارسية والعربية ، وما زال كثير من محبى الأدب الإيرانى يقرأونه ويستمتعون به ويقدرونه .

الكوميديا الإلهية

هذا الكتاب من تأليف "دانتى" الشاعر والكاتب الإيطالى الكبير المولود فى

فلورنسا عام ١٢٦٥م ، وقد نشأ فى خضم الحروب الصليبية وفى ظل الأفكار العدائية للإسلام ، ونظم رحلته الخيالية إلى العالم الآخر فى ثلاثة مجلدات هى الجحيم والفردوس والبرزخ فى أربعة وعشرين ألف بيت من الشعر . وهو يتحدث فى هذا الكتاب الخيالى عن معلوماته ووجهات نظره حول مصير طوائف البشر المختلفة .

ويشاهد دانتى فى كتابه الجحيم الذى يستعرض طبقات جهنم المختلفة والبشر الشهوانيين والطماعين والأكولين الشرهين أصحاب البطون الممتلئة والرافضين والملحدين والغاضبين والمنتحرين والكفار ، وهم يتعذبون فى كل طبقة من طبقات جهنم بأنواع مختلفة من العذاب ، ويرى فى الدائرة أو الطبقة الثامنة من دوائر جهنم التسعة المعذبين فى حفر عميقة ، وفى الحفرة التاسعة من الحفر العشرة ، وهى أسوأ وأعمق قسم فى جهنم ، يستقر الكذابون والخونة فقط ، ثم يلى ذلك مكان الشيطان نفسه ، ويقابل هناك "نبى الإسلام" وهو يعانى أقسى أنواع العذاب .

يقول :

رأيتMAOMETTO [٩٤] ضمن الأشخاص الذين زرعوا بذور الوقاحة والتفرقة وهو يتعذب . وقد شُق إلى نصفين دائما من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه ، وهو يشبه البرميل الذى فصلت ألواحه المقوسة عن هيكله ، ويخرج "مائومتو" أمعاءه وأحشاءه ، وسوف نبين ما يخرج منه بدقة وتمعن شديد . ثم يتحدث محمد إلى دانتى عن عذابه ويشير فى نفس الوقت إلى "على" أيضا وهو يقف فى صف المذنبين حيث أمر الشيطان بتقسيمه إلى قسمين ، ويتقدمهم . ويطلب "مائومتو" من دانتى كذلك إخطار "فراديسينيو" بأى مصير ينتظره لأنه ارتدى زى القساوسة وكانت فرقته تؤيد مخالطة النساء ومعاشرتهن ، كما أنه اتهم هو نفسه أيضا بأن له معشوقة[٩٥] .

هذه الجمل والعبارات ما هى إلا نموذج لجرأة ووقاحة مجموعة من علماء الغرب،

وقد نشروها حتى الآن فى ملايين النسخ المطبوعة وعلى مستوى شعوب العالم المختلفة !!

اقتباس الكوميديا الإلهية من حديث معراج الرسول (ﷺ)

الكوميديا الإلهية هى كتاب رحلة خيالية لدانتى ركب فيها زورق الخيال وأخذ يشاهد العوالم العليا ويتفرج على الجنة والجحيم ومن فيهما . ومرشده فى هذه الرحلة هو "ڤيرجيل VIRGIL" الشاعر الرومى الذى كان يعيش فى أواخر القرون الوسطى وهو الذى بشر فى أشعاره ببشارة ولادة طفل يكون عصره "عصرا ذهبيا" ، وصارت هذه البشارة تعبيرا عن ظهور سيدنا عيسى المسيح (عليه السلام) .

هل كان اختيار هذا القالب "الكوميدى" للتعبير عن الأفكار إبداعا وابتكارا من جانب دانتى ؟

لقد أجاب "ميجل آسين MIGUEL ASIN أستاذ اللغة العربية بجامعة "مدريد" فى عام ١٩٢٦م عن هذا السؤال فى كتابه "الإسلام والكوميديا الإلهية" المطبوع فى لندن، واعتبره اقتباسا من حديث معراج الرسول (ﷺ) وذلك بعد تأصيله تاريخيا . يقول :

تمت ترجمة حادثة المعراج إلى اللغة الإسبانية بأمر من "آلفونسو العاشر ALPHONSO "قبل دانتى بعدة سنوات أى فى سنة ١٢٦٠م ، وأصبح فى متناول الأيدى باللغة اللاتينية بعنوان "عروج ماحوما" . وقد استعار دانتى فى عام ١٣٦٠م نفس هذا النموذج لمعراج نبى الإسلام واستخدم هذا القالب ضده .

ولا شك أن "دانتى" الذى كان يعيش فى خضم الحروب الصليبية ، وشاهد فتح "آكر" فى فلسطين على يد المسلمين قبل أن يؤلف الكوميديا بعشرين سنة ، قد استعار الكلمات الأساسية الحاقدة لكتابه من الكتّاب السابقين عليه أيضا ؛ فمثلا اقتبس كلمة "ماهوند"[٩٦] و"شيطان" الخاصة بالرسول (ﷺ) من كتاب "پيرز بلومن" تأليف "ويليام لانجلاند WILLIAM LANGLAND" . كما أن "ويليام دَنبار" الشاعر الاسكتلندى

قد استخدم هذه الألقاب المهينة فى كتابه قبله بمائة وخمسين سنة أيضا . وهذه هى ترجمة بعض عبارات دانتى :

هل يمكن لأحد أن يشرح شرحا وافيا كل الألفاظ والكلمات عن الدم والجراح التى شاهدتها بأم عينى الآن ؟ ومع أنه كان قد تحدث معى عنها بنفسه عدة مرات ، فإنه مما لا شك فيه أن كل اللغات قاصرة عن التعبير عنها ...

بينما أنا قد تحولت كلى إلى عين مع رؤيته ، وقد مزق صدره بيديه ، ونظر إلى قائلا : انظر كيف انشق جسدى وانقسم . انظر كيف تمزق "محومت" .

وقد مر أمامى أيضاً علىّ وقد سالت دموعه ، بينما انقسم وجهه من الجبين وحتى الذقن عن بعضه ، وكل الذين تراهم هنا مع أنهم أحياء حتى الآن ، فإنهم جميعا وكل رءوسهم وأرواحهم فى خصومة وشقاق . وسوف يتمزقون إربا إربا بعد ذلك .

وفى الخلف أيضا يقف شيطان بصورة متوحشة ، وأثناء مرورنا فى هذا الطريق المُحزن كان يمرر كل عضو من هذه الجماعة على حد السيف مرة ثانية(٩٧) .

وقد هُرس محمد بينما كان يبكى بلا توقف .

ويذهب علىّ قبلى ، وقد تمزق وجهه نتيجة ضربة قوية من ذقنه وحتى صدره . لقد كان كل الأشخاص الذين بذروا بذور الفساد والفتن فى كل مكان فى قاع جهنم .

والذين كانوا متحدين حتى الآن ، قد ابتعدوا عن بعضهم البعض الآن على سبيل النفاق .

ووقف فى ذلك الجانب إنسان شرير تعرضنا للهزيمة منه بلا رحمة . فقد وضعنا تحت حد سيفه .

ويتكرر الألم مرة ثانية .

ووقفت مئات الأرواح على جانب أحد الوديان الصخرية تنظر إلى المولى .

وفى الحاشية ذكر اسمان وردا فى المتن . وتم تعريفهما على النحو التالى :

١- "محمد" هو أحد مثيرى الفتن ضد المسيحية .

٢- "على" هو إبن أخى محمد ، وهو نفسه أحد أهم الأشخاص المؤثرين فى الفتن والاختلافات الداخلية بين أتباع محمد نفسه(٩٨) .

عذر أقبح من الذنب

عندما وصلت السيدة فريدة مهدوى الدامغانى التى ترجمت مؤخرا من جديد كتاب "الكوميديا الإلهية" إلى هذه العبارات فى ص ٧٢٩ من كتاب الجحيم صرفت النظر عن ترجمتها ووضعت نقطا ، واعتذرت فى حاشية الصفحة بما يلى :

هذا الجزء من الشعر له وضع يجعلنى بوصفى مسلمة ملتزمة أمتنع عن ترجمته ... وتذكروا أن الدين الإسلامى الحنيف والمقدس كان يُنظر إليه من قِبل حكماء القرون الوسطى على أنه عقيدة عجيبة وخطيرة بسبب جلاله وعالمية تعاليمه ، ولهذا السبب لم يكن أمام دانتى من سبيل سوى النظر إلى كل الأديان غير المسيحية بنظرة خاصة نظرا لاحترامه الكبير للديانة المسيحية ، واعتبارها الدين الحقيقى الوحيد . والواقع أنه يمكن الإعلان بجرأة بأن دانتى لم يكن يقصد إهانة الإسلام الحنيف والإساءة إليه لا سمح الله بأى شكل من الأشكال ...(٩٩) .

ولا يجب الظن بأن هذا العمل الفنى العقائدى لدانتى كان مجرد جسارة ومصادفة من شخص فى كتاب عابر وغير منطقى ورواية حول النبى الأكرم (ﷺ) ، ذلك لأنه كما ذكر "خورخه لويس بورخس" المتخصص فى دانتى فى القرن العشرين فى كتابه المسمى "تسع مقالات حول دانتى" ، أن كتاب الكوميديا الإلهية ما هو إلا مظهر وحلقة من سلسلة جهود إدراكات وإلهامات الروح البشرية التى بذلت فى سبيل تحقيق هدف مهم ، ويقول :

إن كتابا عظيما مثل "الكوميديا الإلهية" لم يكن مجرد هوس أو مصادفة من

شخص ما ، بل هو جهد مشترك للبشر ولأجيال كثيرة . إن بحث الرواد حوله ليس عملا بلا قيمة حتى يكون له جانب قانونى أو بوليسى ، إنه تعمق فى حركات وشكوك وأحداث وإدراكات وإلهامات الروح البشرية[١٠٠] .

جريمة بلا جريرة لنبى الإسلام (ﷺ)

– لا يكون البرىء قليل الذنب فى ديوان العشق ؛

فيوسف قد ذهب إلى السجن لطهارة ذيله

الشاعر صائب التبريزى[١٠١]

– إن حرم وجهه ليس موضع نظرى فقط ؛

فإن القمر والشمس يلتفتون نحو هذه المرآة أيضا

حافظ[١٠٢]

– أود إزاحة النقاب عن وجهك ذات ليلة

وأجعل منك شمسا للكعبة وقمرا للكنيسة

وذات يوم سألنى أحد الأصدقاء فقال : لماذا ينثر بعض المستشرقين التراب على وجه الشمس ؟

فأنشدت له هذه الأبيات التالية إجابة عن سؤاله :

– إن الحرب مع المفكرين هى نتيجة العجز ،

وليس من اللائق الحديث عن أصحاب الشهامة بلا سبب .

– إن نور شمس محمد سيظل ساطعا إلى الأبد ،

وإن نثر التراب على وجه الشمس ضرب من الجنون .

– إن التراب سوف يرتد إلى عين ناثره وقلبه ،

وعمى عينك بالتراب ضرب من الضعف والمسكنة .

ولا تخص هذه المأساة دانتى فحسب ، بل إن هذا الحقد وهذه الكراهية قد راجا فى الغرب ولدى المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية هناك ، إلى الحد الذى جعل بعضهم يؤلف كتبا مستقلة فى هذا الصدد ؛ فمثلا ألف المستشرق المعروف باسم "همفرى بريدو"[١٠٣] فى القرن السابع عشر الميلادى كتابا بعنوان :

THE TRUE NATURE OF IMPOSTURE

أى : الطبيعة الحقيقية للنبى الكاذب[١٠٤] .

ويوضح الدكتور خورشيد أحمد أيضا هذا التيار بشكل أكثر إيجازا عند حديثه عنه فى كتابه "الإسلام والغرب" ؛ فيقول :

يصور الرسام الإيطالى المسمى "أوركانك" حضرة الرسول على أنه أحد المخربين الثلاثة للدين الذين حشروا فى جهنم "كمبوسانتو در بياس"[١٠٥] .

(ب) ادعاء عدم ألوهية الدين الإسلامى

اختيار كلمات مهينة للعناصر الإسلامية

وضع بعض المستشرقين عناوين لكتبهم مثل "التعرف على المحمديين" بدلا من "التعرف على المسلمين" مثلا ، أو استخدام كلمة "محمديسم" (المحمدية) بدلا من كلمة "الإسلام" حتى يبعدوا هذا الدين عن ألوهيته ، وتقديمه على أنه "اتجاه فكرى من صنع البشر" .

وقد استخدمت أحيانا كلمة "الأتراك" بدلا من "المسلمين" فى القرن الخامس عشر الميلادى فى أوروبا ؛ وقد اختار الأوروبيون كلمة "سرسان" وفى إسبانيا كلمة "موريسكو"[١٠٦] .

(جـ) تغيير اسم محمد (ﷺ) المبارك

سعى بعض المستشرقين المتعصبين إلى تغيير الكلمة المباركة MOHAMMAD فى الحروف اللاتينية حتى تقترب تماما من الكلمة القبيحة MA-HOND الألمانية التى تعنى "كلبى" . لذلك بدلوا الحرف الثانى O إلى A والحرف الرابع A إلى O والـ M الأولى إلى U ، وحرف A قبل الآخر إلى E ، ولقنوا المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية الغربيين هذا الشكل وكلما كتبوا اسم محمد (ﷺ) المبارك فى كتبهم عليهم أن يكتبوه بهذه الصورة CMAHOMED أو بصورة قريبة من ذلك "[١٠٧] .

أما التعبيرات التى استخدمها المستشرقون لنبى الإسلام (ﷺ) حتى ينكروا تنزيل القرآن ؛ فكانت عبارة عن : "النبى الكاذب PSEUDO - PROPHET " و"مدعى النبوة IMPOSTER "و"المرتد عن دين المسيح APOSTAT"[١٠٨].

وقد ذكر سلمان رشدى أيضا فى كتابه "آيات شيطانية" إسم النبى المبارك على أنه "ماهوند"[١٠٩] .

كما كتب كثير من المستشرقين اسم "محمد" (ﷺ) الجميل و "الإسلام" و "المسلمين" فوق أغلفة كتبهم بشكل خاطئ عن عمد بحيث يجعلون القارئ يتشاءم لأول وهلة من الإسلام من ناحية علم النفس .

فمثلا يكتبون اسم محمد (ﷺ) المبارك MOHAMMAD بالأشكال التالية :

MOHAMET - MOHAMED - MOHOD - MOHMAD - MAHAMMED[١١٠]

(د) إنتاج أفلام سينمائية وتلفزيونية بهدف إظهار الشرقيين والعرب بصورة قبيحة

يقول إدوارد سعيد الذى شاهد بنفسه وعلى مدى عشرات السنين كيفية عمل أجهزة الإعلام وصناعة الأفلام الغربية والأمريكية :

يُتهم الإنسان العربى فى الأفلام والقنوات التلفزيونية عادة "بقلة الأدب وعدم الحياء" و "حب الشهوات" أو "عدم الأمانة القاتلة" . وتصور شخصيته على أنه إنسان "فاسد" "وشهوانى أكثر من اللازم" ، وهو حينما يكون قادراً على تدبير "المؤامرات" و"الدسائس الخفية" بمهارة ، يكون أساسا إنسانا ساديا "مؤذيا" و "خائنا" و "وضيعا" .

وإذا أردت التعرف على دور العرب التقليدى فى الأفلام السينمائية ، فإنك ستراه دائما على هيئة "تاجر عبيد ، أو جمّال ، أو صرّاف . أو إنسان رذيل ومخادع ونصاب" . كما أن "شيخ العرب" يكون دائما "زعيما لعصابة مغيرة مهاجمة" أو "قرصانا بحريا" أو زعيما لمتمردين محليين . وغالبا ما يكون هو الشخص الذى يقيم العدل وينتصر على المقبوض عليه "الغربى" و"صديق الفتاة" او رفيقها ذى الشعر الذهبى ، ويظهر بطبيعة الحال فى المشاهد بشكل بطولى وبوقار كامل .

يقول شيخ العرب : "إن أعوانى سوف يقتلونك ، إلا أنهم يريدون أن يقضوا معكم بعض الوقت ، ولا شك أنه يحاول إفهام وجهة نظره أثناء الحديث بنظراته !! ويشبه ذلك الدور الذى لعبه الفنان الأمريكى الإيطالى الأصل المسمى "رادولف ڤالنتينو"[١١١] (١٨٩٥ - ١٩٢٦م) الذى مثل دور "شيخ العرب" بهذا الشكل[١١٢] .

هـ - طباعة مصطلحات العنف العربية فى كتب اللغة العربية الدراسية المقررة فى الجامعات الأمريكية

يزيل "إدوارد سعيد" الأستاذ البارز فى جامعة كولومبيا الأمريكية اللثام عن وجه هذه المؤامرة الثقافية التى يحيكها المسئولون عن هذه الجامعة ؛ فيقول :

يجمع مؤلفو كتب اللغة العربية الدراسية فى جامعة كولومبيا الأمريكية "كل المصطلحات والكلمات الخاصة بالعنف" فى اللغة العربية تقريبا فى كتب تدريس اللغة

العربية لطلاب مرحلة الليسانس ، ويسجلونها فى هذه الكتب ويدرّسونها ، ومن ثم فإن الفكر العربى الذى كان قد انعكس بهذا الشكل فى لغتهم ، اتسم دائما بحالة من خشونة القول والتطرف(١١٣) .

بث الفرقة وسوء الظن بين الشيعة والسنة الوجود أثناء الاضطرابات في الدول الإسلامية

اعتبر "جاردنر" فى حديثه أمام المؤتمر العالمى للتبشير فى إدينبورج أن أحد السبل لتغلب المسيحية على المسلمين وتمهيد الطريق أمام التبشير وجذبهم إلى المسيحية هو القضاء على الاتحاد والتعاطف والتعاون الصادق بين المسلمين وبث الفرقة والانفصال بين أتباع المذهبين الشيعى والسنى وخاصة فى إيران ، ويصف مخطط الكنيسة فى العالم الإسلامى على النحو التالى :

هل هذه الحقيقة التى تعنى بزيادة وتقوية المبشرين فى بلاد إيران ، وهو أمر له أهمية خاصة فى بث التفرقة بين التسنن والتشيع فى الدين الإسلامى لا تبدو مهمة ؟ لا شك أن الفرصة كانت متاحة لذلك فى البضع سنوات الماضية ، فهل يجب التخلى عنها بشكل كامل ؟

وتأتى إيران بعد ما بين النهرين ، فإن التحولات المتزامنة مع الاضطرابات فى تلك البلاد ليست دليلا على السكوت أو التراجع ، بل على العكس من ذلك فهى دليل على تحرك أكبر وتقدم(١١٤) .

وتدل الوثائق التى تم العثور عليها فى وكر الجاسوسية الأمريكى بعد الاستيلاء على السفارة الأمريكية فى طهران أن هذا التيار لم يكن خاصا بالعصور السابقة ، بل إنه كان مستمرا كاستراتيجية استعمارية ثابتة ...

مؤامرة إنجليزية مؤثرة في تأليف ونشر كتاب فصل الخطاب

من أكثر الكتب ضررا على مدى التاريخ الإسلامى كتاب "فصل الخطاب فى

تحريف كتاب رب الأرباب" تأليف المحدث الشهير ميرزا حسين نورى ، ذلك لأنه لم يكن فقط وسيلة بل أصبح ذريعة عدم قيمة القرآن من قِبَل المستشرقين والعلماء المسيحيين واليهود فحسب ، لإثبات الاتهام للشيعة بعدم الإيمان بالقرآن الموجود .

ومع أنه قد أجمع جميع علماء الشيعة والسنة على أن هذا القرآن الموجود بين أيدينا كله منزل من الله ولم يحدث فيه التحريف بالزيادة ، وطُرح موضوع احتمال حذف بعض الآيات فى عدد من الروايات المتفرقة فى كتب السنة والشيعة وكلمات قليلة من قبل علماء السنة والشيعة فى بعض الأوقات ، ومن المحتمل أن بعضهم مال إلى هذا إجمالا ، فإن أحدا من العلماء والمحدثين لم يسمح لنفسه فى أى وقت من الأوقات أن يكتب أو يؤلف كتابا مستقلا ومفصلا فى إثبات هذا الاحتمال . ومما يثير الحيرة والتساؤل لماذا ولأى سبب وذريعة أقدم المحدث نورى على القيام بهذا العمل ؟

وتعتبر الفقرة التاريخية التالية من الشواهد التاريخية المعاصرة المهمة التى تميط اللثام عن هذا السر وتكشف عن المؤامرة الخفية للاستعمار الإنجليزى والاستشراق الغربى الذى يتخفى وراء ستار الدبلوماسية ، والحادثة التالية التى ينقلها آية الله نجفى المرعشى عن سردار الكابلى جديرة بالتأمل .

يقول سردار الكابلى وهو تلميذ من تلامذة حاجى نورى :

كنت ذات يوم فى زيارة لحاجى ، فدخل علينا فجأة سيد معمم كان يبكى بشدة وهو فى حالة من الحيرة والتردد ، ويضرب على رأسه . فسأله حاجى : ماذا حدث ؟ فأجاب قائلا : لماذا ظلم الله عليا ولم يذكر اسمه فى القرآن !!

فأجابه حاجى الذى تأثر بكلامه بقوله : ليس هذا مصادفة ، أنزل الله تعالى بعض الآيات فى شأن على ، وقيل لقد كان اسمه موجودا فى القرآن ، إلا أن بعض أعدائه حذفوه منه ؛ فسأله هذا المعمم عن الدليل على ذلك ، فذكر له حاجى بعض الروايات فى هذا الصدد ، وكان هذا الشخص يأتى كل يوم ويحضر معه تلك الروايات . وبعد أن جمع تلك الروايات الخاطئة ورتبها ، طبعها هو نفسه تحت

إشراف حاجى نورى بعنوان فصل الخطاب .

وبعد مضى وقت على هذه الحادثة ، وعندما ذهبت ذات يوم للحصول على تاشيرة دخول من القنصلية الهندية ، شاهدت هناك شخصا حليق اللحية يرتدى نظارة سوداء وقبعة ، فابتسم وتقدم إلىّ وقال : ألا تعرفنى !! قلت : لا . قال : أنا السيد رجل الدين الذى جئت فى اليوم الفلانى إلى منزل حاجى نورى وأخذت منه روايات القرآن المحرفة !!

وقد صورت النص السابق من جريدة "جمهورى اسلامى" (الجمهورية الإسلامية) منذ عدة سنوات ، وكان المقال تحت عنوان "الوطنيون بالأمس واليوم" . ولكن لما كنت لم أسجل رقم عدد هذه الصحيفة بدقة ، فقد ناقشت الأمر مع ابن المرحوم آية الله النجفى المرعشى السيد الدكتور سيد محمود المرعشى ؛ فأيد هذه الحادثة تماما وأكدها . وذلك خلال زيارتى له فى شهر خرداد من عام ٨٣ (٢٠٠٤م) .

مشروع تقسيم الدول الإسلامية القوية

يعد "ڤولنى"(١١٥) السائح والمستشرق والكاتب الغربى الكبير أكثر الشخصيات الثقافية والسياسية الاستشراقية تأثيرا على تفكير "نابليون" الذى قام بغزو كل البلدان الشرقية بهدف فتح العالم وغزوه والاستيلاء عليه . وكتاب "ڤولنى" الذى يقع فى جزأين هو عن رحلته إلى مصر وسوريا فى الفترة الواقعة ما بين عامى ١٧٨٠ و ١٧٩٠م . وكان هذا الكتاب لا يفارق نابليون طوال فتوحاته الطويلة ، ويتخذه كبرنامج عمل يسير تبعا له .

ويستعرض ڤولنى فى ذلك الكتاب أهم اكتشافاته لسيطرة الغرب على الشرق والدول الإسلامية ويقترح ما يلى :

لا فائدة من أى نوع من الارتباط بإخلاص مع الإمبراطورية العثمانية ، ذلك لأنهم (مسلمو هذه الإمبراطورية) متعصبون ومقيدون بقيود دينهم ومستاءون من الأوروبيين ...

ومن ثم فإنه يجب تقسيم الإمبراطورية العثمانية الكبيرة إلى عدة دول صغيرة وتحرير شعوب الدول المختلفة التى تضمها هذه الإمبراطورية من قبضة الحكومة المركزية(١١٦) .

وللأسف فإن حكام العالم الإسلامى وعلماءه ومفكريه كانوا غافلين عن هذه المؤامرة بعد هذه الفترة بحيث إنهم لم يتمكنوا من فعل أى شىء حتى بعد أن تم تقسيم كل الإمبراطورية العثمانية المترامية الأطراف .

نقض وحدة الأمة الإسلامية في رسالة وزير المستعمرات الإنجليزي

كتب وزير المستعمرات الإنجليزى "أورمبسى جو" فى رسالة له إلى رئيس وزراء إنجلترا مؤرخة فى ٩ يناير (كانون الثانى) عام ١٩٣٨م ؛ يقول :

لقد علمتنا الحرب العالمية أن الوحدة الإسلامية هى أخطر شىء يجب أن تحاربه الإمبراطورية البريطانية ، ليس فقط الإمبراطورية البريطانية ؛ بل إن فرنسا أيضا فى خطر ، ولحسن الحظ أن الخلافة العثمانية التركية الكبرى قد اختفت ، وأرجو ألا تعود ثانية .

إن سياساتنا الناجحة فى الحرب العالمية الأولى بالنسبة للعرب لم تكن نتيجة للتكنيك الذى اتبعناه مع الجيش التركى فحسب ؛ بل إنها مدينة للخطط التى وضعت آنذاك من أجل فصل مدينتى مكة والمدينة المقدستين عن الخلافة العثمانية .

ومما لا شك فيه ولحسن الحظ أن أتاتورك لم يقم النظام العثمانى العلمانى فى تركيا (عاصمة الخلافة الإسلامية) بشكل مؤقت ، بل أعد خططا وبرامج سوف تؤدى بمرور الزمن إلى فصل الشعب التركى عن كل التعاليم الإسلامية(١١٧) .

لقد اتضح من القسم الخاص بـ "الاستشراق الاستعمارى" وتحت عنوان "إلى الأمام ناحية الشرق" أن "أولريخ جركه" المستشرق الألمانى قد اعترف صراحة بتدخل الألمان والدول الأوروبية فى مخطط تقسيم الإمبراطورية العثمانية . هذا بالإضافة إلى

أن مذكرات "لورانس" التى ورد ذكرها فى القسم الخاص بالمستشرقين الاستعماريين تحت عنوان "مخطط ومنفذ مشروع تقسيم الإمبراطورية العثمانية الكبرى" تبين تماما هذه المؤامرة الاستشراقية والاستعمارية التى دبرها الغرب .

ومن الممكن أن تكون مذكرات مستر همفر ومذكرات پرنس كينياز دالجوركى وكتب التاريخ الخاصة بالحربين العالميتين دليلا على مدى تدخل الغرب وإسهامه فى سقوط الإمبراطورية العثمانية وتقسيمها .

ترويج الاستنارة والتساهل فى النزعة التحررية في العقائد والأديان والصحف

كان من عوامل مقاومة الأمة الإسلامية للمخططات والمؤامرات الثقافية الغربية التى تعدها الأجهزة التبشيرية فى الكنيسة والدول الاستعمارية ، تمسك الشعوب الإسلامية بأصول الدين ومبادئه وقيمه الإسلامية الراسخة ، واعتبار أنه من الواجب النهى عن المنكر وتجنب اللامبالاة الأخلاقية والتساهل الفكرى وترك الحبل على الغارب للصحافة وغيرها من وسائل الإعلام فى المجتمعات .

ونظرا لمعرفة الغرب والاستشراق الغربى لهذه المبادئ وأن نجاحهم مرهون بتقويض هذه الأفكار والمعتقدات والخصال المشجعة على المقاومة وهدمها ، لذا قرروا وضع "الاستنارة الدينية" بمفهوم "عدم التعبد والالتزام الشرعى" و"النزعة التحررية الغربية" و "التساهل والتسامح" و"التخلص من القوانين وأطر الشريعة الإسلامية" محل تلك القيم .

وعلى الرغم من أنه يمكن ملاحظة أثر الاستشراق الاستعمارى والتبشيرى على خلفية مشاهد النزعة التحررية والاستنارة الفكرية والتساهل الموجودة حاليا فى كثير من الدول الإسلامية والتى تقرع طبولها بين الحين والآخر ؛ فإنه من الملاحظ أن هذه الأساليب هى نفسها التى كان يستخدمها الغرب منذ زمن بعيد وأعلن عنها وأكد

عليها القائمون على شئون الاستشراق التبشيرى والاستعمارى منذ قرن من الزمان .

ونقرأ فى وثيقة مهمة تقع فى عشرة مجلدات وتضم مناقشات ومحاضرات "المؤتمر العالمى للتبشير فى إدينبورج" ما أعلنه "جاردنر"[١١٨] ؛ وهو :

إننى أفتخر هنا بإبلاغكم وأنتم ممثلو الكنيسة المناضلون على وجه الكرة الأرضية عن الوضع الحالى "للحركات الإسلامية الإصلاحية الجديدة" . والهدف من ذلك هو تقييم أبعاد هذه الحركات بالاتفاق مع بعضنا البعض والاستفادة إلى أقصى الحدود من المصادر المتوفرة بين أيدينا ، والبحث عن سبل مواجهتها ...

وإذا بدأنا بالحديث عن الإمبراطورية العثمانية فإننا نصادف حركة يمكن أن نصفها بأنها حركة سياسية تحررية وثقافية . وفى النهاية فإن هذه الحركة تبدى بلا شك رد فعل بالنسبة للدين وهى عملية بطيئة ولكنها حاسمة . ومن المحتمل أن يكون التوجه الداخلى لشباب الأتراك بالنسبة "للتساهل الدينى" من النوع الأكثر تقدما ، وينبغى أن تقودنا حقيقة أن المسيحية والمسيحيين كانوا مسايرين لهذه الحركات ومتجاوبين معها فى أبعاد ممتدة إلى نتائج مهمة .

ففى أجزاء كثيرة من هذه الإمبراطورية تقدمت حرية الصحافة تقدما ملحوظا ، وبشكل لافت للنظر فى سوريا . ألا تعد هذه الحقائق "ضوءا أخضر" للجمعيات المسيحية التى تعمل فى الإمبراطورية العثمانية حتى تسرع فى عملها وتقويه بشكل أكبر ، وأن تحصل من هذا الوضع المتزايد على الفوائد الضرورية ؟[١١٩] .

ضغوط الغرب على الدول الشرقية لتطبيق الديموقراطية ونشرها

يقول "جاردنر" مواصلا حديثه فى مؤتمر إدينبورج :

بالنظر إلى الموضوعات السابقة يبدو أنه من الضرورى اتخاذ الخطوات اللازمة ...

رابعا - يجب الضغط الدائم والحكيم والشجاع على الحكومات حتى تتحقق

الحرية والمساواة الدينية التامة فى الإمبراطورية[١٢٠] .

ويبدو أنه لو اشترط فى نظام الحكومة الإسلامية أن يكون إسناد مناصب الوكالة أو الوزارة أو الرئاسة أو تولى المسئوليات والوظائف القيادية السياسية بعد أن يقرأ الشخص المختار لهذا المنصب على الأقل بعض هذه الوثائق والمشروعات الخاصة بأعداء الإسلام والشرق ، لما وقع عدد من المسئولين الحكوميين فى إيران فى أى وقت تحت تأثير كل هذه الانحرافات الغربية .

كيف يمكن تفسير ضغط الرئيس الأمريكى كنيدى الشديد على شاه إيران لتطبيق مبدأ الحرية والديمقراطية وحرية الصحافة فى السنوات السابقة على قيام الثورة الإسلامية ؟ ولماذا بمجرد نجاح الثورة الإسلامية - التى فاجأت الغرب - نُفذ مشروع إصدار مطبوعات وصحف ومجلات جديدة كالفطريات فى إيران من قبل الغرب ؟ لماذا ظهرت فى الأيام الأولى لقيام الجمهورية الإسلامية ٢٥٢ صحيفة وإصدارات جديدة فى إيران بالإضافة إلى ١٠٥ صحيفة وإصدارات سابقة كان ١٥٣ منها مرتبطا بفصائل مناهضة للثورة وعلى صلة بالدول الاستعمارية الغربية والشرقية، وفى نفس هذه الأثناء أعلن ٨٥ حزبا وتنظيما عن وجوده ؟[١٢١] .

وجهة نظر الإمام الخمينى (رحمه الله) حول فرض الديمقراطية الغربية

قال الإمام الخمينى (رحمه الله) فى حديث إذاعى تلفزيونى له موجه إلى الأمة الإيرانية فى يوم ١٢ فروردين ١٣٥٨ (١٩٧٩م) بعد الاستفتاء العام على الجمهورية الإسلامية الإيرانية :

نحن لا نخشى أن يتحدثوا معنا فى الغرب وأن يسبب لنا من يزعمون أنهم يحافظون على حقوق الإنسان بعض المشاكل . يجب علينا أن نتصرف طبقا لميزان

العدل . وسوف نفهمهم بعد ذلك ما هو معنى الديمقراطية ؟ إن ديمقراطيتهم الغربية فاسدة ، وديمقراطيتهم الشرقية أيضا فاسدة ، بينما الديمقراطية الإسلامية هى الديمقراطية الصحيحة(١٢٢) .

اصطياد الاستشراق للشخصيات الوطنية فى الدول الشرقية

إن المستشرق والطبيب الفرنسى المشهور "موريس باره" مؤلف كتاب "شرح رحلة إلى الشرق الأدنى" يقترح وسيلة مصيرية ضمن عرضه لمخططات واقعية للتوغل الاستعمارى للدولة الفرنسية فى الدول الشرقية عندما علم أن إرسال وتمركز القوات الفرنسية كقوات أجنبية لن يكون موضع ثقة من قبل أهل الشرق ، يقول :

كيف يمكن أن نصنع لنا من بين أهل الشرق مجموعة من النخبة والمثقفين ونتمكن من العمل معهم . فمن بين الشرقيين الذين لا يتخلوا عن قومهم وجنسهم ، أشخاص يحافظون على عاداتهم وتقاليدهم وينقلبوا على نفس هذه الأسس والمبادئ . ويتنبه موريس إلى أنه إذا تم استخدام قوات من الشرقيين متأثرين بالغرب تماما وتجاهلوا عادات وتقاليد وديانة مواطنيهم ، فإنهم سيكونون موضع عدم ثقة من شعوبهم ولن يتمكنوا من جرهم إلى المستعمرين الغربيين والاستسلام لهم ، ومن ثم أصر على ضرورة دراسة هذه الظروف ، واستمر قائلا :

كل ذلك من أجل أن يُخلق فى هؤلاء الغرباء الميل والرغبة للحفاظ على الاتصال العاقل والواعى معنا نحن الفرنسيين حتى لو ظهر هذا الميل وتلك الرغبة من داخل "الإحساس بالمصير الوطنى" عندهم(١٢٣) .

اصطياد أمريكا لبني صدر

لم يشهد التاريخ السياسى لإيران فى النصف الثانى من هذا القرن اصطياد شخصيات سياسية إيرانية مثل ميرزا ملكم خان وامينى وغيرهما من قبل الدول الأوروبية فحسب ، بل شهد تاريخ الخمس والعشرين سنة من عمر الجمهورية

الإسلامية الإيرانية أيضا خدعا استعمارية من قبل المستشرقين .

لقد توصلت أمريكا الاستعمارية على أساس المعلومات التى أعدها باحثوها والمتخصصون فى شئون إيران ومستشرقوها إلى نتيجة محددة هى أن اصطياد القوى البارزة الإيرانية التى يمكن أن تلعب دورا فى حكم إيران هو أحد السبل للقضاء على الثورة الإسلامية والإطاحة بنظام حكم الجمهورية الإسلامية . والدليل الواضح على مدى تنفيذ هذا المخطط الاستعمارى يكمن فى قائمة الجواسيس الذين تم القبض عليهم وعقابهم وفى الانقلابات التى تم الاعلان عنها ، وفى الأحزاب والتنظيمات المناهضة للثورة والتى تم حلها عن طريق الوزارات المعنية .

ومن بين الشخصيات الإيرانية البارزة التى تم اصطيادها "الدكتور أبو الحسن بنى صدر" الذى أخذ يقترب فى الأيام الأولى من القمة الحاكمة فى إيران ، فأصبح فى مرمى الاستشراق الاستعمارى المباشر وتعرض لهجماته . ويمكن ملاحظة شرح هذه الأحداث فى الوثائق الخاصة بوكر الجاسوسية .

دور وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى اختيار بني صدر

توجد اثنتا عشرة وثيقة من بين مجموع الوثائق المتبقية والمصنفة الخاصة بوكر التجسس الأمريكى فى إيران تتعلق بالسيد "أبو الحسن بن صدر" ، وقد طبعت جميعها مع ترجمة لها فى مجلد مستقل بعنوان : وثائق وكر الجاسوسية الأمريكى العدد ٩ وثيقة أمريكا" على يد الطلاب المسلمين أتبا ع منهج الإمام ، بعد عزله من رئاسة الجمهورية .

وطبقا لما جاء فى مقدمة الكتاب فإن سبع وثائق منها تعود إلى ما قبل رئاسته للجمهورية ، أما الوثائق الخمس الأخرى فهى تعود إلى فترة رئاسته للجمهورية كلها على عهد الإمام الخمينى الذى أمر بالمحافظة عليها وعدم الإعلان عنها قبل الاستجواب ، ولكنه ألغى المنع أثناء الاستجواب ، وتم تسليم الوثائق لحجة الإسلام موسوى خوئينى ها ووضعها تحت تصرفه[١٢٤] .

وخلاصة هذه الوثائق هى :

توصلت وزارة الخارجية الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سى أى إيه) فى أيام أزمة الثورة والأيام السابقة على انتصارها إلى نتيجة مفادها ضرورة العثور على شخص من بين السياسيين المقربين لزعيم الثورة يكون مستعدا للتعاون فى المستقبل . وتم اختيار بنى صدر من بين مجموعة رفاق الإمام المقربين فى باريس للقيام بهذه المهمة .

التقويم النفسى لشخصية بنى صدر بواسطة خبير الـ سى آى إيه

قامت وكالة المخابرات الأمريكية بتقويم نفسى سلوكى لبنى صدر لتحديد مجالات شرائه واستخدامه فى تغيير مسار الثورة والتعاون مع الوكالة ، وذلك كما ذكر "راتر فورد" فى تقريره عن ذلك من طهران إلى رئيس الوكالة على النحو التالى :

١- لابد من الأخذ فى الاعتبار المكانة التى يحتلها "س . د . لور-١" فى النظام (أى عضويته لمجلس الثورة ومجلس الخبراء والإشراف على البنوك المؤممة والنشر) كل هذا جعل "راتر فورد" يصر على مواصلة السعى من أجل الحصول على مساعدته . إن أى إنسان له مثل هذه الإمكانيات لابد وأن يكون قادرا على تقديم معلومات قيمة فى هذه المرحلة . والأهم من ذلك اعتبار "ر" كما هو الحال بالنسبة لـ "ل - ١" وهو شخص يسعى للسلطة والنفوذ ويتمتع بالمهارة من الناحية السياسية سوف يلعب دوره بشكل حذر واضعا فى اعتباره ذلك اليوم الذى يترك فيه الخمينى الساحة .

٢- ليس من العجيب أو المدهش أن يعلن ل - ١ فى طهران عن تصور يخالف تصوره الذى كان له فى باريس وقبل عودته ... فقد كان فى الخارج بين المثقفين المستنيرين وتحت أعينهم ، وكانوا يكنون له كل الاحترام والتقدير ، وكان مستعدا للقيام بأى تضحية فى سبيل تحقيق أهداف جماعته .

٣- طبقا للقاءاتنا الثلاثة معه فى طهران يتضح أن الشخص المطلوب - كما هو

متوقع منه - ومنذ أن غيَّر فى مناصب تحمل المسئولية فى النظام الجديد ... كان يستمتع على ما يبدو بالدعاية تبعا لمقتضيات مكانته فى الثورة ومزايا قوته (من قبل المحافظين الذين عينوه عضوا فى مجلس الثورة) .

وهو يبدو فى الواقع موظفا حكوميا بيروقراطيا أكثر منه ثوريا ... يرتدى ملابس ذات قياسات موصى عليها ، ويقرب ساعته الذهبية الجديدة إلى وجهه وهى على ما يبدو ساعة ثمينة . كما أنه لا يبدو وجود مجموعة من التلاميذ أصحاب الهيئة الرثة فى منزله كما كان الحال أيام باريس . حيث كان يمكنه استقبال مثل هؤلاء الأشخاص فى مكتبه فى ساعات العمل العادية ...

ومما سبق ذكره يفهم أن كل يوم يجعله يغوص أكثر وأكثر فى البيروقراطية الثورية التى نجحت ...

٤- وفى تقييم مثل هذا الرجل ، وفيما يتصل بالرغبة فى تعاونه معنا يشير "ر" إلى ملاحظات إيجابية وسلبية على النحو التالى :

(أ) الملاحظات الإيجابية

١- لما كان متآمرا (مخططا) قديما فى هذا العمل ، فلو أحس بأن النظام سوف يبتعد عن أهدافه الثورية ، أو سيكون لصالحه هو ، فمن الممكن ألا يجد ما يمنع من التآمر على النظام فى المستقبل .

٢- على الرغم أن من المحتمل فى الوقت الحاضر أنه ليس عنده أى مشكلة مالية ، فإنه يجب الأخذ فى الاعتبار أنه من الممكن تذكيره بالمنفى فى الخارج ، وعندئذ يمكنه الاستفادة من مساعداتنا المالية .

٣- مع أنه يقدر الخمينى ويحترمه فإنه لا يعتبره معصوما من الخطأ .

٤- إنه كمثقف مستنير يفضل أن يتخذ القرار بنفسه على أن يتبع شخصا آخر بلا روية وعشوائيا .

٥- إنه يعلم أن هناك طوائف وجماعات على وشك التكوين داخل النظام ، وربما يعلم أنه يجب عليه الحذر فى سلوكه وتعامله مع المحيطين به ؛ فقد قال : إن كل أعضاء مجلس الثورة ليست لهم صلاحية على قدم المساواة ، إلا أنه مضطر للتعامل والتعايش معهم . وربما يضطره عدم الثقة هذا إلى ترك الأبواب مفتوحة !!

٦- أن له طموحات سياسية . وربما أصدر صحيفته بهدف الاستفادة منها كقاعدة قوية لتحقيق أهدافه السياسية المستقبلية .

٧- على الرغم من كثرة مشاغله فى فترات انشغاله سواء فى باريس أو طهران وضيق وقته فقد ضحى ببرنامجه حتى يلتقى معنا ....

(ب) الملاحظات السلبية

...

٢- ربما يؤدى إفشاؤه لأسرار علاقته السرية معنا إلى انتهاء حياة المذكور السياسية الحرفية ، ومن المؤكد أنه لن يستبعد هذه الفكرة .

...

٥- وتبعا لهذا الافتراض وهو أننا أيضا نرغب فى استخدام "ل - ١" ، فإن ما يلى هو خلاصة وجهات نظر "ر" حول نوعين من طرق الاقتراب من "ل - ١" :

(أ) تحت غطاء غير رسمى : يمكن لشخص يوفد تحت غطاء غير رسمى إلى طهران أن يكون قادرا على وضع هذا الشخص المقصود بالتدريج على طريق التقارب والاتصال .

(ب) تحت غطاء رسمى ...[١٢٥]

اتفاقية مرتب الألف دولار

بعد احتلال وكر الجاسوسية واعتقال موظفى تلك السفارة ، قام الطلاب التابعون لسياسة الإمام بالتحقيق مع بعض العاملين فى وكر الجاسوسية . وفى حديث مع رئيس مكتب وكالة المخابرات فى سفارة طهران المدعو "تام أهرن" والمسجل على شريط محفوظ الآن ، أعلن فى هذا الصدد ما يلى :

لقد قيل لى إن الحكومة الأمريكية بشكل عام والوكالة بشكل خاص تنوى الاتصال بأشخاص يمكن أن يكون لهم دور فى الثورة الإيرانية إذا سمحت الإمكانيات، ومن ثم عندما كان الإمام موجودا فى فرنسا كُلف أحد الضباط المتقاعدين فى الوكالة بالذهاب إلى فرنسا والاتصال بالسيد بنى صدر ...

وقد جاء هذا الشخص إلى طهران فى يوم ٢٩ مرداد تقريبا ، وأقام فى إيران لمدة ثلاثة أسابيع . والتقى خلال هذه الفترة ببنى صدر ثلاث مرات على الأقل وربما خمس مرات .

هدفنا النهائى هو : استخدام بنى صدر .

- البرنامج المرحلى

فى هذه المرحلة لا تتضح كل المسائل وتتم الاستفادة منه كمستشار اقتصادى موثوق به لهذه الشركة بالنسبة للمسائل الاقتصادية وكذلك المسائل السياسية الخاصة بالشئون الاقتصادية وكذلك المسائل السياسية !! بحيث يبدى وجهة نظره بشكل عام .

الخطوات التالية : يمكن للقاءات التالية معه فى طهران أو فى باريس أن تؤدى إلى منفعة أكبر بحيث يُسأل عن مجموعة من القضايا السياسية المهمة .

وفى آخر جلسة وافق "بنى صدر" أن يعمل كمستشار اقتصادى موثوق به لهذه الشركة وقبل أيضا اقتراح تقاضى مرتب شهرى قدره ألف دولار(١٢٦) .

وواضح أن هذا المخطط الأمريكى فى إيران لم ينته ببنى صدر ومن الممكن أنه مازال مستمرا حتى الآن ، وربما كانت بعض أزماتنا ومشاكلنا الداخلية فى بلادنا نتيجة استمرار تنفيذ هذا المخطط ، مثل هذا المخطط الخائن ليس خاصا بإيران وأمريكا فحسب ، بل إن كل الدول الاستعمارية الغربية تنفذه هو نفسه مع كل الدول الإسلامية والشرقية ، ولكن هذه الدول المظلومة تتطلع إلى خمينى آخر يحث شبابه المتحمس والغيور على احتلال أوكار الجاسوسية الخاصة بالدول الغربية .

حواشى الفصل السادس

(١) شرق شناسى ، ص ٣٦٦ – ٣٦٧ .

(٢) SOCIETE ASIATIQUE .

(٣) شرق شناسى ، ص ٨٣ .

(٤) الاستشراق والخلفية ، ص ٤١ نقلا عن : BOSWORTH.OP.CIT.

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٦) شرق شناسى ، ص ١٤٥ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) ژانت دلازاريان ، دانشنامه ايرانيان ارمنى ، ص ٥٣٣ .

(٩) التراث العربى والمستشرقون ، ص ٢٥ .

(١٠) مصاحب ، دايرة المعارف فارسى ، ج ٢ ، ص ٢٠٣٢ وبى أزار شيرازى ، قرآن ناطق ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، نقلا عن ج . د . بيرسن .

(١١) قرآن ناطق ، ج ١ ، ص ١٩٦ نقلا عن انساى كلوبيديا بريتانيكا ، V.22.PP10 .

(١٢) سوف يرد شرح حول هذه الترجمة فى المجلد الثانى فى الفصل الخاص بأنشطة المستشرقين القرآنية .

(١٣) بى أزار شيرازى ، قرآن ناطق ، ص ١٩٧ .

(١٤) المرجع السابق .

(١٥) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(١٦) ذكرنا تفصيل ذلك فى الفصل الرابع من هذا الكتاب ، فى مدرسة الاستشراق العلمية ، البند التاسع ، فنسينك البولندى ، أنظر : ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(١٧) فرهنگ كامل خاورشناسان ، ص ٤٣٦ . مفتاح كنوز السنة .

(١٨) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٢٦٤ .

(١٩) فرهنگ كامل خاورشناسان ، ص ٤٢١ .

(٢٠) GUSTAVUS FLUGEL .

(٢١) المصدر : مقدمة كشف الظنون ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٢٢) فرهنگ كامل خاورشناسان ، ص ٢٢٩ .

(٢٣) انظر : نفس هذا الكتاب ص ١٠٣ - ١٣٠ .

(٢٤) انظر : هذا الكتاب نفسه ، الفصل الثالث ، ص ١٢٨ - ١٣٢ .

(٢٥) الاستشراق والدراسات الإسلامية ، ص ٧١ نقلا عن : المستشرقون ومن تابعهم ... ، عابدين محمد السفياني ، ط مكة ، ص ١ .

(٢٦) المرجع السابق .

(٢٧) المستشرقون والإسلام ، ص ١٢٩ .

(٢٨) بارتولد ، خاورشناسي در روسيه واروپا ، ص ٣٤٦ .

(٢٩) شرق شناسى ، ص ٣٦٦ .

(٣٠) التراث العربي و المستشرقون ، ص ٩٨ .

(٣١) الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية ، ص ٧٤ .

(٣٢) المرجع السابق ص ٤٤ - ٤٩ .

(٣٣) الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية ، ص ٤٩ .

(٣٤) نفس المرجع ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٣٥) نفس المرجع ، ص ٨٦ .

(٣٦) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٣٧) الاستشراق والدراسات الإسلامية ، ص ٢٥ نقلا عن : إدوارد سعيد ، الاستشراق ، ص ٢١٦ وفلسفة الاستشراق ، ص ١٠٥ .

(٣٨) المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، ص ١٠١ .

(٣٩) الاستشراق والدراسات الإسلامية ، ص ٧٤ والاستشراق والخلفيــة ، ص ٤٢ .

(٤٠) الاستشراق والخلفية ، ص ٤٢ . نقلا عن : عفيفى ، المستشرقون ، ج ٣ ، ص ٣٧٧ .

(٤١) THE ENCYCLOPEDIA OF ISLAM .

(٤٢) دراسات إشراقية وحضارية ، ص ٢٣٠ .

(٤٣) دانشنامه ايران واسلام ، ١١ / پنج .

(٤٤) دانشنامه ايران وجهان ، ج ١ ، ص ١٣ – ٣٣ .

(٤٥) سيد مصطفى مير سليم ، دانشنامه جهان اسلام ، ديباجه ، دايرة المعارف اسلامى ، ١٣٧٥ .

(٤٦) ENCYCLOPEDIA OF RELIGION .

(٤٧) ترجمة ونقد مقالة "القرآن" من دائرة معارف الدين – ليدن ، رسالة دكتوراه الصديق الفاضل محمد جواد اسكندرلو .

(٤٨) ENCYCLOPEDIA OF THE QURAN .

(٤٩) فرهنگ كامل خاورشناسان ، ص ١٢ .

(٥٠) لورانس ، لغز الجزيرة العربية ، ص ١ – ١٧ .

(٥١) يوسف وزليخا : منظومة للشاعر عبد الرحمن الجامى نظمها عام ٨٨٨ هـ مقلدا فيها منظومة خسرو وشيرين لنظامى الگنجوى (توفى عام ٦٠٤هـ) ، وقد اقتسبها من قصة سيدنا يوسف التى وردت فى القرآن فى سورة يوسف ، وتعتبر هذه المنظومة من أشهر أعمال الجامى ، وقد تمت ترجمتها إلى لغات عديدة . (المترجم) .

(٥٢) سبحة الأبرار : هى إحدى منظومات الجامى التى قلد فيها أيضا منظومات نظامى الخمس (المترجم) .

(٥٣) ليلى والمجنون : هو اسم لمنظومتين إحداهما لنظامى الگنجوى نظمها فى عام ٥٨٥ هـ ، والثانية للشاعر الجامى وقد نظمها تقليد للمنظومة السابقة ضمن سبع منظومات له (المترجم) .

(٥٤) شاهنامة الفردوسى : نظمها الشاعر الفردوسى حوالى عام ٣٧٠ وفرغ منها عام ٤٠٠ هـ ، ويعد أبو القاسم الفردوسى أكبر شعراء الملاحم فى القرنين الرابع والخامس ، وتعد منظومته هذه أكبر عمل أدبى فى الأدب الفارسى . (المترجم) .

(٥٥) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ١٣٦ .

(٥٦) التراث العربي والمستشرقون ، ص ٢٦ .

(٥٧) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ص ١٠٩ .

(٥٨) المستشرقون والإسلام ، ص ٧ .

(٥٩) الاستشراق والخلفية ، ص ٤٣ نقلا عن : عفيفي ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ .

(٦٠) دراسات استشراقية وحضارية ، ص ٣٥٠ .

(٦١) صحيفه امام خميني (رحمه الله) ج ٤ ، ص ١٣ - ١٥ .

(٦٢) الكشكول : كلمة فارسية تعني نوعا من الأوعية التي كان يستخدمها الدراويش أو المتصوفة ويضعون فيه كل ما يحتاجونه إليه من طعام أو مال ، ويقال له أيضا "خچكول" . ويكون الكشكول من لحاء جوز الهند البحري الذي يشبه القارب ويثقب من طرفيه وتربط فيهما سلسلة أو حبل حتى يمكن تعليقه على الكتف أو حمله في اليد (المترجم) .

(٦٣) ABOT .

(٦٤) BOSIO .

(٦٥) BLAN .

(٦٦) HERR DRAGORISH .

(٦٧) سيد هادي خسروشاهي ، واتيكان ، دنياى اسلام وغرب ، ص ١٩١ .

(٦٨) خاطرات همفر ، جاسوس انگليسى در ممالك اسلامى ، ترجمه دكتر محسن مؤيدى . انتشارات امير كبير .

(٦٩) پرنس دالگوركى ، خاطرات سياسى كينياز ، انتشارات صبورى ، ١٣٩٢ . على الرغم من أن الحكم العلمي حول صحة توثيق هذين الكتابين يحتاج إلى تأمل وتدقيق ، إلا أن أصل المشروع المستفاد منهما يعد أمرا مسلما به ولا يقبل الشك .

(٧٠) خسروشاهى ، نفس المرجع ، ص ١٩٠ .

(٧١) ISLAM OBSERVED .

(٧٢) أزمة الاستشراق الحديث ، ص ٤١٥ .

(٧٣) PHILIP HITTI .

(٧٤) دكتور مازن صالح المطبقاتى ، من أفاق الاستشراق الأمريكى المعاصر .

(٧٥) شرق شناسى ، ص ٥٠٨ .

(٧٦) عبد العزيز تام ، الغزو الفكرى ، أبعاده ومواجهته ، ص ٤٧ .

(٧٧) سيد هادى خسروشاهى ، نفس المرجع ، ص ١٩١ .

(٧٨) دكتور محمود حمدى زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية ، ص ٨ .

(٧٩) اسناد لانه جاسوس ، شماره ٢٠ ، ص ٧٨ .

(٨٠) المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، ص ١٧٧ .

(٨١) DR.ZWEMER .

(٨٢) واتيكان ، ص ١٨٩ - ١٩٣ .

(٨٣) المستشرقون والإسلام ، ص ٣٨ نقلا عن : الغارة على العالم الإسلامى ، ص ٧٢ .

(٨٤) الدفـاع عن العقيدة والشريعة ... ، ص ٦ - ٧ ، نقلا عن : التبشير والاستعمار ، عمر فروخ ، ص ١٠٨ .

(٨٥) من افتراءات المستشرقين ، ص ٣٦ .

(٨٦) إيران وأمريكا ، ص ٥٤ .

(٨٧) انظر نفس هذا الكتاب ص ٩٩ .

(٨٨) محمد حسن زمانى ، شگفتى هاى پس از فروپاشى ، ص ٩٥ .

(٨٩) تاريخ حركة الاستشراق ، ص ١٦٧ .

(٩٠) PERSONAL NARRATIVE OF PILGRIMAGE TO AL MADINAH AND ME CAH .

(٩١) شرق شناسى ، ص ٣٤٩ - ١٦١ .

(٩٢) المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

(٩٣) الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية ، ص ٣٠ .

(٩٤) كتب كثير من الغربيين اسم نبى الإسلام المبارك مع تغييرات كثيرة فى كتبهم ، وهو فى صورته اللاتينية الصحيحة يجب أن يكون MOHAMMAD ، وتعد كلمة MAOMETTO أحد هذه الأشكال ، ويوضح هذا الكتاب نفسه وترجمة المترجمين تماما أن مقصود دانتى من هذه الكلمة هو تحريف اسم نبى الإسلام الأعظم .

(٩٥) ادوارد سعيد ، شرق شناسى ، ص ١٢٨ .

(٩٦) أعتقد أنه يقصد بها "ماين هوند" فى الألمانية بمعنى "كلبى" (المترجم) .

(٩٧) مينو صميمى ، محمد (ﷺ) در اروپا ، ترجمه عباس مهرپويا ، ص ١٩٧ – ٢٠٣

MANGLES MAHOMET ! WEEPING WITHOUT REST ALL BEFORE ME GOES, HIS WHOLE FACE SLIT BY ONE GREAT STROKE UPWARD FROM CHINTO REST . ALL THESE WHOM THOU BEHOLDEST IN THE PIT WERE SOWERS OF SCANDAL , SOWERS OF SCHISM ABROAD WHILE THEY YET LIVED ; THEREFORE THEY NOW GO SPLIT .

(٩٨) THE COMEDY OF DANTE HEL-PENGUIN . P.247 - 250 .

(٩٩) دانته الگيرى ، كمدى الهى ، دوزخ ، ترجمه فريده مهدوى دامغانى ، ص ٧٣٩ .

(١٠٠) خورخه لوئيس بورخس ، نه مقاله در باره دانته ، ترجمه كاوه سيد حسينى ، ص ٦٧ .

(١٠١) صائب التبريزى (متوفى عام ١٠٨٠ هـ) : هو محمد على بن ميرزا عبد الرحيم صائب التبريزى من شعراء القرن الثانى عشر العظام . ومع أن صائب قد ولد فى تبريز فقد تربى فى أصفهان . وسافر فى مطلع شبابه إلى مكة ثم الهند . وأقام فترة فى كابل حيث اهتم به هناك ظفرخان والى كابل وذهب برفقته إلى بلاط شاه جهان وأصبح مقربا هناك ، ثم عاد إلى أصفهان وشق طريقه إلى بلاط الشاه عباس الصفوى وصار ملك الشعراء فى بلاطه وأنشد قصائد فى مدحه . وقد نظم صائب أشعارا كثيرة تأثر فيها بالشاعرين سعدى وحافظ وخاصة فى فن الغزل . (المترجم) .

(١٠٢) حافظ الشيرازى (متوفى ٧٩١ هـ) : هو شمس الدين محمد بن بهاء الدين المعروف بـ "لسان الغيب" أعظم شاعر إيرانى فى فن الغزل ، ولد فى شيراز فى أوائل القرن الثامن الهجرى ، ودرس علوم عصره وحفظ القرآن ، ولذلك لقب نفسه بلقب "حافظ" . يشتمل ديوانه على غزليات ومثنوية باسم "ساقى نامه" أو (كتاب الساقى) وعدة قصائد . وقد مزج حافظ فى شعره موضوعات العشق بالمعانى الصوفية ، واشتهر ديوانه بين أهل اللغة الفارسية ، حتى باتوا يأخذون منه فألهم . (المترجم) .

(١٠٣) PRIDEAUX HUMPHREY

(١٠٤) PRIDEAUX HUMPHREY

(١٠٥) پروفيسور دكتر خورشيد أحمد ، اسلام وغرب ، ترجمه غلا مرضا سعيدى ، ص ٣٩ .

(١٠٦) الاستشراق والدراسات الإسلامية ، ص ٨٣ ، حاشية .

(١٠٧) المستشرقون والإسلام ، ص ٢٩ .

(١٠٨) دكتور فاروق عمر فوزى ، الاستشراق والتاريخ الإسلامى ، ص ٥٢ .

(١٠٩) سلمان رشدى ، آيه هاى شيطانى ، ترجمه روشنگ ايرانى ، ص ٦ .

(١١٠) دسوقى ، سير تاريخى وارزيابى انديشه شرق شناسى ، ص ٣٠ .

(١١١) RADOLPH VALENTINO .

(١١٢) شرق شناسى ، ص ٥١٠ .

(١١٣) المرجع السابق ، ص ٥١٢ .

(١١٤) سيد هادى خسروشاهى ، واتيكان ، دنياى اسلام وغرب ، ص ١٩٣ .

(١١٥) VOLNEY .

(١١٦) نقد الخطاب الاستشراقى ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(١١٧) الاستشراق والخلفية ... ، ص ٩٨ .

(١١٨) W.H.T. GAIRDNER .

(١١٩) سيد هادى خسروشاهى ، واتيكان ، دنياى اسلام وغرب ، ص ١٨٦ – ١٨٨ .

(١٢٠) المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

(١٢١) إيران وأمريكا ، ص ٨٨ .

(١٢٢) صحيفه نور ، ج ٦ ، ص ٤٦٢ .

نتائج البحث وخلاصة موضوعاته

يمكننا الحصول على النتائج التالية من دراسة مجموعة مباحث هذا الكتاب :

١- إن مجال الاستشراق بشكل عام والدراسات الإسلامية عند غير المسلمين من الغربيين وغير الغربيين بشكل خاص ، يعتبر مجالا متسعا لتعامل الغربيين مع أمم الشرق والأمة الإسلامية ، وقد صاحبه كم كبير من الدراسات وإبداء وجهات النظر والتأليف ونشر الأفكار وإبداء الآراء الإيجابية والسلبية ، وخاصة حول معارف الدين الإسلامي المبين وقدسية القرآن الكريم وحرمته ، والخطوات العملية الكثيرة والمشروعات والمؤامرات الثقافية والتبشيرية والإعلامية والسياسية والعسكرية والاقتصادية الغربية الكثيرة المناهضة للشرق الإسلامي والتي تم تنفيذها من قبل الدول الغربية حتى الآن بناء على اقتراحات من خبراء الاستشراق .

لم تقم الشعوب الإسلامية والعلماء والباحثون الحوزيون والجامعيون في إيران والعالم الإسلامي بالدفاع والنقد العلمي الضروري لمواجهة انتشار هذه النوعية من الآراء والنظريات والأنشطة فحسب ، بل لم يكن لديهم غالبا الاطلاع الكافي عليها .

ويعد البحث ومتابعة الوثائق والمصادر واكتشاف وجمع المعلومات الكافية عن هذه الهجمة المتنوعة للاستشراق على الإسلام من أوائل الأعمال الواجبة ، حتى نؤمن هذه الرسالة بقدر الإمكان ، ونضع المعلومات المتنوعة والموثقة تحت تصرف الباحثين والدارسين الغيورين والمدافعين عن حرمة الإسلام والقرآن .

٢- على الرغم من أن الاستشراق بمفهومه العام قد بدأ منذ بداية التعامل السياسي للقوى الناشئة حديثا للحضارتين اليونانية والإيرانية في القرن السادس قبل

الميلاد ، فإن الاستشراق بمعناه الخاص ؛ أي الدراسات الإسلامية ودراسة القرآن على يد العلماء الغربيين وغيرهم من الكتّاب غير المسلمين ، قد بدأ منذ ظهور الإسلام ، وما زال حتى الآن يتطور ويتغير بحيث يشير إلى نوع وحجم الاستشراق والمستشرقين المتفاوت .

٣- انقسم المفكرون المسلمون فى دراسة ماهية الاستشراق وتقييم أهدافه إلى ثلاث مجموعات ؛ إلا أن النظرية الوسطية والعادلة ، التى اختارها مؤلف هذا الكتاب ، فهى أنه لا ينبغى النظر إلى كافة المستشرقين من منظار واحد ، كما أنه لا ينبغى إلقاء تبعة ما اقترفته جماعة منهم على عاتق الآخرين ، أو النظر إلى أعمال مجموعة المستشرقين المنصفين الإيجابية بشكل ساذج والانبهار بها وتصديقها دون النظر إلى سلبياتها وتجاهلها ، بل يمكننا تقسيم كل المستشرقين والمتخصصين فى الدراسات الإسلامية من غير المسلمين إلى ثلاث مجموعات وذلك بنظرة شاملة وحيادية وعلمية ، تكون كل واحدة منها مروجة لإحدى مدارس الاستشراق الثلاث ؛ وهى :

١- مدرسة الاستشراق المسيحى التبشيرى : وهم رواد الدراسات الإسلامية والقرآنية الذين كانوا من الباحثين الغربيين أو من قساوسة الكنيسة ، أو الذين انتقلوا إلى الدراسات الإسلامية بعد أن أنهوا مرحلة التعليم الدينى الكنسى .

٢- مدرسة الاستشراق السياسى الاستعمارى : هم رواد الاستشراق بمفهومه العام فى القرون الاثنى عشر السابقة على الإسلام وأيضا معظم المستشرقين العموميين وبعض علماء الدراسات الإسلامية الغربيين فى القرون الأخيرة الذين كانوا عادة إما موظفين رسميين فى وزارة الخارجية ووزارة الحرب فى الدول الأوروبية ، أو جواسيس رسميين ، أو خبراء مقيمين فى السفارات الغربية فى الدول الشرقية ، أو على الأقل باحثين ودارسين يعملون فى مراكز البحث الحكومية والجامعية فى مقابل رواتب وأجور كانوا يتقاضونها من الدول الأوروبية ، وهم الذين قاموا بالدراسات الاستشراقية والإسلامية طبقا لمخططات الحكومات وبرامجها . كما أن معظم الهجمات العسكرية والاقتصادية والثقافية الغربية ضد الدول الإسلامية كان متوقفا

على خبرات ومقترحات المستشرقين الاستعماريين ، ومن أكثرها رعبا مؤامرة العمليات النفسية الغربية الكبيرة ضد الشرق ، وتلقين مبدأ "التخلف الفكرى الذاتى والفطرى عند الشرقيين وحاجتهم الدائمة إلى الوصاية ووجود الغربيين وسلطتهم" ، وما زالوا حتى الآن يستخدمون أدوات وآليات مختلفة لتنفيذ هذه المؤامرة .

٣- مدرسة الاستشراق العلمى الباحثة عن الحقيقة : قام عدد من المستشرقين والمتخصصين فى الدراسات الإسلامية وجمع من علماء الدراسات الإسلامية والقرآنية فى القرنين أو الثلاثة قرون الأخيرة بدراسة الإسلام والقرآن بدافع البحث عن الحقيقة أو على الأقل التزود بالعلم وتطويره . وقد أدت سلامة نيتهم إلى توصل جماعة منهم إلى عدالة الإسلام وأفضلية المعارف الإسلامية والقرآن الكريم ، واعتنقوا الإسلام رسميا ، أو على الأقل تحدثوا فى كتبهم بكل تقدير واحترام عن فضائل الإسلام والقرآن وسيدنا محمد (ﷺ) وعظماء الإسلام من أمثال سيدنا على (رضى الله عنه) وفاطمة الزهراء (رضى الله عنها) والإمام الحسين (رضى الله عنه) ، وألفوا ونشروا كتبا ومقالات كثيرة فى هذا الصدد .

هذه المجموعة من المستشرقين قدمت خدمات علمية أيضا للدراسات الدينية الإسلامية والدراسات القرآنية ، أصبحت محل استفادة من الحوزات والجامعات الإسلامية .

٤- مع أن أنشطة الاستشراق والدراسات الإسلامية قد بدأت فى بداية الأمر فى عدة دول غربية كبرى كاليونان وبلاد الروم وفرنسا ، إلا أن عمومية أهمية هذين الموضوعين لكافة الدول الغربية أوجب دخول جميع الدول واشتراكهم فى عملية الاستشراق ؛ بحيث إنه لا يوجد الآن بلد غربى أو حتى شرقى غير إسلامى لا يضم مركزا أو عدة مراكز للاستشراق والدراسات الإسلامية .

ولكن فى الوقت الحاضر توجد أهم مراكز الاستشراق والدراسات الإسلامية وأكثرها فاعلية ونشاطا فى دول : فرنسا ، وهولندا وخاصة فى مدينة ليدن ، وإيطاليا وخاصة فى الفاتيكان ، وإنجلترا ، وأمريكا ، وروسيا ، وإسرائيل .

د- اختار الاستشراق أشكالا مختلفة لإمكانية القيام ببحوث الاستشراق والدراسات الإسلامية الخاصة به داخل الدول الإسلامية ، كما تخير طرقا وأساليب متنوعة وعشرات الخدع والأقنعة لتحقيق أهداف مخططى الاستشراق وتأمين مصالح الغرب وتمهيد الطريق أمام هيمنة الغرب على الشرق والتحكم فيه وقمع الأفكار الإسلامية الخالصة فى مواجهة حركة التبشير والكنيسة العالمية ، مثل :

ترجمة معانى القرآن الكريم مصحوبة بنقد أو تبرير ، وتأليف معاجم القرآن والحديث والمتون الإسلامية ، وعمل فهارس للكتب الإسلامية وأعمال كتّاب المسلمين ، وسرقة المخطوطات من مكتبات المسلمين ، وتصحيح وإحياء وطباعة كثير من الكتب الإسلامية لأغراض معينة ، والتحقيق العلمى الشامل بشأن كل المعارف الإسلامية والقرآنية ونقدها وخلق إشكاليات حولها ، وطباعتها ونشرها على هيئة كتاب أو مقالة أو إصدار أو صحيفة ، وتأليف ونشر دوائر المعارف الإسلامية والقرآنية والدينية ، وإنشاء وتأسيس معاهد تعليم العربية والفارسية والتركية وغيرها من اللغات الشرقية الأخرى لتعليم المستشرقين والمبعوثين الخاصين ، وعقد مؤتمرات الاستشراق والدراسات الإسلامية والدراسات الشيعية فى القرون الثلاثة الأخيرة ، وإيفاد الباحثين المستشرقين والدارسين للعلوم الإسلامية على هيئة سائحين ورحالة ، وإرسال المستشرقين على هيئة طلاب وباحثين إلى الدول الإسلامية ، وقبول طلاب من الدول الإسلامية وعمل غسيل مخ لهم ، وتأسيس مراكز للدراسات ومراكز ثقافية وجمعيات صداقة ، وإنشاء مدارس وجامعات أوروبية ومستشفيات ومراكز خدمات فى الدول الإسلامية ، ونشر الفرقة بين الشيعة وأهل السنة والاضطرابات والفوضى فى الدول الإسلامية ، وإرسال بعض المستشرقين لأداء مناسك الحج بهدف اكتشاف خصائص الحج ومميزاته ، واستخدام الأدب والفن والمسرح فى تشويه الإسلام والقيم والمعارف الإسلامية وصورة النبى (ﷺ) المباركة ، والتخطيط لتقسيم الدول الإسلامية القوية والترويج للاستنارة والتساهل والمطالبة بالحرية المتطرفة فى المجتمعات الإسلامية ، وأخيرا اصطياد الشخصيات الوطنية المسلمة والشرقية لتنفيذ مخططات الاستشراق.

هذا التقرير الموجز جدا عن كل ميادين ومجالات فعاليات المستشرقين الواسعة بشأن الإسلام والقرآن الكريم يضع على عاتق العلماء وورثى الأنبياء والمدافعين عن الإسلام والقرآن مهمة صعبة وثقيلة ، ألا وهى القيام بعمل بحوث متعددة تهدف إلى إحباط مؤامرات الاستشراق الغربى والدفاع عن حرمة وقدسية كافة حدود الإسلام الثقافية ، وإعلاء شأن الإسلام عن طريق نهضة علمية وبرامج تقف فى وجه الهجمات والغارات الثقافية والعلمية الغربية ، وتحقيق مقولة "الإسلام يعلو ولا يعلى عليه" على يديهم ، إن شاء الله .

ويعتبر القرآن باعتباره كتابا سماويا ووحيا لم يحرف ومنزلا من قبل الله إلى العالم أهم كتاب لهداية البشرية ، بل هو الكتاب الوحيد . وهذا الكتاب ليس دستورا لخُمس سكان العالم فحسب ؛ بل هو من وجهة نظر علماء غير مسلمين ومستشرقين كبار من أمثال : موريس بوكاى ، وتوماس كارلايل الفيلسوف الاسكتلندى ، وجان ديون بورت الإنجليزى ، وفيرجيل جيورجيو الرومانى ، وكارلو فلّينو العالم الإيطالى ، وجورجى زيدان الكاتب المسيحى الكبير ، ومونتجمرى وات ، وبروكلمان ، وعشرات المستشرقين الآخرين ، هو أكثر الكتب تأثيرا على الثقافة والحضارة الإنسانية ، وأشمل كتاب دينى ودنيوى ، وأكثر الكتب الروحية جاذبية ، وأكثرها صحة بين كتب الأديان المقدسة فى العالم . وهذا ما دعى كينت جريك العالم والأستاذ بجامعة كمبريدج بإنجلترا لأن يقول فى كتابه "كيف عرفتُ القرآن" :

كنت أعتقد أننى الوحيد الذى انجذبت للقرآن ، إلا أننى سألت كل مستشرق عالم ودارس للقرآن ؛ فرأيت أن الجميع مولعون به مثلى تماما .

كان هذا هو الإبهار لمعارف القرآن والإقبال الفطرى المنقطع النظير للغربيين هو الذى دفع ثلاث طوائف هى : رجال الكنيسة ، والدول الاستعمارية الغربية ، والعلماء والباحثين الغربيين ناحية البحث فى القرآن ودراسته ، وبهذه الطريقة قامت ثلاث مدارس للاستشراق فى مجال الدراسات الإسلامية والقرآنية : أولها صليبية ، والثانية استعمارية ، والثالثة بحثية منصفة .

وقد بدأ المستشرقون المتخصصون فى القرآن الكريم منذ ما يقرب من ألف سنة؛ أى فى القرن الحادى عشر الميلادى ، العمل الرسمى للبحث فى القرآن ، وذلك مع أول ترجمة لمعانى القرآن إلى اللغة اللاتينية التى قام بها رجل الكنيسة الكولونى (pitter venerable) ، وبدأوا منذ القرن السادس عشر الميلادى العمل المكثف للبحث فى القرآن ودراسته وذلك فى المجالات السبعة المختلفة التالية :

١- فى مجال ترجمة معانى القرآن الكريم ؛ وذلك قبل أن يقوم المسلمون بعمل أول ترجمة فارسية لمعانى القرآن فى كلكته عام ١٨٣١ هـ ، حيث قام المستشرقون بترجمة معانى القرآن إلى عشر لغات أوروبية وطبعها ونشرها منذ ما يقرب من ثلاثمائة سنة قبل ذلك .

وقد تُرجمت معانى القرآن إلى اللغة الإنجليزية فقط مائتين وخمس وتسعين مرة ، وقام بهذه المهمة مسيحيون ويهود فى الغالب الأعم ، وقد أعيد طبع ترجمة جورج سيل وحدها أكثر من مائة وخمس مرات .

٢- وفى مجال طباعة القرآن الكريم ، كان القرآن يطبع على يد القساوسة والمطابع الكنسية المناسبة لتحقيق أهداف صليبية على مدى عدة قرون ، وذلك قبل أن يطبع القرآن على يد المسلمين فى قازان السوفيتية عام ١٨٠٢م .

٣- فى مجال عمل معاجم للقرآن ، لقد جعلنا فلوجل العالم الألمانى المسيحى نحن المسلمين ضيوفا على مائدة معجمه "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" منذ ما يقرب من قرنين ؛ كما قام معجم القرآن الموضوعى الذى أعده جول لابوم الفرنسى منذ مائتى عام بنفس المهمة وبإيصال المعلومات الخاصة بالمعارف القرآنية إلى الباحثين المسلمين المتخصصين فى القرآن ، عن طريق كتابه "تفصيل آيات القرآن الكريم" .

ونظرا لحاجة طلبة العلوم الدينية إلى فهم المعانى اللغوية لمفردات القرآن والحديث عن طريق معجم لغوى مناسب ؛ فقد قام رجل الدين "البستانى" بتأليف

"المنجد" وطبعه فى مطبعة الكنيسة ، ووضعه تحت تصرف المراكز العلمية والباحثين فى القرآن .

٤- فى مجال كتابة دوائر المعارف وتأليفها ، كتب المستشرقون المتخصصون فى القرآن أكثر من مائة مقالة فى الموضوعات القرآنية ونشروها فى دائرة المعارف الإسلامية (encyclopedia of islam) التى طبعت باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية ونشرت على مستوى العالم .

وبالإضافة إلى هذا ، فقد احتلوا كرسى تفسير وتدريس علوم القرآن فى العالم فى مطلع عام ٢٠٠٠م بتأليفهم دائرة معارف القرآن (encyclopedia of the Quran) واستخراج ألف موضوع رئيسى من الآيات القرآنية الشريفة لكتابة ألف مقالة ، وتتولى السيدة جان دمن مك أوليف الأستاذة بالجامعات الأمريكية رئاسة هذه اللجنة التفسيرية .

٥- فى مجال تصحيح وتحقيق ونشر المصادر والمخطوطات الإسلامية ، قدم المستشرقون مئات المصادر والمراجع الدينية فى علم القراءات والعلوم القرآنية الأخرى وطبعوها ، وذلك قبل المسلمين بمئات السنين .

٦- فى مجال البحث العلمى وتأليف الكتب وكتابة المقالات القرآنية ، كتب المستشرقون مئات الكتب وآلاف المقالات المتخصصة ، حتى أن بعضها مثل كتاب "المذاهب التفسيرية للقرآن" تأليف جولد زيهر اليهودى أصبح مؤسسا لتخصص جديد هو "المذاهب التفسيرية للقرآن" فى مراكز العلوم القرآنية .

٧- وختاما فى مجال المعارضة المتحدية للقرآن فى القرن الحاضر قدموا سورا جديدة على المواقع الإليكترونية تحت مسميات سورة التجسد ، والإيمان ، والوصايا ، والمؤمنون ، وفى هذا العام أيضا سور : زكريا ، والأرض ، والكبر ، والتراب ، والنثر المسجوع ، وتصدوا لمحاربة إعجاز القرآن .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- آريان پور ، عباس ، فرهنگ كامل دكتر عباس آريانپور انگليسى به فارسى ، كاشانى ، امير كبير ، تهران ١٣٦٩ .

٣- آل احمد ، جلال ، غرب زدگى ، چاپ اول ، نشر رواق ، تهران [بى تا] .

٤ - الآلوسى ، عادل ، التراث العربى والمستشرقون ، دار الفكر ، القاهره ٢٠٠١

٥- دراسة عن ظهور الكتاب العربى ونفائس الكتب العربية التى طبعت فى الغرب ، دار الفكر العربى ، بيروت ١٤٢٢ .

٦- ابن عبد الله ، مصطفى (حاجى خليفه) ، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت (بدون تاريخ) .

٧- ابن قوطيّه ، تاريخ فتح اندلس ، ترجمه حميد رضا شيخى ، بنياد پژوهش هاى آستان قدس رضوى ، مشهد ، ١٣٦٩

٨- أبو خليل ، شوقى ، أضواء على مواقف المستشرقين ، جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ١٩٩٩ .

٩- غوستاو لوبون فى الميزان ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٠ .

١٠- فيليپ حتى فى الميزان ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٦ .

١١- احمد ، خورشيد ، اسلام وغرب ، ترجمه سيد غلامرضا سعيدى ، انتشارات دار التبليغ اسلامى ، قم ١٣٤٧ .

١٢- اسكندرلو ، محمد جواد ، ترجمه ونقد مقاله (قرآن) از دايرة المعارف

دين ؛ ليدن ؛ پايان نامه كارشناسى ارشد ، نسخه غير مطبوع در پژوهشگاه فرهنگ وانديشه .

١٣- معرفى ونقد دائرة المعارف قرآن ، ليدن ، مجله قبسات ، پژوهشگاه فرهنگ وانديشه اسلامى .

١٤- اسميت ، ويلفرد كنت ول ، اسلام در جهان امروز ، ترجمه حسينعلى هروى ، دانشگاه تهران ٢٥٣٦ .

١٥- اسناد لانه جاسوسى آمريكا ؛ دخالت هاى آمريكا درايران ، شماره ١٢ و ٢٠ و ٥٦ .

١٦- الويرى ، محسن ، مطالعات اسلامى در غرب ، سمت ، تهران ١٣٨١ .

١٧- ايزوتسو ، توشى هيكو ، خدا وانسان در قرآن ، ترجمه احمد آرام ، دفتر نشر فرهنگ اسلامى ، تهران ١٣٦٨ .

١٨- مفاهيم اخلاقى دينى در قرآن ، ترجمه احمد آرام ، دفتر نشر فرهنگ اسلامى ، تهران ١٣٦٨ .

١٩- باربور ، ايان ، علم ودين ، بهاء الدين خرمشاهى ، نشر دانشگاهى ، تهران ١٣٦٢ .

٢٠- بارت ، رودى ، الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية ، تعريب دكتر مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ .

٢١- بختيارى ، على رضا ، يادواره بيستمين سالگشت دكتر على شريعتى ، مؤسسه تعليماتى حسينيه ارشاد ، تهران ١٣٧٦ .

۲۲- بدوی ، عبد الرحمن ، دایرة المعارف ، مستشرقان ، ترجمه صالح طباطبایی . انتشارات روزنه ، تهران ۱۳۷۷ .

۲۳- الدفاع عن القرآن ضد منتقدیه ، مکتبة مدبولی ، مصر (بدون تاریخ) .

۲٤- فرهنگ کامل خاورشناسان ، ترجمه شکر الله خاکرند ، مرکز مطالعات وتحقیقات اسلامی دفتر تبلیغات اسلامی ، قم ۱۳۷٥ .

۲٥- بروکلمان ، کارل ، تاریخ الشعوب الإسلامیة ، نبیه امین فارس ، دار العلم للملایین ، الطبعة الثانیة عشرة ، بیروت ۱۹۸۸ .

۲٦- تاریخ الشعوب الإسلامیة ، منیر البعلبکی ، بیروت ۱۹٤۸ .

۲۷- بری آر ، تاریخ اسلام ، دانشگاه کمبریج ، ترجمه احمد آرام ، امیر کبیر ، تهران ۱۳۸۱ .

۲۸- بری ، باقر ، اضائات علی کتاب الاستشراق لأدوارد سعید ، دار الهادی ، ۲۰۰۲ .

۲۹- البستانی ، کرم ، المنجد فی اللغة والإعلام ، المطبعة الکاثولیکیة ، ۱۹۷۳ .

۳۰- البستانی ، محمود ، دراسات فنیة فی قصص القرآن ، بنیاد پژوهش های آستان قدس رضوی ، مشهد ۱٤۰۸ .

۳۱- البعلبکی ، منیر ، المورد ؛ القاموس الإنجلیزی ، دار العلم للملایین ، بیروت ۱۹۹٤ .

۳۲- بلاشر ، رژی ، در آستانه قرآن ، ترجمه دکتر محمود رامیار ، دفتر نشر فرهنگ اسلامی ، تهران ۱۳٦٥ .

۳۳- در آمدی بر قرآن ، ترجمه دکتر اسد الله مبشری ، ارغنون ، تهران ۱۳۷۲ .

٣٤- بلخی ، جلال الدین محمد ، مثنوی معنوی ، مرکز نشر دانشگاهی ، تهران ١٣٧١ .

٣٥- بوکای ، موریس ، مقایسه ای میان تورات ، انجیل ، قرآن وعلم ، مهندس ذبیح الله دبیر ، دفتر نشر فرهنگ اسلامی ، تهران ١٣٧٢ .

٣٦- البهیّ ، محمد ، الفکر الإسلامی الحدیث ، مکتبة وهبه ، چاپ چهارم ، ١٩٦١ .

٣٧- اندیشه نوین اسلامی ، رویارویی با استعمار غرب ، ترجمه دکتر سید حسین سیدی ، آستان قدس رضوی ، مشهد ١٣٧٧ .

٣٨- بی آزار شیرازی ، عبد الکریم ، باستان شناسی وجغرافیای تاریخی قصص قرآن ، دفتر نشر فرهنگ اسلامی ، تهران ١٣٨٢ .

٣٩- قرآن ناطق ، دفتر نشر فرهنگ اسلامی ، تهران ١٣٧٦ .

٤٠- وسید محمد باقر حجتی ، میثاق در قرآن ؛ کلید همبستگی آیات وبخش های مختلف قرآن ، دفتر نشر فرهنگ اسلامی ، تهران ١٣٦٨ .

٤١- البیطار ، زینات ، الاستشراق فی الفن الرومانسی الفرنسی ، المجلس الوطنی للثقافة ، الکویت ١٩٩٢ .

٤٢- بینارق ، عصمت ، کتابشناسی جهانی ترجمه ها وتفسیر های چاپی قرآن مجید به ٦٥ زبان از ١٥١٥ - ١٩٨٠ ، ترجمه محمد آصف فکرت ، آستان قدس رضوی ، مشهد ١٣٧٣ .

٤٣- پورطباطبائی ، مجید ، طلیعه پژوهش ، نشریه مدیریت امور کتاب خانه های دفتر تبلیغات اسلامی ، شماره ٧٣ .

٤٤- کتابخانه مجلس شورای اسلامی ، پیام بهارستان ، مهر ١٣٨١ ، شماره ١٦ .

٤٥- تسیهر ، اجنتس جولد ، المذاهب الإسلامیة فی تفسیر القرآن ، تعریب علی حسن عبد القادر ، لندن ، ١٩٤٤ ومطبعة العلوم ، ١٩٩٤ .

٤٦- تسيهر ، جولد ، مذاهب التفسير الإسلامى ، ترجمه دكتر عبد الحليم النجار ، دار مكتبة هلال .

٤٧- تهامي نقره ، سيكولوجية القصة فى القرآن ، الشركة التونسية ، الجزائر ١٩٧٤ .

٤٨- توحيد فام ، محمد ، غرب شناسى ، مركز باز شناسى إسلام وإيران ، انتشارات باز ، تهران ١٣٨٢ .

٤٩- التوراة .

٥٠ - توماس ، آنتونى ولوئيس ، لورانس لغز الجزيرة العربية ، مطبعة المعارف ، بيروت ١٤٢٠ .

٥١- الثقافة الإسلامية والثقافة العربية ، الأخذ والعطاء، الأكاديمية المغربية ، ١٤١٢ .

٥٢- جرداق ، جرج ، امام على (رضى الله عنه) صداى عدالت انسانى ، ترجمه سيد هادى خسروشاهى ، نشر خرم ، قم ١٣٦٩ .

٥٣- جفرى ، آرتور ، مقدمتان فى علوم القرآن ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٣٩٢ .

٥٤- الجليند ، سير الاستشراق والتبشير ، قراءة تاريخية موجزة ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٩٩ .

٥٥- الجندى ، انور ، الاستشراق ؛ مجافاته لتاريخ الأمة الإسلامية وثقافتها ، مجلة المنهل ، ج ٥٠ ، العدد ٤٧١ .

٥٦- الحاج ، ساسى سالم ، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية (٢ جلد) ، مركز دراسات العالم الإسلامى ، ليبيا ١٩٩١ .

٥٧- نقد الخطاب الاستشراقى ؛ الظاهرة الاستشراقية وأثرها فى الدراسات الإسلامية ، دارالمدار الإسلامية ، طرابلس ، دار الفكر ، بيروت ودمشق ٢٠٠٢ .

٥٨- حتى ، فيليپ ، تاريخ عرب ، ترجمه ابو القاسم پاينده ، كتابچى ، تبريز ١٣٤٤ .

٥٩- حداد ، الارشمند ريت يوسف درّه ، الدفاع عن المسيحية فى الإنجيل بحسب متى ، منشورات المكتبة البولسيه ، بيروت ١٩٨٨ .

٦٠- الدفاع عن المسيحية في الإنجيل ، بحسب مرقس ، منشورات المكتبة البولتيه ، بيروت ١٩٨٨ .

٦١- القرآن والكتاب ...

٦٢- حسين ، ممدوح ، الحروب الصليبية فى شمال أفريقية ، دار عمان ، الأردن ١٩٩٨ .

٦٣- حسينى ، اشرف الدين ، ديوان نسيم شمال .

٦٤- حسينى طباطبائى ، مصطفى ، نقد آثار خاورشناسان ، انتشارات چاپخش ، تهران ١٢٧٥ .

٦٥- حمدان ، نذير ، الرسول فى كتابات المستشرقين ، دار المنار للنشر ، جده ١٤٠٦ .

٦٦- خسروشاهى ، هادى ، واتيكان ؛ دنياى اسلام وغرب ، نشر شروق ، تهران ١٣٨٠ .

٦٧- خليفة حسن ، محمد ، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ٢٠٠٠م .

٦٨- داج ، بايارد ، تاريخ هزار ساله تعليمات عالى اسلامى دانشگاه الأزهر ، ترجمه آذر ميدخت ، نشر دانشگاهى ، تهران ١٣٦٧ .

٦٩- دار التقريب بين المذاهب الإسلاميه . رسالة الإسلام ، القاهرة ، جمعى از علماء مسلمانان ، بنياد پژوهش هاى آستان قدس رضوى ، مشهد ١٤١١ . مقالات من زلّات المستشرقين ، در دوره مجله رسالة الإسلام ، القاهرة .

٧٠- دالگورکی ، کیناز ، خاطرات سیاسی کیناز دالگورکی ، کتابفروشی صبوری ، قم ۱۳۹۲ .

٧١- دانته ، کمدی الهی ؛ دوزخ ، ترجمه شجاع الدین شفا ٧٢- ـــ ، کمدی الهی ؛ دوزخ ، فریده مهدوی دامغانی ، نشر تیر ، تهران ۱۳۷۸ .

٧٣- دایرة المعارف الإسلامیه ، گروهی از مستشرقان ، لیدن ۱۹۲۳ .

٧٤- دسوقی ، محمود ، سیر تاریخی وارزیابی اندیشه شرق شناسی ، ترجمه افتخارزاده ، هزاران ، تهران ۱۳۷٦ .

٧٥- الفکر الاستشراقی ؛ تاریخه وتقویمه ، دار الوفاء ، مؤسسة التوحید ، بیروت ۱۲۱٦ .

٧٦- دشتی ، علی ، بیست وسه سال ، با مقدمه بهرام چوبینه ، [بی جا]، موجود در دفتر تبلیغات اسلامی ، ۱۳۸۱ .

٧٧- دشتی ، محمد ، ترجمه نهج البلاغة ، آستان قدس رضوی ، مشهد ۱۳۸۲ .

٧٨- دورانت ، ویل ، تاریخ تمدن ، ترجمه أحمد آرام ، سازمان انتشارات وآموزش انقلاب إسلامی ، تهران ۱۳٦۷ .

٧٩- قصة الحضارة ، تعریب محمد بدران ، جامعة الدول العربیة .

٨٠- الدیب ، محمد عبد العظیم ، المنهج فی کتابات الغربیین عن التاریخ الإسلامی ، کتاب الأمة ، ریاسة المحاکم الشرعیه ، قطر ۱۳٤۸ .

٨١- دیون پورت ، جان ، الاعتذار محمد والقرآن ، تعریب عباس الخلیلی ، اقبال ، تهران ۱۳۳٥ .

٨٢- دیون پورت ، جان ، عذر تقصیر به پیشگاه محمد (ﷺ) وقرآن ، غلامرضا سعیدی ، دار التبلیغ اسلامی ، قم ۱۳٤۸ .

٨٣- رشدى ، سلمان ، آيه هاى شيطانى ، ترجمه روشنك ايرانى ، نسخه موجود در كتاب خانه سالن اهل قلم دفتر تبليغات اسلامى .

٨٤- رضوان ، عمر بن إبراهيم ، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ، مجلدان ، دار طيبة ، الرياض ١٤١٣ .

٨٥- رفاعى ، عبد الجبار ، الاختراق الثقافى ؛ معجم ببيوغرافى تحليلى ، نشر فرهنگ اسلامى ، قم ١٤١٦ .

٨٦- رودنسون ، ماكسيم ، الإسلام عقيدة وسياسة ، تعريب أسعد صقر ، عطية ، بيروت ١٩٩٦ .

٨٧- زقزوق ، محمود ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ؛ كتاب الأمة ، قطر ، مكتبة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥ .

٨٨- زمانى ، محمد حسن ، شگفتى هاى پس از فروپاشى ، انتشارات إسلامى ، قم ١٣٨٣ .

٨٩- زهر الدين ، صالح ، الإسلام والاستشراق ، دار الندوة ، لبنان ١٤١٣ .

٩٠- زيارى ، محمد فتح الله ، الاستشراق ؛ أهدافه ووسائله ، دار قتيبه ، بيروت ٢٠٠٢ .

٩١- زيدان ، جرجى ، تاريخ تمدن إسلام ، على جواهر كرم ، امير كبير ، تهران ١٣٥٢ .

٩٢- ساذرن ، نظرة الغرب إلى الإسلام فى القرون الوسطى ، تعريب دكتر على فهمى ، مكتبة الفكر ليبيا .

٩٣- سباعى ، مصطفى ، الاستشراق والمستشرقون ؛ ما لهم وعليهم ، المكتب الإسلامى ، بيروت ١٤٠٥ .

٩٤- سعيد ، إدوارد ، الاستشراق ؛ المعرفة ؛ السلطة ؛ الإنشاء ، تعريب كمال أبو ديب ، دار الكتاب الاسلامی ، قم ١٤١٣ .

٩٥- شرق شناسی ، ترجمه دکتر عبد الرحیم گواهی ، دفتر نشر فرهنگ اسلامی ، تهران ١٣٧٧ .

٩٦- سفیانی ، عابد بن محمد ، المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة ، دار المنايره ، جده ١٤١٢ .

٩٧- سلیمان ، فرهنگ حییّم ؛ انگلیسی به فارسی ، کتابفروشی یهودا ، بروخیم ، تهران ١٣٥٨ .

٩٨- شانه چی ، محسن ، انقلاب اسلامی ایران در دایرة المعارف های جهان ، سازمان فرهنگ وارتباطات اسلامی ، تهران ١٣٧٩ .

٩٩- شایگان ، داریوش ، هانری کُربن ؛ آفاق تفکر معنوی در اسلامی ایرانی ، ترجمه باقر پرهام ، نشر فروزان ، تهران [بی تا] .

١٠٠ - الشرقاوی ، محمد عبد الله ، الاستشراق فی الفكر الإسلامی المعاصر ، دار الفکر العربی / القاهرة .

١٠١- شریعتی ، ما و غرب ، یادواره بیستمین سالگشت دکتر علی شریعتی ، مؤسسه تعلیماتی حسینیه ارشاد ، تهران ١٣٧٦ .

١٠٢- صادقی ، تقی ، رویکرد خاورشناسان به قرآن ، فرهنگ گستر ، تهران ١٣٧٩ .

١٠٣- صاغيه ، حازم ، ثقافات الخمينية ؛ موقف من الاستشراق ام حرب على طيف ، دار الجديد ، بيروت ١٩٩٥ .

١٠٤- صالح حمدان ، عبد الحميد ، طبقات المستشرقين ، مكتبة مدبولی ، ليبيا .

١٠٥- الصغير ، محمد حسين على ، خاورشناسان وپژوهش هاى قرآنى ، ترجمة محمد صادق شريعت ، مؤسسة مطلع الفجر ، تهران ١٣٧٢ .

١٠٦- صميمى ، مينو ، محمد (ﷺ) در اروپا ، عباس مهرپويا ، انتشارات اطلاعات ، تهران ١٣٨٢ .

١٠٧- الطيباوى ، عبد اللطيف ، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، ترجمه دكتر قاسم السامرايى ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ١٤١١ .

١٠٨- العالم ، لطفى ، المستشرقون والقرآن ، دراسة نقدية لمناهج المستشرقين .

١٠٩- عبد الباقى ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

١١٠- عبد العال ، إسماعيل سالم ، المستشرقون والقرآن ، سلسلة دعوة الحق لرابطة العالم الإسلامى ، مكه ١٩٩٠ .

١١١- عبد اللهى خوروش ، حسين ، فرهنگ اسلام شناسان خارجى در دو جلد ، مؤسسة مطبوعاتى مهر ، تهران ١٣٦٢ .

١١٢- العرفى ، محمد بن سالم ، دراسات استشراقية وحضاريه ، مجلة كلية الدعوة ، مركز الدراسات الاستشراقيه والحضارية ، المدينة المنورة ، جامعة محمد بن سعود ، ١٤١٣ .

١١٣- عزت إسماعيل ، محمد ، التبشير والاستشراق ؛ أحقاد على النبى محمد (ﷺ) وبلاد الإسلام ، الطهطاوى ، الزهراء ، القاهره ١٤١١ .

١١٤- عفيفى ، نجيب ، المستشرقون ، در المعارف ، مصر ١٩٦٤ .

١١٥- عكاشه على ، إبراهيم ، ملامح عن النشاط التنصيرى فى الوطن العربى ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٤٠٧ .

١١٦- عليقلى ، محمد مهدى ، قرآن ازديدگاه ١٦٤ دانشمند جهان ، انتشارات سينا ، تهران ١٣٧٥ .

١١٧- الغزالى ، محمد ، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، نهضة مصر للطباعة ، القاهرة ١٩٩٩ .

١١٨- فؤاد ، عبد المنعم ، من افترائات المستشرقين على الأصول العقديه فى الإسلام ، مكتبة العبيكان ، الرياض ٢٠٠١ م .

١١٩- فوزى ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الإسلامى ، الأهلية للنشر ، الأردن ١٩٩٨م .

١٢٠- فوك ، يوهان ، تاريخ حركة الاستشراق ؛ الدراسات العربية والإسلامية فى أروپا حتى بداية القرن العشرين ، تعريب عمر لطفى العالم ، دار قتيبة ، دمشق ١٤١٧ .

١٢١- الفيروز أبادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ١٤١٢ .

١٢٢- الفيومى ، محمد إبراهيم ، الاستشراق ؛ رسالة استعمار تطور الصراع الغربى مع الإسلام ، دار الفكر العربى ، قاهره ١٤١٣ .

١٢٣- قبسات ، فصلنامه علمى ترويجى پژوهشگاه فرهنگ وانديشه اسلامى ، العدد ٢٩ .

١٢٤- قطب ، محمد ، المستشرقون والإسلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٩٩ .

١٢٥- كاشانى ، مجيد ، غرب در جغرافياى انديشه ، كانون انديشه جوان ، تهران ١٣٨١ .

١٢٦- كارلايل ، توماس ، الأبطال ، محمد السباعى ، دار الرائد العربى ، بيروت ١٤٠٢ .

١٢٧- كتاب مقدس عهد قديم ، دار المشرق بيروت ١٩٨٨م .

١٢٨- كتاب مقدس ، ترجمه فاضل خان همدانی ، أساطير ، دار السلطنه لندن ١٩٣٢ .

١٢٩- كرد على ، خطط الشام ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٨٩ .

١٣٠- كونستان ويرژيل ، گيورگيو ، محمد پيامرى كه از نو بايد شناخت ، ذبيح الله منصورى ، امير كبير ، تهران ١٣٤٢ .

١٣١- كينو ، شيناما ، آفرينش ورستاخيز ، ترجمه جليل دوستخواه ، امير كبير ، تهران ١٣٥٦ش .

١٣٢- گرگه ، اولريخ ، پيش به سوى شرق ؛ ايران در سياست شرقى آلمان در جنگ جهانى اول ، ترجمه پرويز صاعدى ، نشر سيامك ، تهران ١٣٧٧ .

١٣٣- كريك ، كينت ، قرآن را چگونه شناختم ، ترجمه ذبيح الله منصورى ، انتشارات مجيد ، ط دوم ، تهران ١٣٦٩ .

١٣٤- لابوم ، ژول ، تفصيل آيات القرآن الكريم ، تعريب محمد فؤاد عبد الباقى ، كتابفروشى اسلاميه ، تهران ١٣٣٥ .

١٣٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقى كتابفروشى إسلامية ، تهران ١٣٣٥ .

١٣٦- لازيان ، ژانت د. ، دانشنامه ايرانيان ارمنى ، انتشارات هيرمند ، تهران ١٣٨٢ .

١٣٧- لعل نهرو ، جواهر ، نگاهى به تاريخ جهان ، انتشارات امير كبير ، تهران ١٣٨٢ .

١٣٨- لوبون ، گوستاو ، تاريخ تمدن اسلام وعرب ، ترجمه محمد تقى فخرداعى ، دنياى كتاب ، تهران ١٣٨٢ .

١٣٩- لوسكايا ، پيگو - ياكابوسكى و... ، تاريخ ايران ، كريم كشاورز ، پيام ، تهران ١٣٥٢ .

١٤٠- لوئيس بورخس، خورخه ، نه مقاله درباره دانته ، ترجمه كاوه سيد حسينى ، نشر آكه ، تهران ١٣٧٦ .

١٤١- ماركس ، كارل ، درباره مسئله يهود ، دكتر مرتضى محيط ، كتاب اختران ، تهران ١٣٨١ .

١٤٢- المحيط ، محيط ، قاموس مطول للغة العربية ، بطرس البستانى ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٣ .

١٤٣- مردانى ، خير الله ، اعترافات دانشمندان بزرگ جهان ، انتشارات آيين جعفرى ، تهران ١٤٠٢ .

١٤٤- مرعشى نجفى ، محمود ، در آمدى بر دايرة المعارف كتاب خانه هاى جهان ، كتاب خانه آية الله مرعشى ، قم ١٣٧٤ .

١٤٥- مرقس ، إنجيل .

١٤٦- مصاحب ، غلامحسين ، دايرة المعارف فارسى ، امير كبير ، تهران ١٣٨١ .

١٤٧- المطبقاتى ، مازن صالح ، من آفاق الاستشراق الامريكى المعاصر ، مكتبه ابن القيم ، المدينة المنورة ، ١٤٠٩ .

١٤٨- المطعنى ، عبد العظيم ، الإسلام فى مواجهة الاستشراق العالمى ، دار الوفاء ، بيروت ١٤٠٧ .

١٤٩- المعاليقى ، منذر ، الاستشراق فى الميزان ، طرابلس ، المكتب الإسلامى بيروت .

١٥٠- معرفت ، محمد هادى ، شبهات وردود حول القرآن الكريم ، كوتنبرگ ، تهران ١٣٤٨ .

۱۵۱- مل منصور ، کیکاوس ، تفصیل آیات القرآن الکریم ، گوتنبرگ ، تهران ۱۳٤۸ .

۱۵۲- موسویان ، حسین ، آراء وافکار اسلام شناسان معاصر آلمان ، دفتر مطالعات سیاسی وبین المللی وزارت خارجه ، تهران ۱۳۷۵ .

۱۵۳- موسوی خمینی ، روح الله ، در جست وجوی راه امام از کلام امام ، دفتر اول ، امیر کبیر ، تهران ۱۳٦۱ .

۱۵٤- صحیفه امام خمینی (رحمه الله) ، مؤسسه تنظیم ونشر آثار امام ، تهران ۱۳۷۸ .

۱۵۵- مجموعه آثار امام خمینی (رحمه الله) ، وزارت ارشاد اسلامی ، تهران ۱۳۷۱ .

۱۵٦- میر سلیم ، مصطفی ، دانشنامه جهان اسلام ، دایرة المعارف اسلامی ، تهران ۱۳۷۵ .

۱۵۷- نجفی مرعشی ، سید شهاب الدین ، روزنامه جمهوری اسلامی .

۱۵۸- الندوی ، أبو الحسن ، الإسلامیات بین کتابات المستشرقین والباحثین المسلمین ، مؤسسة الرساله ، بیروت ۱٤۰۵ .

۱۵۹- الندوی ، ابو الحسن ، مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقین ، دار ابن کثیر ، بیروت ۲۰۰۲ .

۱٦۰- نراقی ، احسان ، پروژه بیت الحکمه در یونسکو ، فصلنامه کتاب های اسلامی ، سال ۲ ، ش ٦ .

۱٦۱- فصلنامه کتاب های اسلامی ، سال دوم ، ش ٦ ، احمد مسجد جامعی ، ۱۳۸۰ .

١٦٢- النعيم ، محمد الأمين عبد الله ، الاستشراق فى السيرة النبوية ، دراسة تاريخية لأراء وات - بروكلمان - فلهاوزن ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ويرجينيا ، آمريكا ١٤١٧ .

١٦٣- نقدى ، محمد ، إطلالة على مركز ترجمة القرآن المجيد باللغات الأجنبيه ، طبع المركز ، تهران ١٤٢٠ .

١٦٤- نَلّينو ، كَرلو آلفونسو ، تاريخ نجوم اسلامى ، احمد آرام ، ميهن ، تهران ١٣٤٩ .

١٦٥- النملة ، على بن إبراهيم الحمد ، الاستشراق والدراسات الإسلامية ، مكتبة التوبة ، الرياض ١٤١٨ .

١٦٦- إسهامات المستشرقين فى نشر التراث العربى الإسلامى ، مكتبة الملك فهد ، ١٤١٧ .

١٦٧- المستشرقون والتنصير ، مكتبه التوبه ، الرياض ١٤١٨ .

١٦٨- ني بين ، نصر الله ، اسلام از ديدگاه دانشمندان غرب ، شركت سيمان فارس ، درود .

١٦٩- نيكلسون ، يادداشت هايى در باب فصوص الحكم ابن عربى ، ترجمه اوانس اوانسيان ، دانشگاه تهران ١٣٦٢ .

١٧٠- وات ، مونتجمرى (مونتگمرى) ، الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر ، تعريب دكتر عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية ، القاهرة ١٩٩٨ .

١٧١- برخورد آراى مسلمانان ومسيحيان ؛ تفاهمات وسوء تفاهمات ترجمه محمد حسين آريا ، دفتر نشر فرهنگ اسلامى ، تهران ١٣٧٣ .

١٧٢- تأثير اسلام بر اروپاى قرون وسطى ، حسين عبد المحمدى ، مؤسسه آموزشى وپژوهشى امام خمينى (رحمه الله) ، قم ١٣٧٨ .

١٧٣- فلسفه وكلام اسلامی ، ترجمه ابو الفضل عزتی ، شركت انتشارات علمی وفرهنگی ، تهران .

١٧٤- محمد (ﷺ) پيامبر وسياستمدار ، دار الترجمه ايران ، كتابفروشی اسلاميه ، تهران ١٣٤٤ .

١٧٥- محمد (ﷺ) فی المدينة ، شعبان بركات ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت .

١٧٦- واسيلی ، ولاديمير و... بارتولد ، خاورشناسی در روسيه واروپا ، ترجمه حمزه سردادور ، انتشارات ابن سينا ، تهران ١٣٥١ .

١٧٧- واعظی ، حسن ، ايران وآمريكا ، سروش ، تهران ١٣٧٩ .

١٧٨- وامبری ، آرمينيوس ، سياحت درويشی دروغين در خانات آسيای ميانه ، ترجمه فتحعلی خواجه نوريان ، شركت انتشارات علمی وفرهنگی ، تهران ١٣٧٩ .

١٧٩- ونسين ، المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوی ، تعريب فؤاد عبد الباقی ، ليدن ، دار الدعوة ، استانبول .

١٨٠- مفتاح كنوز اهل السنة ، دفتر تبليغات اسلامی ، قم .

١٨١- موسوعة أطراف الحديث النبوی الشريف ، ترجمه فؤاد عبد الباقی ، عالم التراث ، بيروت ١٤١٠ .

١٨٢- هي ، جان ، فلسفه دين ، بهرام راد ، الهدی ، تهران ١٣٧٢ .

١٨٣- هاكس ، جيمز ، قاموس كتاب مقدس ، كتاب خانه طهوری ، تهران ١٣٤٩ .

١٨٤- همفر ، خاطرات همفر جاسوس انگليسی در ممال انگليسی ، ترجمه دكتر محسن مؤيدی ، امير كبير ، تهران [بی تا] .

١٨٥ - يارشاطر ، احسان ، دانشنامه ايران واسلام ، بنگاه ترجمه ونشر كتاب ، تهران ١٣٥٤ .

١٨٦- ENCYCLOPEDIA OF THE QURAN JAN DAMMEN MACAULIFFE 'LEIDEN' 2000 .

١٨٧ - THE ENCYCLOPEDIA AMRICANA 1- NEWYORK CHECAGO WASH-INGTON - 1963 .

١٨٨ - XFORD ADVANCED LEARNER'S DICTIONARY 1999 .

١٨٩ -WEBSTER'S ENCYCLOPEDIA AN ABRIDGED DICTIONARY OF THE ENGLISH LANGUAGE BY DONALD BENER .

١٩٠ - THE COMEDY OF DANTE-HEL . PENGUIN .

١٩١ - THE COVENANT IN THE QURAN , BY ABD AL- KARIM BIAZAR . TEHRAN . DAFTAR NASHRE FARHANG ISLAMI 1360 .

المؤلف فى سطــــــور

- السيد الدكتور محمد حسن الحسين زمانى .

- ولد فى إيران عام ١٩٥٨م .

- حصل على درجة الماجستير فى العلوم الإنسانية والفلسفة بمرتبة الشرف الأولى .

- حصل على درجة الدكتوراه فى علوم القرآن بمرتبة الشرف الأولى على رسالته حول "نقد أهم آراء المستشرقين حول القرآن الكريم" .

- أسس جامعة الرسول الأكرم الخاصة بطلاب آسيا الوسطى فى إيران وكان مديرا لها لمدة ست سنوات .

- له ديوان شعر بالفارسية وبعض الأشعار بالعربية .

- له نشاط علمى فى مجال ترجمة معانى القرآن الكريم إلى الفارسية .

- له مؤلفات ومقالات منشورة فى مجال القرآن والحديث والفقه والفلسفة والتصوف والأدب والتاريخ والتربية .

- تولى عدة وظائف رسمية منها :

(أ) أستاذ بالجامعات الإيرانية لمدة ثلاثة عشر عاما .

(ب) مساعد أمين عام المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية فى طهران .

(ج) مساعد رئيس بعثة الحج الإيرانية لمدة خمسة عشر عاما .

(د) الملحق الثقافى بمكتب رعاية مصالح الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالقاهرة حاليا .

- شارك فى مؤتمرات عديدة فى إيران والسودان والسعودية والفلبين وروسيا والبوسنة ولبنان وكازاخستان وقرغيزستان وتركمانستان ، وغيرها .

المترجم فى سطـــــــور

- أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم .

- حاصل على درجة دكتوراه الآداب فى اللغة الفارسية وآدابها من كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٢م .

- يعمل حاليا أستاذا متفرغا للغة الفارسية وآدابها بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر .

- تولى عدة مناصب إدارية وفنية منها :

رئاسة قسم اللغة الفارسية بكلية اللغات والترجمة .

وكيل كلية اللغات والترجمة .

عميد كلية اللغات والترجمة .

مقرر لجنة ترقية أساتذة اللغات الشرقية بجامعة الأزهر .

رئيس لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

- قام بالتدريس فى عدة جامعات داخل مصر وخارجها ، منها :

جامعة الأزهر - جامعة المنصورة - جامعة القاهرة - جامعة الإسكندرية - جامعة عين شمس - جامعة بغداد بالعراق - جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية .

- ألَّف وترجم ما يقرب من ثلاثين كتابا ، أهمها :

دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى - اللغة الفارسية : بحوث فى النشأة والتطور - جوانب من الثقافة الإيرانية - البلاغة العربية وأثرها فى نشأة البلاغة الفارسية وتطورها - معجم النور لمعانى ألفاظ القرآن الكريم بالفارسية - معجم المصطلحات السياسية والعسكرية - معجم المصطلحات الفلسفية - ترجمان البلاغة - كمال الدين بهزاد المصور الإيرانى المبدع - أوزان الشعر الفارسى .

- كتب ما يقرب من خمسة وسبعين بحثا ومقالا علميا منشورا ، منها :

الألفاظ الفارسية فى العامية المصرية - كلمات فارسية فى شعر أبى نواس - وصف مصر فى كتاب حدود العالم - تأثيرات عربية فى كتب البلاغة الفارسية - البازار ودوره فى المجتمع الإيرانى - ترجمة فارسية منظومة لمعانى القرآن الكريم - المخطوطات الفارسية بدار الكتب المصرية - المصاحف الإيرانية المخطوطة فى مكتبات مصر ومتاحفها - المجمع اللغوى الإيرانى - المقاهى الإيرانية ودورها الاجتماعى والثقافى .

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز
الإشراف الفنـى : حســن كـامــل